سلسلة نصوص تراثية للباحثين

(١٠٠٧)

العشق

أحوال وأحكام

من مصنفات ابن تيمية وابن القيم

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٥هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة

ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

تليجرام https://t.me/dralhoshan

"ص -٥- "الفقه"

شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني

كتاب النكاح

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده .

سئل الشيخ الإمام العالم العلامة شيخ الإسلام أحمد بن تيمية قدس الله روحه عمن أصابه سهم من سهام إبليس المسمومة ؟

فأجاب :

من أصابه جرح مسموم فعليه بما يخرج السم ويبرئ الجرح بالترياق والمرهم . وذلك بأمور :

منها : أن يتزوج أو يتسري؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إذا نظر أحدكم إلى محاسن امرأة فليأت أهله؛ فإنما معها مثل ما معها " ، وهذا مما ينقص الشهوة، ويضعف **العشق** .

الثاني : أن يداوم على الصلوات الخمس، والدعاء، والتضرع وقت السحر . وتكون صلاته بحضور قلب وخشوع، وليكثر من الدعاء بقوله : " يا مقلب القلوب، ثبت قلبي على دينك . يا مصرف القلوب، صرف قلبي إلى طاعتك وطاعة رسولك " ، فإنه متى أدمن الدعاء والتضرع للهصرف قلبه عن ذلك، كما قال تعالى : ﴿كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين ﴾ [يوسف : ٢٤] .." (١)

"ص -٢٥١- صارع ابن عبد يزيد، وسابق عائشة رضي الله عنه وأذن في السباق لسلمة بن الأكوع . وأما على القول الثاني فلابد أن تكون المغالبة في عمل مباح، وهذه ليست كذلك . وذلك يظهر بالوجه الثاني :

وهو أن هذه الأقوال فيها من وصف المردان **وعشقهم**، ومقدمات الفجور بهم ما يقتضي ترغيب النفوس في ذلك، وتهييج ذلك في القلوب . وكل ما فيه إعانة على الفاحشة والترغيب فيها، فهو حرام؛وتحريم هذا أعظم من تحريم الندب والنياحة، وذلك يثير الحزن، وهذا يثير الفسق . والحزن قد يرخص فيه، وأما الفسق فلا يرخص في شيء منه . وهذا من جنس القيادة . وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " لا تنعت المرأة المرأة لزوجها حتى كأنه ينظر إليها " ، فنهى النبي صلى الله عليه وسلم عن وصف المرأة؛ لئلا تتمثل في نفسه صورتها، فكيف بمن يصف المردان بهذه الصفات، ويرغب في الفواحش

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٢/

بمثل هذه الأقوال المنكر ات التي تخرج القلب السليم، وتعمي القلب السقيم، وتسوق الإنسان إلى العذاب الإليم ؟ ! وقد أمر عمر رضي الله عنه بضرب نائحة، فضربت حتى بدا شعرها، فقيل له : يا أمير المؤمنين، إنه قد بدا شعرها ؟ فقال : لا حرمة لها، إنما تأمر بالجزع وقد نهى الله عنه، وتنهى عن الصبر وقد أمر الله به، وتفتن الحي وتؤذي الميت، وتبيع عبرتها، وتبكي شجو غيرها، إنها لا تبكي على ميتكم، وإنما تبكي على أخذ دراهمكم . وبلغ عمر أن شابا يقال له : نصر." (١)

"ص –٢١٥– مسائل الاجتهاد . فمن رأى أن تقبل توبة هذا التائب، ويجالس فى الحال قبل اختباره، فقد أخذ بقول سائغ . ومن رأى أنه يؤخر مدة حتى يعمل صالحا، ويظهر صدق توبته، فقد أخذ بقول سائغ . وكلا القولين ليس من المنكرات .

وقال الشيخ :

نهى الله عن إشاعة الفاحشة بقوله تعالى : ﴿إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة ﴾ [النور : ١٩] . وكذلك أمر بستر الفواحش، كما قال النبى صلى الله عليه وسلم : " من ابتلى بشيء من هذه القاذورات، فليستتر بستر الله، فإنه من يبدلنا صفحته، نقم عليه الكتاب " . وقال : "كل أمتى معافى إلا المجاهرين والمجاهرة أن يبيت الرجل على الذنب قد ستره الله، فيصبح يتحدث به " . فما دام الذنب مستورا، فمصيبته على صاحبه خاصة . فإذا أظهر ولم ينكر، كان ضرره عاما، فكيف إذا كان فى ظهوره تحريك غيره إليه؛ ولهذا أنكر الإمام أحمد وغيره أشكال الشعر الغزلى الرقيق، لئلا تتحرك النفوس إلى الفواحش . فلهذا أمر من ابتلى **بالعشق** أن يعف ويكتم، فيكون حينئذ ممن قال الله فيه : ﴿إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين ﴾ [يوسف : ٩٠] . والله أعلم .." (٢)

"ص –٢٥٣– صحبت ثلاثين من الأبدال كلهم يوصيني عند فراقه بترك صحبة الأحداث وقال بعضهم : ما سقط عبد من عين الله إلا بصحبة هؤلاء الأنتان .

ثم النظر يؤكد المحبة، فيكون علاقة لتعلق القلب بالمحبوب، ثم صبابة لانصباب القلب إليه، ثم غراما للزومه للقلب كالغريم الملازم لغريمه، ثم **عشقا** إلى أن يصير تتيما، والمتيم المعبد، وتيم الله : عبد الله، فيبقى القلب عبدا لمن لا يصلح أن يكون أخا بل ولا خادما، وهذا إنما يبتلى به أهل الإعراض عن الإخلاص لله كما قال تعالى في حق يوسف : ﴿كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين﴾ [

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٦/

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٦/

يوسف : ٢٤] ، فامرأة العزيز كانت مشركة فوقعت مع تزوجها فيما وقعت فيه من السوء، ويوسف عليه السلام مع عزوبته ومراودتها له واستعانتها عليه بالنسوة وعقوبتها له بالحبس على العفة عصمه الله بإخلاصه لله؛ تحقيقا لقوله : ﴿ولأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين﴾ [الحجر : ٣٩، ٤٠] ، قال تعالى : ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين﴾ [الحجر : ٤٢] ، والغي : هو اتباع الهوى .

وهذا الباب من أعظم أبواب اتباع الهوى . ومن أمر **بعشق** الصور من المتفلسفة كابن سينا وذويه، أو من الفرس كما يذكر عن بعضهم؛ أو من جهال المتصوفة، فإنهم أهل ضلال وغي، فهم مع مشاركة اليهود في الغي والنصارى في الضلال زادوا على الأمتين في ذلك، فإن." (١)

"ص -٢٥٧- فالتعلق في الصور يوجب فساد العقل وعمى البصيرة وسكر القلب، بل جنونه كما قيل :

سكران : سكر هوى، وسكر مدامة

فمتى إفاقة من به سكران ؟

وقيل :

قالوا : جننت بمن تهوى ؟ فقلت لهم :

العشق أعظم مما بالمجانين

العشق لا يستفيق الدهر صاحبه

وإنما يصرع المجنون في الحين

وذكر سبحانه آية النور عقيب آيات غض البصر فقال : ﴿الله نور السماوات والأرض﴾ [النور : ٣٥] ، وكان شاه بن شجاع الكرماني لا تخطئ له فراسة، وكان يقول : من عمر ظاهره باتباع السنة وباطنه بدوام المراقبة، وغض بصره عن المحارم، وكف نفسه عن الشهوات، وذكر خصلة خامسة وهي أكل الحلال، لم تخطئ له فراسة . والله تعالى يجزى العبد على عمله بما هو من جنس عمله فغض بصره عما حرم يعوضه الله عليه من جنسه بما هو خير منه، فيطلق نور بصيرته ويفتح عليه." (٢)

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، /٣٦

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، /٤٠

"ص -٢٨٧- ثم بعد مدة غير البيت بقوله :

لقد حق لي عشق الوجود وأهله

فسألته عن ذلك فقال : مقام البداية أن يرى الأكوان حجبا فيرفضها، ثم يراها مظاهر ومجالى فيحق له العشق لها، كما قال بعضهم :

أقبل أرضا سار فيها جمالها فكيف بدار دار فيها جمالها

قال : وقال ابن عربي عقيب إنشاد بيتي أبي نواس :

رق الزجاج وراقت الخمر وتشاكلا فتشابه الأمر

فكأنما خمر ولا قدح وكأنما قدح ولا خمر

لبس صورة العالم، فظاهره خلقه، وباطنه حقه .

وقال بعض السلف : عين ما ترى ذات لا ترى، وذات لا ترى عين ما ترى، الله فقط والكثرة وهم .

قال الشيخ قطب الدين ابن سبعين : رب مالك، وعبد هالك، وأنتم ذلك . الله فقط والكثرة وهم .

وقال الشيخ محيي الدين ابن عربي :

يا صورة أنس سرها معنائي ما خلقك للأمر ترى لولائي

شئناك فأنشأناك خلقا بشرا لتشهدنا في أكمل الأشياء." (١)

"ص -٣٠٥- ثم قوله : [فمن كان من أهل الحق شهدها مظاهر ومجالي، ومن كان من أهل الفرق شهدها ستورا وحجبا] كلام ينقض بعضه بعضا، فإنه إن كان الوجود واحدا لم يكن أحد الشاهدين غير الآخر، ولم يكن الشاهد غير المشهود . ولهذا قال بعض شيوخ هؤلاء : من قال : إن في الكون سوى الله فقد كذب . فقال له آخر : فمن الذي كذب ؟ فأفحمه . وهذا لأنه إذا لم يكن موجود سوى الواجب بنفسه، كان هو الذي يكذب ويظلم، ويأكل ويشرب، وهذا يصرح به أئمة هؤلاء، كما يقول صاحب الفصوص وغيره : إنه موصوف بجميع صفات الذم، وأنه هو الذي يمرض ويضرب وتصيبه الآفات، ويوصف بالمعايب والنقائص، كما أنه هو الذي يوصف بنعوت المدح والذم .

قال : فالعلى بنفسه هو الذي يكون له جميع الصفات الثبوتية والسلبية، سواء كانت محمودة عقلا وشرعا وعرفا، أو مذمومة عقلا وشرعا وعرفا، وليس ذلك إلا لمسمى الله خاصة .

وقال : ألا ترى الحق يظهر بصفات المحدثات وقد أخبر بذلك عن نفسه، وبصفات النقص وبصفات

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٣/٥٢

الذم ؟ ألا ترى المخلوق يظهر بصفات الخالق وكلها حق له، كما أن صفات المخلوق حق للخالق .

وقول القائل :

لقد حق لي عشق الوجود وأهله

يقتضي أنه يعشق إبليس وفرعون وهامان وكل كافر، ويعشق الكلاب." (١)

"ص –٣٠٦– والخنازير، والبول والعذرة، وكل خبيث، مع أنه باطل عقلا وشرعا، فهو كاذب في ذلك متناقض فيه، فإنه لو آذاه مؤذ وآلمه ألما شديدا لأبغضه وعاداه، بل اعتدى في أذاه، فعشق الرجل لكل موجود محال عقلا، محرم شرعا .

وما ذكر عن بعضهم من قوله : [عين ما ترى ذات لا ترى، وذات لا ترى عين ما ترى] هو من كلام ابن سبعين، وهو من أكابر أهل الشرك والإلحاد، والسحر والاتحاد، وكان من أفاضلهم وأذكيائهم وأخبرهم بالفلسفة وتصوف المتفلسفة .

وقول ابن عربي : [ظاهره خلقه، وباطنه حقه] هو قول أهل الحلول، وهو متناقض في ذلك، فإنه يقول بالوحدة، فلا يكون هناك موجودان، أحدهما باطن والآخر ظاهر، والتفريق بين الوجود والعين تفريق لا حقيقة له، بل هو من أقوال أهل الكذب والمين .

وقول ابن سبعين : [رب مالك، وعبد هالك، وأنتم ذلك، الله فقط، والكثرة وهم] هو موافق لأصله الفاسد في أن وجود المخلوق وجود الخالق، ولهذا قال : وأنتم ذلك . فإنه جعل العبد هالكا أي : لا وجود له، فلم يبق إلا وجود الرب، فقال : وأنتم ذلك، وكذلك قال : الله فقط، والكثرة وهم، فإنه على قوله لا موجود إلا الله .

ولهذا كان يقول هو وأصحابه في ذكرهم : ليس إلا الله، بدل قول المسلمين : لا إله إلا الله .." (٢)

"ص –٨٠– وإن مما نعتقده : أن الله حرم على المؤمنين دماءهم وأموالهم وأعراضهم، وذكر ذلك في حجة الوداع، فمن زعم أنه يبلغ مع الله إلى درجة يبيح الحق له ما حظر على المؤمنين إلا المضطر على حال يلزمه إحياء للنفس لو بلغ العبد ما بلغ من العلم والعبادات . فذلك كفر بالله، وقائل ذلك قائل بالإباحة، وهم المنسلخون من الديانة .

وأن مما نعتقده : ترك إطلاق تسمية [العشق] على الله . تعالى . وبين أن ذلك لا يجوز لاشتقاقه ولعدم

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٢١/٢٥

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٢٢/٢٥

ورود الشرع به، وقال : أدنى ما فيه أنه بدعة وضلالة، وفيما نص الله من ذكر المحبة كفاية .

وإن مما نعتقده : أن الله لا يحل في المرئيات، وأنه المتفرد بكمال أسمائه وصفاته، بائن من خلقه مستو على عرشه، وأن القرآنكلامه غير مخلوق . حيثما تلي ودرس وحفظ . ونعتقد أن الله تعالى اتخذ إبراهيم خليلا واتخذ نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم خليلا وحبيبا، والخلة لهما منه، على خلاف ما قاله المعتزلة : إن الخلة الفقر والحاجة . إلى أن قال :

والخلة والمحبة صفتان لله هو موصوف بهما، ولا تدخل أوصافه تحت التكييف والتشبيه، وصفات الخلق من المحبة والخلة جائز عليها الكيف، فأما صفاته . تعالى . فمعلومة في العلم، وموجودة في التعريف، قد انتفي عنهما التشبيه، فالإيمان به واجب، واسم الكيفية عن ذلك ساقط .." (١)

"ص -٣٤٠- والمقصود هنا الكلام على التركيب لفظا ومعنى، وبيان أن هؤلاء لهم فيه اصطلاح مخالف لجمهور العقلاء، وأنهم مضطرون إلى الإقرار بثبوت ما نفوه، ولكن هؤلاء يقولون : هذا اشتراك، والاشتراك تشبيه، ويقولون : هذه أجزاء، وهذا تركيب من هذه الأجزاء، ثم إنهم لا يقدرون على نفي هذا الذي سموه اشتراكا وتشبيها، ولا على نفي هذه الأمور التي سموها أجزاء وتركيبا وتقسيما، فإنهم يقولون : هو عاقل ومعقول وعقل، ولذيذ ولذة وملتذ، وعاشق ومعشوق **وعشق** .

وقد يقولون : هو عالم قادر مريد، ثم يقولون : العلم هو القدرة، والقدرة هي الإرادة، فيجعلون كل صفة هي الأخرى ، ويقولون : العلم هو العالم . وقد يقولون : هو المعلوم . فيجعلون الصفة هي الموصوف أو هي المخلوقات .

وهذه أقوال رؤسائهم، وهي في غاية الفساد في صريح المعقول، فهم مضطرون إلى الإقرار بما يسمونه تشبيها وتركيبا، ويزعمون أنهم ينفون التشبيه والتركيب والتقسيم؛ فليتأمل اللبيب كذبهم وتناقضهم وحيرتهم وضلالهم؛ ولهذا يؤول بهم الأمر إلى الجمع بين النقيضين، أو الخلو عن النقيضين . ثم إنهم ينفون عن الله ما وصف به نفسه، وما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم، لزعمهم أن ذلك تشبيه وتركيب . ويصفون أهل الإثبات بهذه الأسماء، وهم الذين ألزموها بمقتضى أصولهم، ولا حيلة لهم في دفعها . فهم كما قال القائل : رمتني بدائها وانسلت." (٢)

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٨٤/٧١

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٢٢/٨٠

"ص –٥٧١– الطمأنينة والسكون، ومنه : ماء يقن، وكذلك يقال : انزعج . وأزعجه فانزعج أي : أقلقه، ويقال ذلك لمن قلقت نفسه، ولمن قلق بنفسه وبدنه حتى فارق مكانه، وكذلك يقال : قلقت نفسه، واضطربت نفسه، ونحو ذلك من أنواع الحركة . ويسمى ما يألفه جنس الإنسان ويحبه سكنا؛ لأنه يسكن إليه . ويقال : فلان يسكن إلى فلان ويطمئن إليه، ويقال : القلب يسكن إلى فلان، ويطمئن إليه، إذا كان مأمونا معروفا بالصدق؛ فإن الصدق يورث الطمأنينة والسكون .

وقد سميت الزوجة سكنا، قال تعالى : ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾ [الروم : ١٢] ، وقال : ﴿ وجعل منها زوجها ليسكن إليها﴾ [الأعراف : ١٨٩] ، فيسكن الرجل إلى المرأة بقلبه وبدنه جميعا .

وقد يكون بدن الشخص ساكنا ونفسه متحركة حركة قوية، وبالعكس قد يسكن قلبه، وبدنه متحرك . والمحب للشيء المشتاق إليه يوصف ب أنه متحرك إليه؛ ولهذا يقال : **العشق** حركة نفس فارغة . فالقلوب تتحرك إلى الله تعالى بالمحبة والإنابة والتوجه، وغير ذلك من أعمال القلوب، وإن كان البدن لا يتحرك إلى فوق، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : " أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد " . ومع هذا فبدنه أسفل ما يكون .

فينبغي أن يعرف أن الحركة جنس تحته أنواع مختلفة باختلاف الموصوفات بذلك . وما يوصف به نفس الإنسان من إرادة ومحبة وكراهية وميل ونحو ذلك،." (١)

"ص –٧٥– وكذلك إذا قال نفاة الصفات المعلومة بالشرع، أو بالعقل مع الشرع، كالرضا والغضب، والحب، والفرح، ونحو ذلك : هذه الصفات لا تعقل إلا لجسم . قيل لهم : هذه بمنزلة الإرادة والسمع، والبصر والكلام، فما لزم في أحدهما لزم في الآخر مثله .

وهكذا نفاة الصفات من الفلاسفة ونحوهم، إذا قالوا : ثبوت هذه الصفات يستلزم كثرة المعاني فيه، وذلك يستلزم كونه جسما أو مركبا . قيل لهم : هذا كما أثبتم أنه موجود واجب قائم بنفسه وأنه عاقل ومعقول وعقل، ولذيذ وملتذ ولذة، وعاشق ومعشوق **وعشق**، ونحو ذلك .

فإن قالوا : هذه ترجع إلى معنى واحد، قيل لهم : إن كان هذا ممتنعا بطل الفرق، وإن كان ممكنا أمكن أن يقال في تلك مثل هذه، فلا فرق بين صفة وصفة . والكلام على ثبوت الصفات وبطلان أقوال النفاة مبسوط في غير هذا الموضع .

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٢٦١/٨٠

والمقصود هنا : أن نبين أن ثبوت الكمال لله معلوم بالعقل، وأن نقيض ذلك منتف عنه، فإن الاعتماد في الإثبات والنفي على هذه الطريق مستقيم في العقل والشرع، دون تلك، خلاف ما قاله هؤلاء المتكلمون . وجمهور أهل الفلسفة والكلام يوافقون على أن الكمال لله ثابت بالعقل، والفلاسفة تسميه التمام، وبيان ذلك من وجوه :." (١)

"ص -٣٠٨- وهي الجسم مثل مفارقة نفس الإنسان لبدنه بالموت، فقد صارت عندهم عقلا لا يقبل الحركة .

فما ذكره من تقدير نفس خالية عن الجسم دائمة الحركة لا يقولون به، ولا دليل عليه، فيبقى تقديره تقديرا لم يقل به المنازع ولا قام عليه دليل، ولكن هذا يشبه مذهب الحرنانيين وليس به .

فإن أولئك يقولون : القدماء خمسة : الرب، والنفس، والمادة، والدهر، والفضاء . ولكن لا يقولون : إن النفس ما زالت متحركة، بل يقولون : إنه حدث لها التفات إلى الهيولي وهي المادة، فأحبتها **وعشقتها**، ولم يكن الأولى تخليصها منها إلا بأن تذوق وبال هذا التعلق، فصنع العالم، وجعل النفس حاصلة مع الأجسام لتذوق حرارة هذا الاجتماع ووباله، فتشتاق إلى التخلص منه .

ولهذا يقول محمد بن زكريا الرازي : إن هذا العالم ليس فيه لذة أصلا ! بل النفس لا تزال معذبة حتى تتخلص وراحتها في الخلاص، وكان حاضرا بمجلس بعض الأكابر، فمثل ذلك بما يخرج من دبر الإنسان بغير اختياره من الصوت، وجعل ذلك حاصلا من ذلك الكبير ! ! فقال له الكعبي [هو أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن محمود البلخي، المعروف بالكعبي، شيخ المعتزلة، كان من نظراء أبي علي الجبائي، وكان يكتب الإنشاء لبعض الأمراء، له من الكتب [المقالات] و [الجدل] وغيرهما، وتوفى في سنة ٩٠٣هـ وقيل : ٩٢٣هـ] : دخلت في أمور عظيمة ولم تتخلص، وأنت إنما فررت من حدوث حادث بلا سبب، فيقال لك : فما الموجب لكونها التفتت في ذلك الوقت المعين إلى الهيولي دون ما قبل ذلك الوقت وما بعده ؟ فهذا حادث بلا سبب .." (٢)

"ص -٥٦٧- أو لرياسته، أو وطنه، أو صديقه، أو صورة من الصور، أو خيله، أو بستانه، أو ذهبه، أو فضته، وغير ذلك من أمواله، فكما أن الحب أوله علاقة لتعلق القلب بالمحبوب، ثم صبابة لانصباب القلب نحوه، ثم غرام للزومه القلب كما يلزم الغريم غريمه، ثم يصير **عشقا** إلي أن يصير تتيما والتتيم : التعبد،

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٩/٨٨

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٢٢/٩٦

وتيم الله : عبد الله فيصير القلب عبدا للمحبوب مطيعا له لا يستطيع الخروج عن أمره، وقد آل الأمر بكثير من عشاق الصور إلى ما هو معروف عند الناس، مثل من حمله ذلك على قتل نفسه وقتل معشوقه أو الكفر والردة عن الإسلام أو أفضى به إلى الجنون وزوال العقل، أو أوجب خروجه عن المحبوبات العظيمة من الأهل والمال والرياسة، أو أمراض جسمه وأسنانه .

فمن قال : الحب لا يزيد ولا ينقص، كان قوله من أظهر الأقوال فسادا، ومعلوم أن الناس يتفاضلون في حب الله أعظم من تفاضلهم في حب كل محبوب، فهو سبحانه اتخذ إبراهيم خليلا، واتخذ محمد أيضا خليلا، كما استفاض عنه أنه قال : " لو كنت متخذا خليلا من أهل الأرض لاتخذت أبا بكر خليلا، ولكن صاحبكم خليل الله " ، يعني نفسه صلى الله عليه وسلم . وقال : " إن الله اتخذني خليلا، كما اتخذ إبراهيم خليلا " ، والخلة أخص من مطلق المحبة، فإن الأنبياء عليهم السلام والمؤمنين يحبون الله ويحبهم الله، كما قال : ﴿ فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ﴾ الآية [المائدة : ٥٤] ، وقال تعالى : ﴿ والذين آمنوا أشد حبا لله ﴾ [البقرة : ١٦٥] ، وقد أخبر الله أنه يحب المتقين، ويحب المقسطين، ويحب التوابين، ويحب المتطهرين، ويحب." (١)

"ص -٢٧٦- الكلية المعقولة في نفس الإنسان، كما أن المفارقات أصلها مفارقة النفس البدن .
وهذان أمران لا ينكران، لكن ادعوا في صفات النفس وأحوالها أمورا باطلة، وادعوا أيضا ثبوت جواهر عقلية قائمة بأنفسها ويقولون فيها : العاقل، والمعقول والعقل شيء واحد . كما يقولون : مثل ذلك في رب العالمين، فيقولون : هو عاقل ومعقول وعقل، وعاشق ومعشوق وعشق، ولذيذ وملتذ ولذة .

ويجعلون الصفة عين الموصوف، ويجعلون كل صفة هي الأخرى، فيجعلون نفس العقل الذي هو العلم نفس العاقل العالم، ونفس العشق الذي هو الحب نفس العاشق المحب، ونفس اللذة هي نفس العلم ونفس الحب، ويجعلون القدرة والإرادة هي نفس العلم، فيجعلون العلم هو القدرة وهو الإرادة وهو المحبة وهو اللذة، ويجعلون العالم المريد المحب الملتذ هو نفس العلم الذي هو نفس الإرادة وهو نفس المحبة وهو نفس اللذة، فيجعلون الحقائق المتنوعة شيئا واحدا، ويجعلون نفس الصفات المتنوعة هي نفس الذات الموصوفة، ثم يتناقضون فيثبتون له علما ليس هو نفس ذاته، كما تناقض ابن سينا في إشاراته، وغيره من محققيهم، وبسط الكلام في الرد عليهم بموضع آخر .

والمقصود أنهم يعبرون بلفظ العقل عن جوهر قائم بنفسه، ويثبتون جواهر عقلية يسمونها المجردات

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١١٥/١١٣

والمفارقات للمادة؛ وإذا حقق الأمر عليهم لم يكن عندهم غير نفس الإنسان التي يسمونها الناطقة وغير ما يقوم بها من المعنى الذي يسمى عقلا .." (١)

"ص -٧٠- وكذلك العبادة والطاعة، إذا قيل في المطاع المعبود : إن هذا يحب طاعته وعبادته، فإن محبته ذلك تبع لمحبته، وإلا فمن لا يحب لا يحب طاعته وعبادته، ومن كان لا يعمل لغيره إلا لعوض يناله منه أو لدفع عقوبة فإنه يكون معاوضا له أو مفتديا منه لا يكون محبا له . ولا يقال إن هذا يحبه ويفسر ذلك بمحبة طاعته وعبادته، فإن محبة المقصود وإن استلزمت محبة الوسيلة أو غير محبة الوسيلة، فإن ذلك يقتضى أن يعبر بلفظين : محبة العوض والسلامة عن محبة العمل . أما محبة الله فلا تعلق لها بمجرد محبة العوض، ألا ترى أن من استأجر أجيرا بعوض لا يقال : إن الأجير يحبه بمجرد ذلك . بل قد يستأجر الرجل من لا يحبه بحال بل من يبغضه، وكذلك من افتدى نفسه بعمل من عذاب معذب لا يقال : إنه يحبه بل يكون مبغضا له . فعلم أن ما وصف الله به عباده المؤمنين من أنهم يحبونه يمتنع ألا يكون معناه إلا مجرد محبة العمل الذي ينالون به بعض الأغراض المخلوقة من غير أن يكون ربهم محبوبا أصلا .

وأيضا، فلفظ العبادة متضمن للمحبة مع الذل كما تقدم؛ ولهذا كانت محبة القلب للبشر على طبقات : أحدها : العلاقة : وهو تعلق القلب بالمحبوب، ثم الصبابة : وهو انصباب القلب إليه، ثم الغرام : وهو الحب اللازم، ثم **العشق** وآخر." (٢)

"ص -١٢٩- الذي رواه أبو داود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : "الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار " وذلك أن البخيل يمنع نفسه، والحسود يكره نعمة الله على عباده، وقد يكون في الرجل إعطاء لمن يعينه على أغراضه وحسد لنظرائه، وقد يكون فيه بخل بلا حسد لغيره والشح أصل ذلك .

وقال تعالى : ﴿ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾ [الحشر : ٩] ، وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : "إياكم والشح، فإنه أهلك من كان قبلكم أمرهم بالبخل فبخلوا، وأمرهم بالظلم فظلموا، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا " ، وكان عبد الرحمن بن عوف يكثر من الدعاء في طوافه يقول : اللهم قني شح نفسي، فقال له رجل : ما أكثر ما تدعو بهذا . فقال : إذا وقيت شح نفسي وقيت الشح

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٧/١٥١

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٧٥/١٥٥

والظلم والقطيعة . والحسد يوجب الظلم .

فصل

فالبخل والحسد مرض يوجب بغض النفس لما ينفعها، بل وحبها لما يضرها؛ ولهذا يقرن الحسد بالحقد والغضب، وأما مرض الشهوة، **والعشق** فهو حب النفس لما يضرها، وقد يقترن به بغضها لما ينفعها، **والعشق** مرض نفساني، وإذا قوى أثر في البدن فصار مرضا في الجسم، إما من أمراض." (١)

"ص -١٣٠- الدماغ كالماليخوليا؛ ولهذا قيل فيه : هو مرض وسواسي شبيه بالماليخوليا، وأما من أمراض البدن كالضعف والنحول ونحو ذلك .

والمقصود هنا مرض القلب؛ فإنه أصل محبة النفس لما يضرها كالمريض البدن الذي يشتهى ما يضره . وإذا لم يطعم ذلك تألم، وإن أطعم ذلك قوى به المرض وزاد .

كذلك العاشق يضره اتصاله بالمعشوق مشاهدة وملامسة وسماعا، بل ويضره التفكر فيه والتخيل له وهو يشتهي ذلك، فإن منع من مشتهاه تألم وتعذب، وإن أعطى مشتهاه قوي مرضه، وكان سببا لزيادة الألم .

وفي الحديث : "إن الله يحمي عبده المؤمن الدنيا كما يحمي أحدكم مريضه الطعام والشراب " ، وفي مناجاة موسى المأثورة عن وهب التي رواها الإمام أحمد في كتاب [الزهد] يقول الله تعالى : "إني لأذود أوليائي عن نعيم الدنيا ورخائها، كما يذود الراعي الشفيق إبله عن مراتع الهلكة، وإني لأجنبهم سكونها وعيشها كما يجنب الراعي الشفيق إبله عن مبارك الغرة، وما ذلك لهوانهم علي، ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتي سالما موفرا لم تكلمه الدنيا ولم يطفئه الهوى " . وإنما شفاء المريض بزوال مرضه، بل بزوال ذلك الحب المذموم من قلبه .

والناس في **العشق** على قولين :." (٢)

"ص -١٣١- قيل : إنه من باب الإرادات، وهذا هو المشهور .

وقيل : من باب التصورات، وإنه فساد في التخييل، حيث يتصور المعشوق على ما هو به، قال هؤلاء : ولهذا لا يوصف الله **بالعشق**، ولا أنه **يعشق**؛ لأنه منزه عن ذلك، ولا يحمد من يتخيل فيه خيالا فاسدا .

وأما الأولون فمنهم من قال : يوصف **بالعشق** فإنه المحبة التامة، والله يحب ويحب، وروى في أثر عن عبد الواحد بن زيد أنه قال : لا يزال عبدي يتقرب إلي **يعشقني** **وأعشقه** . وهذا قول بعض الصوفية .

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٤١/١٥٦

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٤٢/١٥٦

والجمهور لا يطلقون هذا اللفظ في حق الله؛ لأن **العشق** هو المحبة المفرطة الزائدة على الحد الذي ينبغي، والله تعالى محبته لا نهاية لها، فليست تنتهي إلى حد لا تنبغي مجاوزته .

قال هؤلاء : **والعشق** مذموم مطلقا لا يمدح لا في محبة الخالق، ولا المخلوق؛ لأنه المحبة المفرطة الزائدة على الحد المحمود، وأيضا فإن لفظ **العشق** إنما يستعمل في العرف في محبة الإنسان لامرأة أو صبي، لا يستعمل في محبة كمحبة الأهل والمال والوطن والجاه، ومحبة الأنبياء والصالحين، وهو مقرون كثيرا بالفعل المحرم : إما بمحبة امرأة أجنبية أو صبي، يقترن به النظر المحرم، واللمس المحرم، وغير ذلك من الأفعال المحرمة .." (١)

"ص -١٣٢- وأما محبة الرجل لامرأته أو سريته محبة تخرجه عن العدل بحيث يفعل لأجلها ما لا يحل، ويترك ما يجب، كما هو الواقع كثيرا، حتى يظلم ابنه من امرأته العتيقة، لمحبته الجديدة، وحتى يفعل من مطالبها المذمومة ما يضره في دينه ودنياه، مثل أن يخصها بميراث لا تستحقه، أو يعطي أهلها من الولاية والمال ما يتعدى به حدود الله، أو يسرف في الإنفاق عليها، أو يملكها من أمور محرمة تضره في دينه ودنياه، وهذا في **عشق** من يباح له وطؤها .

فكيف **عشق** الأجنبية والذكران من العالمين ؟ ففيه من الفساد ما لا يحصيه إلا رب العباد، وهو من الأمراض التي تفسد دين صاحبها وعرضه، ثم قد تفسد عقله ثم جسمه، قال تعالى : ﴿فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض ﴾ [الأحزاب : ٣٢] .

ومن في قلبه مرض الشهوة، وإرادة الصورة متى خضع المطلوب طمع المريض، والطمع الذي يقوى الإرادة والطلب، ويقوي المرض بذلك، بخلاف ما إذا كان آيسا من المطلوب، فإن اليأس يزيل الطمع فتضعف الإرادة فيضعف الحب، فإن الإنسان لا يريد أن يطلب ما هو آيس منه، فلا يكون مع الإرادة عمل أصلا، بل يكون حديث نفس إلا أن يقترن بذلك كلام أو نظر، ونحو ذلك فيأثم بذلك .." (٢)

"ص -١٣٣- فأما إذا ابتلي **بالعشق** وعف وصبر، فإنه يثاب على تقواه لله، وقد روي في الحديث : "أن من **عشق** فعف وكتم وصبر ثم مات كان شهيدا " وهومعروف من رواية يحيى القتات عن مجاهد عن ابن عباس مرفوعا، و فيه نظر ولا يحتج بهذا .

لكن من المعلوم بأدلة الشرع أنه إذا عف عن المحرمات نظرا وقولا وعملا، وكتم ذلك فلم يتكلم به حتى

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٤٣/١٥٦

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٤٤/١٥٦

لا يكون في ذلك كلام محرم، إما شكوى إلى المخلوق وإما إظهار فاحشة، وإما نوع طلب للمعشوق، وصبر على طاعة الله، وعن معصيته، وعلى ما في قلبه من ألم **العشق**، كما يصبر المصاب عن ألم المصيبة، فإن هذا يكون ممن اتقى الله وصبر، ﴿إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين ﴾ [يوسف : ٩٠] .

وهكذا مرض الحسد وغيره من أمراض النفوس، وإذا كانت النفس تطلب ما يبغضه الله فينهاها خشية من الله كان ممن دخل في قوله : ﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى . فإن الجنة هي المأوى ﴾ [النازعات : ٤٠، ٤١] .

فالنفس إذا أحبت شيئا سعت في حصوله بما يمكن، حتى تسعى في أمور كثيرة تكون كلها مقامات لتلك الغاية، فمن أحب محبة مذمومة أو أبغض بغضا مذموما وفعل ذلك كان آثما، مثل أن يبغض شخصا لحسده له فيؤذي من له به تعلق، إما بمنع حقوقهم، أو بعدوان عليهم . أو لمحبة له." (١)

"ص -١٣٥- فالله سبحانه فطر عباده على محبته وعبادته وحده، فإذا تركت الفطرة بلا فساد كان القلب عارفا بالله محبا له عابدا له وحده، لكن تفسد فطرته من مرضه كأبويه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، وهذه كلها تغير فطرته التي فطره عليها، وإن كانت بقضاء الله وقدره كما يغير البدن بالجدع ثم قد يعود إلى الفطرة إذا يسر الله تعالى لها من يسعى في إعادتها إلى الفطرة .

والرسل صلى الله عليهم وسلم بعثوا لتقرير الفطرة وتكميلها لا لتغيير الفطرة وتحويلها، وإذا كان القلب محبا لله وحده مخلصا له الدين، لم يبتل بحب غيره أصلا، فضلا أن يبتلى **بالعشق**، وحيث ابتلى **بالعشق** فلنقص محبته لله وحده .

ولهذا لما كان يوسف محبا لله مخلصا له الدين لم يبتل بذلك، بل قال تعالى : ﴿كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين ﴾ [يوسف : ٢٤] . وأما امرأة العزيز فكانت مشركة هي وقومها؛ فلهذا ابتليت **بالعشق**، وما يبتلى **بالعشق** أحد إلا لنقص توحيده وإيمانه، وإلا فالقلب المنيب إلى الله الخائف منه فيه صارفان يصرفانه عن **العشق** :

أحدهما : إنابته إلى الله؛ ومحبته له، فإن ذلك ألذ وأطيب من كل شيء، فلا تبقى مع محبة الله محبة مخلوق تزاحمه .." (٢)

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٥٦/٤٥

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٥٦/٤٧

"ص -١٣٦- والثاني : خوفه من الله، فإن الخوف المضاد للعشق يصرفه، وكل من أحب شيئا بعشق أو غير عشق فإنه يصرف عن محبته بمحبة ما هو أحب إليه منه، إذا كان يزاحمه، وينصرف عن محبته بخوف حصول ضرر يكون أبغض إليه من ترك ذاك الحب، فإذا كان الله أحب إلى العبد من كل شيء، وأخوف عنده من كل شيء، لم يحصل معه عشق ولا مزاحمة إلا عند غفلة أو عند ضعف هذا الحب والخوف، بترك بعض الواجبات وفعل بعض المحرمات، فإن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، فكلما فعل العبد الطاعة محبة لله وخوفا منه وترك المعصية حبا له وخوفا منه قوى حبه له وخوفه منه، فيزيل ما في القلب من محبة غيره ومخافة غيره .

وهكذا أمراض الأبدان : فإن الصحة تحفظ بالمثل، والمرض يدفع بالضد، فصحة القلب بالإيمان تحفظ بالمثل، وهو ما يورث القلب إيمانا من العلم النافع والعمل الصالح، فتلك أغذية له، كما في حديث ابن مسعود مرفوعا وموقوفا : "إن كل آدب يحب أن تؤتى مأدبته، وإن مأدبة الله هي القرآن " . والآدب : المضيف فهو ضيافة الله لعباده . . .] بياض بالأصل [.

مثل آخر : الليل وأوقات الأذان والإقامة وفي سجوده، وفي أدبار الصلوات، ويضم إلى ذلك الاستغفار، فإنه من استغفر الله ثم تاب إليه متعه متاعا حسنا إلى أجل مسمى .." (١)

"ص -١٤٢- بهذا الأكل الذي يوجد ألما أكثر من الأول، فهو يتألم إن أكل، ويتألم إن لم يأكل . فكذلك إذا بلي بحب من لا ينفعه العشق، ونحوه سواء كان لصورة أو لرئاسة أو لمال ونحو ذلك، فإن لم يحصل محبوبه ومطلوبه فهو متألم ومريض سقيم، وإن حصل محبوبه فهو أشد مرضا وألما وسقما، ولذلك كما أن المريض إذا كان يبغض ما يحتاج إليه من الطعام والشراب، كان ذلك الألم حاصلا، وكان دوامه على ذلك يوجب من الألم أكثر من ذلك حتى يقتله، حتى يزول ما يوجب بغضه لما ينفعه ويحتاج إليه، فهو متألم في الحال، وتألمه فيما بعد إن لم يعافه الله أعظم وأكبر .

فبغض الحاسد لنعمة الله على المحسود، كبغض المريض لأكل الأصحاء لأطعمتهم وأشربتهم، حتى لا يقدر أن يراهم يأكلون، ونفرته عن أن يقوم بحقه كنفرة المريض عما يصلح له من طعام وشراب، فالحب والبغض الخارج عن الاعتدال والصحة في النفس كالشهوة والنفرة الخارج عن الاعتدال والصحة في الجسم، وعمى القلب وبكمه أن يبصر الحقائق ويميز ما ينفعه ويضره، كعمى الجسم، وخرسه عن أن يبصر الأمور

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٤٨/١٥٦

المرتبة، ويتكلم بها ويميز بين ما ينفعه ويضره .

وكما أن الضرير إذا أبصر وجد أن الراحة والعافية والسرور أمرا." (١)

"ص -١٤٨- أمراض النفس، ما إذا اتقى العبد ربه فيه وصبر عليه حتى مات كان شهيدا، كالجبان الذي يتقى الله ويصبر للقتال حتى يقتل، فإن البخل والجبن من أمراض النفوس إن أطاعه أوجب له الألم، وإن عصاه تألم كأمراض الجسم .

وكذلك **العشق**، فقد روى : "من **عشق** فعف وكتم وصبر، ثم مات مات شهيدا " فإنه مرض في النفس، يدعو إلى ما يضر النفس، كما يدعو المريض إلى تناول ما يضر . فإن أطاع هواه عظم عذابه في الأخرة وفي الدنيا أيضا، وإن عصى الهوى بالعفة والكتمان صار في نفسه من الألم والسقم ما فيها، فإذا مات من ذلك المرض كان شهيدا، هذا يدعوه إلى النار فيمنعه كالجبان تمنعه نفسه عن الجنة فيقدمها .

فهذه الأمراض إذا كان معها إيمان وتقوى كانت كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : "لا يقضي الله للمؤمن قضاء إلا كان خيرا له إن أصابته سراء فشكر، كان خيرا له، وإن أصابته ضراء فصبر كان خيرا له " .

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، وسلم تسليما .." (٢)

"ص -١٥٣- والعبادة أصل معناها : الذل أيضا يقال : طريق معبد إذا كان مذللا قد وطئته الأقدام

.

لكن العبادة المأمور بها تتضمن معنى الذل ومعنى الحب، فهي تتضمن غاية الذل لله بغاية المحبة له، فإن آخر مراتب الحب هو التتيم، وأوله العلاقة لتعلق القلب بالمحبوب، ثم الصبابة لانصباب القلب إليه، ثم الغرام وهو الحب اللازم للقلب، ثم **العشق** وآخرها التتيم يقال : تيم الله، أي : عبد الله، فالمتيم المعبد لمحبوبه .

ومن خضع لإنسان مع بغضه له لا يكون عابدا له، ولو أحب شيئا ولم يخضع له لم يكن عابدا له، كما قد يحب ولده وصديقه؛ ولهذا لا يكفي أحدهما في عبادة الله تعالى بل يجب أن يكون الله أحب إلى العبد من كل شيء، وأن يكون الله أعظم عنده من كل شيء، بل لا يستحق المحبة والذل التام إلا الله .

وكل ما أحب لغير الله فمحبته فاسدة، وما عظم بغير أمر الله كان تعظيمه باطلا، قال الله تعالى : ﴿قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٦/١٥٧

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٢/١٥٧

ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره ﴾ [التوبة : ٢٤] ، فجنس المحبة تكون لله ورسوله، كالطاعة، فإن الطاعة لله ورسوله." (١)

"ص -١٨٥- المخلوق يوجب عبوديته له، فيأسه منه يوجب غنى قلبه عنه . كما قيل : استغن عمن شئت تكن نظيره، وأفضل على من شئت تكن أميره، واحتج إلى من شئت تكن أسيره . فكذلك طمع العبد في ربه ورجاؤه له يوجب عبوديته له، وإعراض قلبه عن الطلب من غير الله، والرجاء له يوجب انصراف قلبه عن العبودية لله، لاسيما من كان يرجو المخلوق ولا يرجو الخالق، بحيث يكون قلبه معتمدا إما على رئاسته وجنوده وأتباعه ومماليكه، وإما على أهله وأصدقائه، وإما على أمواله وذخائره، وإما على ساداته وكبرائه، كمالكه وملكه، وشيخه ومخدومه وغيرهم، ممن هو قد مات أو يموت . قال تعالى : ﴿وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيرا ﴾ [الفرقان : ٥٨] .

وكل من علق قلبه بالمخلوقات أن ينصروه، أو يرزقوه، أو أن يهدوه خضع قلبه لهم، وصار فيه من العبودية لهم بقدر ذلك، وإن كان في الظاهر أميرا لهم مدبرا لهم متصرفا بهم، فالعاقل ينظر إلى الحقائق لا إلى الظواهر، فالرجل إذا تعلق قلبه بامرأة ولو كانت مباحة له يبقى قلبه أسيرا لها، تحكم فيه وتتصرف بما تريد، وهو في الظاهر سيدها؛ لأنه زوجها . وفي الحقيقة هو أسيرها ومملوكها لا سيما إذا درت بفقره إليها، وعشقه لها، وأنه لا يعتاض عنها بغيرها، فإنها حينئذ تحكم فيه بحكم السيد القاهر الظالم في عبده المقهور، الذي لا يستطيع الخلاص." (٢)

"ص -١٨٧- أنواع الشر والفساد، ما لا يحصيه إلا رب العباد، ولو سلم من فعل الفاحشة الكبرى، فدوام تعلق القلب بها بلا فعل الفاحشة أشد ضررا عليه، ممن يفعل ذنبا ثم يتوب منه ويزول أثره من قلبه، وهؤلاء يشبهون بالسكارى والمجانين . كما قيل :

سكران سكر هوى وسكر مدامة ومتى إفاقة من به سكران

وقيل :

قالوا جننت بمن تهوى فقلت لهم العشق أعظم مما بالمجانين

العشق لا يستفيق الدهر صاحبه وإنما يصرع المجنون في الحين

ومن أعظم أسباب هذا البلاء : إعراض القلب عن الله، فإن القلب إذا ذاق طعم عبادة الله، والإخلاص له

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٧/١٥٨

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٤٤/١٥٨

لم يكن عنده شيء قط أحلى من ذلك، ولا ألذ ولا أطيب، والإنسان لا يترك محبوبا إلا بمحبوب آخر يكون أحب إليه منه، أو خوفا من مكروه، فالحب الفاسد إنما ينصرف القلب عنه بالحب الصالح، أو بالخوف من الضرر .." (١)

"ص -٣٥١- وكذلك قد يسلك أحدهم عبادات غير شرعية في الاعتقادات والأعمال فتورثه تلك العبادات والأعمال أحوالا قوية قاهرة، يترك بها الواجبات، ويفعل بها المحرمات أعظم مما يفعله الملك الجبار، إذا سكر بشرب الخمر بالنفوس والأموال .

وإذا خوطب أحدهم في حال صحوه، وعقله قال : كنت مغلوبا، وورد علي وارد فعل بي هذا، والحكم للوارد، وهذه حال كثير من خفراء العدو، وكثير ممن يعين الكفرة والظلمة، ويعتدي على المسلمين والمؤمنين من أهل الأحوال، ويقول : إنه مغلوب في ذلك، وأنه ورد عليه وارد أوجب ذلك، وأنه خوطب بذلك الفعل .

فيقال : أما زوال عقلك حتى صرت لا تفهم أمر الله ونهيه، وزوال قدرتك حتى صرت مضطرا إلى تلك الأفعال، وإن كنت صادقا في ذلك، فسببه تفريطك وعدوانك أولا، حتى صرت في حال المجانين والسكارى، فأنت بمنزلة شارب الخمر الذي سكر منها، والمتعرض **للعشق** حتى **يعشق** فيفعل فيه **العشق** الأفاعيل؛ إذ لا فرق بين سكر الأصوات والصور والشراب، فإن هذا سكر الأجسام، وهذا سكر النفوس، وهذا سكر الأرواح، فإذا كان السبب محظورا لم يكن السكران معذورا في دين الإسلام .." (٢)

"ص -٥٩٣- والمقصود أن الآلهة كثيرة، والعبادات لها متنوعة، وبالجملة فكل ما يريده الإنسان ويحبه لابد أن يتصوره في نفسه، فتلك الصورة العلمية محركة له إلى محبوبه ولوازم الحب، فمن عبده عبد غير الله، وتمثلت له الشياطين في صورة من يعبده، وهذا كثير ما زال ولم يزل؛ ولهذا كان كل من عبد شيئا غير الله، فإنما يعبد الشيطان؛ ولهذا يقارن الشيطان الشمس عند طلوعها وغروبها، واستوائها ليكون سجود من يعبدها له .

وقد كانت الشياطين، تتمثل في صورة من يعبد، كما كانت تكلمهم من الأصنام التي يعبدونها، وكذلك في وقتنا خلق كثير من المنتسبين إلى الإسلام، والنصارى والمشركين ممن أشرك ببعض من يعظمه من الأحياء والأموات من المشايخ وغيرهم، فيدعوه ويستغيث به في حياته وبعد مماته، فيراه قد أتاه وكلمه وقضى

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٤٦/١٥٨

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٩/١٦١

حاجته، وإنما هو شيطان تمثل على صورته، ليغوى هذا المشرك .

والمبتلون **بالعشق**، لا يزال الشيطان يمثل لأحدهم صورة المعشوق، أو يتصور بصورته، فلا يزال يرى صورته، مع مغيبه عنه بعد موته، فإنما جلاه الشيطان على قلبه، ولهذا إذا ذكر العبد الله الذكر الذي يخنس منه الوسواس الخناس خنس هذا المثال الشيطاني، وصورة المحبوب تستولى على المحب أحيانا حتى لا يرى غيرها، ولا يسمع غير كلامها، فتبقى." (١)

"ص -٦٤٧- سمعه، كما قال بعض الشيوخ : لقد كنت في حال أقول فيها : إن كان أهل الجنة في الجنة في مثل هذا الحال إنهم لفي عيش طيب . وقال آخر : إنه ليمر على القلب أوقات يرقص منها طربا . وقال الآخر : لأهل الليل في ليلهم ألذ من أهل اللهو في لهوهم .

والناس فيما أخبروا به من أمر الآخرة على ثلاث درجات :

إحداها : العلم بذلك لما أخبرتهم الرسل، وما قام من الأدلة على وجود ذلك .

الثانية : إذا عاينوا ما وعدوا به من الثواب والعقاب والجنة والنار .

والثالثة : إذا باشروا ذلك؛ فدخل أهل الجنة الجنة، وذاقوا ما كانوا يوعدون، ودخل أهل النار النار، وذاقوا ما كانوا يوعدون، فالناس فيما يوجد في القلوب، وفيما يوجد خارج القلوب على هذه الدرجات الثلاث .

وكذلك في أمور الدنيا : فإن من أخبر **بالعشق** أو النكاح ولم يره ولم يذقه كان له علم به، فإن شاهده ولم يذقه كان له معاينة له، فإن ذاقه بنفسه كان لہ ذوق وخبرة به، ومن لم يذق الشيء لم يعرف حقيقته، فإن." (٢)

"ص -٦٧٣- ذلك؛ وما يكون بعده من صبر ورضا ونحوذلك، فهم في التقوى وهي طاعة الأمر الديني، والصبر على ما يقدر عليه من القدر الكوني أربعة أقسام .

أحدها : أهل التقوى والصبر، وهم الذين أنعم الله عليهم من أهل السعادة في الدنيا والآخرة .

والثاني : الذين لهم نوع من التقوى بلاصبر، مثل الذين يمتثلون ما عليهم من الصلاة ونحوها، ويتركون المحرمات، لكن إذا أصيب أحدهم في بدنه بمرض ونحوه أو في ماله أو في عرضه، أو ابتلى بعدو يخيفه عظم جزعه، وظهر هلعه .

والثالث : قوم لهم نوع من الصبر بلا تقوى، مثل الفجار الذين يصبرون علي مايصيبهم في مثل أهوائهم،

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٢٧/١٦٧

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٤/١٧٠

كاللصوص والقطاع الذين يصبرون على الآلام في مثل ما يطلبونه من الغصب وأخذ الحرام، والكتاب وأهل الديوان الذين يصبرون على ذلك في طلب ما يحصل لهم من الأموال بالخيانة وغيرها . وكذلك طلاب الرئاسة والعلو على غيرهم يصبرون من ذلك على أنواع من الأذى التي لا يصبر عليها أكثر الناس، وكذلك أهل المحبة للصور المحرمة من أهل **العشق** وغيرهم يصبرون في مثل ما يهوونه من المحرمات على أنواع من الأذى والآلام . وهؤلاء هم الذين يريدون علوا في الأرض." (١)

"ص -٦٩٨- أهل الكلام : كأبي القاسم القشيري؛ وأبي حامد الغزالي، وأمثالهما . ونصر ذلك أبو حامد في "الإحياء " وغيره . وكذلك أبو القاسم ذكر ذلك في "الرسالة " على طريق الصوفية كما في كتاب أبي طالب المسمى ب "قوت القلوب " وأبو حامد مع كونه تابع في ذلك الصوفية، استند في ذلك لما وجده من كتب الفلاسفة من إثبات نحو ذلك حيث قالوا : **يعشق** **ويعشق** .

وقد بسط الكلام على هذه المسألة العظيمة في القواعد الكبار بما ليس هذا موضعه . وقد قال تعالى : ﴿يحبهم ويحبونه ﴾ [المائدة : ٥٤] ، وقال تعالى : ﴿والذين آمنوا أشد حبا لله ﴾ [البقرة : ١٦٥] ، وقال : ﴿أحب إليكم من الله ورسوله ﴾ [التوبة : ٢٤] ، وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : "ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا لله، ومن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار " .

والمقصود هنا أن هؤلاء المتجهمة من المعتزلة ومن وافقهم الذين ينكرون حقيقة المحبة يلزمهم أن ينكروا التلذذ بالنظر إليه؛ ولهذا ليس في الحقيقة عندهم إلا التنعم بالأكل والشرب، ونحو ذلك . وهذا القول باطل بالكتاب والسنة واتفاق سلف الأمة ومشائخها، فهذا أحد الحزبين الغالطين .

والضرب الثاني : طوائف من المتصوفة والمتفقرة والمتبتلة :." (٢)

"ص -١٠- إنما يكون لقوة الوارد، وضعف القلب عن حمله، وقد يوجد مثل هذا في من يفرح أو يخاف أو يحزن أو يحب أمورا دنيوية، يقتله ذلك أو يمرضه أو يذهب بعقله . ومن عباد الصور من أمرضه **العشق** أو قتله أو جننه، وكذلك في غيره، ولا يكون هذا إلا لمن ورد عليه أمر ضعفت نفسه عن دفعه، بمنزلة ما يرد على البدن من الأسباب التي تمرضه أو تقتله، أو كان أحدهم مغلوبا على ذلك .

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٩/١٧٢

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٢٢/١٧٣

فإذا كان لم يصدر منه تفريط ولا عدوان، لم يكن فيه ذنب فيما أصابه، فلا وجه للريبة . كمن سمع القرآن السماع الشرعي، ولم يفرط بترك ما يوجب له ذلك، وكذلك ما يرد على القلوب مما يسمونه السكر والفنا، ونحو ذلك من الأمور التي تغيب العقل بغير اختيار صاحبها؛ فإنه إذا لم يكن السبب محظورا لم يكن السكران مذموما، بل معذورا فإن السكران بلا تمييز، وكذلك قد يحصل ذلك بتناول السكر من الخمر والحشيشة فإنه يحرم بلانزاع بين المسلمين، ومن استحل السكر من هذه الأمور فهو كافر، وقد يحصل بسبب محبة الصور **وعشقها** كما قيل :

سكران : سكر هوى، وسكر مدامة

ومتى إفاقة من به سكران." (١)

"ص -٣٢- في بدنه بمرض ونحوه أو ماله أو في عرضه، أو ابتلى بعدو يخيفه، عظم جزعه، وظهر هلعه .

والثالث : قوم لهم نوع من الصبر بلا تقوى : مثل الفجار الذين يصبرون على ما يصيبهم في مثل أهوائهم كاللصوص، والقطاع الذين يصبرون على الآلام في مثل ما يطلبونه من الغصب، وأخذ الحرام، والكتاب وأهل الديوان الذين يصبرون على ذلك في طلب ما يحصل لهم من الأموال بالخيانة وغيرها، وكذلك طلاب الرياسة والعلو على غيرهم يصبرون من ذلك على أنواع من الأذى التي لا يصبر عليها كثير من الناس .

وكذلك أهل المحبة للصور المحرمة من أهل **العشق** وغيرهم يصبرون في مثل ما يهوونه من المحرمات على أنواع من الأذى والآلام، وهؤلاء هم الذين يريدون علوا في الأرض أو فسادا من طلاب الرياسة، والعلو على الخلق، ومن طلاب الأموال بالبغي والعدوان والاستمتاع بالصور المحرمة نظرا أو مباشرة وغير ذلك، يصبرون على أنواع من المكروه ا ت ولكن ليس لهم تقوى فيما تركوه من المأمور، وفعلوه من المحظور، وكذلك قد يصبر الرجل على ما يصيبه من المصائب : كالمرض والفقر وغير ذلك، ولا يكون فيه تقوى إذا قدر .." (٢)

"ص -٥٤٤- تزنيان وزناهما النظر، والأذن تزنى وزناها السمع، واليد تزنى وزناها البطش، والرجل تزنى وزناها المشى، والقلب يتمنى ويشتهى، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه " .

فإذا كان المستحل لما حرم الله كافرا، فكيف بمن يجعله قربة وطريقا إلى الله تعالى ؟ ! قال الله تعالى :

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٧/١٧٦

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٩/١٧٧

﴿وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون ﴾ [الأعراف : ٢٨] ، وسبب نزول الآية أن غير الحمس من العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة، فجعل الله كشف عوراتهم فاحشة، وبين أن الله لا يأمر بالفحشاء، ولها لما حج أبو بكر الصديق قبل حجة الوداع، نادى بأمر النبي صلى الله عليه وسلم، وكان يحج المسلم والمشرك لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان . فكيف بمن يستحل إتيان الفاحشة الكبرى ؟ أو ما دونها ؟ ويجعل ذلك عبادة وطريقا .

وإن كان طائفة من المتفلسفة ومن وافقهم من ضلال المتنسكة جعلوا عشق الصور الجميلة من جملة الطريق التى تزكى بها النفوس،فليس هذا من دين المسلمين،ولا اليهود ولا النصارى، وإنما هو دين أهل الشرك الذين شرعوا من الدين ما لم يأذن به الله .." (١)

"ص –٥٧٠– الشيوخ المحمودين تركوه في آخر أمرهم . وأعيان المشائخ عابوا أهله، كما فعل ذلك عبد القادر، والشيخ أبو البيان، وغيرهما من المشائخ .

وماذكره الشافعي رضي الله عنه من أنه من إحداث الزنادقة كلام إمام خبير بأصول الإسلام، فإن هذا السماع لم يرغب فيه ويدعو إليه في الأصل إلا من هو متهم بالزندقة : كابن الراوندي، والفارابي، وابن سينا، و أمثالهم : كما ذكر أبو عبد الرحمن السلمي في مسألة السماع عن ابن الراوندي [هو أحمد بن يحيى بن إسحاق، أبو الحسين الراوندي أو ابن الراوندي فيلسوف مجاهر بالإلحاد، من سكان بغداد، قال ابن كثير : أحد مشاهير الزنادقة، طلبه السلطان فهرب، ومن فرق المعتزلة [الراوندية] نسبة إليه . مات برحبة مالك بن طوق، " بين الرقة وبغداد " ، وقيل : صلبه أحد السلاطين ببغداد . [وفيات الأعيان ١٤٩ " ٥٣ " ، والأعلام ١٢٦٧، ٢٦٨] . ، قال : إنه اختلف الفقهاء في السماع : فأباحه قوم، وكرهه قوم . وأنا أوجبه أو قال وأنا آمر به . فخالف إجماع العلماء في الأمر به .

و [الفارابي] كان بارعا في الغناء الذي يسمونه [الموسيقا] وله فيه طريقة عند أهل صناعة الغناء، وحكايته مع ابن حمدان مشهورة، لما ضرب فأبكاهم، ثم أضحكهم، ثم نومهم ثم خرج .

و [ابن سينا] ذكر في إشاراته، في [مقامات العارفين] في الترغيب فيه، وفي عشق الصور، ما يناسب طريقة أسلافه الفلاسفة، والصابئين المشركين، الذين كانوا يعبدون الكواكب، والأصنام، كأرسطو وشيعته من

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٤/١٩٧

اليونان ومن اتبعه كبرقلس، وثامسطيوس، والإسكندر الأفروديسي، وكان أرسطو وزير الإسكندر بن فيلبس المقدوني،." (١)

"ص -٤٢- والناس قد تنازعوا في كلام الله نزاعا كثيرا، والطوائف الكبار نحو ست فرق، فأبعدها عن الإسلام قول من يقول من المتفلسفة والصابئة : إن كلام الله إنما هو ما يفيض على النفوس؛ إما من العقل الفعال، وإما من غيره، وهؤلاء يقولون : إنما كلم الله موسى من سماء عقله، أي بكلام حدث في نفسه لم يسمعه من خارج .

وأصل قول هؤلاء : إن الأفلاك قديمة أزلية، وأن الله لم يخلقها بمشيئته وقدرته في ستة أيام كما أخبرت به الأنبياء، بل يقولون : أن الله لا يعلم الجزئيات، فلما جاءت الأنبياء بما جاؤوا به من الأمور الباهرة جعلوا يتأولون ذلك تأويلات يحرفون فيها الكلم عن مواضعه، ويريدون أن يجمعوا بينها وبين أقوال سلفهم الملاحدة، فقالوا مثل ذلك . وهؤلاء أكفر من اليهود والنصارى، وهم كثيروا التناقض، كقولهم : إن الصفة هي الموصوف، وهذه الصفة هي الأخرى، فيقولون : هو عقل وعاقل ومعقول، ولذيذ . وملتذ ولذة، وعاشق ومعشوق وعشق . . وقد يعبرون عن ذلك بأنه حي عالم معلوم، محب محبوب . ويقولون : نفس العلم هو نفس المحبة، وهو نفس القدرة، ونفس العلم هو نفس العالم، ونفس المحبة هي نفس المحبوب .

ويقولون : إنه علة تامة في الأزل؛ فيجب أن يقارنها معلولها في." (٢)

"ص -١٥٦- إليهم الأعداء، وتقاد بسلاسل القهر والقدر، وذلك من الآصار والأغلال التى لم ترفع عنهم مع عقوبات لا تحصى؛ وذلك لضعف الطاعة فى قلوبهم، وتمكن المعاصى وحب الشهوات فيها، فإذا قالوا : ﴿ ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ﴾ [البقرة : ٢٨٦] دخل فيه هذا .

وأما قوله : ﴿ ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ﴾ [البقرة : ٢٨٦] ، فعلى قولين :
قيل : هو من باب التحميل القدرى، لا من باب التكليف الشرعى، أى : لا تبتلينا بمصائب لا نطيق حملها، كما يبتلى الإنسان بفقر لا يطيقه، أو مرض لا يطيقه، أو حدث، أو خوف، أو حب أو عشق لا يطيقه، ويكون سبب ذلك ذنوبه .

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٨/١٩٨

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٧/٢٠٥

وهذا مما يبين أن الذنوب عواقبها مذمومة مطلقا .

وقوله : ﴿ من يعمل سوءا يجز به ﴾ [النساء : ١٢٣] ، و ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ﴾ [الزلزلة : ٧، ٨] قول حق، وقال تعالى فى قصة قوم لوط : ﴿ وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الأليم ﴾ [الذاريات : ٣٧] .

فما من أحد يبتلى بجنس عملهم إلا ناله شيء من العذاب الأليم، حتى تعمد النظر يورث القلب علاقة يتعذب بها الإنسان، وإن قويت حتى صارت غراما **وعشقا** زاد العذاب الأليم، سواء قدر أنه قادر على." (١)

"ص -١٥٧- المحبوب أو عاجز عنه؛ فإن كان عاجزا فهو فى عذاب أليم من الحزن والهم والغم، وإن كان قادرا فهو فى عذاب أليم من خوف فراقه، ومن السعى فى تأليفه وأسباب رضاه؛ فإن نزل به الموت أو افتقر تضاعف عليه العذاب، وإن صار إلى غيره استبدالا به أو مشاركة قوى عذابه، فإن هذا الجنس يحصل فيه من العذاب ما لا يحصل فى **عشق** البغايا وما يحصل مثله فى الحلال، وإن حصل في الحلال نوع عذاب كان أخف من نظيره، وكان ذلك سبب ذنوب أخرى .

فإذا دعا الإنسان بهذا الدعاء ـ يخص نفسه ويعم المسلمين ـ فله من ذلك أعظم نصيب، كيف لا وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم : " الآيتان من آخر سورة البقرة ما قرأ بهما أحد فى ليلة إلا كفتاه " وكيف لا تكفيانه وما دعا به من ذلك لم يحصل له إلا ما حصل لسائر المؤمنين الذين لم يقرؤوهما، فإن الداعى بهذا الدعاء له منه نصيب يخصه كسائر الأدعية .

ومما يبين ذلك أن الصحابة إنما استجيب لهم هذا الدعاء لما التزموا الطاعة لله مطلقا بقولهم : ﴿ سمعنا وأطعنا ﴾ [البقرة : ٢٨٥] ، ثم أنزل هذا الدعاء، فدعوا به فاستجيب لهم .

ولهذا كانوا فى الحنيفية السمحة على عهد رسول الله صلى الله." (٢)

"ص -١٦٣- وأيضا فاقتصارهم على اللذة العقلية خطأ، والنصارى زادوا عليهم السمع والشم، فقالوا : يتمتعون بالأرواح **المتعشقة** والنغمات المطربة، ولم يثبتوا هم ولا اليهود الأكل والشرب ولا النكاح ـ وهى لذة اللمس ـ والمسلمون أثبتوا جميع أنواع اللذات؛ سمعا، وبصرا، وشما، وذوقا، ولمسا، للروح والبدن جميعا، وكان هذا هو الكمال، لا ما يثبته أهل الكتاب ومن هو شر منهم من الفلاسفة الباطنية، وأعظم

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١١٩/٢٣٣

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٢٠/٢٣٣

لذات الآخرة لذة النظر إلى الله ـ سبحانه ـ كما فى الحديث الصحيح : " فما أعطاهم شيئا أحب إليهم من النظر إليه " ، وهو ثمرة معرفته وعبادته فى الدنيا، فأطيب ما فى الدنيا معرفته، وأطيب ما فى الآخرة النظر إليه ـ سبحانه ـ ولهذا كان التجلى يوم الجمعة فى الآخرة على مقدار صلاة الجمعة فى الدنيا .

وأبو حامد يذكر فى كتبه هو وأمثاله " الرؤية " ، وأنها أفضل أنواع النعيم، ويذكر كشف الحجب، وأنهم يرون وجه الله، ولكن هذا كله يريد به ما تقوله الجهمية والفلاسفة؛ فإن الرؤية عندهم ليست إلا العلم، لكن كما أن الإنسان قد يرى الشيء بعينيه، وقد يمثل له خياله إذا غاب عنه فهكذا العلم . ففى الدنيا ليس عندهم من العلم إلا مثال كالخيال في الحساب، وفى الآخرة يعلمونه بلا مثال، وهو عندهم " وجود لا داخل العالم ولا خارجه " ، و "كشف الحجاب "." (١)

"ص -٢٠٨- وفى حديث أبى يحيى القتات عن مجاهد عن ابن عباس مرفوعا : " من **عشق** فعف وكتم وصبر ثم مات، فهو شهيد " وأبو يحيى فى حديثه نظر، لكن المعنى الذى ذكر فيه دل عليه الكتاب والسنة؛ فإن الله أمره بالتقوى والصبر، فمن التقوى أن يعف عن كل ما حرم الله من نظر بعين، ومن لفظ بلسان، ومن حركة بيد ورجل . والصبر أن يصبر عن شكوى به إلى غير الله، فإن هذا هو الصبر الجميل .

وأما الكتمان فيراد به شيئان :

أحدهما : أن يكتم بثه وألمه، ولا يشكو إلى غير الله، فمتى شكا إلى غير الله نقص صبره، وهذا أعلى الكتمانين، لكن هذا لا يصبر عليه كل أحد، بل كثير من الناس يشكو ما به، وهذا على وجهين؛ فإن شكا ذلك إلى طبيب يعرف طب النفوس ليعالج نفسه بعلاج الإيمان فهو بمنزلة المستفتى، وهذا حسن . وإن شكا إلى من يعينه على المحرم فهذا حرام . وإن شكا إلى غيره لما فى الشكوى من الراحة كما أن المصاب يشكى مصيبته إلى الناس من غير أن يقصد تعلم ما ينفعه، ولا الاستعانة على معصية، فهذا ينقص صبره، لكن لا يأثم مطلقا إلا إذا اقترن به ما يحرم كالمصاب الذى يتسخط .

والثانى : أن يكتم ذلك فلا يتحدث به مع الناس؛ لما فى ذلك." (٢)

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٢٦/٢٣٣

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٤٢/٢٣٤

"ص –٢١٠– فالمبتلى بالفاحشة **والعشق**، إذا ذكر ما به لغيره تحركت النفوس إلى جنس ذلك؛ لأن النفوس مجبولة على حب الصور الجميلة، فإذا تصورت جنس ذلك تحركت إلى المحبوب؛ ولهذا نهى الله عن إشاعة الفاحشة .." (١)

"ص –٤٦٢– بينه وبين الأمرد، ويحصل للنفس من ذلك ما هو معروف عند الناس .

وقد ذكر الناس من أخبار العشاق ما يطول وصفه، فإذا ابتلى المسلم ببعض ذلك كان عليه أن يجاهد نفسه فى الله، وهو مأمور بهذا الجهاد ليس أمرا أوجبه وحرمه هو على نفسه، فيكون فى طاعة نفسه وهواه، بل هو أمر حرمه الله ورسوله ولا حيلة فيه، فيصير بالمجاهدة في طاعة الله ورسوله .

وفى حديث رواه أبو يحيى القتات عن مجاهد، عن ابن عباس مرفوعا : " من **عشق** فعف وكتم وصبر ثم مات فهو شهيد " ، وأبو يحيى فى حديثه نظر؛ لكن المعنى الذى ذكره دل عليه الكتاب والسنة؛ فإن الله أمر بالتقوى والصبر، فمن التقوى أن يعف عن كل ما حرمه الله من نظر بعين، ومن لفظ بلسان، ومن حركة بيد ورجل، ومن الصبر أن يصبر عن شكوي ما به إلى غير الله عز وجل؛ فإن هذا هو الصبر الجميل .

وأما الكتمان فيراد به شيئان :

أحدهما : أن يكتم بثه [أى : حزنه الشديد . انظر : القاموس، مادة : بثث] وألمه، فلا يشكو إلى غير الله، فمتى شكا إلى غير الله نقص صبره، وهذا أعلى الكتمانين، لكن هذا لا يقدر عليه كل أحد، بل كثير من الناس يشكو ما به، وهذا على." (٢)

"ص –٤٦٣– وجهين :

فإن شكا ذلك إلى طبيب، يعرف طب الأديان، ومضرات النفوس ومنافعها؛ ليعالج نفسه بعلاج الإيمان، فهذا بمنزلة المستفتى، وهذا حسن . وإن شكا إلى من يعينه على المحرم فهذا حرام .

وإن شكا إلى غيره لما في الشكوى من الراحة، كما يشكو من الراحة، كما يشكو المصاب مصيبته إلى الناس من غير أن يقصد، تعلم ما ينفعه ولا الاستعانة على مصيبته، فهذا ينقص صبره، لكن لا يأثم مطلقا، إلا إذا اقترن به ما يحرم، كالمصاب الذى يتسخط .

والثانى : أن يكتم ذلك فلا يتحدث به مع الناس؛ لما فى ذلك من إظهار السوء والفاحشة؛فإن النفوس إذا سمعت مثل هذا تحركت، وتشهت وتمنت وتتيمت [أى : **عشقت** وأحبت . انظر : القاموس، مادة : تيم

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٤٤/٢٣٤

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٦/٢٣٥

] . والإنسان متى رأى أو سمع أو تخيل من يفعل ما يشتهيه كان ذلك داعيا له إلى الفعل والتشبه به، والنساء متى رأين البهائم تنزو [أي : تثب وتعلو . انظر : القاموس، مادة : نزا] الذكور منها على الإناث ملن إلى الباءة والمجامعة، والرجل إذا سمع من يفعل مع المردان والنساء ورأى ذلك أو تخيله فى نفسه دعاه ذلك إلى الفعل، وإذا ذكر للإنسان طعام اشتهاه ومال إليه، وإن وصف له ما يشتهيه من لباس أو امرأة أو مسكن أو غيره مالت نفسه إليه، والغريب عن وطنه متى ذكر بالوطن حن إليه، وكل ما فى نفس الإنسان محبته إذا تصوره تحركت." (١)

"ص -٤٦٤- المحبة والطلب إلى ذلك المحبوب المطلوب؛ إما إلى وصفه، وإما إلى مشاهدته، وكلاهما يحصل به تخيل فى النفس، وقد يحصل التخيل بالسماع أو الرؤية أو الفكر فى بعض الأمور المتعلقة به، فإذا تخيلت النفس تلك الأمور المتعلقة انقلبت إلى ما تخيلته فتحركت داعية المحبة سواء كانت محبة محمودة أو مذمومة .

ولهذا تتحرك النفوس إلى الحج إذا ذكر الحجاز، أو كان أوان الحج، أو رأى من يذهب إلى الحج من أهله وأقاربه، أو أصحابه أو غيرهم، ولو لم يسمع ذلك ويراه لما تحرك ولا حدث منه داعية قوته إلى ذلك، فتتحرك بذكر الأبرق والأجرع والعلى ونحو ذلك؛ لأنه رأى تلك المنازل لما كان ذاهبا إلى محبوبه، فصار ذكرها يذكره بالمحبوب .

وكذلك أصحاب المتاجر والأموال، إذا سمع أحدهم بالمكاسب تحركت داعيته إلى ذلك، وكذلك أهل الفرج والتنزه، إذا رأوا من يقصد ذلك تحركوا إليه، وهذه الدواعي كلها مركوزة في نفوس بنى آدم، والإنسان ظلوم جهول .

وكذلك ذكر آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم تذكر به وتحرك محبته، فالمبتلى بالفاحشة **والعشق** إذا ذكر ما به لغيره تحركت نفس ذلك الغير إلى جنس ذلك؛ لأن النفوس مجبولة على حب الصور الجميلة؛." (٢)

"ص -٤٦٥- فإذا تصورت جنسا تحرك إليها المحبوب .

ولهذا نهي الله تعالى عن إشاعة الفاحشة، وكذلك أمر بستر الفواحش، كما قال النبى صلى الله عليه وسلم : " من ابتلى من هذه القاذورات بشيء فليستتر [فى المطبوعة : فاليستتر وهو خطأ] بستر الله؛ فإنه من

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٧/٢٣٥

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٨/٢٣٥

يبد لنا صفحته نقم عليه كتاب الله " ، وقال : "كل أمتى معافى إلا المجاهرين، وإن من المجاهرة أن يبيت الرجل على الذنب قد ستره الله فيصبح يتحدث به " ، فما دام الذنب مستورا فعقوبته على صاحبه خاصة، وإذا ظهر ولم ينكر كان ضرره عاما، فكيف إذا كان في ظهوره تحريك لغيره إليه .

ولهذا كره الإمام أحمد وغيره إنشاد الأشعار الغزل الرقيق لأنه يحرك النفوس إلى الفواحش؛ فلهذا أمر من يبتلى **بالعشق** أن يعف ويكتم ويصبر، فيكون حينئذ ممن قال الله فيه : ﴿ إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين ﴾ [يوسف : ٩٠] .

والمقصود أنه يثاب على هذه المجاهدة، والمجاهد من جاهد نفسه في الله، وأما المبتدعون فى الزهد والعبادة، السالكون طريق الرهبان، فإنهم قد يزهدون فى النكاح، وفضول الطعام، والمال ونحو ذلك . وهذا محمود، لكن عامة هؤلاء لابد أن يقعوا فى ذنوب من هذا الجنس، كما نجد كثيرا منهم يبتلى بصحبة الأحداث، وإرفاق النساء؛ فيبتلون بالميل." (١)

"ص -٢٨٧- قديم معلول لعلة قديمة . وأما الفلاسفة القدماء فمن كان منهم يقول بحدوث الفلك وهم جمهورهم، ومن كان قبل أرسطو فهؤلاء موافقون لأهل الملل، ومن قال بقدم الفلك كأرسطو وشيعته فإنما يثبتون له علة غائية يتشبه الفلك بها، لا يثبتون له علة فاعلة، وما يثبتونه من العقول والنفوس فهو من جنس الفلك . كل ذلك قديم واجب بنفسه، وإن كان له علة غائية . وهؤلاء أكفر من هؤلاء المتأخرين، لكن الغرض أن يعرفوا أن قول هؤلاء ليس قول أولئك .

الثاني : أن هؤلاء يقولون : إن الرب واحد، والواحد لا يصدر عنه إلا واحد، ويعنون بكونه واحدا أنه ليس له صفة ثبوتية أصلا، ولا يعقل فيه معان متعددة؛ لأن ذلك عندهم تركيب؛ ولهذا يقولون : لا يكون فاعلا وقابلا؛ لأن جهة الفعل غير جهة القبول، وذلك يستلزم تعدد الصفة المستلزم للتركيب، ومع هذا يقولون : إنه عاقل ومعقول وعقل، وعاشق ومعشوق **وعشق**، ولذيذ وملتذ ولذة. إلى غير ذلك من المعاني المتعددة . ويقولون : إن كل واحدة من هذه الصفات هي الصفة الأخرى، والصفة هي الموصوف، والعلم هو القدرة، وهو الإرادة والعلم هو العالم وهو القادر .

ومن المتأخرين منهم من قال : العلم هو المعلوم، فإذا تصور العاقل أقوالهم حق التصور، تبين له أن هذا الواحد الذي أثبتوه لا يتصور." (٢)

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٩/٢٣٥

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٢٩١/٢٣٨

"ص –٣٤– فيحصل لهم بذلك من الرئاسة والشرف على الإنس ما يحملهم على أن يعطوهم بعض سؤلهم، لاسيما وهم يعلمون أن الإنس أشرف منهم وأعظم قدرا، فإذا خضعت الإنس لهم واستعاذت بهم كان بمنزلة أكابر الناس إذا خضع لأصاغرهم ليقضي له حاجته .

ثم الشياطين منهم من يختار الكفر والشرك ومعاصي الرب، وإبليس وجنوده من الشياطين يشتهون الشر، ويلتذون به ويطلبونه، ويحرصون عليه بمقتضي خبث أنفسهم، وإن كان موجبا لعذابهم وعذاب من يغوونه، كما قال إبليس : ﴿قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين ﴾ [ص : ٨٢، ٨٣] ، وقال تعالى : ﴿قال أرأيتك هذا الذي كرمت علي لئن أخرتن إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلا ﴾ [الإسراء : ٦٢] ، وقال تعالى : ﴿ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين ﴾ [سبأ : ٢٠] .

والإنسان إذا فسدت نفسه أو مزاجه يشتهي ما يضره ويلتذ به، بل **يعشق** ذلك **عشقا** يفسد عقله ودينه وخلقه وبدنه وماله، والشيطان هو نفسه خبيث، فإذا تقرب صاحب العزائم والأقسام وكتب الروحانيات السحرية، وأمثال ذلك إليهم بما يحبونه من الكفر والشرك؛ صار ذلك كالرشوة والبرطيل [البرطيل بالكسر : حجر، أو حديد طويل صلب خلقة، ينقر به الرحى، والمعول، والرشوة] لهم . فيقضون بعض أغراضه، كمن يعطي غيره مالا." (١)

"ص –٣٩– العلماء على أنه في الجنة، وقد روي : " أنهم يكونون في ربض الجنة، تراهم الإنس من حيث لا يرونهم] وهذا القول مأثور عن مالك والشافعي وأحمد وأبي يوسف ومحمد . وقيل : إن ثوابهم النجاة من النار، وهو مأثور عن أبي حنيفة . وقد احتج الجمهور بقوله : ﴿لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان ﴾ [الرحمن : ٥٦] ، قالوا : فدل ذلك على تأتي الطمث منهم؛ لأن طمث الحور العين إنما يكون في الجنة .

فصل

وإذا كان الجن أحياء عقلاء مأمورين منهيين لهم ثواب وعقاب وقد أرسل إليهم النبي صلى الله عليه وسلم فالواجب على المسلم أن يستعمل فيهم ما يستعمله في الإنس من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والدعوة إلى الله كما شرع الله ورسوله، وكما دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم، ويعاملهم إذا اعتدوا بما يعامل به المعتدون، فيدفع صولهم بما يدفع صول الإنس .

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٢٧/٢٤٣

وصرعهم للإنس قد يكون عن شهوة وهوى وعشق، كما يتفق للإنس مع الإنس، وقد يتناكح الإنس والجن ويولد بينهما ولد ! وهذا كثير معروف، وقد ذكر العلماء ذلك وتكلموا عليه، وكره أكثر." (١)

"ص -٤٠- العلماء على أنه في الجنة، وقد روي : " أنهم يكونون في ربض الجنة، تراهم الإنس من حيث لا يرونهم] وهذا القول مأثور عن مالك والشافعي وأحمد وأبي يوسف ومحمد . وقيل : إن ثوابهم النجاة من النار، وهو مأثور عن أبي حنيفة . وقد احتج الجمهور بقوله : ﴿لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان ﴾ [الرحمن : ٥٦] ، قالوا : فدل ذلك على تأتي الطمث منهم؛ لأن طمث الحور العين إنما يكون في الجنة .

فصل

وإذا كان الجن أحياء عقلاء مأمورين منهيين لهم ثواب وعقاب وقد أرسل إليهم النبي صلى الله عليه وسلم فالواجب على المسلم أن يستعمل فيهم ما يستعمله في الإنس من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله كما شرع الله ورسوله، وكما دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم، ويعاملهم إذا اعتدوا بما يعامل به المعتدون، فيدفع صولهم بما يدفع صول الإنس .

وصرعهم للإنس قد يكون عن شهوة وهوى وعشق، كما يتفق للإنس مع الإنس، وقد يتناكح الإنس والجن ويولد بينهما ولد ! وهذا كثير معروف، وقد ذكر العلماء ذلك وتكلموا عليه، وكره أكثر." (٢)

"ص -٢٧٤- فعل الضرر، وهذا كقول الخليل عن الأصنام : ﴿ رب إنهن أضللن كثيرا من الناس ﴾ [إبراهيم : ٣٦] ، فنسب الإضلال إلىهن، والإضلال هو ضرر لمن أضللنه، وكذلك قوله: ﴿ وما زادوهم غير تتبيب ﴾ [هود : ١٠١] ، وهذا كما يقال : أهلك الناس الدرهم والدينار، وأهلك النساء الأحمران الذهب والحرير، وكما يقال للمحبوب المعشوق الذى تضر محبته وعشقه : إنه عذب هذا وأهلكه وأفسده وقتله وعثره، وإن كان ذاك المحبوب قد لا يكون شاعرا بحال هذا البتة، وكذلك يقال فى المحسود : إنه يعذب حاسديه وإن كان لا شعور له بهم

وفى الصحيحين عن عمرو بن عوف عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : " والله ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخاف أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتتنافسوا فيها كما تنافسوا فيها، وتهلككم كما أهلكتهم " [البخارى فى الرقاق " ٦٤٢٥ " ، ومسلم فى الزهد والرقائق " ٢٩٦١٦ "

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٣٢/٢٤٣

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٣٣/٢٤٣

، بلفظ فتنافسوها كما تنافسوها] فجعل الدنيا المبسوطة هى المهلكة لهم؛ وذلك بسبب حبها والحرص عليها والمنافسة فيها، وإن كانت مفعولا بها لا اختيار لها، فهكذا المدعو المعبود من دون الله الذى لم يأمر بعبادة نفسه؛ إما لكونه جمادا، وإما لكونه عبدا مطيعا لله من الملائكة والأنبياء والصالحين من الإنس والجن، فما يدعى من دون الله هو لا ينفع ولا يضر، لكن هو السبب فى دعاء الداعى له، وعبادته إياه وعبادة ذاك ودعاؤه هو الذى ضره، فهذا الضر المضاف إليه غير الضر المنفى عنه،." (١)

"ص -٢٨٨- رأى من يهوى بعض المتصلين به أو يعاشره عشرة منكرة، أو رأى له محبة أو ميلا وصبابة **وعشقا**، ولو كان ولده رأف به، وظن أن هذا من رحمة الخلق، ولين الجانب بهم، ومكارم الأخلاق، وإنما ذلك دياثة ومهانة، وعدم دين وضعف إيمان، وإعانة على الإثم والعدوان، وترك للتناهى عن الفحشاء والمنكر

وتدخل النفس به فى القيادة التى هى أعظم الدياثة، كما دخلت عجوز السوء مع قومها فى استحسان ما كانوا يتعاطونه من إتيان الذكران والمعاونة لهم على ذلك،وكانت فى الظاهر مسلمة على دين زوجها لوط،وفى الباطن منافقة على دين قومها،لا تقلى عملهم كما قلاه لوط؛ فإنه أنكره ونهاهم عنه وأبغضه،وكما فعل النسوة اللواتى بمصر مع يوسف، فإنهن أعن امرأة العزيز على ما دعته إليه من فعل الفاحشة معها؛ولهذا قال : ﴿ رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه ﴾ [يوسف : ٣٣] ، وذلك بعد قولهن : ﴿ إنا لنراها في ضلال مبين ﴾ [يوسف : ٣٠]

ولا ريب أن محبة الفواحش مرض فى القلب، فإن الشهوة توجب السكر، كما قال تعالى عن قوم لوط : ﴿ إنهم لفي سكرتهم يعمهون ﴾ [الحجر : ٧٢] ، وفى الصحيحين واللفظ لمسلم من حديث أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : [العينان تزنيان وزناهما النظر] الحديث إلى آخره فكثير من الناس يكون مقصوده بعض هذه." (٢)

"ص -٢٩١- فوجد كبيرهم مرارته فترك شربه، ونهى عن سقيه للباقين

ومنهم من تأخذه الرأفة لكون أحد الزانيين محبوبا له، إما أن يكون محبا لصورته وجماله **بعشق** أو غيره، أو لقرابة بينهما، أو لمودة أو لإحسانه إليه، أو لما يرجو منه من الدنيا أو غير ذلك، أو لما فى العذاب من الألم الذى يوجب رقة القلب ويتأول : [إنما يرحم الله من عباده الرحماء] ، ويقول الأحمق : [الراحمون

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١١/٢٥٢

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٠/٢٥٤

يرحمهم الرحمن، ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى [لا يدخل الجنة ديوث] ، فمن لم يكن مبغضا للفواحش، كارها لها ولأهلها، ولا يغضب عند رؤيتها وسماعها لم يكن مريدا للعقوبة عليها، فيبقى العذاب عليها يوجب ألم قلبه، قال تعالى: ﴿ ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله الآية﴾ [النور : ٢]

فإن دين الله هو طاعته وطاعة رسوله المبنى على محبته ومحبة رسوله،وأن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما؛ فإن الرأفة والرحمة يحبهما الله،م ا لم تكن مضي [إنما يرحم الله من عباده الرحماء] ، وقال : [لا يرحم الله من لا يرحم الناس] ، وقال :." (١)

"ص -٢٩٣- هوى، وتارة تغلب عليه الشدة هوى، فيتبع ما يهواه فى الجانبين بغير هدى من الله ﴿ ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ﴾ [القصص : ٥٠] ، فإن الزنا من الكبائر، وأما النظر والمباشرة فاللمم منها مغفور باجتناب الكبائر، فإن أصر على النظر أو على المباشرة صار كبيرة، وقد يكون الإصرار على ذلك أعظم من قليل الفواحش، فإن دوام النظر بالشهوة وما يتصل به العشق والمعاشرة والمباشرة، قد يكون أعظم بكثير من فساد زنا لا إصرار عليه؛ ولهذا قال الفقهاء فى الشاهد العدل : ألا يأتى كبيرة، ولا يصر على صغيرة، وفى الحديث المرفوع : " لا صغيرة مع إصرار، ولا كبيرة مع استغفار " بل قد ينتهى النظر والمباشرة بالرجل إلى الشرك، كما قال تعالى: ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله ﴾ [البقرة : ١٦٥] ، ولهذا لا يكون عشق الصور إلا من ضعف محبة الله وضعف الإيمان، والله تعالى إنما ذكره فى القرآن عن امرأة العزيز المشركة،وعن قوم لوط المشركين، والعاشق المتيم يصير عبدا لمعشوقه، منقادا له،أسير القلب له

وقد جمع النبى صلى الله عليه وسلم ذكر الحدود إن حالت شفاعته دون حد من حدود الله، فقد ضاد الله فيما رواه أبو داود عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [من حالت شفاعته دون حد." (٢)

"ص -٣١٠- أحق بالنفى من بين أظهر المسلمين وإخراجه عنهم؛ فإن المخنث فيه إفساد للرجال والنساء؛ لأنه إذا تشبه بالنساء فقد تعاشره النساء، ويتعلمن منه وهو رجل فيفسدهن؛ ولأن الرجال إذا مالوا إليه فقد يعرضون عن النساء؛ ولأن المرأة إذا رأت الرجل يتخنث فقد تترجل هى وتتشبه بالرجال فتعاشر الصنفين، وقد تختار هى مجامعة النساء كما يختار هو مجامعة الرجال

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٣/٢٥٤

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٥/٢٥٤

وأما إفساده للرجال : فهو أن يمكنهم من الفعل به كما يفعل بالنساء بمشاهدته ومباشرته **وعشقه**، فإذا أخرج من بين الناس وسافر إلى بلد آخر ساكن فيه الناس، ووجد هناك من يفعل به الفاحشة، فهنا يكون نفيه بحبسه فى مكان واحد ليس معه فيه غيره، وإن خيف خروجه فإنه يقيد إذ هذا هو معنى نفيه وإخراجه من بين الناس

ولهذا تنازع العلماء فى نفى المحارب من الأرض، هل هو طرده بحيث لا يأوى فى بلد، أو حبسه، أو بحسب ما يراه الإمام من هذا وهذا، ففى مذهب أحمد ثلاث روايات الثالثة أعدل وأحسن، فإن نفيه بحيث لا يأوى فى بلد لا يمكن لتفرق الرعية واختلاف هممهم، بل قد يكون بطرده يقطع الطريق، وحبسه قد لا يمكن؛ لأنه يحتاج إلى مؤنة؛ إلى طعام وشراب وحارس؛ ولا ريب أن النفى أسهل إن أمكن." (١)

"ص -٣١٣- المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها، فالقليل من الخير خير من تركه، ودفع بعض الشر خير من تركه كله، وكذلك المرأة المتشبهة بالرجال تحبس شبيها بحالها إذا زنت، سواء كانت بكرا أو ثيبا، فإن جنس الحبس مما شرع فى جنس الفاحشة

ومما يدخل فى هذا أن عمر بن الخطاب نفى نصر بن حجاج من المدينة، ومن وطنه إلى البصرة، لما سمع تشبيب النساء به وتشبهه بهن، وكان أولا قد أمر بأخذ شعره؛ ليزيل جماله الذى كان يفتن به النساء فلما رآه بعد ذلك من أحسن الناس وجنتين غمه ذلك فنفاه إلى البصرة، فهذا لم يصدر منه ذنب ولا فاحشة يعاقب عليها؛ لكن كان فى النساء من يفتتن به فأمر بإزالة جماله الفاتن، فإن انتقاله عن وطنه مما يضعف همته وبدنه، ويعلم أنه معاقب، وهذا من باب التفريق بين الذين يخاف عليهم الفاحشة **والعشق** قبل وقوعه، وليس من باب المعاقبة، وقد كان عمر ينفى فى الخمر إلى خيبر زيادة فى عقوبة شاربها

ومن أقوى ما يهيج الفاحشة، إنشاد أشعار الذين فى قلوبهم مرض من **العشق**، ومحبة الفواحش، ومقدماتها بالأصوات المطربة، فإن المغنى إذا غنى بذلك حرك القلوب المريضة إلى محبة الفواحش، فعندها يهيج مرضه ويقوى بلاؤه، وإن كان القلب فى عافية من ذلك جعل فيه مرضا، كما قال بعض السلف : الغناء رقية الزنا." (٢)

"ص -٣٣٣- أشباههم ما يكون به لهم فيهم قدوة وأسوة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا ﴾ [لقمان : ٦] ، قيل : أراد الغناء،

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٣٢/٢٥٤

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٣٥/٢٥٤

وقيل : أراد قصص الملوك من الكفار من الفرس

وبالجملة، كل ما رغب النفوس في طاعة الله ونهاها عن معصيته من خبر أو أمر فهو من طاعته، وكل ما رغبها في معصيته ونهي عن طاعته فهو من معصيته، فأما ذكر الفاحشة وأهلها بما يجب أو يستحب في الشريعة؛ مثل النهي عنها وعنهم والذم لها ولهم، وذكر ما يبغضها وينفر عنها، وذكر أهلها مطلقا حيث يسوغ ذلك، وما يشرع لهم من الذم في وجوههم ومغيبهم؛ فهذا كله حسن يجب تارة، ويستحب أخري، وكذلك ما يدخل فيها من وصفها ووصف أهلها من **العشق** على الوجه المشروع الذي يوجب الانتهاء عما نهي الله عنه، والبغض لما يبغضه

وهذا كما أن الله قص علينا في القرآن قصص الأنبياء والمؤمنين والمتقين، وقصص الفجار والكفار؛ لنعتبر بالأمرين؛ فنحب الأولين وسبيلهم ونقتدي بهم، ونبغض الآخرين وسبيلهم ونجتنب فعالهم

وقد ذكر الله عن أنبيائه وعباده الصالحين من ذكر الفاحشة." (١)

"ص -٣٣٥- ﴿ ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن ﴾ [يوسف : ٥٠] ، وهذا من باب الاعتبار الذي يوجب انتهار النفوس عن معصية الله والتمسك بالتقوي، وكذلك ما بينه في آخر السورة بقوله: ﴿ لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ﴾ [يوسف : ١١١]

ومع هذا فمن الناس والنساء من يحب سماع هذه السورة لما فيها من ذكر **العشق** وما يتعلق به؛ لمحبته لذلك ورغبته في الفاحشة، حتي إن من الناس من يقصد إسماعها للنساء وغيرهن لمحبتهم للسوء، ويعطفون على ذلك، ولا يختارون أن يسمعوا ما في سورة النور من العقوبة والنهي عن ذلك، حتي قال بعض السلف : كل ما حصلته في سورة يوسف أنفقته في سورة النور وقد قال تعالى ﴿ وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ﴾ ثم قال : ﴿ ولا يزيد الظالمين إلا خسارا ﴾ [الإسراء : ٨٢] وقال : ﴿ وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون ﴾ [التوبة : ١٢٤، ١٢٥] فكل أحد يحب سماع ذلك لتحريك المحبة المذمومة، ويبغض سماع ذلك إعراضا عن دفع هذه المحبة وإزالتها، فهو مذموم ومن هذا الباب ذكر أحوال الكفار والفجار وغير ذلك مما فيه ترغيب في معصية الله وصد عن سبيل الله." (٢)

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٥٥/٢٥٤

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٥٧/٢٥٤

"ص –٤٠٠– الحرام، وإلا فالشهوة إذا اشتعلت واستولت قد تكون أقوى من الغضب، وقد قال تعالى : ﴿وخلق الإنسان ضعيفا ﴾ [النساء : ٢٨] ، أى : ضعفا عن النساء لا يصبر عنهن، وفى قوله ﴿ ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ﴾ [البقرة : ٢٨٦] ، ذكروا منه **العشق**، **والعشق** يفضى بأهله إلى الأمراض والإهلاك، وإن كان الغضب قد يبلغ ذلك أيضا وقد دل القرآن على أن القوة والعزة لأهل الطاعة التائبين إلى الله فى مواضع كثيرة، كقوله فى سورة هود : ﴿ ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة إلى قوتكم ﴾ [هود : ٥٢] ،وقوله: ﴿ ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ﴾ [المنافقون : ٨] ، ﴿ ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين ﴾ [آل عمران : ١٣٩] وإذا كان الذى قد يهجر السيئات يغض بصره ويحفظ فرجه وغير ذلك مما نهى الله عنه، يجعل الله له من النور والعلم والقوة والعزة ومحبة الله ورسوله، فما ظنك بالذى لم يحم حول السيئات، ولم يعرها طرفه قط ولم تحدثه نفسه بها ؟ ! بل هو يجاهد فى سبيل الله أهلها ليتركوا السيئات فهل هذا وذاك سواء ؟ بل هذا له من النور والإيمان والعزة والقوة والمحبة والسلطان والنجاة فى الدنيا والآخرة أضعاف أضعاف ذاك، وحاله أعظم وأعلى، ونوره أتم وأقوى، فإن السيئات تهواها النفوس، ويزينها الشيطان، فتجتمع فيها الشبهات والشهوات فإذا كان المؤمن قد حبب الله إليه الإيمان وزينه فى قلبه، وكره." (١)

"ص –٤٢١– الأبدال كلهم يوصينى عند فراقه بترك صحبة الأحداث، وقال بعضهم : ما سقط عبد من عين الله إلا ابتلاه بصحبة هؤلاء الأنتان

ثم النظر يولد المحبة، فيكون علاقة، لتعلق القلب بالمحبوب، ثم صبابة، لانصباب القلب إليه، ثم غراما؛ للزومه للقلب كالغريم الملازم لغريمه، ثم **عشقا**، إلى أن يصير تتيما، والمتيم : المعبد، وتيم الله : عبد الله، فيبقى القلب عبدا لمن لا يصلح أن يكون أخا ولا خادما

وهذا إنما يبتلى به أهل الأعراض عن الإخلاص لله، الذين فيهم نوع من الشرك، وإلا فأهل الإخلاص، كما قال الله تعالى فى حق يوسف عليه السلام : ﴿كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين ﴾ [يوسف : ٢٤] ، فامرأة العزيز كانت مشركة فوقعت مع تزوجها فيما وقعت فيه من السوء، ويوسف – عليه السلام – مع عزوبته، ومراودتها له، واستعانتها عليه بالنسوة، وعقوبتها له بالحبس على العفة : عصمه الله بإخلاصه لله، تحقيقا لقوله: ﴿ ولأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين ﴾ [الحجر : ٣٩، ٤٠] ، قال تعالى: ﴿ إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين ﴾ [الحجر : ٤٢]

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٢٤/٢٥٤

، و " الغى " : هو اتباع الهوى

وهذا الباب من أعظم أبواب اتباع الهوى، ومن أمر **بعشق** الصور من المتفلسفة كابن سينا وذويه، أو من الفرس، كما يذكر." (١)

"ص –٤٢٥– وأما الفائدة الثانية فى غض البصر : فهو نور القلب والفراسة، قال تعالى عن قوم لوط : ﴿ لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون ﴾ [الحجر : ٧٢] ، فالتعلق بالصور يوجب فساد العقل، وعمى البصيرة، وسكر القلب، بل جنونه، كما قيل :

سكران سكر هوى وسكر مدامة فمتى يفيق من به سكران

وقيل – أيضا– :

قالوا جننت بمن تهوى فقلت لهم **العشق** أعظم مما بالمجانين

العشق لا يستفيق الدهر صاحبه وإنما يصرع المجنون فى الحين

وذكر الله سبحانه آية النور عقيب آيات غض البصر، فقال : ﴿ الله نور السماوات والأرض ﴾ [النور : ٣٥] ، وكان شجاع بن شاه الكرماني لا تخطئ له فراسة، وكان يقول : من عمر ظاهره باتباع السنة، وباطنه بدوام." (٢)

"

وإذا أمكن المتفلسف أن يقول هو موجود وعاقل ومعقول وعقل وعاشق ومعشوق **وعشق** ولذيذ وملتذ ولذة وهذا كله شيء واحد وهذه الصفة هي الأخرى والصفة هي الموصوف وإثبات هذه الأمور لا يستلزم التجسيم أمكن سائر مثبتة الصفات أن يقولوا هذا وما هو أقرب إلى المعقول فلا يقول من نفى شيئا مما أخبر به الشارع من الصفات قولا ويقول إنه يوافق المعقول إلا ويقول من أثبت ذلك ما هو أقرب إلى المعقول منه

وهذه جملة سيأتي إن شاء الله تفصيلها وبيان أن كل من أثبت ما أثبته الرسول ونفي ما نفاه كان أولى بالمعقول الصريح كما كان أولى بالمنقول الصحيح وأن من خالف صحيح المنقول فقد خالف أيضا صريح المعقول وكان أولى بمن قال الله فيه ﴿ وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير ﴾ سورة تبارك ١٠

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٤٥/٢٥٤

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٤٩/٢٥٤

فإن قيل قول القائلين إن الأنبياء لم يدعوا الناس إلى إثبات الصانع بهذه الطريقة طريقة الأعراض وحدوثها ولزومها للأجسام وأن ما استلزم الحادث فهو حادث

للمنازعين فيه مقامان أحدهما منع هذه المقدمة فإنه من المعروف أن كثيرا من النفاة يقول إن هذه الطريقة هي طريقة إبراهيم الخليل وإنه استدل على حدوث الكواكب والشمس والقمر بالأفول والأفول هو الحركة والحركة هي التغير فلزم من

". (١)

"يقول إن العقل أثبت أو أوجب أو سوغ ما يقول الآخر إن العقل نفاه أو أحاله أو منع منه بل قد آل الأمر بينهم إلى التنازع فيما يقولون إنه من العلوم الضرورية فيقول هذا نحن نعلم بالضرورة العقلية ما يقول الآخر إنه غير معلوم بالضرورة العقلية

كما يقول أكثر العقلاء نحن نعلم بالضرورة العقلية امتناع رؤية مرئى من غير معاينة ومقابلة ويقول طائفة من العقلاء إن ذلك ممكن

ويقول أكثر العقلاء إنا نعلم أن حدوث حادث بلا سبب حادث ممتنع ويقول طائفة من العقلاء إن ذلك ممكن

ويقول أكثر العقلاء إن كون الموصوف عالما بلا علم قادرا بلا قدرة حيا بلا حياة ممتنع في ضرورة العقل وآخرون ينازعون في ذلك

ويقول أكثر العقلاء إن كون الشيء الواحد أمرا نهيا خبرا ممتنع في ضرورة العقل وآخرون ينازعون في ذلك

ويقول أكثر العقلاء إن كون العقل والعاقل والمعقول **والعشق** والعاشق والمعشوق والوجود والموجود والوجوب والعناية أمرا واحدا هو ممتنع في ضرورة العقل وآخرون ينازعون في ذلك

ويقول جمهور العقلاء إن الوجود ينقسم إلى واجب وممكن وقديم ومحدث وإن لفظ الوجود يعمهما ويتناولها وإن هذا معلوم بضرورة العقل ومن الناس من ينازع في ذلك

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ١٠٠/١

" (١)

"مخالفة الكتاب يقولون على الله وفي الله وفي كتاب الله بغير علم يتكلمون بالمتشابه من الكلام ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم فنعوذ بالله من فتن المضلين

والمقصود هنا قوله يتكلمون بالمتشابه من الكلام ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم وهذا الكلام المتشابه الذى يخدعون به جهال الناس هو الذى يتضمن الألفاظ المتشابهة المجملة التي يعارضون بها نصوص الكتاب والسنة وتلك الألفاظ تكون موجودة مستعملة في الكتاب والسنة وكلام الناس لكن بمعان أخر غير المعاني التي قصدوها هم بها فيقصدون هم بها معاني أخر فيحصل الإشتباه والإجمال كلفظ العقل والعاقل والمعقول فإن لفظ العقل في لغة المسلمين إنما يدل على عرض إما مسمى مصدر عقل يعقل عقلا وإما قوة يكون بها العقل وهي الغريزة وهم يريدون بذلك جوهرا مجردا قائما بنفسه

وكذلك لفظ المادة والصورة بل وكذلك لفظ الجوهر والعرض والجسم والتحيز والجهة والتركيب والجزء والإفتقار والعلة والمعلول والعاشق **والعشق** والمعشوق بل ولفظ الواحد في التوحيد بل ولفظ الحدوث والقدم بل ولفظ الواجب والممكن بل ولفظ الوجود والموجود والذات وغير ذلك من الألفاظ

وما من أهل فن إلا وهم معترفون بأنهم يصطلحون على ألفاظ يتفاهمون بها مرادهم كما لأهل الصناعات العملية ألفاظ يعبرون بها عن صناعتهم وهذه

" (٢)

"

وهؤلاء عمدوا إلى المعاني الصحيحة العقلية وأطلقوا عليها ألفاظا مجملة تتناول الباطل الممتنع كالرافضي الذي يسمى أهل السنة ناصبة فيوهم أنهم نصبوا العداوة لأهل البيت رضي الله عنهم

وقد بينا في غير هذا الموضع أن إثبات المعاني القائمة التي توصف بها الذات لا بد منه لكل عاقل وأنه لا خروج عن ذلك إلا بجحد وجود الموجدودات مطلقا وأما من يجعل وجود العلم هو وجود القدرة ووجود القدرة هو وجود الإرادة فقود هذه المقالة يستلزم أن يكون وجود كل شيء هو عين وجود الخالق

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ١/١٤٥

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ١/٢٢٢

تعالى وهذا منتهى الإلحاد وهو مما يعلم بالحس والعقل والشرع أنه في غاية الفساد ولا مخلص من هذا إلا بإثبات الصفات مع نفى مماثلة المخلوقات وهو دين الذين آمنوا وعملوا الصالحات

وذلك أن نفاة الصفات من المتفلسفة ونحوهم يقولون إن العاقل والمعقول والعقل والعاشق والمعشوق **والعشق** واللذة واللذيذ والملتذة هو شيء واحد وإنه موجود واجب له عناية ويفسرون عنايته بعلمه أو عقله ثم يقولون وعلمه أو عقله هو ذاته وقد يقولون إنه حي عليم قدير مريد متكلم سميع بصير ويقولون إن ذلك كله شيء واحد فإرادته عين قدرته وقدرته عين علمه وعلمه عين ذاته

(١) ".

"قائم بنفسه فهو العاقل فإذا كان يعقل نفسه أو غيره فليس عين عقله لنفسه أو غيره هو عين ذاته وكذلك إذا سمى عاشقا ومعشوقا بلغتهم أو قيل محبوب ومحب بلغة المسلمين فليس الحب **والعشق** هو نفس العاشق ولا المحب ولا **العشق** ولا الحب هو المعشوق ولا المحبوب بل التمييز بين مسمى المصدر ومسمى اسم الفاعل واسم المفعول والتفريق بين الصفة والموصوف مستقر في فطر العقول ولغات الأمم فمن جعل أحدهما هو الآخر كان قد أتى من السفسطة بما لا يخفى على من يتصور ما يقول ولهذا كان منتهى هؤلاء السفسطة في العقليات والقرمطة في السمعيات

الوجه الثالث أن يقال الوجود المطلق بشرط الإطلاق أو بشرط سلب الأمور الثبوتية أولا بشرط مما يعلم بصريح العقل انتفاؤه في الخارج وإنما يوجد في الذهن وهذا مما قرروه في منطقهم اليوناني وبينوا أن المطلق بشرط الإطلاق كإنسان مطلق بشرط الإطلاق وحيوان مطلق بشرط الإطلاق وجسم مطلق بشرط الإطلاق ووجود مطلق بشرط الإطلاق لا يكون إلا في الأذهان دون الأعيان

ولما أثبت قدماؤهم الكليات المجردة عن الأعيان التي يسمونها المثل الأفلاطونية أنكر ذلك حذاقهم وقالوا هذه لا تكون إلا في الذهن ثم الذين ادعوا ثبوت هذه الكليات في الخارج مجردة قالوا إنها مجردة عن الأعيان المحسوسة ويمتنع عندهم أن تكون هذه هي المبدعة للأعيان بل يمتنع أن تكون شرطا في وجود الأعيان فإنها إما أن تكون صفة للأعيان أو جزءا منها

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ١/٢٨٣

". (١)

"

ولهذا كان كثير من المسلمين كالكلابية ومن وافقهم يقولون بإثبات الصفات للواجب دون قيام الحوادث به فإذا لم يكن لكم حجة على نفي قيام الحوادث به إلا ما هو حجة لكم على نفي الصفات كانت الأدلة الدالة على بطلان قولكم كثيرة جدا

وتبين حينئذ فساد قولكم بنفي الصفات وجعل المعاني المتعددة شيئا واحدا وأن قولكم إن العاشق والمعشوق والعشق والعاقل والمعقول والعقل شيء واحد وإن العالم هو العلم والقدرة هي الإرادة من أفسد الأقوال كما قد بين فيما تقدم لما نبهنا على تلبيسكم على المسلمين وتكلمنا على ما تسمونه تركيبا وتنفون به الصفات وبينا أنه ليس تركيبا في الحقيقة وإن كان في اصطلاحكم يسمى تركيبا وأنه بتقدير موافقتكم على اصطلاحكم الفاسد لا حجة لكم على نفيه وهكذا تجابون عن حجة التأثير

وقولهم إن كان التأثير قديما لزم قدم الأثر وإن كان محدثا فإن كان المحدث جنس التأثير وقيل بجواز ذلك كان للحوادث ابتداء وبطل مذهبكم وإن قيل بامتناعه وهو أنه لا يحدث شيء ما حتى يحدث شيء فهذا ممتنع باتفاق العقلاء وقد يسمى تسلسلا ودورا وإن كان المحدث التأثير في شيء معين بعد حدوث معين قبله لزم التسلسل وقيام الحوادث بالقديم

فإنه يقال لهم إما أن يكون التأثير أمرا وجوديا وإماأن لا يكون وجوديا فإن لم يكن وجوديا بطلت الحجة وهو جواب الرازي وهو جواب من يقول الخلق نفس المخلوق وإن كان وجوديا فإما أن يكون قائما بذات المؤثر او بغيره فإن كان

". (٢)

"حقيقة يختص بها عما سواه من غير مخصص مباين له خصصه بتلك الحقيقة

ومن قال ان واجب الوجود هو الوجود المطلق بشرط الاطلاق او لا بشرط

فيقال له هذا القول وان كان فساده معلوما بالاضطرار كما بين في موضعه قول متناقض وهو مستلزم انه مختص عن غيره بما يخصه

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٢٨٦/١

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٣٥٥/١

وذلك ان المطلق لا يوجد في الخارج مطلقا ولا يوجد إلا مقيدا بقيد من القيود

فإذا قيل موجود واجب قيده بالوجوب فلم يبق مطلقا

وان قال ليس بواجب قيده بسلب الوجوب فلم يكن مطلقا

وان ادعى وجود موجود لا واجب ولا غير واجب لزمه رفع النقيضين جميعا وهو أظهر الامور الممتنعة في بديهة العقل

ثم انه يقيده بكونه مبدأ لغيره وبكونه عاقلا ومعقولا وعقلا وعاشقا ومعشوقا وعشقا وغير ذلك من الامور المقيدة المخصصة التي يمتاز بها عن غيرهم ولا يكون وجودا مطلقا

(١) ".

"علم افتقر إلى مخصص وما لم يفتقر إلى شيء من ذلك لم يفتقر كان هذا كلاما معقولا

بخلاف ما إذا قيل المفتقر إلى الفاعل لا يفتقر إلى مخصص والغنى عن الفاعل يفتقر إلى مخصص فإن هذا قلب للحقيقة كما قالته المعتزلة الجهمية القدرية من نفي افتقار الأفعال إلى مخصص واثبات افتقار الذات إلى مخصص قلب للحقائق

وأفسد منه قول الفلاسفة الذين يثبون مفعولات مختلفة مع حدوث كثير منها ويقولون ان مخصصها مجرد وجود بسيط ثم يصفونه بصفات تفيد اختصاصه بما يتميز به عن سائر الموجودات ويقولون مع ذلك الاختصاص لا بد له من مخصص مباين له ثم العلم فيه من العموم ما ليس في القدرة وفي القدرة من العموم ما ليس في الارادة

والمتفلسفة نفوا الاختصاص حتى اثبتوا وجودا مطلقا مجردا ثم اثبتوا له من اللوازم ما يوجب الاختصاص مثل كونه وجودا واجبا وذلك يميزه عن الوجود الممكن وجعلوه عاقلا ومعقولا وعقلا وعاشقا ومعشوقا وعشقا وملتذا ومتلذا به وأنواع ذلك مما يوجب اختصاصه بهذه الامور عمن ليس هو موصوفا بها من الجمادات

وقالوا صدر عنه العالم المختص بما له من الصفات والاقدار من غير موجب للتخصيص فهل في الوجود أعظم من هذا التناقض

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٣/٣٦٢

". (١)

"

فيقال ليس العلم بفساد هذا بأظهر من العلم بفساد قول من قال إنه موجود قائم بنفسه فاعل لجميع العالم وأنه مع ذلك لا داخل في العالم ولا خارج عنه ولا حال فيه ولا مباين له لا سيما إذا قيل مع ذلك إنه حي عالم قادر وقيل مع ذلك ليس له حياة ولا علم ولا قدرة أو قيل هو عاقل ومعقول وعقل وعاشق ومعشوق وعشق وأن العلم والحب نفس العالم المحب ونفس الحب هو نفس العلم أو قيل مع ذلك إنه حي بحياة عليم بعلم قدير بقدرة سميع بسمع بصير ببصر متكلم بكلام وقيل مع ذلك إنه لا داخل في مخلوقاته ولا خارج عنها ولا حال فيها ولا مباين لها وأن إرادته لهذا المراد هو إرادته لهذا المراد ونفس رؤيته لهذا هو نفس رؤيته لهذا ونفس علمه بهذا هونفس علمه بهذا وأن الكلام معنى واحد بالعين فمعنى أية الكرسى وآية الدين وسائرالقرآن والتوارة والإنجيل وسائر ما تلكم به هو شيء واحد فإن كانت هذه الأقوال مما يمكن صحتها في العقل فصحة قول من قال هو فوق العرش وليس بجسم أو هو جسم وليس بمنقسم أقرب إلى العقل

وإن قيل بل هذا القول باطل في العقل فيقال تلك أبطل في العقل ومتى بطلت تلك صح هذا وإذا قيل النافي لإمكان تلك الأمور هو الوهم (لا العقل)

". (٢)

"قولكم إن العلة تنقسم إلى واجب وممكن وقديم ومحدث وتقولون إن له عناية مع أن لفظ العناية يقال على صفات العباد وتقولون إنه مبدأ ومبدع ونحو ذلك من العبارات التي تسمون بها غيره فإنكم تطلقون اسم المبادئ على العقول وتطلقون الإبداع على العقول وتقولون إن كل عقل أبدع ما دونه والعقل العاشر أبدع ما تحت فلك القمر وتقولون إنه موجب بالذات مع أن لفظ الإيجاب يطلق على غيره

ويقولون إنه عاشق ومعشوق وعشق مع أن لفظ العشق فيه من التشبيه واحتمال النقص ما لا يخفي على عاقل وليس في الكتب الإلهية تسميته بعقل ولا عاشق ولا معقول ولا معشوق

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٣/٣٧١

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٤/٢١٠

ويقولون أيضا إنه يلتذ ويبتهج ولفظ اللذة فيها من التشبيه واحتمال النقص ما لا يخفى على عاقل ويقولون إنه مدرك وأن اللذة أفضل إدراك لأفضل مدرك فيسمونه مدركا ومدركا

ثم أعجب من هذا كله أنكم تقولون الفلسفة هي التشبه بالإله على قدر الطاقة ومن هنا دخل من وافقكم في إثبات تشبه العبد بالرب في الذات والصفات والأفعال كصاحب الكتب المضنون بها على غير أهلها ومن مشى خلفه من القائلين بالوحدة المطلقة

". (١)

"

والتركيب الذي يعنيه هؤلاء أعم من التركيب الذي يعنيه أولئك فإن هؤلاء يزعمون أن هنا خمسة أنواع من التركيب يجب نفيها عن الواجب فيقولون ليس له حقيقة سوى الوجود المطلق إذ لو كان له حقيقة سوى ذلك لكان مركبا من تلك الحقيقة

والوجود يثبتونه وجودا مطلقا بشرط الإطلاق أو بشرط النفي أو لا بشرط مع علم كل عاقل أن هذا لا يكون إلا في الأذهان لا في الأعيان ويقولون ليس له صفة ثبوتية لا علم ولا قدرة إذ لو كان كذلك لكان مركبا من ذات وصفات

ثم يقولون هو عاقل ومعقول وعقل وعاشق ومعشوق وعشق وهو ملتذ ومبتهج وملتذ به مبتهج به وذلك كله شيء واحد فيجعلون الصفة هي الموصوف وهذه الصفة هي الأخرى

ومعلوم أن هذا أكثر تناقضا من قول النصارى ويقولون لا يدخل هو وغيره تحت عموم لئلا يكون مركبا من صفة عامة وخاصة كتركيب النوع من الجنس والفصل أو من الخاصة والعرض العام مع أنهم يقولون الموجود ينقسم إلى واجب وممكن والواجب يتميز عن الممكن بما يختص به ويقولون ليس فوق العالم لأنه لو كان كذلك لكان له جانبان فيكون جسما مركبا من الأجزاء المفردة أو المادة والصورة

ثم أتباع هذه الطوائف يحدثون من الحجج العقلية على قول متبوعهم

". (٢)

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٥/٨٢

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٥/٢٤٧

"باليقين البرهاني أو الساكن النفس إلى العقد الإيماني من الرغبة في اعتلاق العروة الوثقى فيتحرك سره إلى القدس لينال من روح الاتصال فما دامت درجته هذه فهو مريد ثم إنه يحتاج إلى الرياضة والرياضة موجهة إلى ثلاثة أغراض الأولى تنحية ما سوى الحق عن مستن الآثار والثاني تطويع النفس الأمارة للنفس المطمئنة لتنجذب قوى التخيل والتوهم إلى التوهمات المناسبة للأمر القدسي منصرفة عن التوهمات المناسبة للأمر السفلي والثالث تلطيف السر للتنبيه

والأول يعين عليه الزهد والثاني يعين عليه العبادة المشفوعة بالفكر ثم الألحان المستخدمة لقوى النفس الموقعة لما يلحن بها من الكلام موقع القبول في الأوهام والثالث يعين عليه الفكر اللطيف **والعشق** العفيف

". (١)

"إلى التوهمات المناسبة للأمر القدسي منصرفة عن التوهمات المناسبة للأمر السفلي والثالث تلطيف السر للتنبه والأول يعين عليه الزهد الحقيقي والثاني تعين عليه أشياء العبادة المشفوعة بالفكرة ثم الألحان المستخدمة لقوى النفس الموقعة لما يلحن بها من الكلام موقع القبول من الأوهام والثالث نفس الكلام الواعظ من قائل زكى بعبارة بليغة ونغمة رخيمة وسمت رشيد وأما الغرض الثالث فيعين عليه الفكر اللطيف **والعشق** العفيف الذي تأمر فيه شمائل المعشوق ليس سلطان الشهوة

فيقال قد ذكر أن المريد يحتاج في الرياضة التي تسمى السلوك إلى ثلاثة أشياء متعلقة بالقصد والعمل والعلم

أما القصد فأن لا يقصد إلا الحق فينحى ما سواه عن طريق القصد فلا يقصد إلا إياه وهذا حق لكن لا يكون إلا على دين المرسلين وأما إرادة الله ومحبته دون ما سواه فليس هو طريق هؤلاء المتفلسفة بل هو ممتنع على أصولهم الفاسدة وليس زهدهم زهد الأنبياء ولكن زهدهم للتوفر على مطلوبهم الذي يرونه كمالا لا على عبادة الله

". (٢)

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٦/٤١

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٦/٧٩

"ما من طائفة من طوائف الضلال وإن كثرت إلا وهي مجتمعة على جحد بعض العلوم الضرورية

الوجه الثالث أن يقال ما من طائفة من طوائف الكلام والفلسفة إلا وجمهور الناس يقولون إنهم حجدوا العلوم الضرورية

فالقائلون بأن الممكن قد يترجح أحد طرفيه بلا مرجح من القادر أو غيره يقول جمهور العقلاء إنهم حجدوا العلوم الضرورية

والقائلون بأن الأجسام لا تبقى والأعراض لا تبقى يقول جمهور الناس إنهم جحدوا العلوم الضرورية

والقائلون بأن الأصوات المتعاقبة تكون قديمة أزلية الأعيان باقية وأن الأصوات المسموعة من الآدميين هي قديمة يقول جمهور العقلاء إنهم خالفوا العلم الضروري

والقائلون بأن الكلام هو معنى واحد هو الأمر بكل ما أمر به والخبر عن كل ما أخبر به وأنه إن عبر عنه بالعربية كان هو القرآن وإن عبر عنه بالعبرية كان هو التوراة يقول جمهور العقلاء إنهم حجدوا العلم الضروري

والقائلون بأن العالم هو العلم والمعلوم والعاقل هو العقل والمعقول والعاشق هو **العشق** والمعشوق واللذة هي الملتذ والعلم هو القدرة والقدرة هي الإرادة يقول جمهور العقلاء إنهم خالفوا العلوم الضرورية

." (١)

" فصل

وأما الوجه الثالث فقوله إن الخيال والوهم لا يمكنهما أن يستحضرا لأنفسهما صورة وشكلا ولا للقوة الباصرة وغيرها من القوى

فهذه الحجة من جنس حجة ابن سينا على ذلك فإنه قال في إشاراته في الحجة الثانية لو كان كل موجود بحيث يدخل في الوهم والحس لكان الحس والوهم يدخل في الحس والوهم ولكان العقل الذي هو الحكم الحق يدخل في الوهم ومن بعد هذه الأصول فليس شيء من **العشق** والخجل والوجل والغضب والشجاعة والجبن مما يدخل في الحس والوهم وهي من علائق الأمور المحسوسة فما ظنك بموجودات إن كانت خارجة الذوات عن درجة المحسوسات وعلائقها

وجواب ذلك من وجوه

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٢٦٨/٦

أحدهما أن يقال الوهم والخيال والقوة الباصرة وغير ذلك من

". (١)

"القوى هي من باب الأعراض الباطنة في الإنسان وكذلك **العشق** والخجل والوجل ونحوها

ومن المعلوم أن أحدا لم يقل إن كل عرض له شكل وصورة وأنما غاية من يقول ذلك أن يقوله في الجسم القائم بنفسه لا في العرض بل الأعراض الظاهرة المشهودة كالألوان والحركات والطعوم والروائح ليس لها في أنفسها شكل وصورة قائمة بنفسها فكيف بالأعراض الباطنة

فإن قال بل هذه لها صورة وشكل إما باعتبار محلها وصورتها وشكلها بحسب الجسم الذي قامت به أو بجعل نفس العرض القائم بالجسم له صورة وشكل

يقال وهذا يمكن أن يقال في الأعراض الباطنة القائمة بباطن الإنسان كحسه الباطن وتوهمه وتخيله القائم بدماغه ونفسه ونحو ذلك فإن هذه أعراض قائمة ببعض بدن الإنسان وبروحه التي هي النفس الناطقة أو بهما وذلك جسم له شكل وصورة فلها من الشكل والصورة من جنس ما للطعم واللون والحركات

الوجه الثاني أن هذه الأمور إما أن تكون قائمة بنفسها وإما أن تكون قائمة بغيرها فإن قال هي قائمة بنفسها مثل أن يريد

". (٢)

"الرابع أن يقال قول القائل إن الوهم والخيال والقوة الباصرة وغيرها من القوى **والعشق** والخجل والوجل والغضب والشجاعة لا تدخل في الحس والوهم والخيال إما أن يعنى به لا يمكن الإنسان أن يحس هذه الأمور أو لا يمكن الإحساس بها بحال

فإن أراد الأول لم يكن فيه حجة

وإن أراد الثاني منعه المنازع وقال بل هذا مما يمكن الإحساس به وطالبه بالدليل على أنه لا يمكن الإحساس به

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٢٧٧/٦

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٢٧٨/٦

الوجه الخامس أن يقال حكم الإنسان بأن هذه الأعراض والقوى أو النفس الحاملة لها لا يتصور أن تحس بها أضعف من حكمه بأن كل موجودين فلا بد أن يكون أحدهما مباينا للآخر أو محايثا له وبأن كل موجود قائم بنفسه مشار إليه ونحو ذلك

بل يقال بأن العاقل إذا رجع إلى فطرته وقيل له هل يمكن أن يخلق الله في الإنسان قوة يحس بها إما بالمشاهدة وإما باللمس وإما بغير ذلك ما في باطن غيره من القوى والأعراض ومحل ذلك وعرض على فطرته وجود موجود لا داخل العالم ولا خارجه كان جزمه بامتناع هذا أقوى من جزمه بامتناع الأول

فإذا كان كذلك لم يمكن أن يجزم بامتناع الأول ويجعل امتناعه دليلا على إمكان الثاني

". (١)

"

وكذلك إن عني به أنه مركب من المادة والصورة كما يقول بعض الفلاسفة فأكثر العقلاء ينكرون ذلك والصواب قول من ينكر ذلك كما هو مذكور في غير هذا الموضع وبتقدير تسليمه ينازع من سلمه في صحة المقدمة الثانية ويمنع صحة انتفاء اللازم

وإن أردت به المعنى الثالث وهو أنه يتميز منه شيء عن شيء

فيقال لك هذا القول لازم لجميع الخلائق أما الصفاتية فإنهم يثبتون العلم والقدرة والإرادة والكلام ومن المعلوم أن هذه معاني متميزة في أنفسها ليس كل واحد منها هو الآخر وأما غيرهم فيعلمون الفرق بين كونه عالما وكونه قادرا وكونه حيا ونحو ذلك والمتفلسفة يعلمون الفرق بين كونه موجودا وكونه واجبا وكونه عاقلا وعقلا وعاشقا وعشقا ولذيدا وملتذا ونحو ذلك ففي الجملة لزوم مثل هذه المعاني المتعددة المتكثرة لازم لجميع الخلائق وهذه مسألة الصفات

فإذا قال النفاة عندنا العلم هو الإرادة والإرادة هي القدرة والوجوب هو الوجود ونحو ذلك

كان لهم جوابان أحدهما أن يقال هذا معلوم الفساد بالضرورة كما تقدم ولا يرتاب عاقل في فساد مثل هذا بعد تصوره

والثاني أن يقال إذا جاز لكم أن تثبتوا معاني متعددة ومتغايرة في الأحكام واللوازم والأسماء ليس التغاير بينها تغاير العموم والخصوص كاللون والسواد وتقولون إنه لا تعدد فيها ولا كثرة ولا انقسام جاز

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٦/٢٨١

". (١)

"

واما قولهم لا يجوز أن تكون معرفتنا به واقعة بالخبر لان الخبر إنما يفضي إلى المعرفة إذا اخبر به خلق كثير عن مشاهدة وليس أحد يخبر بالله عن مشاهدة

فهذا مما ينازعهم فيه المنازعون ويقولون ليس من شرط اهل التواتر أن يخبروا عن مشاهدة بل إذا اخبروا عن علم ضروري حصل العلم بمخبر اخبارهم وان لم يكن المخبر به مشاهدا

والمعرفة بالله قد تقع ضرورة واذا كان كذلك امكن المعرفة بتصديق إخبار المخبرين عن المعرفة الحاصلة ضرورة إلا ترى أن ما يخبر به الناس عن أنفسهم من لذة الجماع وكثير من المطاعم والمشارب بل ولذة العلم والعبادة والرئاسة وحال السكر **والعشق** وغير ذلك من الأمور الباطنة تحصل المعرفة بوجودها بالتواتر لمن لم يجدها من نفسه ولا عرفها بالضرورة في باطنه وليست امرا مشاهدا بل اطباق الناس على وصف رجل بالعلم أو العدل أو الشجاعة أو الكرم أو المكر أو الدهاء أو غير ذلك من الأمور النفسانية التي لا تعلم بمجرد المشاهدة يوجب العلم بذلك لمن تواترت هذه الأخبار عنده وان لم يكن المخبرون اخبروا عن مشاهدة وكذلك الأخبار عن ظلم الظالمين

". (٢)

"واحد ومع هذا فحجتك على ابطال قولهم قد عرف ضعفها ولكن الفرق بين هؤلاء وهؤلاء أن هؤلاء يجعلون الصانع اكثر من واحد فيقولون بالتعدد في الصانع وأولئك إذا اثبتوا اصلا وطينة غير معلولة فلا يجعلونها فاعلة صانعة بل قابلة للفاعل فهؤلاء يقولون أن الفاعل للعالم واجب بنفسه وهؤلاء يدخل فيهم من قال بقولهم كابن زكريا المتطبب حيث قالوا القدماء خمسة وسبب حدوث العالم **عشق** النفس للهيولي فإن هؤلاء يقولون بقدم مادة العالم ومكانه وزمانه والنفس

وكان ابن سينا ذكر هذا القول وذكر قول المجوس الذين يقولون بقدم النور والظلمة فهذان القولان متشابهان من بعض الوجوه فإن هذا يقول سبب حدوث العالم اختلاط النور والظلمة وهذا يقول سببه **عشق**

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٢٩٣/٦

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٤٣/٨

النفس للهيولي ثم ذكر قول المتكلمين وقول اصحابه فلم يذكر إلا هذه الأقوال الاربعة واما قول ائمة الفلاسفة واساطينهم القدماء فلم يذكره كما لم يذكر قول الأنبياء وسلف الأمة

وحينئذ فيقال مذهب جمهور الفلاسفة أن اصل العالم معلول عن الواجب بنفسه والعالم مع ذلك محدث الصورة فهؤلاء لا يقولون بتعدد الواجب ولا يقولون بقدم العالم ولا يقولون بأن طينته غير

". (١)

"تذكروا على هذا دليلا ويقال لكم لم لا يجوز أن يكون هو المراد المحبوب فيكون محبا لنفسه فهو المحب وهو المحبوب أو يكون مريدا محتاجا لما هو مفعول له فيكون هو الفاعل لما هو مراده فلا يكون في ذلك احتياجه إلى غيره

وأنتم تقولون ما هو موجود في كتبكم إن الأول عاشق ومعشوق **وعشق** ولذيذ وملتذ ومبتهج ومبتهج به فإذا جاز عندكم أن يكون محبا محبوبا مريدا مرادا فلم لا يجوز أن يكون إذا فعل بالمحبة والإرادة هو المحبوب المراد

وعلى اصطلاحكم هو العاشق المعشوق وعلى هذا التقدير يبطل أصلا كلامكم ويمكن وصفه بصفات الكمال وبالأفعال الكاملة الإرادية التي لا يفتقر فيها إلى غيره ولا يكون فيه نقص يحتاج فيه إلى تمام من خارج

الوجه الموفي عشرين أنكم تقولون إن العالي لا يفعل لأجل السافل وإن حركة الفلك الإرادية لا يجوز أن تكون لأجل السفليات لكن لزم حصول ما حصل عن حركته الإرادية بالقصد الثاني وإنما مقصوده بحركته الإرادية التشبه بمحبوبه الأعلى وإذا كان الأمر كذلك فلم لا يجوز أن يكون الأول هو المريد والمراد والمحبوب والمحب وهو لا يريد شيئا لأجل شيء سواه ولكن محبته لنفسه وإرادته لها استلزم وجود المفعولات كما قلتموه فيما صدر عن الأفلاك

وإذا قيل هو فاعل باختياره وإرادته فعلا يستلزم وجود المعلولات كان كما قلتم مثل ذلك في حركة الفلك فهذا القول جاز على

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٢٥٢/٨

". (١)

"أصولكم وهو أحق بالجواز إن كانت أصولكم صحيحة مما قلتموه فيه من وصفه بغاية النقص فإذا وصفتموه بهذا كنتم قد وصفتموه بصفات الكمال مع رعاية أصولكم التي اعتقدتم صحتها ولم يكن في هذا محذور إلا كان في نفيه من المحذور ما هو أعظم منه

الوجه الواحد والعشرون أن يقال قولكم فجوهرها ليس فيه شوق إلى شيء ولا منافرة لشيء مضمونه أنها لا تحب شيئا ولا تبغضه فلم قلتم ذلك

فإن قلتم إن المحب المبغض لا يحب إلا ما يحتاج إليه غيره ولا يبغض إلا ما يحتاج إلى دفعه عن نفسه

قيل لكم ولم قلتم ذلك والفلك عندكم يحب بل يعشق وإذا كان يحب شيئا فإنه يبغض زواله ومع هذا فهو عندكم لا يخاف من شيء منفصل ولا يحتاج إلى دفع ضرر عن نفسه بل ولا يجوز عليه الفساد والانحلال وهو مع هذا عاشق محب طالب مشتاق فلا يلزم من كونه مشتاقا أن يكون من يعرض له أمر يحتاج إلى استدفاعه وأما كون الحب يوجب أن يكون فوقه جوهر آخر يقتبس منه فهذا إنما يلزم إذا لم يكن قادرا على حصول محبوبه فأما إذا قدر أنه ليس في ذلك حاجة إلى ما هو غني عنه لم يكن في ذلك محذور

الوجه الثاني والعشرون أن يقال قولكم فجوهرها إذن ليس فيه شوق إلى شيء ولا منافرة لشيء ولا قبول لتغيير ولا لحدوث

". (٢)

"

ويقال لهم ثانيا لم لا يجوز أن يكون مفعولها المحتاج إليها هو الداعي الجاذب وليس في هذا افتقار إلى ما هو مستغن عنها وأنتم لم تقيموا دليلا على انتفاء ذلك

ويقال لهم ثالثا لم لا يجوز أن يكون هو المبدأ لما يفعله والداعي منه لا من غيره وهو المحب لنفسه وقد ذكر أئمتكم في كتبهم أنه عاشق ومعشوق وعشق ولذيذ وملتذ به

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٩/٣١٠

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٩/٣١١

قال وبالجملة فكل ما كان له هو بالطبع على الجهة الطبيعية التي يمحوها فإنه يلزم أن يوجد في جوهره شوق بالطبع إلى حال لا تملكها إرادته والمشتاق معلول من جهة شوقه للشيء المشوق إليه والشيء المشوق إليه مبدأ له في ذلك الشوق ومن جهة أي هو له علة تمامية من جهة من الجهات وليس يليق هذا الأمر ألبتة بالمبدأ الأول ولكنه مبدأ لكل طبيعة ولكل شوق ولكل حركة

فيقال له الكلام على هذا من وجوه

الأول قولكم إن الأول مبدأ لكل طبيعة وكل شوق وكل حركة كلام مناقض لما ذكرتموه فإنكم لم تجعلوه إلا محبوبا فقط لا فاعلا مبدعا ولا علة فاعلة ومجرد كون الشيء محبوبا لا يوجب أن يفعل شيئا في غيره وقد علم الفرق بين العلة الفاعلة والغائية

والثاني قولكم إن المشتاق إليه علة للمشتاق فيقال لكم ولم يمتنع أن يكون محبا لنفسه فهو المحب المحبوب

". (١)

"وأمثاله الذين اتبعوا قول طائفة من الملاحدة الفلاسفة القائلين بالقدماء الخمسة التي هي واجب الوجود والنفس والهيولى والدهر والخلاء وأن سبب حدوث العالم أن النفس تعلقت بالهيولى فلم يمكن واجب الوجود أن يخلصها منها حتى تمتزج بالعالم فتذوق ما فيه من الشرور

وسبب قوله هذا القول أنه كان يقول بحدوث العالم وطولب بسبب حدوثه فأثبت نوعا من الحركات سماها الحركة الفلتية وشبهها بالريح والصوت الذي يخرج من الإنسان بغير اختياره وجعل **عشق** ا لنفس للهيولى من هذا الباب وظهر للناس جهله في إلحاده فإن هذه الحركة على أي وجه كانت حادثة بعد أن لم تكن فيسأل عن سبب حدوثها كما يسأل عن سبب حدوث حركة أخرى فلم يتخلص بهذا الجهل من السؤال

والمقصود أن كثيرا من أهل الشرك والضلال قد يضيف وجود بعض الممكنات أو حدوث بعض الحوادث إلى غير الله وكل من قال هذا لزمه حدوث الحادث بلا سبب وهم مع شركهم وما يلزمهم من نوع تعطيل في الربوبية لا يثبتون مع الله شريكا مساويا له في أفعاله ولا في صفاته

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٩/٣١٨

(١) ".

"والمعلوم **والعشق** والعاشق والمعشوق والعقل والعاقل والمعقول شيء واحد فقولكم أشد نفيا وتناقضا من قولهم وهم إلى إطلاق القول بأن معنى القرآن قديم ولفظه مخلوق أقرب منكم فما في قولهم من باطل إلا وفي قولكم أفسد منه ولا في قولكم حق إلا وفي قولهم أكمل منه

قال ابن رشد واما صفة السمع والبصر فإنما أثبتهما الشرع لله تبارك وتعالى من قبل أن السمع والبصر يختصان بمعان مدركة في الموجودات ليس يدركها العقل ولما كان الصانع من شرطه أن يكون مدركا لكل ما في المصنوع وجب أن يكون له هذان الإدراكان فواجب أن يكون عالما بمدركات البصر وعالما بمدركات السمع إذ هي مصنوعات له وهذه كلها منبهة على وجودها للخالق سبحانه في الشرع من جهة تنبيهه على وجوب العلم له

وبالجملة فما يدل عليه اسم الإله واسم المعبود يقتضي أن يكون مدركا لجميع الإدراكات لأنه من العبث أن يعبد الإنسان ما لا يدرك أنه عابد له

(٢) ".

"والتأخر بالزمان بعد أن ذكر التقدم والتأخر بالمكان فإن المكان دخل في السماوات والأرض والمشرق والمغرب وذكر موسى خلق الإنسان بعد أن ذكر الخلق العام

كما في قوله ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق ﴾ سورة العلق ١ ٢ وكما في قوله تعالى ﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ﴾ سورة فصلت ٥٣

فإذا كان المسئول عنه بما هو لا بد أن تكون له ذات هي ماهيته كان الجواب عنها بما يمكن من التعريف فإن أمكن أن يعرف بعينه قيل هذا هو أو هو فلان بن فلان ونحو ذلك مما يميزه عند السائل ويوجب معرفته بعينه بالإحساس لكن معرفة عينه لم تحصل هنا بمجرد كلام المتكلم بل بالإحساس به وإن لم يمكن معرفته بعينه عرف بنظيره ولا يكون له نظير من كل وجه فإنه لو كان له نظير من كل وجه لم يكن المجهول إلا عينه وإذا كان المطلوب معرفة عينه لم يحصل الجواب بالنظير وإنما يعرف بالنظير نوعه فلا

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٣٤٧/٩

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٢٢٤/١٠

يجاب بالنظير إلا إذا كان السؤال عن معرفة نوعه وحينئذ فتحصل المعرفة به بحسب مماثلة ذلك النظير له لأجل القدر المشترك المشترك الذي بين المتماثلين

كمن سئل عن الخمر فقال شراب مسكر فلا بد أن يكون السائل يعرف الشرب ويعرف السكر ولكن لم يعرف نوع سكر الخمر بل عرف مثلا سكر الغضب **والعشق** والحزن وعرف زوال العقل

. " (١)

"بالجنون والبنج فلو سأل عن السكر قيل له لذة مع زوال الحزن فقولنا لذة يخرج سكر الغضب والحزن فإنه ألم بخلاف سكر **العشق** ولكن ليس هذا مثل هذا فلا يمكن تعريفه ذلك إلا بالقدر المشترك بين هذه اللذة وسائر اللذات وبالقدر المشترك بين زوال العقل بهذا السبب وغيره من الأسباب ثم إذا انضم إلى ذلك أنه شراب يميز المسئول عنه عن غيره

ولهذا كان حقيقة الأمر أن الحدود المقولة في جواب ما هو إنما يحصل بها التمييز بين المحدود وغيره وأما نفس تصور حقيقته فذاك لا يحصل بالقول والكلام لا على وجه التحديد ولا غيره بل بإدراك النفس المحدودة

فالسائل إذا سأل عن الرب ما هو أمكن أن يجاب بأجوبة تميزه عما سواه سبحانه بحيث لا يشركه غيره في الجواب ويمكن أن يذكر من الأمور المشتركة بحسب إدراك السائل ما يحصل به من المعرفة ما يشاء الله

وأما معرفة كنه الذات فذاك لايمكن بمجرد الكلام ليس لأنه لا كنه لها لكن لأن تعريف كنه الأمور لا يمكن بمجرد العبارات

فإذا قيل هو نور لم يمنع هذا أن تكون حقيقته نورا كما إذا قيل هو وحي أو عالم أو قادر أو موجود لكن ليس هو مثل شيء من الأنوار المخلوقة كما أنه ليس مثل شيء من الأحياء العالمين المخلوقين ولا شيء من الموجودات المخلوقة

. " (٢)

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٢٧٥/١٠

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٢٧٦/١٠

" الوجه السادس أن يقال له هذا الحد الذي ذكرته في الجود حين قلت إن من جاد ليشرف وليحمد وليحسن به ما يفعل فهو مستعيض غير جواد فهذا التفسير عمن نقلته ومن ذكره من أهل التفسير للنصوص أو من أهل اللغة العربية بل من سائر لغات الأمم وإن كان ذلك لا ينفعه إن لم يبين معنى هذا اللفظ العربي في لغة العرب ومن المعلوم أن هذا لم يقله أحد من أهل العلم بالنصوص الشرعية واللغة العربية فصار ذلك افتراءا على النصوص واللغة

الوجه السابع أن يقال اسم الجواد يقال على كثير من المخلوقين مع انتفاء هذه المعاني عنهم فلو كان هذا المعنى داخلا في هذه الاسم لم يصح إطلاقه على مخلوق إلا مجازا أو بطريق الاشتراك وكلاهما مع كونه خلاف الأصل إنما يكون إذا ثبت استعمال اللفظ في المعنى مجردا فكيف وأصل الاستعمال منتف

الوجه الثامن أن يقال المعروف في الشرع واللغة والعقل أن الذي يفعل أو يفيد ما ينبغي لا لمقصود أصلا عابث وإن كان لا لمقصود يعود إلى نفسه فهو سفيه أو جاهل وكلاهما مذموم في الشرع والعقل بل يستحق في الشرع أن يحجر عليه وهو من أسو المبذرين حالا فإن من المبذرين من يبذل المال لأغراض محرمة وإن كان فيها ما هو مقصود له فأما من يبذل ما ينبغي لا لمقصود أصلا فهذا إن كان موجودا فهو مذموم واسم الجود في الشرع واللغة والعقل اسم مدح فيستحيل أن يفسر بما لا يكون عند الناس إلا مذموما

بل يقال في الوجه التاسع هذا المسمى لا يعرف وجوده أصلا فليس في الموجودات ما يفيد وينفع لا لمقصود أصلا حتى الحركات الطبيعية لحركتها منتهى ومستقر هو منتهى ميلها ويسمى ميلها إرادة وقد جعلوهم عشقا لذاك الكمال وإذا ." (١)

" والأدوية والأبنية واللباس من أجزائها ومعلوم نفي هذا التركيب عن الله ولا نعلم عاقلا يقول أن الله تعالى مركب بهذا الاعتبار وكذلك التركيب بمعنى أنه مركب من الجواهر المنفردة أو من المادة والصورة وهو التركيب الجسمي وهذا أيضا منتف عن الله تعالى والذين قالوا أن الله جسم قد يقول بعضهم أنه مركب هذا التركيب وإن كان كثير منهم بل أكثرهم ينفون ذلك ويقولون إنما نعني بكونه جسما أنه موجود أو قائم بنفسه وأنه يشار إليه أو نحو ذلك لكن بالجملة هذا التركيب وهذا التجسيم يجب تنزيه الرب عنه

وأما كونه سبحانه ذاتا مستلزمة لصفات الكمال له علم وقدرة وحياة فهذا لا يسمى مركبا فيما يعرف من اللغات وإذا سمى هذا مركبا لم يكن النزاع معه في اللفظ بل في المعنى العقلي ومعلوم أنه لا دليل على

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ١/١٩١

نفي هذا كما قد بسط في موضعه بل الدلالة العقلية توجب إثباته ولهذا كان جميع العقلاء مضطرين إلى إثبات معن متعددة لله تعالى فالمعتزلي يسلم أنه حي عالم قادر ومعلوم أن كونه حيا ليس هو معنى كونه عالما ومعنى كونه عالما ليس معنى كونه قادرا والمتفلسف يقول إنه عاقل ومعقول وعقل ولذيذ ومتلذ ولذة وعاشق ومعشوق **وعشق** ومعلوم بصريح العقل أن كونه يحب ليس كونه محبوبا وكونه معلوما ليس معنى كونه عالما ومعنى كونه قادرا مؤثرا فاعلا وذلك هو نفس ذاته فيجعل العلم هو القدرة وهو الفعل وتجعل القدرة هي القادر والعلم هو العالم والفعل هو الفاعل وهذه الأقوال صريح العقل ومجرد تصورها التام يكفي في العلم بفسادها وليس فرارهم إلا من معنى التركيب وليس معهم قط حجة على نفي مسمى التركيب بجميع هذه المعاني بل عمدتهم أن المركب مفتقر إلى أجزائه وأجزاؤه غيره والمفتقر إلى غيره لا يكون واجبا بنفسه بل يكون معلوما وهذه الحجة ألفاظها كلها مجملة فلفظ الواجب بنفسه يراد به الذي لا فاعل له ." (١)

"قال ابن القيم رحمه الله: وأما من حصل له الشفاء باستعمال دواء رأى من وصفه له في منامه فكثير جدا، وقد حدثني غير واحد ممن كان غير مائل إلى شيخ الإسلام ابن تيمية أنه رآه بعد موته وسأله عن شيء كان يشكل عليه من مسائل الفرائض وغيرها فأجابه بالصواب(١).

قال ابن القيم رحمه الله(٢): وأما الفلاسفة المشاءون فقالوا: هو

اتفاق أخلاق وتشاكل محبات وتجانسها وشوق كل نفس إلى ما شاكلها وجانسها في الخلقة القديمة قبل إهباطها إلى الأجساد.

[حدوث النفس مع البدن لا قبله]

قلت: هذا مبني على قولهم الفاسد بتقدم النفوس على الأبدان، وعليه بنى ابن سينا قصيدته المشهورة:

هبطت إليك من المحل الأرفع

وسمعت شيخنا يحكي عن بعض فضلاء المغاربة -وهو جمال الدين بن الشريشي شارح المقامات- أنه كان ينكر أن تكون هذه له. قال: وهي مخالفة لما قرره في كتبه من أن حدوث النفس الناطقة مع البدن(٣).

فصل

[الاختلاف في مسمى الإنسان: هل هو الجسد أو الروح أو هما؟]

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ١/٥٠٧

قد ذكرت في غير هذا الموضع أن الناس اختلفوا في مسمى الإنسان: هل هو الجسد؟ وهو الجملة المشاهدة كما يقوله أكثر أهل الكلام من أصحابنا وغيرهم، أو هو اسم لما وراء هذه الجملة وهو الروح كما قاله كثير من أهل الفلسفة وطائفة من أهل الكلام؟ أو هو اسم للمجموع؟ على ثلاثة أقوال. والثالث هو الصواب الذي دل عليه الكتاب والسنة وجمهور الناس، وإن كان الاسم عند التقييد يتناول الجسد فقط، أو الروح فقط أو أحدهما بشرط الآخر فيكون الآخر شرطا تارة، كما كان شطرا في الأصل.

وكذلك اختلفوا في وصفه الظاهر وهو النطق المذكور في قوله: ﴿ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ ﴾ [٥١/٢٣] هل هو

---

(١) كتاب الروح ص٣٤ وللفهارس العامة جـ١/٤٦.

(٢) في ذكر تعريف **العشق**.

(٣) روضة المحبين ص١٤٠ وللفهارس العامة جـ١/٤٦.." (١)

"وسمعت شيخنا يقول: وقع النزاع في هذه المسألة بين بعض الفضلاء فاختار هذا المذهب ووهن غيره، فأنكر عليه فأحضر لهم خمسة عشر نقلا به؛ إلى أن قال ابن القيم: وتوسطت طائفة ثالثة، وقالوا: قد زيد فيها وغير ألفاظا يسيرة؛ ولكن أكثرها باق على ما أنزل عليه، وممن اختار هذا القول شيخنا في كتابه «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» قال: وهذا كما في التوراة عندهم أن الله تعالى قال لإبراهيم عليه السلام: «اذبح ولدك بكرك ووحيدك إسحاق» فإسحاق زيادة منهم في لفظ التوراة(١).

سورة الأنعام

﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴾ [٦/٥٣] سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية -قدس الله روحه- يقول: هم الذين يعرفون قدر نعمة الإيمان ويشكرون الله عليها(٢).

سورة الأعراف

﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [٧/٣٣-٢٨].

---

(١) المستدرك على فتاوى ابن تيمية. جمع: ابن قاسم، ص/٨٢

قال شيخنا: وفي هذا الوصف نصيب كبير لكثير من المنتسبين إلى القبلة: من الصوفية، والعباد، والأمراء، والأجناد، والمتفلسفة، والمتكلمين، والعامة وغيرهم، يستحلون من الفواحش ما حرم الله ورسوله ظانين أن الله أباحه أو تقليدا لأسلافهم(٣)(٤).

سورة الأنفال



---

(١) إغاثة اللهفان جـ٤/٣٥٣-٣٥٥ وللفهارس العامة جـ١/٢٧٤ و جـ٢/٥٠٠.

(٢) مدارج جـ٢/٤٨١ وللفهارس العامة جـ١/٢٨١.

(٣) إغاثة اللهفان جـ٢/١٥٦ وبعد هذه العبارة: وأصله **العشق** الذي يبغضه الله ورسوله إلى آخره ص١٥٦، وص١٥٧، ١٥٨- الكلام متصل. ويحتمل أنه من كلام شيخ الإسلام أو شرح له من كلام ابن القيم فليراجعه من أراده هناك.

(٤) الفهارس العامة جـ١/٢٨٣.." [١]

"ص -١٤- النفاة للصفات ومن أشبههم فإنهم قالوا إن رب العالمين عقل وعاقل ومعقول.

ولفظ العقل عندهم وإن كانوا يقولون هو جوهر قائم بنفسه فقد صرحوا أيضا بأنه نفسه علمه حتى صرحوا بأن رب العالمين علم كما صرح بذلك ابن رشد وغيره ونقلوه عن أرسطو وأن العقول العشرة كل منها علم فهو علم وعالم ومعلوم بل قالوا عقل وعاقل ومعقول وعاشق ومعشوق **وعشق** ولذيذ وملتذ ولذة فجعلوه نفسه لذة وعقلا **وعشقا** وجعلوا ذلك هو العالم العاشق الملتذ وجعلوا نفس العلم نفس **العشق** ونفس اللذة فجعلوه نفسه صفات وجعلوه ذاتا قائمة بنفسها وجعلوا كل صفة هي الأخرى وهذا مما يعلم بصريح العقل بطلانه.

ومنهم من لا يصرح بأنه نفسه علم فإنه يقول هو عاقل ومعقول وعقل يقول إنه يعلم نفسه بلا علم علمه بل هو العالم وهو المعلوم وهو العلم وحقيقة كلامهم تعود إلى قول أولئك فإنهم إذا قالوا إن العلم الذي يعلم به

---

(١) المستدرك على فتاوى ابن تيمية. جمع: ابن قاسم، ص/١٥١

ذاته هو العالم وهو المعلوم فقد جعلوا نفس العلم نفس العالم ونفس العلم نفس المعلوم وهي حقيقة قول أولئك وهذه الأمور مبسوطة في غير هذا الموضع

الوجه الثاني: أن يقال لهم أنتم تقولون إنكم متبعون للكتب الإلهية وإذا كان كذلك لم ينبغ." (١)

" أحدثه بعض المتصوفة

أحدهما الدعاوى الطويلة العريضة في **العشق** مع الله والوصال المغنى عن الاعمال الظاهرة حتى ينتهي قوم إلى دعوى الاتحاد وارتفاع الحجاب والمشاهدة بالرؤية والمشافهة بالخطاب فيقولون قيل لنا كذا وقلنا كذا ويتشبهون فيه بالحسين بن منصور الحلاج الذي صلب لأجل إطلاقه كلمات من هذا الجنس

قال والصنف الثاني من الشطح كلمات غير مفهومة لها ظواهر رائعة وفيها عبارات هائلة وليس ورائها طائل وهي إما أن تكون غير مفهومة عند قائلها بل يصدرها عن خبط في عقله وتشوش في خياله لقلة إحاطته بمعنى كلام قرع ." (٢)

" السماع فقال بعضهم هو مباح وقال بعضهم هو محرم وعندي أنه واجب وهذا مما اعتضد به أبو عبد الرحمن في مسألة السماع وهذا متهم بالزندقة

وكذلك ابن سينا في إشاراته أمر بسماع الألحان **وبعشق** الصور وجعل ذلك مما يزكي النفوس ويهذبها ويصفيها وهو من ." (٣)

" أدبرت فقلت لها والفؤاد في وهج ... هل على ويحكما ان **عشقت** من حرج ...

فقال رسول الله ص لا حرج إن شاء الله

قلت هذا الحديث موضوع بأتفاق أهل المعرفة بالحديث لا أصل له وليس هو في شئ من دواوين الإسلام وليس له إسناد بل هو من جنس الحديث الآخر الذي قيل فيه إن أعرابيا أتى إلى النبي ص وأنشده ... قد لسعت حية الهوى كبدى فلا طبيب لها ولا راقى ... إلا الحبيب الذي شغفت به فعنده رقيتي وترياقي ." (٤)

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ١٢/٦

(٢) الاستقامة، ١٢٠/١

(٣) الاستقامة، ٢٣٩/١

(٤) الاستقامة، ٢٩٦/١

" مجرد الصوت الذي تحبه الطباع حسنا في الدين فيه شبه من هؤلاء لكن في المشركين من هذه الأمة من يتدين بذلك لأجل الشياطين كما يوجد في المشركين من الترك التتار وساحرهم الطاغوت صاحب الجبت الذي تسميه الترك البوق وهو الذي تستخفه الشياطين وتخاطبه ويسألها عما يريد ويقرب لها القرابين من الغنم المنخنقة وغير ذلك ويضرب لها بأصوات الطبول ونحو ذلك ومن شرطه أن يكون مخنثا يؤتى كما تؤتى المرأة فكلما كانت الأفعال أولى بالتحريم كانت أقرب إلى الشياطين

وهذا الذي ذكرناه من أن الحسن الصورة والصوت وسائر من أنعم الله عليه بقوة أو بجمال أو نحو ذلك إذا اتقى الله فيه كان أفضل ممن لم يؤت ما لم يمتحن فيه فإن النعم محن فإن أهل الشهوات من النساء والرجال يميلون إلى ذي الصورة الحسنة ويحبونه **ويعشقونه** ويرغبونه بأنواع الكرامات ويرهبونه عند الامتناع بأنواع المخوفات كما جرى ليوسف عليه السلام وغيره وكذلك جماله يدعوه إلى أن يطلب ما يهواه لأن جماله قد يكون أعظم من المال المبذول في ذلك

وكذلك حسن الصوت قد يدعى إلى أعمال في المكروهات كما أن ." (١)

" فإذا كان مع الجمال أو غيره مما فيه وجه محبة ما هو بغيض من الفواحش أو الكذب أو الظلم أو غير ذلك كما ذكره في قوله قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون سورة الأعراف ٣٣ فإن ذلك يفوت ما هو أحب إلى الله من الجمال بكثير ويوجب من مقت الله وبغضه ما هو أعظم بكثير مما لمجرد الجمال من الحب ويوجب النهي عما يوجب هذه السيئات الكثيرة ويفوت الجمال الأفضل وهو كمال الخلق وحسنه وما في ذلك من الحسنات وكان ما في ذلك من المبغضات وترك المحبوبات راجحا على الحب الذي للجمال

وعلى هذا يجري الأمر على محبة الإنسان للشئ الجميل من الصورة والنظر إليه وما يدخل في ذلك من قوة الحب والزيادة فيه التي تسمى **العشق** فإن ذلك إذا خلا عن المفسدة الراجحة مثل أن يحب الإنسان امرأته وجاريته حبا معتدلا أو يحب ما لا فتنة فيه كحبه للجميل من الدواب والثياب ويحب ولده وأباه وأمه ونحو ذلك من محبة الرحم كنوع من الجمال الحب المعتدل فهذا حسن ." (٢)

---

(١) الاستقامة، ٣٧٢/١

(٢) الاستقامة، ٤٤٧/١

" أما إذا أحب النساء الاجانب أو المردان ونحو ذلك فهذا الحب متضمن للمحبة الحيوانية وليس في ذلك مجرد محبة الجمال والمحبة الحيوانية مما يبغضها الله ويمقتها وتوابعها منهى عنها مع ذلك سواء كان مع المحبة فعل الفاحشة الكبرى أو كانت للتمتع بالنظر والسماع وغير ذلك

فالتمتع مقدمات الوطء فإن كان الوطء حلالا حلت مقدماته وإن كان الوطء حراما حرمت مقدماته وإن كان في ذلك رفض للجمال كما فيه رفض للذة الوطء المحرم فإن ما في ذلك مما يبغضه الله ويمقت عليه أعظم مما في مجرد الجمال من الحب المتضمن وذلك متضمن لتفويت محاب الله من التقوى والعفاف والإقبال على مصالح الدين والدنيا أعظم بكثير مما فيها من مجرد حب الجمال فلهذا كانت هذه مذمومة منهيا عنها حتى حرم الشارع النظر في ذلك بلذة وشهوة وبغير لذة وشهوة إذا خاف الناظر الفتنة والفتنة مخوفة في النظر إلى الأجنبية الحسنة والأمرد الحسن في أحد قولي العلماء الذي يصححه كثير من أصحاب الشافعي وأحمد وغيرهما وهذا قد يختلف بأختلاف العادات والطبائع وأما النظر للحاجة من غير شهوة ولا لذة فيجوز

ولهذا لم يأمر الله ولا رسوله ولا أهل العلم والإيمان **بعشق** الصور الجميلة ." (١)

" سورة هود ٨٣ أي من ظالمي هذه الأمة وفي ذلك من الأحاديث ما يضيق هذا الموضع عن ذكره وفي عامتها يذكر استحلالهم لها

وأصل الضلال والغي من هؤلاء الذين يستحسنون **عشق** الصور ويحمدونه ويأمرون به وإن قيدوه مع ذلك بالعفة أن المحبة هي أصل كل حركة في العالم فالنفس إذا لم يكن فيها حركة ولا هي قوية الهمة والإرادة حتى تحصل لها محبة شديدة كانت تلك المنهيات عنها هي أصول الشر وهي التي إذا ظهرت قامت الساعة

كما في الصحيح عن أنس أنه قال لأحدثنكم حديثا لا يحدثكمونه أحد بعدي سمعته من النبي ص سمعت النبي ص يقول إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويظهر الجهل ويشرب الخمر ويظهر الزنا ويقل الرجال وتكثر النساء حتى يكون لخمسين امرأة قيم واحد ." (٢)

---

(١) الاستقامة، ١/٤٤٨

(٢) الاستقامة، ١/٤٥٦

" وذلك أن هؤلاء كلهم لحظوا ما فيها من جنس المحبوب وأغفلوا ما تتضمنه من جنس المذموم فإن الذي يورثه **العشق** من نقص العقل والعلم وفساد الخلق والدين والاشتغال عن مصالح الدين والدنيا أضعاف ما يتضمنه من جنس المحمود

وأصدق شاهد على ذلك ما يعرف من أحوال الأمم وسماع أخبار الناس في ذلك فهو يغني عن معاينة ذلك وتجريبه ومن جرب ذلك أو عاينه اعتبر بما فيه كفاية فلم يوجد قط **عشق** إلا وضرره أعظم من منفعته

ولهذا قال أبو القاسم القشيري في رسالته ومن أصعب الآفات في هذه الطريقة صحبة الأحداث ومن ابتلاه الله بشيء من ذلك فبإجماع الشيوخ هذا عبد أهانه الله وخذله بل عن نفسه شغله ولو لألف الف كرامة أهله وهب أنه بلغ رتبة الشهداء لما في الخبر من التلويح بذلك أليس قد شغل ذلك القلب ." (١)

" صار مؤمنا وهو مع إسلامه يظلم الناس ويظلم نفسه فهو خير من أن يبقى على كفره ولو كان تاركا لذلك الظلم

واما إذا أسلم فقط وهو منافق في الباطن فهذا في الآخرة في الدرك الأسفل من النار وأما في الدنيا فقد يكون أضر على المسلمين منه لو بقى على كفره وقد لا يكون كذلك فإن إضرار المنافقين بالمؤمنين يختلف بآختلاف الأحوال

لكن إذا أسلم نفاقا فقد يرجى له حسن الإسلام فيصير مؤمنا كمن أسلم تحت السيف وكذلك من أسلم لرغبة أو لرهبة أو نحو ذلك فالإسلام والإيمان أصل كل خير وجماعة

وكذلك من كان ظالما للناس في نفوسهم واموالهم وأعراضهم فانتقل عن ذلك الى ما يظلم به نفسه خاصة من خمر وزنا فهذا أخف لأثمة وأقل لعذابه

وهكذا النحل التي فيها بدعة قد يكون الرجل رافضيا فيصير زيديا فلذلك خير له وقد يكون جهميا غير قدري أو قدريا غير جهمي أو يكون من الجهمية الكبار فيتجهم في بعض الصفات دون بعض ونحو ذلك

فهؤلاء المتفسلفة ونحوهم ممن مدح **العشق** والغناء ونحو ذلك وجعلوه مما يستعينون به على رياضة أنفسهم وتهذيبها وصلاحها ." (٢)

---

(١) الاستقامة، ٤٥٩/١

(٢) الاستقامة، ٤٦٥/١

" من هذا الباب فإن هؤلاء في طريقهم من الشرك والضلال ما لا يحصيه إلا ذو الجلال فإن المتفلسفة قد يعبدون الأوثان والشمس والقمر ونحو ذلك فإذا صار أحدهم يروض نفسه **بالعشق** لعبادة الله وحده أو رياضة مطلقة لا يعبد فيها غير الله كان ذلك خيرا له من أن يعبد غير الله

وكذلك الاتحادية الذين يجعلون الله هو الوجود المطلق أو يقولون إنه يحل في الصور الجميلة متى تاب الرجل منهم من هذا وصار يسكن نفسه **بعشق** بعض الصور وهو لا يعبد إلا الله وحده كانت هذه الحال خيرا من تلك الحال

فهذه الذنوب مع صحة التوحيد خير من فساد التوحيد مع عدم هذه الذنوب ولهذا نجد الناس يفضلون من كان من الملوك ونحوهم إنما يظلم نفسه بشرب الخمر والزنا أو الفواحش ويتجنب ظلم الرعية ويتحرى العدل فيهم على من كان يتجنب الفواحش والخمر والزنا وينتصب لظلم الناس في نفوسهم وأموالهم وأعراضهم

وهؤلاء الظالمون قد يجعلون الظلم دينا يتقربون به بجهلهم كما أن أولئك الظالمين لأنفسهم قد يجعلون ذلك بجهلهم دينا يتقربون به فالشيطان قد زين لكثير من هؤلاء وهؤلاء سوء عملهم فرأوه حسنا

لكن كثير من الناس يجمعون بين هذا وهذا فإن من عقوبة السيئة ." (١)

" لما وجده من كتب الفلاسفة من اثبات نحو ذلك حيث قالوا **يعشق** **ويعشق**

وقد بسطت الكلام على هذه المسألة العظيمة في القواعد الكبار بما ليس هذا موضعه

وقد قال الله تعالى يحبهم ويحبونه سورة المائدة ٥٤ وقال تعالى والذين امنوا اشد حبا لله سورة البقرة ١٦٥ وقال تعالى احب اليكم من الله ورسوله سورة التوبة ٢٤

وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه و سلم انه قال ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما وان يحب المرء لا يحبه الا لله وان يكره ان يرجع في الكفر بعد ان انقذه الله منه كما يكره ان يقذف في النار ." (٢)

" وسبب اللذة ادراك المحبوب فإذا كانت المحبة قوية وادراك المحب قويا والعقل والتمييز ضعيفا كان ذلك سببا للسكر لكن ضعف العقل تارة يكون من ضعف نفس الانسان المحب وتارة يكون من قوة

---

(١) الاستقامة، ٤٦٦/١

(٢) الاستقامة، ١٠٣/٢

السبب الوارد ولهذا يحصل من السكر للمبتدئين في ادراك الرياسة والمال والعشق والخمر ما لا يحصل لمن اعتاد ذلك وتمكن فيه

فصل ومن أقوى الأسباب المقتضية للسكر سماع الأصوات المرية من وجهين من جهة انها في نفسها توجب لذة قوية ينغمر معها العقل ومن جهة أنها تحرك النفس إلى نحو محبوبها كائنا ما كان فتحصل بتلك الحركة والشوق والطلب مع ما قد تخيل المحبوب وتصوره لذات عظيمة تقهر العقل أيضا فتجتمع لذة الألحان والاشجان ولهذا يقرن سماع الألحان بالشرب كثيرا إما شراب الأجسام وإما شراب النفوس وإما شراب الأرواح وهو ما يقترن بالصوت من الأقوال التي فيها ذكر الحب والمحبوب وأحوالهما فإن سماع الأقوال شراب وغذاء وقوت للقلوب فيجتمع ." (١)

" ومن هذا الباب ما يفعله قوم من المتزهدة من كشف سوءاتهم في سماعاتهم وحماماتهم او غير ذلك ويقولون هذا طريقنا وهذا في طريقنا فهذا مثل قولهم وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها

وابلغ من ذلك تعبد طوائف من المتزهدة والمتعبدة بمعاشرة الاحداث المردان والنساء الاجانب والنظر اليهم والخلوة بهم والمحبة والهوى فيهم وبما قد يكون وقد لا يكون وراء ذلك من الفاحشة الكبرى

وهذا ابتدأه المشركون من الصابئة وغير الصابئة الذين هم اولياء الشياطين الذين هم مشركون كما ذكر ابن سينا في إشاراته وزعم انه مما يعين على السلوك والتأله العشق العفيف واستماع الاصوات الملحنة كما ذكر ايضا الشرك بعبادة الصور ويذكر هو وطائفته عبادة الكواكب

وهذا في النصارى ايضا منه جانب قوي وهم ايضا قد ابتدعوا شركا لم ينزل الله به سلطانا كما قال تعالى اتخذوا احبارهم ." (٢)

" في الزوج او يظن ان ذلك يباح في السفر او بعد اربعين يوما او نحو ذلك فهذا يكفر بإجماع المسلمين

ومثل هؤلاء قد يعاقبهم الله بما عاقب به قوم لوط وقد يحشر معهم لأن دينه دينهم بخلاف المقر بتحريم ذلك فإنه مسلم

واما التدين بذلك فهو اعظم من استحلاله وهؤلاء المتدينون ما يكادون يتدينون بنفس فعل الفاحشة الكبرى ولكن بمقدماتها من النظر والتلذذ به والمباشرة والعشق للنسوان الاجانب والصبيان ويزعمون ان

---

(١) الاستقامة، ٢/١٤٧

(٢) الاستقامة، ٢/١٧٧

ذلك يصفي نفوسهم وارواحهم ويرقيهم الى الدرجات العالية وفيهم من يزعم انه يخاطب من تلك الصورة وتتنزل عليه اسرار ومعارف وفيهم من يترقى لغير ذلك فيقول انه يتجلى له فيها الحقائق وربما زعم ان الله يحل فيها سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا وقد يسجدون لها

ومن هؤلاء من يزعم ان دحية الكلبي كان امردا وان جبريل كان يأتي النبي صلى الله عليه و سلم في صورة امرد ويقول له ما احب ان تأتيني الا في صورة امرد

وفيهم من يتأول قوله صلى الله عليه و سلم رأيت ربي في ." (١)

"وكانت متحركة على غير انتظام فاتفق اجتماعها، وانتظامها، فحدث هذا العالم.

[الرد على ديموقريطس وأبو بكر الرازي]

وكلا القولين في غاية الفساد، وأما الأولون فيقولون: إن النفس **عشقت** الهيولي، فعجز الرب عن تخليصها من الهيولي حتى تذوق وبال اجتماعها بالهيولي، وهم قالوا هذا فرارا من حدوث حادث بلا سبب، وقد وقعوا فيما فروا منه، وهو حدوث محبة النفس للهيولي، فيقال لهم: ما الموجب لذلك؟ فقد لزمهم حدوث حادث بلا سبب، ولزمهم ما هو أشنع من ذلك، وهو حدوث الحوادث بدون صدورها عن رب العالمين والقول بقدماء معه.

فإن قالوا بوجوب (١) وجودها لزم كون واجب الوجود مستحيلا موصوفا بما يستلزم حدوثه ونقصه وإمكانه. وإن لم تكن واجبة بأنفسها، بل به لزم أن يكون موجبا لها دون غيرها، والعلة القديمة تستلزم معلولها، فيلزم من ذلك تغير (٢) معلولها، واستحالته من حال إلى حال بدون فعل منها، واستحالة ((٣)المعلول اللازم بدون تغير في العلة محال، وإلا لم يكن معلولا لها، وإن جوزوا ذلك، فليجوزوا كون العالم قديما أزليا لازما لذات الرب، وهو مع هذا (٤) ينتقض، وتنشق السماء، وتنفطر، وتقوم القيامة بدون فعل من الرب ولا حدوث شيء منه أصلا. بل بمجرد حدوث حادث في العالم بلا محدث.

---

(١) أ، ب: وإن قالوا: لو وجب.

(٢) ن (فقط) : نفس، وهو خطأ.

---

(١) الاستقامة، ٢/١٩٥

(٣) ن (فقط) : واستحال، وهو تحريف.

(٤) ب (فقط) : ومع هذا.." (١)

"وفصل الخطاب أن يقال: أي شيء يراد بلفظ الموجب بالذات؟ إن عني [به] (١) أنه يوجب بذات مجردة عن المشيئة والقدرة، فهذه الذات لا حقيقة لها ولا ثبوت في الخارج، فضلا عن أن تكون موجبة. والفلاسفة يتناقضون، فإنهم يثبتون للأول غاية، ويثبتون العلل الغائية في إبداعه، وهذا يستلزم الإرادة. وإذا فسروا الغاية بمجرد العلم، وجعلوا العلم مجرد الذات، كان هذا في غاية الفساد والتناقض، فإنا نعلم بالضرورة أن الإرادة ليست مجرد العلم، وأن العلم ليس هو مجرد (٢) العالم، لكن هذا من تناقض هؤلاء الفلاسفة في هذا الباب، فإنهم يجعلون المعاني المتعددة معنى واحدا (٣) ، فيجعلون العلم هو القدرة وهو الإرادة، ويجعلون الصفة هي نفس الموصوف، كما يجعلون العلم هو [نفس] (٤) العالم، والقادر هو القدرة، والإرادة هي المريد، والعشق هو العاشق.

وهذا قد صرح به فضلاؤهم - وحتى المنتصرون لهم - مثل ابن رشد الحفيد، الذي رد على [أبي حامد] الغزالي (٥) في " تهافت التهافت (٦) " وأمثاله.

وأيضا: فلو قدر وجود ذات مجردة عن المشيئة والاختيار، فيمتنع أن يكون العالم صادرا عن موجب بالذات بهذا التفسير؛ لأن الموجب

---

(١) به: ساقطة من (ن) .

(٢) مجرد: ساقطة من (ا) ، (ب) .

(٣) ن، م: في معنى واحد.

(٤) نفس: ساقطة من (ن) ، (م) .

(٥) ن، م: على الغزالي.

(٦) ا، ب: تهافت الفلاسفة.." (٢)

"وأتباعه إنما يثبتون الأول - الذي يسمونه العلة الأولى - بالاستدلال بحركة الفلك (١) ، فإنهم قالوا: هي اختيارية شوقية، فلا بد أن يكون لها محرك [منفصل] (٢) عنها، وزعموا أن المتحرك بالإرادة لا

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٢١٠/١

(٢) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٣٩٩/١

بد له من محرك منفصل عنه، وإن كان هذا قولا لا دليل عليه، بل هو باطل.

قالوا: والمحرك لها يحركها، كما يحرك الإمام المقتدى به للمأموم المقتدي، وقد يشبهونها بحركة المعشوق للعاشق، فإن المحبوب المراد يتحرك [إليه] (٣) المحب المريد من غير حركة من (٤) المحبوب. قالوا: وذلك العشق هو عشق التشبه بالأول (٥) .

[موافقة الفارابي وابن سينا لأرسطو في القول بالحركة الشوقية]

وهكذا وافقه متأخروهم كالفارابي وابن سينا وأمثالهما، وهؤلاء كلهم يقولون: إن سبب الحوادث في العالم إنما هو حركات الأفلاك (٦) ، وحركات الأفلاك حادثة عن تصورات حادثة وإرادات (٧) حادثة شيئا بعد شيء، وإن كانت تابعة لتصور كلي [وإرادة كلية] (٨) ، كالرجل الذي يريد

---

(١) ا، ب: بالاستدلال بالحركة حركة الفلك.

(٢) منفصل: ساقطة من (ن) ، (م) .

(٣) إليه: ساقطة من (ن) ، (م) .

(٤) من: ساقطة من (ا) ، (ب) .

(٥) هذا الذي يذكره ابن تيمية عن أرسطو مصداقه في كتاب " ما بعد الطبيعة " لأرسطو. انظر: Aristotle metaphysica، english translation by ross (.) book. ٧ - a ١٠٧٢ ford \ O nd ed. ٢ b ١٠٧٢، ١٩٢٨ وانظر أيضا: Gomperz (.) - greek thinkers. Iv، ٢١١، english tr.، london، ١٩١٢.

(٦) ن، م، ا: إن سبب الحوادث في العالم إنما هي حركات الأفلاك، وهو خطأ والمثبت من (ب) .

(٧) ن، م: وأمور.

(٨) عبارة " وإرادة كلية ": ساقطة من (ن) فقط.." [1]

"بلا قدرة، مثل إثبات أسود بلا سواد، وأبيض بلا بياض، وقائم بلا قيام، ومصل بلا صلاة، ومتكلم بلا كلام، وفاعل بلا فعل، وهذا (١) مما يعلم فساده لغة وعقلا.

وقالوا لهم أيضا: أنتم تعلمون أنه حي عالم قادر، وليس كونه حيا هو كونه عالما، ولا كونه عالما هو كونه

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٤١١/١

قادرا.

فهذه المعاني التي تعقلونها وتثبتونها (٢) هي الصفات، سواء سميتموها أحكاما أو أحوالا أو معاني أو غير ذلك، فليس الاعتبار بالألفاظ بل بالمعاني المعقولة.

ومن تدبر كلام أئمة المعتزلة والشيعة والفلاسفة نفاة الصفات وجدهم في غاية التناقض، كما تقول الفلاسفة: إنه عاقل (٣) ومعقول وعقل، وعاشق ومعشوق **وعشق**.

ثم يقولون: هذا المعنى هو هذا المعنى، وإن العالم هو العلم، فيجعلون إحدى الصفتين هي الأخرى، ويجعلون الموصوف هو الصفة.

وأيضا، فما يشنع به هؤلاء على أهل السنة هم يقولون به بغير اختيارهم. ومن تدبر كلام أبي الحسين البصري (٤) وأمثاله من أئمة المعتزلة، وجد المعاني التي يثبتها (٥) هي قول الصفاتية، لكن ليس هذا موضع بسط ذلك؛ إذ الكلام هنا مختصر بحسب هذا المقام، وقد نبهنا

---

(١) أ، ب: وهذه.

(٢) ن، (أ) : يعقلونها ويثبتونها.

(٣) ن (فقط) : فاعل، وهو خطأ.

(٤) ن، م: أبي الحسن البصري، وهو خطأ.

(٥) ن (فقط) : نثبتها، وهو خطأ.." (١)

"العالم، كما يذكر ذلك عن ديمقراطيس (١) ومحمد بن زكريا الرازي وغيرهما - وهذا مبسوط في موضعه (٢) -[وكما هو قول من يقول بحدوث الأجسام كلها، والرازي قد يجعل القولين قولا واحدا، كما أشار إلى ذلك في " محصله " (٣) وغير محصله. وذلك أن المعروف عن الحرنانيين (٤) هو القول بالقدماء الخمسة، ثم بنوا عليه تصور النفس و (قد حدث لها **عشق**) تعلقت بسببه بالهيولي ليكون للأجسام سبب اقتضى حدوثها (٥) (٦) ، لكنه (٧) مع هذا باطل، فإن (٨) حدوث الحوادث بلا سبب إن كان ممتنعا بطل هذا القول ؛ لأنه يتضمن حدوث الحوادث بلا سبب، (٩ وإذا كانت أحوال الفاعل واحدة، وهو لا يقوم به شيء من الأمور الاختيارية امتنع أن يختص بعض الأحوال بسبب يقتضي حدوث الأجسام ٩) (٩) ، وإن

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٢/٢٣١

(١) ب (فقط) : ذيمقراطيس.

(٢) عبارة " وهذا مبسوط في موضعه ": ساقطة من (ع) فقط. . والكلام الذي يلي القوس المعقوف ساقط من (ب) ، (أ) ، (ن) ، (م) .

(٣) وهو كتاب " محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين " لفخر الدين الرازي وسبقت ترجمته، والكلام على " محصله ".

(٤) في الأصل (ع) : الجزنانين، وهو تحريف ؛ وانظر الملل والنحل ٢/٥٨ - ٦١.

(٥) العبارة الأخيرة: " ثم بنوا عليه. . اقتضى حدوثها " فيها نقص رأيت أن تمامه جملة (وقد حدث لها عشق) المكتوبة بين القوسين. وسبق لابن تيمية التعرض لهذا الموضوع ومناقشته في الموضوع الذي أشرت إليه من قبل وهو في هذا الكتاب ١/٢١٠ - ٢١١.

(٦) هنا ينتهي الكلام الساقط من (ب) ، (أ) كما أشرت إلى ذلك من قبل ويستمر السقط في (ن) ، (م) سطورا أخر، وسنشير إلى نهايته فيما بعد.

(٧) ب، أ: ولكنه

(٨) ع: لأن.

(٩) : (٩ - ٩) ساقط من (ب) ، (أ) .." [1]

"ولهذا كان جميع العقلاء مضطرين إلى إثبات معان متعددة لله تعالى، فالمعتزلي يسلم أنه حي عالم قادر، ومعلوم أن كونه جسما ليس هو معنى كونه عالما، ومعنى كونه عالما ليس معنى كونه قادرا.

والمتفلسف يقول إنه عاقل ومعقول وعقل، ولذيذ ومتلذذ ولذة، وعاشق ومعشوق وعشق (١) ، ومعلوم بصريح العقل أن كونه يحب ليس (هو) كونه يعلم، وكونه محبوبا معلوما ليس (هو) معنى كونه (محبا عالما، (٢) (والمتفلسف يقول: معنى " كونه " عالما) (٣) هو معنى كونه قادرا مؤثرا فاعلا، وذلك هو نفس ذاته، فيجعل العلم هو القدرة وهو الفعل، ويجعل القدرة هي (٤) القادر، والعلم هو العالم، والفعل هو الفاعل.

(وبعض متأخريهم - وهو الطوسي - ذكر في " شرح كتاب الإشارات " أن العلم هو المعلوم (٥) ومعلوم

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٢/٢٧٩

(١) انظر مثلا " النجاة " لابن سينا (٢٤٣/٣ - ٢٤٥) حيث يعقد فصلا عنوانه " فصل في أن واجب الوجود بذاته عقل وعاقل ومعقول "، وفصلا آخر (٢٤٥/٣ - ٢٤٦) بعنوان: " فصل في أنه بذاته معشوق وعاشق ولذيذ وملتذ وأن اللذة هي إدراك الخير الملائم ".

(٢) أ: ومعلوم بصريح العقل أن كونه يحب ليس كونه يعلم، وكونه محبوبا معلوما ليس معنى كونه عالما ؛ ب: ومعلوم بصريح العقل أن كونه يحب ليس كونه محبوبا وكونه معلوما ليس معنى كونه عالما. والمثبت عن (ع) .

(٣) ما بين القوسين ساقط من (ب) ، (أ) . وزدت (كونه) ليستقيم الكلام.

(٤) ب، أ: هو.

(٥) يقول نصير الدين الطوسي (شرح الإشارات المطبوع مع الإشارات والتنبيهات لابن سينا، تحقيق الدكتور سليمان دنيا، ق [٠ - ٩] ، ٤، ص [٠ - ٩] ١٤ - ٧١٥) : " العاقل كما لا يحتاج في إدراك ذاته لذاته إلى صورة ذاته التي بها هو هو، فلا يحتاج أيضا في إدراك ما يصدر عن ذاته لذاته إلى صورة غير صورة ذلك الصادر التي بها هو هو. واعتبر من نفسك أنك تعقل شيئا بصورة تتصورها أو تستحضرها، فهي صادرة عنك، لا بانفرادك مطلقا، بل بمشاركة ما من غيرك، ومع ذلك فأنت لا تعقل تلك الصورة بغيرها، بل كما تعقل ذلك الشيء بها، كذلك تعقلها أيضا بنفسك من غير أن تتضاعف الصور فيك، بل ربما تتضاعف اعتباراتك المتعلقة بذاتك وبتلك الصورة فقط على سبيل التركيب. وإذا كان حالك مع ما يصدر عنك بمشاركة غيرك هذه الحال، فما ظنك بحال العاقل مع ما يصدر عنه لذاته من غير مداخلة غيره فيه؟ ولا تظن أن كونك محلا لتلك الصورة شرط في تعقلك إياها، فإنك تعقل ذاتك مع أنك لست بمحل لها، بل إنما كان كونك محلا لتلك الصورة شرطا في حصول تلك الصورة لك، الذي هو شرط في تعقلك إياها، فإن حصلت تلك الصورة لك بوجه آخر غير الحلول فيك، حصل التعقل من غير حلول فيك. ومعلوم أن حصول الشيء لفاعله في كونه حصولا لغيره ليس دون حصول الشيء لقابله. فإذن؛ المعلولات الذاتية للعاقل الفاعل لذاته حاصلة له من غير أن تحل فيه، فهو عاقل إياها من غير أن تكون هي حالة فيه ".
وانظر مقدمة الدكتور سليمان دنيا للجزء الثاني من " الإشارات " ص [٠ - ٩] ١٥ - ١١٦.." (١)

"مشبهة، بل (١) والمعتزلة والفلاسفة أيضا مشبهة لأنهم يقولون: حي عليم قدير، ويقولون: موجود وحقيقة وذات ونفس، والفلاسفة تقول: عاقل ومعقول وعقل، ولذيذ وملتذ (٢) ولذة، وعاشق ومعشوق

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٥٤٠/٢

وعشق، وغير ذلك من الأسماء الموجودة في المخلوقات.

[الرد على قول: سموا مشبهة لأنهم يقولون إنه جسم من وجوه]

وإن قال: سموا مشبهة لأنهم يقولون: إنه جسم، والأجسام متماثلة، بخلاف من أثبت الصفات، ولم يقل: هو جسم.

قيل أولا هذا باطل (٣) لأنك ذكرت الكرامية قسما غيرهم والكرامية تقول إنه جسم وقيل لك ثانيا: لا يطلق لفظ الجسم (٤) إلا أئمتك الإمامية ومن وافقهم.

وقيل لك ثالثا: فهذا مبني على تماثل الأجسام، وأكثر العقلاء يقولون (٥) : إنها ليست متماثلة، والقائلون بتماثلها من المعتزلة ومن وافقهم من الأشعرية، وطائفة من الفقهاء الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية ليست لهم حجة على تماثلها أصلا، كما [قد] بسط ذلك في موضعه (٦) .

---

(١) بل: ساقطة من (ب) ، (أ) .

(٢) ب، ا: ومتلذذ

(٣) ن: هذا ممتنع. والكلام في (م) مضطرب.

(٤) ع: لا ينطق بلفظ الجسم ؛ ن، م: لا يطل لفظ الجسم، وهو تحريف.

(٥) ب، أ، ن: تقول.

(٦) ب: ليست لهم حجة على تماثلها كما مر بسط ذلك في موضعه ؛ أ: ليست لهم حجة على تماثلها كما أقر بسط ذلك في موضعه ؛ ن: ليست لهم حجة على تماثلها أصلا كما بسط ذلك في موضعه ؛ ع: ليست لهم حجة أصلا كما قد بسط ذلك في موضعه ؛ م: مثل (ن) ولكن لم تسقط " قد " منها.." [1]

"والمحسنين والتوابين، ويرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات، ويفرح بتوبة التائب أعظم من فرح الفاقد لراحلته التي عليها طعامه وشرابه في مهلكة إذا وجدها بعد الإياس (١) منها كما استفاضت بذلك الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم في الصحيحين وغيرهما من غير وجه، كقوله: " «لله أشد فرحا بتوبة أحدكم من رجل أضل راحلته (٢) بأرض دوية (٣) مهلكة عليها طعامه وشرابه، فطلبها فلم يجدها، فنام ينتظر الموت، فلما استيقظ إذا بدابته عليها طعامه وشرابه، فالله أشد فرحا بتوبة عبده من هذا براحلته»

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٢/٥٩٩

" (٤) .

والمتفلسفة (٥) يعبرون بلفظ البهجة واللذة (٦) **والعشق** ونحو ذلك عن الفرح والمحبة وما يتبع ذلك، وإذا كان كذلك فهو سبحانه يريد وجود [بعض] الأشياء (٧) لإفضائها إلى ما يحبه ويرضاه، وهو سبحانه قد لا يفعل بعض ما يحبه لكونه يستلزم وجود ما يكرهه ويبغضه، فهو سبحانه قادر على أن يخلق من كل نطفة رجلا يجعله مؤمنا به (٨) يحبه ويحب إيمانه، لكنه لم يفعل ذلك لما له في ذلك (٩) من الحكمة، وقد يعلم أن ذلك يفضي إلى ما يبغضه ويكرهه.

---

(١) ن، م، ع: اليأس.

(٢) ن، ع: دابته.

(٣) دوية: ساقطة من (أ) ، (ب) ، وفي (م) : دونه، وهو تصحيف.

(٤) مضى الحديث من قبل ٢ ٤٣٠، ٣ ١٦٢.

(٥) ع: والمتفلسفون.

(٦) أ: بلفظ المحبة واللذة، ب: بلفظ اللذة.

(٧) ع: يريد وجود الأشياء، ن: يريد وجود أشياء، م: يريد الأشياء.

(٨) به: زيادة في (ن) .

(٩) أ، ب، م: لما فيه.." (١)

"حجة، كان فعله الثاني حجة، وإن لم يكن حجة لم يصلح أن يذكر مثل هذا في مناقب علي بن موسى الرضا، ولكن القوم جهال بحقيقة المناقب والمثالب، والطرق التي يعلم بها ذلك (١) .

ولهذا يستشهدون بأبيات أبي نواس، وهي لو كانت صدقا لم تصلح أن تثبت فصائل شخص بشهادة شاعر معروف بالكذب والفجور الزائد الذي لا يخفى على من له أدنى خبرة بأيام الناس، فكيف والكلام الذي ذكره فاسد؟ ! فإنه قال: - قلت لا أستطيع مدح إمام كان جبريل خادما لأبيه

ومن المعلوم أن هذا وصف مشترك بين (* جميع من كان من ذرية الرسل، وجميع ذرية علي يشاركونه في هذا، فأي مزية (٢) له في هذا حتى يكون بها إماما دون أمثاله المشاركين له في هذا الوصف؟ ! ثم هذا يقتضي أنه لا يمدح أحدا *) (٣) من ذرية علي أصلا، لأن هذا الوصف مشترك [بينهم، ثم كون الرجل (٤)

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٣/١٨٣

من ذرية الأنبياء قدر مشترك] (٥) بين الناس [فإن الناس] (٦)

---

(١) نقل الأستاذ إحسان إلهي ظهير في كتابه " الشيعة وأهل البيت " ص ٢٩٠ – ٢٩٢، ط. إدارة ترجمان السنة، هور، باكستان، الطبعة الثالثة ١٤٠٣/١٩٨٣ أن الرافضة ذكروا في بعض كتبهم (كتاب الاستبصار، ٣/٣٤٣) أن الرضا كان يرى جواز إتيان الرجل المرأة في دبرها، كما نسبوا إليه أنه كان **يعشق** ابنة عم المأمون وهى **تعشقه**، وذكر ذلك عالمهم ابن بابويه في كتابه " عيون أخبار الرضا " ١/١٧، ١٨.

(٢) ن: ميزة.

(٣) ما بين النجمتين ساقط من (أ) ، (ب) .

(٤) أ: من كان من ذرية علي أصلا، لأن هذا مشترك بينهم من كون الرجل، ب: من كان من ذرية علي ومن لم يكن، لأن كون الرجل. . .

(٥) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن) ، (م) .

(٦) عبارة " فإن الناس ": ساقطة من (ن) ، (م) .." [1]

"نفي هذا الذي سموه اشتراكا وتشبيها، ولا على نفي هذه الأمور التي سموها أجزاء وتركيبا وتقسيما، فإنهم يقولون: هو عاقل ومعقول وعقل، ولذيذ ولذة وملتذ، وعاشق ومعشوق **وعشق**.

وقد يقولون: هو عالم قادر مريد، ثم يقولون: العلم هو القدرة، والقدرة هي الإرادة، فيجعلون كل صفة هي الأخرى ، ويقولون: العلم هو العالم . وقد يقولون: هو المعلوم . فيجعلون الصفة هي الموصوف أو هي المخلوقات.

وهذه أقوال رؤسائهم، وهي في غاية الفساد في صريح المعقول، فهم مضطرون إلى الإقرار بما يسمونه تشبيها وتركيبا، ويزعمون أنهم ينفون التشبيه والتركيب والتقسيم؛ فليتأمل اللبيب كذبهم وتناقضهم وحيرتهم وضلالهم؛ ولهذا يؤول بهم الأمر إلى الجمع بين النقيضين، أو الخلو عن النقيضين. ثم إنهم ينفون عن الله ما وصف به نفسه، وما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم، لزعمهم أن ذلك تشبيه وتركيب. ويصفون أهل الإثبات بهذه الأسماء، وهم الذين ألزموها بمقتضى أصولهم، ولا حيلة لهم في دفعها. فهم كما قال القائل:

رمتني بدائها وانسلت.

وهم لم يقصدوا هذا التناقض، ولكن أوقعتهم فيه قواعدهم الفاسدة المنطقية التي زعموا فيها تركيب

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٦٥/٤

الموصوفات من صفاتها، ووجود الكليات المشتركة في أعيانها. فتلك القواعد المنطقية الفاسدة التي جعلوها قوانين تمنع مراعاتها الذهن أن يضل في فكره، أوقعتهم في هذا الضلال والتناقض ثم إن هذه القوانين فيها ما هو صحيح لا ريب فيه، وذلك يدل على تناقضهم وجهلهم، فإنهم قد قرروا في القوانين المنطقية أن الكلي هو الذي لا يمنع تصوره من وقوع الشركة فيه، بخلاف الجزئي ، وقرروا ـ أيضا ـ أن الكليات لا تكون كلية إلا في الأذهان؛ دون الأعيان. وأن المطلق بشرط الإطلاق لا يكون إلا في الذهن، وهذه قوانين صحيحة.

ثم يدعون ما ادعاه أفضل متأخريهم؛ أن الواجب الوجود هو الوجود المطلق بشرط الإطلاق عن كل أمر ثبوتي.

أو كما يقوله طائفة منهم: أنه الوجود المطلق بشرط الإطلاق عن كل أمر ثبوتي وسلبي، كما يقول ذلك من يقوله من الملاحدة الباطنية، المنتسبين إلى التشيع، والمنتسبين إلى التصوف.

أو يقوله طائفة ثالثة: إنه الوجود المطلق لا بشرط، كما تقوله طائفة منهم.

وهم متفقون على أن المطلق بشرط الإطلاق عن الأمور الوجودية والعدمية لا يكون." (١)

""الكذب ريبة، والصدق طمأنينة " فجعل الطمأنينة ضد الريبة وكذلك اليقين ضد الريب. واليقين يتضمن معنى الطمأنينة والسكون، ومنه: ماء يقن، وكذلك يقال: انزعج. وأزعجه فانزعج أي: أقلقه، ويقال ذلك لمن قلقت نفسه، ولمن قلق بنفسه وبدنه حتى فارق مكانه، وكذلك يقال: قلقت نفسه، واضطربت نفسه، ونحو ذلك من أنواع الحركة. ويسمى ما يألفه جنس الإنسان ويحبه سكنا؛ لأنه يسكن إليه. ويقال: فلان يسكن إلى فلان ويطمئن إليه، ويقال: القلب يسكن إلى فلان، ويطمئن إليه، إذا كان مأمونا معروفا بالصدق؛ فإن الصدق يورث الطمأنينة والسكون.

وقد سميت الزوجة سكنا، قال تعالى: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾ [الروم: ١٢] ، وقال: ﴿وجعل منها زوجها ليسكن إليها﴾ [الأعراف: ١٨٩] ، فيسكن الرجل إلى المرأة بقلبه وبدنه جميعا.

وقد يكون بدن الشخص ساكنا ونفسه متحركة حركة قوية، وبالعكس قد يسكن قلبه، وبدنه متحرك. والمحب للشيء المشتاق إليه يوصف بأنه متحرك إليه؛ ولهذا يقال: **العشق** حركة نفس فارغة. فالقلوب تتحرك إلى الله ـ تعالى ـ بالمحبة والإنابة والتوجه، وغير ذلك من أعمال القلوب، وإن كان البدن لا يتحرك

---

(١) شرح حديث النزول ابن تيمية ص/١٧

إلى فوق، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: " أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ". ومع هذا فبدنه أسفل ما يكون.

فينبغي أن يعرف أن الحركة جنس تحته أنواع مختلفة باختلاف الموصوفات بذلك. وما يوصف به نفس الإنسان من إرادة ومحبة وكراهية وميل ونحو ذلك، كلها فيها تحول النفس من حال إلى حال وعمل للنفس، وذلك حركة لها بحسبها؛ ولهذا يعبر عن هذه المعاني بألفاظ الحركة، فيقال: فلان يهفو إلى فلان كما قيل:." (١)

"بيض أصحاب الشيخ كثيرا منها، وكثير منها لم يبيض، ومجموع ذلك نحو العشرين مجلدا (١) . وقد ضاع - مع الأسف - أكثر هذه الكتب والرسائل، ولم يصل إلينا منها إلا شيء قليل كما سبقت الإشارة إليه، ومنها هذه الرسائل التي تنشر هنا لأول مرة.

وإلى جانب هذه الرسائل الخاصة بالطلاق هناك رسائل أخرى مهمة في هذه المجموعة، منها رسالتان (برقمي ٧،٨) في التفسير، ورسالتان (برقمي ٩،١٠) في شرح الحديث، وفتوى في العشق (برقم ١٢) ، وقاعدة في أفعال الحج (برقم ١٥) ، وفصل في معنى الحي القيوم (برقم ١) ، وفتوى في الغوث والأقطاب والأبدال (برقم ٣) ، وقاعدة في الصبر (٢) (برقم ١٤) ، وقاعدة في إثبات علو الله على خلقه (برقم ٢) وغيرها. ولم يرد ذكر أكثر هذه الرسائل في مصادر ترجمة الشيخ، ولا غرابة في ذلك، فلم يدع أحد من المترجمين له أنه استقصى جميع مؤلفاته ورسائله. وقد ذكر ابن عبد الهادي (٣) أن "له من ال كلام على مسائل العلو والاستواء والصفات الخبرية وما يتعلق بذلك من الرد على الجهمية والقدرية والجبرية وغيرهم من أهل الأهواء والبدع ما يشتمل على مجلدات كثيرة. وله من الكلام على فروع الفقه والأجوبة المتعلقة بذلك شيء كثير يشق إحصاؤه ويعسر ضبطه". وقال بعدما ذكر عددا كبيرا من مؤلفاته (٤) : "وله من الأجوبة

---

(١) "العقود الدرية": ٣٨. وفي "الوافي بالوفيات" (٢٩/٧) أنها تقدر بخمسة عشر مجلدا.

(٢) هي رسالة صغيرة، ويبدو أنها غير "قاعدة في الصبر والشكر" التي ذكرها ابن رشيق في رسالته (ص ٢٣٦) ، ووصفها بأنها نحو ستين ورقة.

---

(١) شرح حديث النزول ابن تيمية ص/١٨٣

(٣) "العقود الدرية": ٥١.

(٤) المصدر نفسه: ٦٤.." [(١)]

"المدني بالمدينة المنورة، ثم باعها ضمن ما باع من النفائس، فانتقلت إلى دار بريل المشهورة، وتوجد حاليا بمكتبة جامعة ليدن، ولها فهرس من إعداد لاندبرج. (١٢) "فتوى في العشق": توجد نسختها في مكتبة مولانا آزاد بجامعة علي كره (الهند) برقم [١٧/١٦ عربية–فقه حنبلي] (٤ ورقات) ، وقد انتقلت إليها من مكتبة الشيخ حبيب الرحمن الشرواني التي كانت في قريته حبيب كنج واشتهرت ببعض المخطوطات النادرة. والنسخة بخط نسخي جيد، وليس عليها تاريخ النسخ، ولعلها من القرن العاشر.

وقد كتب على صفحة العنوان: "سؤال رفع لشيخ الإسلام أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني، في رجل عاشق في صورة. نفع الله به آمين".

(١٣) "مسألة في الفتوة وآدابها وشرائطها": توجد نسختها الخطية ضمن مجموعة في مكتبة تشستر بيتي برقم [٣٥٣٧] (الورقة ٨٧أ– ٨٩أ] . وقد سبق وصفها فيما مضى برقم (٢) .

(١٤) "مسألة فيما يفعله بعض الخطباء يوم الجمعة": هي ضمن مجموعة في مكتبة جامعة برنستون برقم [١٣٧٧] (الورقة ٣٧أ–ب) .

وقد سبق وصفها برقم (٧) .

(١٥) "قاعدة في أفعال الحج": نسختها في مكتبة جامعة ليدن برقم [٢٩٨٩] (في ٧ ورقات) . جاء في آخرها: "تمت بحمد الله تعالى وعونه في ليلة يسفر صباحها عن سادس جمادى الآخرة سنة ثمان وثمان مئة، والحمد لله رب العالمين ... ". وكتب على صفحة العنوان بخط متأخر: "هذه الرسالة بخط العلامة بيدكين التركماني." [(٢)]

"فتوى في العشق [(*)]

[(*)] قال معد الكتاب للشاملة:

– قال ابن القيم في كتابه روضة المحبين صفحة ١٣١ تعليقا على هذه الفتيا وردا على من أحل النظر

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية – عزير شمس ابن تيمية ١٠/١

(٢) جامع المسائل لابن تيمية – عزير شمس ابن تيمية ١٨/١

المحرم: " وأما من حاكمتمونا إليه وهو شيخ الإسلام ابن تيمية فنحن راضون بحكمه فأين أباح لكم النظر المحرم **وعشق** المردان والنساء الأجانب وهل هذه إلا كذب ظاهر عليه وهذه تصانيفه وفتاواه كلها ناطقة بخلاف ما حكيتموه عنه وأما الفتيا التي حكيتموها فكذب عليه لا تناسب كلامه بوجه ولولا الإطالة لذكرناها جميعها حتى يعلم الواقف عليها أنها لا تصدر عمن دونه فضلا عنه وقلت لمن أوقفني عليها هذه كذب عليه لا يشبه كلامه وكان بعض الأمراء قد أوقفني عليها قديما وهي بخط رجل متهم بالكذب وقال لي ما كنت أظن الشيخ برقة هذه الحاشية، ثم تأملتها فإذا هي كذب عليه ولولا الإطالة لذكرنا من فتاويه ما يبين أن هذه كذب "

- وقد ذكر المحقق الشيخ (علي العمران) رأيه في هذه المسألة فقال (في مشاركة له بملتقى أهل الحديث) :

أقدم الجواب عن سؤال تكرر كثيرا في هذا المنتدى وفي غيره من المنتديات ألا وهو ما يتعلق بـ ((رسالة **العشق**)) المطبوعة في (جامع المسائل: ١/١٧٧-١٨٦) ، ومدى صحة نسبتها لشيخ الإسلام ابن تيمية، فأقول:

* مهما كان الباحث واسع الإطلاع قوي المعرفة بما يكتب -كالشيخ محمد عزير شمس - فإنه قد يفوته كثير مما يدركه غيره، وهذا من طبيعة البشر، فكان ماذا لو فاته الاطلاع على كلام ابن القيم في نفي هذه الرسالة وأنها مكذوبة على الشيخ؟!

* وعذره في إثبات هذه الرسالة أمور:

١- كثرة كتب ابن تيمية ورسائله وفتاويه، فعدم ذكرها ضمن كتبه ومؤلفاته، ليس دليلا على نفيها.

٢- أن ابن القيم قد نقل بعض التقسيمات الموجودة فيها في كتابه ((الجواب الكافي)) كما أشار إليه عزير شمس في الهوامش.

٣- أن النسخة الخطية قد نسبت هذه الفتوى لابن تيمية.

٤- أن الرأى الذي استغربه الكثيرون وهو: جواز تقبيل من خاف على نفسه الهلاك، ليس رأيا خارجا عن الإجماع، بل قد اختاره بعض العلماء ومنهم أبو محمد بن حزم -كما ذكر ابن القيم-.

أقول فهذه الأمور مجتمعة - إذا تجردت عن قرينة نفي ابن القيم للرسالة وتكذيبه لها الذي لم يطلع عليه عزير شمس - تسوغ هذه النسبة، وإن لم نجزم بها جزما لايقبل الشك.

* هذا العذر – في تقديري على الأقل – مسوغ لهذه النسبة، فكيف لو اجتمع إليه دليل خامس، وهو: أن الأمير علاء الدين مغلطاي وهو من تلاميذ ابن تيمية وأنصاره – قد أثبت هذه الرسالة للشيخ ونقل منها في كتابه ((الواضح المبين فيمن مات من المحبين)) .

* بعد هذا كله فالرسالة – عندي – لا تثبت لشيخ الإسلام ابن تيمية، فليس فيها نفسه ولا أسلوبه المعهود في الكتابة، وما ذكره ابن القيم من أدلة في نفيها كاف. وقد ذكر في "روضة المحبين" (ص/١٣١) أن أحد الأمراء – ويعني به مغلطاي – قد أوقفه على هذه الفتوى، ثم نقدها.

* واستدراكا لهذا الأمر؛ فإنه سينبه في آخر (المجموعة الخامسة) – إن شاء الله– على ما استجد من معلومات وفوائد وتصحيحات فيما يتعلق بهذه السلسة (١–٨) تحت عنوان: ((استدراكات)) وسيكون التنبيه على هذه الرسالة منها. هذا أولا .

وثانيا: أنه في الطبعة الجديدة لـ (آثار شيخ الإسلام ابن تيمية وما لحقها من أعمال) – وهي قريبة إن شاء الله تعالى – ستحذف هذه الرسالة منها.

هذه خلاصة رأيي في هذه المسألة، والحمد لله حق حمده.." (١)

"بسم الله الرحمن الرحيم

سؤال رفع لشيخ الإسلام أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني، وصورته:

ما تقول السادة العلماء أئمة الدين – رضي الله عنهم أجمعين – في رجل عاشق في صورة، وتلك الصورة مصرة على هجره منذ زمان طويل لا يزيده إلا بعدا، ولا يزداد لها إلا حبا، وعشقه لهذه الصورة من غير فسق ولا خنا، وليس هو ممن يدنس عشقه بزنا، وقد أفضى الحال إلى هلاكه لا محالة إن بقي مع محبوبه على هذه الحالة. فهل يحل لمن هذه حاله أن يهجر؟ وهل يجب وصاله على المحبوب المذكور؟ وهل يأثم ببقائه على ما يكره من المحب؟ وماذا يجب من تفاصيل أمرهما وما لكل واحد منهما على الآخر من الحقوق مما يوافق الشرع والعقل؟ أفتونا مأجورين رحمكم الله.

الجواب

الكلام على هذه المسألة ينبني على أصلين: أحدهما يتعلق بالعاشق، والآخر يتعلق بالمعشوق، ولكل واحد منهما تفاصيل تذكر عند ذكره. ولابد من تقديم مقدمة ينبني عليها الجواب، وهي:

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية – عزير شمس ابن تيمية ١/١٧٥

لاشك أنه من المعلوم أن الشرع والعقل قد دلا [على] وجوب تحصيل المصالح وتكميلها، وإعدام المفاسد وتقليلها، فكلما يرى العاقل أنه إذا دخل في أمر ما يوجب له مصلحة من وجه ومفسدة من." (١)

"وجه وجب عليه عند ذلك الترجيح، فيأخذ لنفسه بالأسد والأكمل والأرشد والأصلح.

ومن المعلوم أنه ليس في عشق الصور مصلحة شرعية دينية، لما يؤدي إلى الاشتغال بذكر المخلوق عن ذكر الخالق، والعبث بالصور لا المعاني، والالتحاق بالعالم الحيواني غير الناطق في الائتلاف الصوري. كما سئل بعضهم عن العشق، فقال: هي قلوب غفلت عن ذكر الحق، فشغلت بذكر الخلق. فهذا مما يدل على بعد عشاق الصور عن الرب العظيم باشتغالهم بالخسيس الذميم.

لكن قد ذكر المتقدمون من عقلاء العرب وظرفائهم وطائفة من الحكماء أن فيه فوائد، مع اتفاقهم على نقصه من جهة ما ذكرنا من أن صاحبه كلما قرب منه بعد عن الله عز وجل. إن فيه فوائد (١) ، من جملتها رقة الطبع وإزالة خبثه وترويح النفس وخفتها ورياضة الجسد، كما روي عن يحيى بن معاذ الرازي أنه قيل له: إن ابنك عشق فلانة، فقال: الحمد لله الذي صيره إلى طبع الآدمي.

وقال بعضهم: العشق داء أفئدة الكرام.

وقال بعضهم: العشق لا يصلح إلا لذي مروءة ظاهرة، أو لذي لسان فاضل وإحسان كامل، أو لذي أدب بارع وحسب خاشع (٢) ، ويقبح لسواهم.

وقال بعضهم: العشق يشجع جنان الجبان، ويصفي ذهن الغبي، ويسخي كف البخيل، ويخضع عزة الملوك، ويسكن نوافر الأخلاق.

---

(١) ذكر ابن القيم في "الجواب الكافي" (ص١٩٤-١٩٥) ما هنا من الأقوال.

(٢) في "الجواب الكافي": "ناصع".." (٢)

"وهو أنيس المؤنس وجليس المجالس (١) ، وملك قاهر وسلطان.

وقال بعض العرب (٢) :

إذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى ... فأنت وعير في الفلاة سواء

وحكي أن جالينوس قال: من لم تبتهج نفسه للصوت الشجي والوجه البهي فهو فاسد المزاج، يحتاج إلى

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ١/١٧٧

(٢) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ١/١٧٨

العلاج.

وقال بعض الحكماء: **العشق** يروض النفس ويهذب الأخلاق، وإظهاره طبعي، وإضماره تكليفي، حاجبه الصبر وخادمه الجوارح.

فهذه آثار – كما ترى – دالة على أنه ليس في **العشق** مصلحة شرعية دينية، وإنما مال إليه هؤلاء لما ذكروا فيه من المصالح العقلية والرياضية، من تهذيب النفس ورياضتها، ولو تعلق هؤلاء بمحبة الإله المعبود لألهاهم ذلك عن محبة الأشخاص الفانية، وحصل لهم مقصودهم من رياضة النفس وفرط المحبة وتهذيب الأخلاق المذكورة، وصار كل موجود يحدث لهم الفكر فيه وجدا لموجده، وكل مخلوق يتبين لهم منه محبة لخالقه، فتخاطبهم الموجودات والمخلوقات بألسنة الأحو ا ل، وتوضح لهم أنه لا يستحق المحبة على الكمال غير ذي الإكرام والجلال.

هذا ما يتعلق بالمقدمة وكيفية بناء الأصلين عليها. أما ما يتعلق بالعاشق فقد ذكرنا أنه لابد من تحصيل المصالح وتكميلها، وإعدام المفاسد وتقليلها، فمن دخل على أمر ما فواجب عليه أن ينظر في ذلك الأمر، فإن كانت مصلحته راجحة على مفسدته أخذ بالأرجح.

---

(١) في الأصل: "المجرس". وفي الجواب الكافي: "أنيس من لا أنيس له، وجليس من لا جليس له"، وهو أوضح.

(٢) البيت في "روضة المحبين" (ص١٧٦) و"تزيين الأسواق" (٤٣/١) .." (١)

"وقد دل الدليل كما ذكرنا على أنه ليس في **العشق** الصوري مصلحة دينية كما ذكرنا، وإنما فيه مصلحة رياضية نفسية، والمصالح الدينية مقدمة، مع ما يقرن بذلك مع أدائه إلى فساد الذهن وتشويش الحواس، وهو ملحق بشرب الخمر المحرم، وليس لصاحبه عذر يعتذر به ولا حجة يقيمها.

مثال ذلك أن من شرب الخمر فسكر، فحصل منه جناية في حق أحد أو عربدة على غيره، فأتلف شيئا، أخذ به، لأن الذي أزال عقله سبب محرم أدخله على نفسه راضيا غير مكره، مع علمه قبل أن يشربه أنه يؤدي به الحال إلى هذا، فإذا اعتذر وقال: لم أع ما قلت، ولا كان عقل أميز به، قلنا له: أنت فرطت حين شربت.

ولهذا جنح بعض العلماء إلى مؤاخذة السكران بما يصدر منه من طلاق وعتاق وجناية، بخلاف من يزول

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية – عزير شمس ابن تيمية ١٧٩/١

عقله بخلط سوداوي أو روحاني، فإن ذلك ليس هو من فعله، ولا تسبب فيه برضاه، كما روي عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال (١) : "رفع القلم عن ثلاث"، فذكر المجنون حتى يفيق.

فعلى هذا لا ينبغي لأحد أن يحكم على نفسه **عشق** الصور، ليؤدي به الحال إلى الهلاك، فمن فعل ذلك فهو المفرط بنفسه والمقرر لها، فإذا هلكت فهو الذي أهلكها، وإذا قتلت فهو الذي قتلها، فإنه لولا تكرار نظره إلى وجه معشوقه لم يثبت محبته في قلبه، حتى أداه إلى ما أداه.

---

(١) أخرجه أحمد (٦/١٤٤،١٠١،١٠٠) والدارمي (٢٣٠١) وأبو داود (٤٣٩٨) والنسائي (٦/١٥٦) وابن ماجه (٢٠٤١) عن عائشة. وفي الباب عن علي.." (١)

"وذلك لأن أول مرتبة المحبة (١) تسمى الاستحسان، وهي المتولدة عن النظر والسماع، ثم تقوى هذه المرتبة بطول الفكرة في محاسن المحبوب وصفاته الجميلة، فتصير مودة، وهي الميل إليه والألفة بشخصه. ثم تتأكد المودة فتصير محبة، والمحبة هي الائتلاف الروحاني. فإذا قويت صارت خلة، وهذا أصح الأقوال. والخلة بين الآدميين هي تمكن محبة أحدهما من قلب صاحبه حتى يسقط بينهما السرائر، ثم تقوى الخلة فتصير هوى، والهوى أن المحب لا يخالطه في محبوبه تغير، ولا يداخله تلون. ثم يزيد الهوى فيصير **عشقا**.

والعشق الإفراط في المحبة حتى لا يخلو العاشق من تخيل المعشوق وفكره وذكره، ولا يغيب عن خاطره وذهنه، فعند ذلك يشغل النفس عن استخدام القوة الشهوانية والنفسانية، فيمنع من النوم لاستضرار الدماغ. فإذا قوي **العشق** صار تتيما، وفي هذا الحال لا يوجد في قلبه فضلة لغير تصور معشوقه، ولا يرضى نفسه بسواها. فإذا تزايد الحال صار ولها، والوله هو الخروج عن الحدود والضوابط حتى تختل أفعاله وتتغير صفاته، ويصير موسوسا لا يدري ما يقول ولا أين يذهب، فحينئذ يعجز الأطباء عن مداواته، وتقصر آراؤهم عن معالجته، لخروجه عن الحدود والضوابط.

قال بعضهم (٢) :

الحب أول ما يكون لجاجة يأتي به ويسوقه الأقدار

---

(١) انظر مراتب الحب في "روضة المحبين" (ص ١٦ فما بعدها) و"الجواب الكافي" (ص ١٦٢ فما

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية – عزير شمس ابن تيمية ١/١٨٠

بعدها) .

(٢) البيتان في "اعتلال القلوب" (٣٧٥/٢) و"مصارع العشاق" (٥٣/١) و"ذم الهوى" (ص٣٣٤) و"روضة المحبين" (ص١٨٣) و"الجواب الكافي" (ص١٩١) .." [1]

"حتى إذا خاض الفتى لجج الهوى جاءت أمور لا تطاق كبار

فلو لم ينتقل العاشق بنفسه في هذه المراتب من مرتبة إلى مرتبة، حتى وصل إلى الحد الذي يؤذيه، لم يصبه أذى، فهو الجاني على نفسه، وأشبه به قول القائل: "يداك أوكتا وفوك نفخ" (١) . فتصور بهذا أنه مخطىء بما صدر منه أو لا، وإن كان ينبغي أن يحتاط لنفسه ولا يورطها فيما فيه هلاكها.

فعلى هذا فالعاشق له ثلاث مقامات (٢) : مبتدأ، ومتوسط، ونهاية.

أما مبتدؤه ففي أول الأمر واجب عليه كتمان ذلك وعدم إفشائه للمخلوقين، تقليلا للوشاة عليه، وإمالة لقلب محبوبه إليه، مراعيا في ذلك شرائط الفتوة من العفة مع القدرة، وإلا التحق بالشيطان الرجيم وحزبه، فازداد به الأمر إلى المقام الأوسط، فيغلب عليه الحال، فلا بأس بإعلام محبوبه بمحبته إياه، فيخف بإعلامه له وشكواه إليه ما يجده منه، ويحذر من إطلاع الناس على ذلك، فهو يكون سبب هلاكه. فإن زاد به الأمر حتى يخرج عن الحدود والضوابط المذكورة، فقد التحق من هذا حاله بالمجانين والمولهين.

على أن من رخص في العشق من العقلاء، لما ذكرنا من ترويضه للنفس وتهذيبه للأخلاق، فجعله مشروطا بالعفة المذكورة، كما قال قائلهم: "عفوا تشرفوا، واعفوا تطرفوا". وقال الأحنف بن قيس (٣) :

---

(١) انظر شرح هذا المثل في "جمهرة الأمثال" (٤٣٠/٢) و"فصل المقال" (ص ٤٥٨) و"مجمع الأمثال" (٤١٤/٢) و"المستقصى" (٤١٠/٢) .

(٢) ذكرها ابن القيم في "الجواب الكافي" (ص١٩١-١٩٣) .

(٣) الصواب أنهما للعباس بن الأحنف، كما في "الأغاني" (٣٥٩/٨) و"التذكرة الحمدونية" (٢٢٩/٦) . وهما بلا نسبة في "روضة المحبين" (ص٣٤٤) .." [2]

"أتأذنون لصب في زيارتكم فعندكم شهوات السمع والبصر

لا يضمر الشوق إن طال الجلوس به عف الضمير ولكن فاسق النظر

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية – عزير شمس ابن تيمية ١٨١/١

(٢) جامع المسائل لابن تيمية – عزير شمس ابن تيمية ١٨٢/١

وقيل لبعض العشاق: ما كنت تصنع لو ظفرت بمن تهوى؟ قال:

كنت أمنع طرفي من وجهه، وأروح قلبي بذكره وحديثه، أستر منه مالا يحب كشفه، ولا أصير بفتح القفل إلى ما ينقض عهده. وأنشد (١) :

أخلو به فأعف عنه كأنني خوف الديانة لست من عشاقه

كالماء في يد صائم يلتذه ظمأ فيصبر عن لذيذ مذاقه

وانقسموا قسمين:

قسم قنعوا بالنظرة البعيدة ولو في مدة مديدة، كما قال شاعرهم:

ليس في العاشقين أقنع مني أنا أرضى بنظرة من بعيد

وقال الآخر:

لو مر في خاطري تقبيل وجنته لسيلت فكري عن عارضيه دما

وقال آخر:

وأحفظه عن ناظري ومقلتي مخافة أن العين تجرح خده

واستمروا على هذه الحالة، فمنهم من يموت وهو كذلك، لا يظهر سره لأحد، حتى محبوبه لا يدري به. روي عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: "من عشق فءف فكتمه فمات منه فهو شهيد" (٢) . وهذا مقام

---

(١) البيتان في "الجواب الكافي" (ص١٩٥) .

(٢) أخرجه ابن حبان في "المجروحين" (٣٤٩/١) والخطيب في "تاريخ بغداد" (٥/٦، ٢٦٢، ١٥٦/٥٠-١١، ٥١/١٣، ٢٩٧/١٨٤) وابن الجوزي في "ذم =." (١)

"هم يغفرون (٣٧)) (١) . إلا أنهم كما قال بعض السلف: ما رأيت شيئا أشبه باللمم من قول أبي هريرة: قال النبي – صلى الله عليه وسلم -: "إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة، فالعين تزني وزناها النظر، واللسان يزني وزناه النطق، والرجل تزني وزناها الخطا، واليد تزني وزناها البطش، والقلب يهوى ويتمنى، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه" (٢) .

وهذه النصوص واردة في حق النساء، وهذا السؤال عن الرجال، لأن أولئك القوم في الزمن الأول لم يكن

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية – عزير شمس ابن تيمية ١٨٣/١

للغلمان عندهم قدر يهوون من أجله، أما الآن فقد زادوا على الحد، وازدادوا على أولئك في الحد، وهم الفتنة موجودة، وقد نهى الله عز وجل عن إرسال النظر، فقال تعالى: (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم) (٣) حسما لهذه المادة، وقال النبي – صلى الله عليه وسلم – لعلي: "النظرة الأولى لك، والثانية عليك" (٤) . حتى قيل: "رب حرب حميت من لفظه، ورب **عشق** غرس من لحظه".

وقد نقل الشيخ محيي الدين النووي (٥) تحريم النظر إلى الأمرد الحسن بشهوة وبغير شهوة، وأفتى به وصححه – رحمه الله – ذهابا إلى سد هذه الثغرة وحسم مادة هذه البلية العظيمة.

فإن كان هذا السائل كما زعم ممن لا يدنس **عشقه** بزنا، ولا

---

(١) سورة الشورى: ٣٧.

(٢) أخرجه البخاري (٦٦١٢) ومسلم (٢٦٥٧) . والمراد ببعض السلف ابن عباس.

(٣) سورة النور: ٣٠.

(٤) أخرجه أحمد (٥/٣٥٣،٣٥١) وأبو داود (٢١٤٩) والترمذي (٢٧٧٧) عن بريدة بن الحصيب.

(٥) في "فتاواه" (ص٢٠٢) .." [١]

"يصحبه بخنا، فينظر في حاله، إن كان من الطبقة الأولى فقد ذكر شروطهم فيما يتعلق بالكتمان حتى عن المحبوب، وإن كان كافيا لهم ان صدقت دعواهم. وإن كان من الطبقة الثانية فلا بأس بشكواه إلى محبوبه كي يرق عليه ويرحمه. وإن غلبه الحال فالتحق بالثالثة أبيح له ما ذكرنا، بشرط أن لا يكون أنموذجا لفعل القبيح المحرم، فيلتحق بالكبائر، فيستحق القتل عند ذلك، ويزول عنه العذر، ويحق عليه كلمة العذاب، (حقت كلمة العذاب على الكافرين (٧١)) (١) .

وأما ما يتعلق بالمعشوق فيجب عليه إدامة حمد الله وشكره على ما أعطاه من الجمال والحسن، ويحرص أن لا يجتمع مع حسنه قبيح الفعال، ولا يدنس جماله بخسيس الخصال. فإن ظهر له من محبة هذا صدق دعواه، وفهم سلوك طريق المحبة من نجواه، فعامله المعاملة الجميلة، وأباح له النظر والمحادثة المذكورة، والقبلة في الأحيان بالشروط المتقدمة، مع أن هذا يكون تفضلا منه فلا يجب عليه، فإن خست نفس العاشق وجنحت إلى الفسق الصراح هجره، وما عليه في ذلك من جناح، وإن قتله **بعشقه** فليقتله، فهذا بعض حقه. والله أعلم بالصواب، وعنده علم الكتاب. آخره، والله سبحانه وتعالى أعلم.

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية – عزير شمس ابن تيمية ١٨٥/١

***

---

(١) سورة الزمر: ٧١.." (١)

"ورسوله) (١) ، وقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: "ما أحد أصبر على أذى يسمعه من الله" (٢) . وقال الله تعالى: "يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر، بيدي الأمر أقلب الليل والنهار" (٣) ، وقال النبي - صلى الله عليه وسلم - للباصق في القبلة: "إنك قد آذيت الله ورسوله" (٤) ، وقال: "من لكعب بن الأشرف، فإنه قد آذى الله ورسوله" (٥) .

فهذه الصفات حق نطق بها الكتاب والسنة، واتفق عليها سلف الأمة وعامة أهل العلم والإيمان من أهل المعرفة واليقين، ودل العقل القياسي والعقل الإيماني على صحتها، فلا خروج عن هذه الأدلة والسنة والجماعة وزمرة الأولياء والأنبياء.

وأما إطلاق لفظ "اللذة" فقد أطلقه قوم من أتباع الأوائل ومن هذه الأمة المتفلسفة وغيرهم، كما أطلقوا لفظ "**العشق**"، وهو بالمعنى الذي فسروه به ليس بباطل، لكن اتباع الألفاظ الشرعية في هذا الباب من الأدب المشروع لنا، إما إيجابا وإما استحبابا، فإذا تركنا إطلاق هذا اللفظ مع صحة المعنى، فلعدم جواز الخروج عن الألفاظ الشرعية في هذا الباب، أو لاستحباب ترك الخروج عن الألفاظ الشرعية في هذا الباب.

---

(١) سورة الأحزاب: ٥٧.

(٢) سبق تخريجه قريبا.

(٣) سبق تخريجه قريبا.

(٤) أخرجه أحمد (٤/٥٦) وأبو داود (٤٨١) من حديث أبي سهلة.

(٥) أخرجه البخاري (٢٥١٠) ومسلم (١٨٠١) من حديث جابر.." (٢)

"عليه البراهين العقلية، كالأمثال المضروبة التي بينها الله تعالى في كتابه، وعرف ذلك أهل العلم والإيمان الذين قال الله فيهم: (ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق) (١) ، وقال: (أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى) (٢) ، وقال: (وتلك الأمثال نضربها للناس وما

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ١٨٦/١

(٢) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ٦٥/٦

يعقلها إلا العالمون (٤٣)) (٣) .

فإن قيل: فقد ذكرتم أن الموجودين كما لا يكون أحدهما فاعلا للاخر ولا سببا له، فلا يكون كل منهما معلولا للآخر ومقصودا له هو منتهى إرادته، ولا يكون كل منهما هو المقصود بالاخر من فاعل واحد، وأنتم تعلمون أن التحاب من الجانبين موجود في نفوس الحيوان، كما أن الزوجين الذكر والأنثى من الناس والبهائم يحب كل واحد منهما الاخر، كما قال تعالى: (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة) (٤) ، بل كل من الزوجين قد يكون الآخر محبوبا له معشوقا لذاته، وهو غاية مقصودة، لا يحبه ويقصده لشيء آخر غير نفسه والاتصال به، ويوجد مثل ذلك في أنواع التحاب والتعاشق الذي هو محرم ومكروه في العقل والدين، إذ المقصود هنا ذكر الواقع.

قيل: المحب والعاشق لزوجه لا يجوز أن يحبه **ويعشقه** لذاته

---

(١) سورة سبأ: ٦.

(٢) سورة الرعد: ١٩.

(٣) سورة العنكبوت: ٤٣.

(٤) سورة الروم: ٢١.." (١)

"بما له في الدنيا ما يشبهه من بعض الوجوه، ثم قيل: (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين) (١) . وقال النبي – صلى الله عليه وسلم –:"يقول الله: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر". (٢)

ولهذا أخبر الله بوجود هذا النعيم واللذات في الجنة مع نفيه لما يقترن به في الدنيا من سبب وغاية، كما نفى عن الأشربة واللباس وغير ذلك آفاته، إذ هي دار نعيم لا آفة فيها بحال، فالتحاب بين الزوجين ونحوهما في الدنيا وإن أعقب لذة مطلوبة لنفسها، فليس أحدهما محبا للآخر لذاته، بل لقضاء الوطر منه، كما تقدم، وهو نوع من المعاوضة كالتعاوض بالأموال، ولهذا كان عقد النكاح يوجب المعاوضة من الطرفين، كما قال تعالى: (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة) (٣)

فإن قيل: **فالعشق** الموجود، وهو محبة المعشوق لنفسه، وكما قد يتحاب الشخصان لذواتهما لا لأجل نكاح وتناسل، فيحب كل منهما الآخر لنفسه.

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية – عزير شمس ابن تيمية ٦/١٨٣

قيل: هذا قصد فاسد، وحب فاسد، وإرادة فاسدة، فإن كل من أحب مخلوقا لنفسه لا لأمر آخر وراء ذلك، فحبه فاسد، وقصده

---

(١) سورة السجدة: ١٧.

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٤٤) ومسلم (٢٨٢٤) من حديث أبي هريرة.

(٣) سورة البقرة: ٢٢٨.." [1]

"فاسد، ونحن إنما ذكرنا امتناع الدور الغائي لبيان فساد هذا ونحوه، وامتناع أن يكون لله ند يحب كحب الله الذي تجب محبته لذاته، ونحن إذا قلنا: إن الدور في العلل الغائية ممتنع، كان المراد به أنه يمتنع أن يكون كل منهما مرادا مطلوبا للاخر محبوبا للاخر بإرادة صحيحة، وقصد صحيح، ومحبة صحيحة، فأما الفاسد من الإرادة فهو نظير من يعتقد جواز كون كل من الشيئين علة للاخر، وقد منعنا أن يكون علة في نفس الأمر أو فاعلا له في نفس الأمر، وإن كان من الناس من يعتقد أنه فاعل له ورب له، لكن هذا اعتقاد فاسد، فكذلك من ظن في شيء غير الله أنه مقصود لنفسه، معبود لنفسه، محبوب لنفسه، حتى أحبه وعبده **وعشقه**، فهذا أيضا جاهل في ذلك ضال فيه، كما أن الأول جاهل في ظنه أن غير الله رب. ولهذا لما تكلم الناس في **العشق** [هل] هو لفساد الإدراك، وهو تخيل المعشوق على خلاف ما هو به، أو لفساد في الإرادة، وهو المحبة المفرطة الزائدة على الحق= كان الصواب أن **العشق** يتناول النوعين، وهو فساد في الإدراك والتصور، وفساد في الإرادة والقصد، ولهذا كان سكرا وجنونا ونحو ذلك مما يتضمن فساد الإدراك والإرادة، حتى قيل (١) :

قالوا جننت بمن تهوى فقلت لهم **العشق** أعظم مما بالمجانين

ولهذا سماه الله مرضا في قوله: (فيطمع الذي في قلبه مرض) (٢) ، ولهذا إنما يوجد كثيرا في أهل الشرك الذين ليس في قلوبهم ما تسكن

---

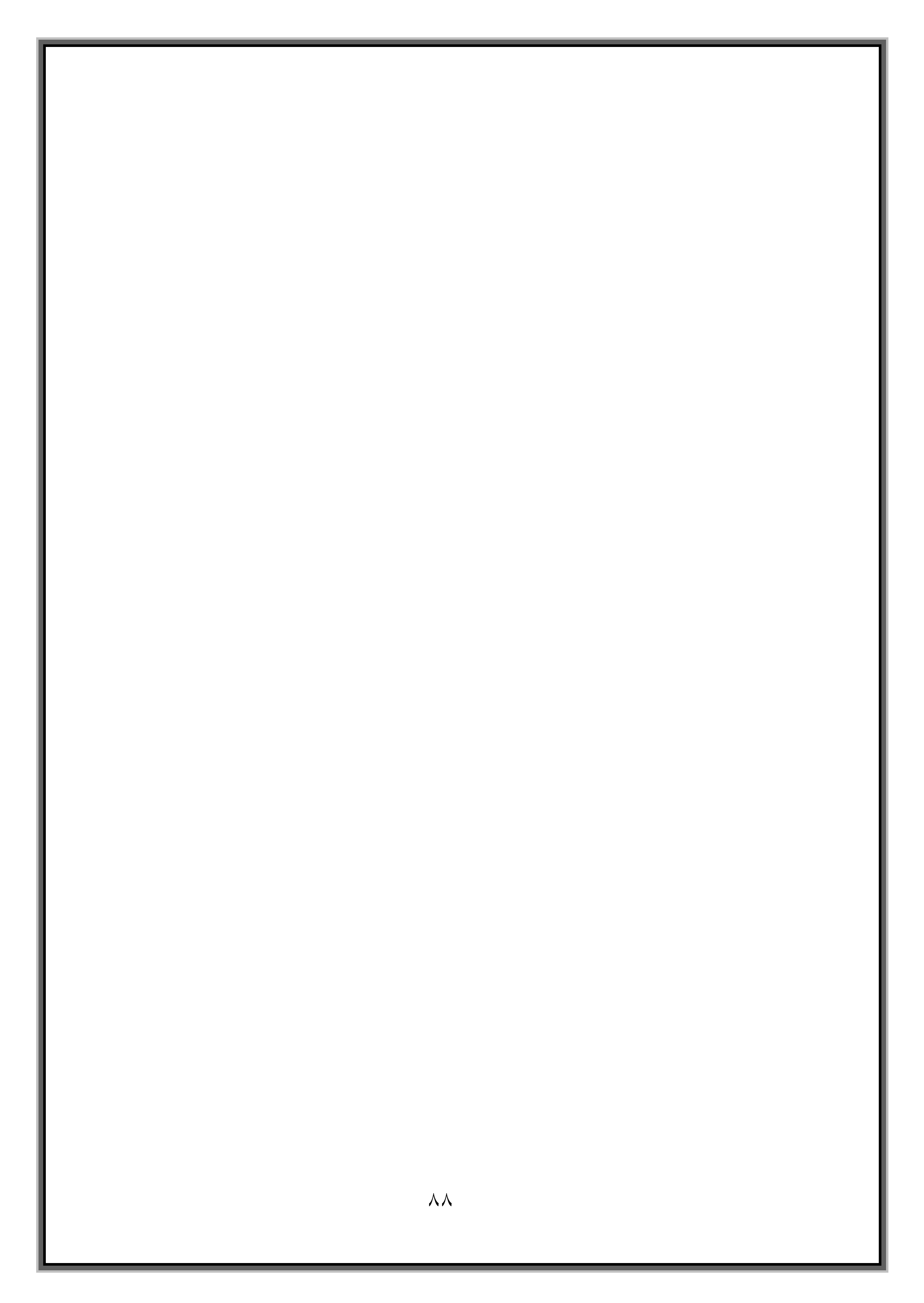
(١) البيت لمجنون ليلى في ديوانه (ص ٢٨١) والأغاني (٣٦/٢) وغيرهما.

(٢) سورة الأحزاب: ٣٢.." [2]

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية – عزير شمس ابن تيمية ١٨٦/٦

(٢) جامع المسائل لابن تيمية – عزير شمس ابن تيمية ١٨٧/٦



"- صلى الله عليه وسلم - من الموبقات.

وفي الصحيحين (١) من حديث عبد الله بن عمر أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: "عذبت امرأة في هرة حبستها (٢) حتى ماتت، فدخلت النار. لا هي أطعمتها، ولا سقتها، ولا تركتها تأكل من خشاش الأرض".

وفي الحلية لأبي نعيم (٣) عن حذيفة أنه قيل له: في يوم واحد تركت بنو إسرائيل دينهم؟ قال: لا، ولكنهم كانوا إذا أمروا بشيء تركوه، وإذا نهوا عن شيء ركبوه، حتى [٢٤/ ب] انسلخوا من دينهم، كما ينسلخ الرجل من قميصه.

ومن ها هنا قال بعض السلف: المعاصي بريد الكفر، كما أن القبلة بريد الجماع، والغناء بريد الزنا، والنظر بريد **العشق**، والمرض بريد الموت (٤).

وفي الحلية أيضا (٥) عن ابن عباس أنه قال: يا صاحب الذنب لا

---

(١) سبق تخريجه في ص ٥٧.

(٢) ف: "سجنتها".

(٣) الحلية (١/ ٢٧٩)، وسنده صحيح. وأخرجه البيهقي في الشعب (٦٨١٧) بسند حسن عن حذيفة نحوه.

(٤) في المدارج (٢/ ٢٥) نقل المصنف عن السلف: "المعاصي بريد الكفر، كما أن الحمى بريد الموت". وهو من كلام أبي حفص النيسابوري (٢٦٧ هـ) في طبقات الصوفية (١١٦). والحلية (١٠/ ٢٤٤).

(٥) (١/ ٣٢٤) من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس فذكره. جويبر ضعيف جدا، والضحاك لم يسمع من ابن عباس.." (١)

"الضنك، والآية تتناول ما هو أعم منه، وإن كانت نكرة في سياق الإثبات، فإن عمومها من حيث المعنى (١)، فإنه سبحانه رتب المعيشة الضنك على الإعراض عن ذكره.

فالمعرض عنه له من ضنك المعيشة (٢) بحسب إعراضه، وإن تنعم في الدنيا بأصناف النعيم، ففي قلبه من الوحشة والذل والحسرات التي تقطع القلوب والأماني الباطلة والعذاب الحاضر ما فيه، وإنما يواريه عنه

---

(١) الداء والدواء ط المجمع ابن القيم ص/١٢٥

سكر الشهوات **والعشق** وحب الدنيا والرياسة، إن لم ينضم إلى ذلك سكر الخمر! فسكر هذه الأمور أعظم من سكر الخمر، فإنه يفيق صاحبه ويصحو، وسكر الهوى وحب الدنيا لا يصحو (٣) صاحبه إلا إذا

= وفي تهذيب الآثار (مسند عمر- ٧٢٨) وابن أبي شيبة ٣/ ٥٩ (١٢٠٦١) وهناد (٣٥٤).

وأما حديث أبي سعيد الخدري فأخرجه مرفوعا الحاكم ٢/ ٤١٣ (٣٤٣٩) والبيهقي في عذاب القبر (٥٨، ٥٩). وروي من طرق أخرى موقوفا. أخرجه ابن أبي شيبة ٧/ ١٤٤ (٣٤٨٣٧) والطبري ١)٦/ ٢٢٨) والبيهقي في عذاب القبر (٥٩). والموقوف أصح.

ورواه أيضا ابن أبي هلال عن أبي حازم عن أبي سعيد موقوفا. أخرجه الطبري (١٦/ ٢٢٧).

وأما أثر ابن مسعود موقوفا فأخرجه هناد في الزهد (٣٥٢) والطبراني (٩/ رقم ٩١٤٣) والطبري (١٦/ ٢٢٨) وسنده حسن.

وأما أثر ابن عباس فأخرجه البيهقي في عذاب القبر (٦٨) وسنده حسن.

وجاء أيضا عن السدي وأبي صالح ومجاهد وزاذان. انظر الطبري (١٦/ ٢٢٨) وعذاب القبر للبيهقي (٦٣، ٦٤).

(١) وانظر الفوائد (١٦٨)، ومدارج السالكين (١/ ٤٢٢)، (٣/ ٢٥٩).

(٢) "الضنك على الإعراض ... المعيشة" ساقط من ت.

(٣) ز: "لا يفيق".." (١)

"الثاني: أنه نهى عباده أن تأخذهم بالزناة رأفة في دينه، بحيث تمنعهم من إقامة الحد عليهم. فإنه سبحانه من رأفته ورحمته بهم شرع هذه [٨٢/ أ] العقوبة، فهو أرحم منكم (١)، ولم تمنعه رحمته من أمره بهذه العقوبة، فلا يمنعكم أنتم ما يقوم بقلوبكم من الرأفة (٢) من إقامة أمره.

وهذا وإن كان عاما في سائر الحدود، ولكن ذكر في حد الزنى خاصة، لشدة الحاجة إلى ذكره. فإن الناس لا يجدون في قلوبهم من الغلظة والقسوة على الزاني ما يجدونه على السارق والقاذف وشارب الخمر، فقلوبهم ترحم الزاني أكثر مما ترحم غيره من أرباب الجرائم، والواقع شاهد بذلك، فنهوا أن تأخذهم هذه الرأفة، وتحملهم على تعطيل حد الله.

وسبب هذه الرحمة أن هذا ذنب يقع من الأشراف والأوساط والأرذال (٣)، وفي النفوس أقوى الدواعي

---

(١) الداء والدواء ط المجمع ابن القيم ص/٢٧٩

إليه، والمشارك فيه كثير، وأكثر أسبابه **العشق**، والقلوب مجبولة على رحمة العاشق، وكثير من الناس يعد مساعدته طاعة وقربة، وإن كانت الصورة المعشوقة محرمة عليه. ولا يستنكر (٤) هذا الأمر، فهو مستقر عند ما شاء الله من أشباه الأنعام. ولقد حكي لنا من ذلك شيء كثير، أكثره عن ناقصي العقول (٥) كالخدام والنساء.

---

(١) ف: "أرحم بكم منكم بهم".

(٢) "رحمته من أمره ... الرأفة" ساقط من ز.

(٣) ف، ل: "الأراذل".

(٤) س، ف: "لا تستكثر". وفي ل: "لا يستلزم"، تحريف.

(٥) س، ز: "ناقص العقول".." [1]

"وهل من طريق قاصد إلى التوفيق؟ وهل يمكن السكران بخمرة الهوى أن يفيق؟

وهل يملك العاشق قلبه، **والعشق** قد وصل إلى سويدائه؟ وهل للطبيب بعد ذلك حيلة في برئه (١) من سوء دائه؟

إن لامه لائم التذ بملامه ذكرا (٢) لمحبوبه، وإن عذله عاذل أغراه عذله (٣)، وسار به في طريق مطلوبه.

ينادي عليه شاهد حاله، بل لسان قاله (٤):

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي ... متأخر عنه ولا متقدم

وأهنتني فأهنت نفسي جاهدا ... ما من يهون عليك ممن يكرم

أشبهت أعدائي فصرت أحبهم ... إذ كان حظي منك حظي منهم

أجد الملامة في هواك لذيذة ... حبا لذكرك فليلمني اللوم (٥)

ولعل هذا هو المقصود بالسؤال الأول الذي وقع عليه الاستفتاء، والداء الذي طلب له الدواء.

قيل: نعم، الجواب من رأس "وما أنزل الله سبحانه من داء إلا

---

(١) ف: "من برئه".

(٢) ف: "ذاكرا".

---

(١) الداء والدواء ط المجمع ابن القيم ص/٣٨١

(٣) "أغراه عذله" ساقط من س.

(٤) ف: "شاهد حاله بـ[لسـ]ان قاله".

(٥) الأبيات لأبي الشيص الخزاعي في ديوانه (١٥١). وقد أوردها المصنف في روضة المحبين (٤٥٢)، وانتقدها في طريق الهجرتين (٦٥٩).." [١]

"ببصيرة القلب (١).

وضد هذا ما وصف الله به اللوطية من العمه الذي هو ضد البصيرة، فقال تعالى: ﴿لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون (٧٢)﴾ [الحجر: ٧٢]، فوصفهم بالسكرة التي هي فساد العقل، والعمه الذي هو فساد البصيرة.

فالتعلق بالصور يوجب فساد العقل (٢)، وعمه البصيرة، وسكر القلب (٣)، كما قال القائل:

سكران سكر هوى وسكر مدامة ... ومتى إفاقة من به سكران (٤)؟

وقال الآخر (٥):

قالوا جننت بمن تهوى فقلت لهم ... **العشق** أعظم مما بالمجانين

العشق لا يستفيق الدهر صاحبه ... وإنما يصرع المجنون في الحين (٦)

---

(١) ف: "لا تنال إلا ببصيرة القلب".

(٢) "والعمه الذي هو فساد ... العقل" ساقط من س.

(٣) ز: "سكرة القلب".

(٤) من أبيات للخليع الشامي، في يتيمة الدهر (١/ ٢٧١)، وفيه: "أنى يفيق فتى به سكران". وقد أنشده المؤلف في التبيان (٢٧٣)، وروضة المحبين (٢٠٣)، والمدارج (٣/ ٣٠٨).

(٥) س: "آخر".

(٦) أنشدهما المؤلف في روضة المحبين (١٣٠، ٢٩٢)، ونقلهما في إغاثة اللهفان (٨٧٣) من اعتلال القلوب للخرائطي. وقد نسبهما في الروضة (٢٤٢) إلى قيس، وهو مجنون ليلى، كما في الأغاني (٢/ ٣٢)، ومصارع العشاق (١/ ١٢٦، ٢/ ١٨١). وانظر ديوانه (٢١٨). والرواية: "قالت جننت على رأسي

---

(١) الداء والدواء ط المجمع ابن القيم ص/٤١٤

فقلت لها الحب ... " وفي البيت الثاني: "الحب ليس يفيق ... " وكذا في الاعتلال (٣٧٧)، إلا أن فيه "العشق" مكان "الحب".." (١)

"هي محل (١) النجاسات والقاذورات والأوساخ، فلا يصلح لسكنى معرفة الله ومحبته والإنابة إليه والإنس به والسرور بقربه فيه، وإنما يسكن فيه أضداد ذلك.

فهذه إشارة إلى بعض فوائد غض البصر تطلعك على ما وراءها.

فصل

الثاني (٢): اشتغال القلب بما يصده عن ذلك، ويحول بينه وبين الوقوع فيه. وهو (٣) إما خوف مقلق، أو حب مزعج. فمتى خلا القلب من خوف ما فواته أضر عليه من حصول هذا المحبوب، أو خوف ما حصوله أضر عليه من ذوات هذا المحبوب (٤)، أو محبة ما هو أنفع له وخير له من هذا المحبوب وفواته أضر عليه من ذوات هذا المحبوب = لم يجد بدا من عشق الصور.

وشرح هذا أن النفس لا تترك محبوبا إلا لمحبوب أعلى منه، أو خشية مكروه حصوله أضر عليها من ذوات هذا المحبوب. وهذا يحتاج صاحبه إلى أمرين إن فقدا أو أحدهما لم ينتفع بنفسه:

أحدهما: بصيرة صحيحة يفرق بها بين درجات المحبوب والمكروه، فيؤثر أعلى المحبوبين على أدناهما، ويحتمل أدنى

---

(١) ز: "محمل".

(٢) يعني: الأمر الثاني المانع من حصول داء العشق.

(٣) "وهو" ساقط من ف.

(٤) ف، ز: "ذوات المحبوب". وقد سقط من ل: "أو خوف ما حصوله ... المحبوب".." (٢)

"فصل

إذا عرفت هذه المقدمة، فلا يمكن أن يجتمع في القلب (١) حب المحبوب الأعلى وعشق الصور أبدا، بل هما ضدان لا يتلاقيان، بل لابد أن يخرج أحدهما صاحبه. فمن كانت قوة حبه كلها للمحبوب

---

(١) الداء والدواء ط المجمع ابن القيم ص/٤١٨

(٢) الداء والدواء ط المجمع ابن القيم ص/٤٢٢

الأعلى الذي محبة ما سواه باطلة وعذاب على صاحبها، صرفه ذلك عن محبة ما سواه. وإن أحبه (٢) لم يحبه إلا لأجله ولكونه وسيلة له إلى محبته، أو قاطعا له عما يضاد محبته وينقضها (٣).

والمحبة الصادقة تقتضي توحيد المحبوب، وأن لا يشرك (٤) بينه وبين غيره في محبته. وإذا كان المحبوب من الخلق يأنف ويغار أن يشرك محبه غيره (٥) في محبته، ويمقته لذلك (٦)، ويبعده، ولا يحظيه بقربه، ويعده كاذبا في دعوى محبته، مع أنه ليس أهلا لصرف قوة المحبة إليه، فكيف بالحبيب الأعلى الذي لا تنبغي المحبة إلا له وحده، وكل محبة لغيره فهي عذاب على صاحبها ووبال؟ ولهذا لا يغفر الله سبحانه أن يشرك به في هذه المحبة، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء.

فمحبة الصور تفوت محبة (٧) ما هو أنفع للعبد منها، بل (٨) تفوت

---

(١) ف: "للقلب".

(٢) س: "فإذا".

(٣) ف، ل: "ينقصها".

(٤) ف: "ولا يشرك".

(٥) س، ف: "محبة غيره". تصحيف.

(٦) س: "كذلك"، تحريف.

(٧) كلمة "محبة" ساقطة من ز.

(٨) "تفوت ... بل" ساقط من ل.." (١)

"قال (١):

تشكى المحبون الصبابة ليتني ... تحملت مايلقون من بينهم وحدي (٢)

فكانت لقلبي لذة الحب كلها ... فلم يلقها قبلي محب ولا بعدي (٣)

ثم الغرام، وهو لزوم الحب للقلب لزوما لا ينفك عنه. ومنه سمي الغريم غريفا لملازمته صاحبه (٤). ومنه قوله تعالى: ﴿إن عذابها كان غراما (٦٥)﴾ [الفرقان: ٦٥]. وقد أولع (٥) المتأخرون باستعمال هذا اللفظ في الحب، وقل أن تجده في أشعار العرب.

ثم **العشق**، وهو إفراط المحبة. ولهذا لا يوسف به الرب تعالى، ولا يطلق في حقه (٦).

---

(١) الداء والدواء ط المجمع ابن القيم ص/٤٢٤

ثم الشوق، وهو سفر القلب إلى المحبوب أحث السفر (٧). وقد جاء إطلاقه في حق الرب تعالى (٨)، كما في مسند الإمام أحمد (٩) من

---

(١) ف: "وقال بعضهم".

(٢) س: "يشكو". ل: "يشتكي"، وكلاهما تحريف.

(٣) أنشدهما المصنف في روضة المحبين (٢٧٩،٢٧١) لشاعر الحماسة. انظر حماسة أبي تمام (٢/ ٣٥) والبيتان لمجنون ليلى في ديوانه (٩٢).

(٤) ف: "لملازمة صاحبه". وهو ساقط من ل.

(٥) ف: "وقد ولع".

(٦) وانظر روضة المحبين (١١٠).

(٧) انظر روضة المحبين (١١٢)، وطريق الهجرتين (٧١٣) والمدارج (٣/ ٥٣).

(٨) زاد بعض من قرأ نسخة س: "مجازا" في حوض ياء "تعالى"، وهو تصرف قبيح منه.

(٩) ٤/ ٢٦٤ (١٨٣٢٥). وأخرجه النسائي (١٣٠٦) والطبراني في الدعاء (٦٢٥) وغيرهم من طريق إسحاق الأزرق وغيره عن شريك القاضي عن أبي هاشم عن =." [١]

"وجلاء حزني، وذهاب همي وغمي = إلا أذهب الله همه وغمه، وأبدله مكانه فرحا (١) " (٢).

وهذا يتناول حكم الرب الكوني والأمري وقضاءه الذي يكون باختيار العبد وغير اختياره، فكلا الحكمين (٣) ماض في عبده، وكلا القضائين عدل فيه. فهذا الحديث مشتق من هذه الآية، بينهما أقرب نسب (٤).

فصل

ونختم (٥) الجواب بفصل يتعلق **بعشق** الصور، وما فيه من المفاسد العاجلة والآجلة، وإن كانت أضعاف ما يذكره ذاكر، فإنه يفسد القلب بالذات. وإذا فسد فسدت الإرادات والأقوال والأعمال، وفسد نفس التوحيد (٦) كما تقدم، وكما سنقرره أيضا إن شاء الله.

والله سبحانه إنما حكى هذا المرض عن طائفتين من الناس، وهما اللوطية والنساء. فأخبر عن **عشق** امرأة

---

(١) الداء والدواء ط المجمع ابن القيم ص/٤٢٧

العزيز ليوسف وما راودته وكادته به، وأخبر عن الحال التي صار إليها يوسف بصبره وعفته وتقواه، مع أن الذي ابتلي به أمر لا يصبر عليه إلا من صبره الله عليه. فإن موافقة الفعل بحسب قوة الداعي وزوال المانع، وكان الداعي ها هنا في غاية القوة،

(١) س: "فرجا".

(٢) تقدم تخريجه في ص (٢٣/ ٢٢).

(٣) س، ل: "وكلا الحكمين".

(٤) وانظر: زاد المعاد (٤/ ٢٥٦)، والفوائد (٢١).

(٥) س: "ويختم".

(٦) ف: "ثغر التوحيد".." (١)

"الثالث عشر: أن الزوج لم يظهر منه من الغيرة والنخوة ما يفرق به بينهما، ويبعد كلا منهما عن صاحبه، بل كان غاية ما قابلهما به أن قال ليوسف: ﴿أعرض عن هذا﴾. وللمرأة: ﴿واستغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين (٢٩)﴾ [يوسف: ٢٩] وشدة الغيرة في الرجل من أقوى الموانع، وهذا لم يظهر منه غيرة.

ومع هذه الدواعي كلها، فآثر مرضاة الله وخوفه، وحمله حبه لله على أن اختار السجن (١) على الزنى، فقال: ﴿قال رب السجن أحب إلي مما يدعونني﴾ [يوسف: ٣٣]، وعلم أنه لا يطيق صرف ذلك عن نفسه، وأن ربه تعالى إن لم يعصمه ويصرفه (٢) عنه صبأ إليهن بطبعه، وكان من الجاهلين. وهذا من كمال معرفته بربه وبنفسه.

وفي هذه القصة من العبر والفوائد والحكم ما يزيد على ألف فائدة (٣)، لعلنا إن وفق (٤) الله [١٠٧/ أ] أن نفردها في مصنف مستقل (٥).

فصل

والطائفة الثانية الذين حكى (٦) عنهم **العشق** هم (٧) اللوطية، كما قال تعالى: ﴿وجاء أهل المدينة يستبشرون (٦٧) قال إن هؤلاء ضيفي فلا تفضحون (٦٨)

(١) الداء والدواء ط المجمع ابن القيم ص/٤٨٢

(١) ف: "وحمله خشية الله على اختيار السجن".

(٢) يعني: كيدهن. وفي ف: "ويصرف".

(٣) وقال نحوه في شفاء العليل (٢٢٤).

(٤) ل: "وفقنا".

(٥) لم نجد إشارة إليه في موضع آخر، ولا ندري أتمكن من تأليفه أم لا.

(٦) ل: "حكى الله".

(٧) في س: "في" مكان "هم"، تحريف.." [1]

"﴿واتقوا الله ولا تخزون (٦٩) قالوا أولم ننهك عن العالمين (٧٠) قال هؤلاء بناتي إن كنتم فاعلين (٧١) لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون (٧٢)﴾ [الحجر: ٦٧ - ٧٢]، فهذه **عشقت**.

فحكاه (١) سبحانه عن طائفتين **عشق** كل منهما ما حرم عليه من الصور، ولم يبال بما (٢) في **عشقه** من الضرر.

وهذا داء أعيا الأطباء دواؤه، وعز عليهم شفاؤه. وهو -لعمر الله- الداء العضال، والسم القتال، الذي ما علق بقلب إلا وعز على الورى استنقاذه من إساره، ولا اشتعلت ناره في مهجة إلا وصعب على الخلق تخليصها من ناره.

وهو أقسام. فإنه تارة يكون كفرا، كمن اتخذ معشوقه ندا يحبه كما يحب الله، فكيف إذا كانت محبته أعظم من محبة الله في قلبه؟ فهذا **عشق** لا يغفر لصاحبه، فإنه من أعظم الشرك، والله لا يغفر أن يشرك به؛ وإنما يغفر بالتوبة الماحية.

وعلامة هذا **العشق** الشركي الكفري أن يقدم العاشق رضا معشوقه على رضا ربه، وإذا تعارض عنده حق معشوقه وحظه وحق ربه وطاعته قدم حق معشوقه (٣) على حق ربه، وآثر رضاه على رضاه (٤)، وبذل لمعشوقه أنفس ما يقدر عليه، وبذل لربه -إن بذل- أردأ ما عنده،

(١) س: "فحكى الله". ل: "فحكاه الله".

(٢) "بما" ساقط من س.

(١) الداء والدواء ط المجمع ابن القيم ص/٤٨٧

(٣) "وحطه ... معشوقه" ساقط من س.

(٤) ف: "رضا ربه".." [1]

"واستفرغ وسعه في مرضاة معشوقه وطاعته والتقرب إليه، وجعل لربه -إن أطاعه- الفضلة التي تفضل عن معشوقه من ساعاته (١).

فتأمل حال أكثر عشاق الصور (٢)، هل (٣) تجدها مطابقة لذلك؟ ثم ضع حالهم في كفة، وتوحيدهم وإيمانهم في كفة، وزن وزنا يرضي الله ورسوله، ويطابق العدل.

وربما صرح العاشق منهم بأن وصل معشوقه أحب إليه من توحيد ربه، كما قال العاشق الخبيث (٤):

يترشفن من فمي رشفات ... هن أحلى فيه من التوحيد (٥)

وكما صرح الخبيث (٦) الآخر بأن وصل معشوقه أشهى إليه من رحمة ربه، -فعياذا بك اللهم من هذا الخذلان (٧) - فقال: [١٠٧/ ب]

وصلك أشهى إلى فؤادي ... من رحمة الخالق الجليل (٨)

ولا ريب أن هذا **العشق** من أعظم الشرك.

---

(١) ف: "ساعته".

(٢) س: "العشاق للصور".

(٣) لم ترد "هل" في ف، ل.

(٤) ل: "الحبيب"، تصحيف.

(٥) من قصيدة للمتنبي قالها في صباه. ديوانه (٣٥).

(٦) ل: "الحبيب"، تصحيف.

(٧) س: "فعياذا بالله من هذه الحال ومن هذا الخذلان". وأشير في الحاشية إلى ما أثبتناه من غيرها.

(٨) سبق البيت مع قصته (٣٩٥).." [2]

"وكثير من العشاق يصرح بأنه لم يبق في قلبه موضع لغير معشوقه البتة، بل قد ملك معشوقه عليه قلبه كله (١)، فصار عبدا محضا من كل وجه لمعشوقه! فقد رضي هذا من عبودية الخالق جل جلاله بعبودية

---

[1] الداء والدواء ط المجمع ابن القيم ص/٤٨٨

[2] الداء والدواء ط المجمع ابن القيم ص/٤٨٩

(٢) مخلوق مثله، فإن العبودية هي كمال الحب والخضوع، وهذا قد استفرغ قوة حبه وخضوعه وذله لمعشوقه، فقد أعطاه حقيقة العبودية.

ولا نسبة بين مفسدة هذا الأمر العظيم ومفسدة الفاحشة، فإن تلك ذنب كبير، لفاعله حكم أمثاله؛ ومفسدة هذا **العشق** مفسدة الشرك.

وكان بعض الشيوخ من العارفين (٣) يقول: لأن أبتلى بالفاحشة مع تلك الصورة أحب إلى من أن أبتلى فيها **بعشق** يتعبد لها قلبي ويشغله عن الله.

فصل

ودواء هذا الداء القتال: أن يعرف ما (٤) ابتلي به من الداء المضاد

---

(١) لم ترد "عليه في س. ولم ترد "كله" في ف، ل.

(٢) زاد في ف بعدها: "غيره".

(٣) ز: "الشيوخ العارفين".

(٤) في طبعة عبد الظاهر: "أن ما"، وزيادة "أن" هذه خطأ جعل الكلام ناقصا، وأدى إلى زيادة أخرى في بعض الطبعات، وسياقها في طبعة المدني: " [أن] ما ابتلي به من [هذا] الداء المضاد للتوحيد [إنما هو من جهله وغفلة قلبه عن الله، فعليه أن يعرف توحيد ربه وسننه وآياته] أولا". وقد وضع الناشر "إنما هو ... أولا] بين قوسين، وقال في تعليقه: "هذه الزيادة ساقطة من المخطوطة ونرى أنه لابد منها". وهي مع التعليق نفسه في طبعة السلفية (٢٣١) ثم جاءت طبعات معاصرة أثبتت الزيادة وحذفت القوسين!." [١]

"للتوحيد أولا، ثم يأتي من العبادات الظاهرة والباطنة بما يشغل قلبه عن دوام الفكرة فيه، ويكثر اللجأ والتضرع إلى الله سبحانه في صرف ذلك عنه وأن يراجع بقلبه إليه.

وليس له دواء أنفع من الإخلاص لله. وهو الدواء الذي ذكره الله في كتابه حيث قال: ﴿كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين (٢٤)﴾ (١) [يوسف: ٢٤]. فأخبر سبحانه أنه صرف عنه السوء من **العشق** والفحشاء من الفعل بإخلاصه (٢). فإن القلب إذا خلص (٣)

وأخلص عمله لله لم يتمكن منه **عشق** الصور، فإنه إنما يتمكن من قلب فارغ، كما قال (٤):

---

(١) الداء والدواء ط المجمع ابن القيم ص/٤٩٠

فصادف قلبا خاليا فتمكنا (٥) وليعلم العاقل أن العقل والشرع يوجبان (٦) تحصيل المصالح

---

(١) "المخلصين" بكسر اللام قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر. انظر: الإقناع (٦٧١). واستدلال المؤلف بالآية مبني على هذه القراءة.

(٢) ونحوه في زاد المعاد (٤/ ٢٦٨)، وإغاثة اللهفان ١٣٣، ٨٥٤، ٨٦٨)، ومفتاح دار السعادة (١/ ٢٧٧).

(٣) ل: "خلص لله".

(٤) ل: "كما قيل".

(٥) ف، ز: "قلبا فارغا". وصدره كما في حاشية س، ف: أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى

وقد سبق في ص (٣٦١).

(٦) ز: "قد يوجبان".." (١)

"وتكميلها وإعدام المفاسد وتقليلها. فإذا (١) عرض للعاقل أمر يرى فيه مصلحة ومفسدة (٢) وجب عليه أمران: أمر علمى، وأمر عملي. فالعلمي طلب معرفة الراجح من طرفي المصلحة والمفسدة، فإذا [١٠٨/ أ]، تبين له الرجحان وجب عليه إيثار (٣) الأصلح له.

ومن المعلوم أنه ليس في **عشق** الصور مصلحة دينية ولا دنيوية، بل مفسدته الدينية والدنيوية أضعاف أضعاف ما يقدر فيه من المصلحة، وذلك من وجوه:

أحدها: الاشتغال بحب المخلوق وذكره عن حب الرب تعالى وذكره. فلا يجتمع في القلب هذا وهذا إلا ويقهر أحدهما صاحبه، ويكون السلطان والغلبة له.

الثاني: عذاب قلبه بمعشوقه. فإن من أحب شيئا غير الله عذب به، ولابد:

فما في الأرض أشقى من محب ... وإن وجد الهوى حلو المذاق

تراه باكيا في كل حين ... مخافة فرقة أو لاشتياق (٤)

فيبكي إن نأوا شوقا إليهم ... ويبكي إن دنوا حذر الفراق

فتسخن عينه عند الفراق ... وتسخن عينه عند التلاقي (٥)

---

(١) الداء والدواء ط المجمع ابن القيم ص/٤٩١

(١) س: "وإذا".

(٢) "مصلحة و" ساقط من ز.

(٣) س، ل: "إتيان".

(٤) هذا البيت ساقط من ف.

(٥) الأبيات لنصيب في ديوانه المجموع (١١١). وهي في الحماسة (٢/ ٩٣) دون =." [1]

"**والعشق**، وإن استعذبه العاشق، فهو من أعظم عذاب القلب.

الثالث: أن العاشق قلبه أسير في قبضة معشوقه، يسومه الهوان (١)، ولكن لسكرة **العشق** لا يشعر بمصابه، فقلبه

كعصفورة في كف طفل يسومها ... حياض الردى والطفل يلهو ويلعب (٢)

فعيش العاشق عيش الأسير الموثق، وعيش الخلي عيش المسيب المطلق. فالعاشق كما قيل (٣):

طليق برأي العين وهو أسير ... عليل على قطب الهلاك يدور (٤)

وميت يرى في صورة الحي غاديا ... وليس له حتى النشور نشور

= عزو. وأوردها المؤلف في إغاثة اللهفان (٩٢، ٨٢٣) أيضا.

(١) ف: "سوء الهوان".

(٢) تمثل به المؤلف في روضة المحبين (٢٠٢)، وإغاثة اللهفان (٨٢٣) أيضا. وقد نسب البيت إلى ابن الزيات في معجم الشعراء للمرزباني (٣٦٦)، والفتح بن خاقان في الزهرة (٨٥). وهو في اعتلال القلوب (٣١٢) من إنشاد ابن الزيات. ورواية العجز فيها جميعا: "ورود حياض الموت والطفل يلعب".

وانظر ديوان مجنون ليلى (٣٨).

وقد ورد بعده في طبعة المدني والنشرات التابعة لها زيادة خلت عنها النسخ الخطية، وهي: "كما قال بعض هؤلاء: ملكت فؤادي بالقطيعة والجفا ... وأنت خلي البال تلهو وتلعب"

(٣) "فالعاشق كما قيل" انفردت بها ف. وقد تمثل المؤلف بصدر البيت الأول في روضة المحبين (٢٠١).

(٤) ف: "تراه العين".." [2]

---

[1] الداء والدواء ط المجمع ابن القيم ص/٤٩٢

[2] الداء والدواء ط المجمع ابن القيم ص/٤٩٣

"أخو غمرات ضاع فيهن قلبه ... فليس له حتى الممات حضور

الرابع: أنه (١) يشتغل به عن مصالح دينه ودنياه. فليس شيء أضيع (٢) لمصالح الدين والدنيا من **عشق** الصور.

أما مصالح الدين فإنها منوطة بلم شعث القلب وإقباله على الله، **وعشق** الصور أعظم شيء تشعيثا وتشتيتا [١٠٨/ ب] له (٣).

وأما مصالح الدنيا فهي متابعة في الحقيقة لمصالح الدين، فمن انفرطت عليه مصالح دينه وضاعت عليه، فمصالح دنياه أضيع وأضيع.

الخامس: أن (٤) آفات الدنيا والآخرة أسرع إلى عشاق الصور من النار في يابس الحطب.

وسبب ذلك أن القلب كلما قرب من **العشق** وقوي اتصاله به (٥) بعد من الله، فأبعد القلوب من الله قلوب عشاق الصور. وإذا بعد القلب من الله طرقته الآفات من كل ناحية، فإن الشيطان يتولاه. ومن تولاه عدوه (٦) واستولى عليه لم يأله وبالا، ولم يدع أذى يمكنه إيصاله إليه إلا أوصله.

فما الظن بقلب تمكن منه عدؤه وأحرص الخلق على غيه (٧) وفساده، وبعد منه وليه ومن لا سعادة له ولا فلاح ولا سرور إلا بقربه وولايته؟

---

(١) ما عدا ف: "أن".

(٢) يعني: أشد إضاعة. صاغ اسم التفضيل على أفعل من المزيد.

(٣) "له" ساقط من ف.

(٤) "أن" لم ترد في ف.

(٥) "به" ساقط من س.

(٦) "عدوه" لم يرد في س. وسقط "واستولى عليه" من ل.

(٧) ما عدا ف: "عيبه".." (١)

"السادس: أنه إذا تمكن من القلب واستحكم وقوي سلطانه أفسد الذهن، وأحدث الوسواس. وربما التحق صاحبه بالمجانين الذين فسدت عقولهم فلا ينتفعون بها. وأخبار العشاق (١) في ذلك موجودة في مواضعها، بل بعضيها مشاهد بالعيان.

---

(١) الداء والدواء ط المجمع ابن القيم ص/٤٩٤

وأشرف ما في الإنسان عقله، وبه يتميز عن سائر الحيوانات؛ فإذا عدم عقله التحق بالحيوان البهيم، بل ربما كان حال الحيوان أصلح من حاله. وهل أذهب عقل مجنون ليلى وأضرابه إلا **العشق؟**

وربما زاد جنونه على جنون غيره، كما قيل:

قالوا جننت بمن تهوى فقلت لهم ... **العشق** أعظم مما بالمجانين

العشق لا يستفيق الدهر صاحبه ... وإنما يصرع المجنون في الحين (٢)

السابع: أنه ربما أفسد الحواس أو بعضها (٣) إما فسادا معنويا أو صوريا (٤).

أما الفساد المعنوي فهو تابع لفساد القلب، فإن القلب إذا فسد فسدت العين والأذن واللسان، فيرى القبيح حسنا منه ومن معشوقه، كما في المسند (٥) مرفوعا: "حبك للشيء يعمي [١٠٩/أ]، ويصم". فهو يعمي

---

(١) ف: "العاشق".

(٢) تقدم البيتان في ص (٤١٨).

(٣) ز: "نقصها"، تصحيف.

(٤) س: "ضروريا"، تحريف.

(٥) ٥/ ١٩٤ (٢١٦٩٤)، ٦/ ٤٥٥ (٢٧٥٤٨). وأخرجه أبو داود (٥١٣٠) والبخاري في تاريخه (٢/ ١٠٧) والبزار في مسنده (٤١٢٥) والطبراني في مسند الشاميين (١٤٥٤) والقضاعي في مسند الشهاب (٢١٩) وغيرهم من طريق أبي بكر بن =." (١)

"وأما إفساده للحواس ظاهرا (١)، فإنه يمرض البدن وينهكه، وربما أدى إلى تلفه، كما هو معروف في أخبار من قتلهم **العشق**.

وقد رفع إلى ابن عباس -وهو بعرفة- شاب قد إنتحل (٢) حتى عاد عظما بلا لحم (٣) فقال: ما شأن هذا؟ قالوا: به **العشق**. فجعل ابن عباس يستعيذ بالله (٤) من **العشق** عامة يومه (٥).

الثامن: أن **العشق** -كما تقدم- هو الإفراط في المحبة بحيث يستولي المعشوق على قلب العاشق حتى لا يخلو (٦) من تخيله وذكره والفكر فيه، بحيث لا يغيب عن خاطره وذهنه. فعند ذلك تشتغل النفس عن استخدام القوى الحيوانية والنفسانية، فتتعطل تلك القوى، فيحدث بتعطلها (٧)

---

(١) الداء والدواء ط المجمع ابن القيم ص/٤٩٥

(١) س: "فظاهر"، خطأ.

(٢) لم يرد "انتحل" في كتب اللغة بمعنى نحل الجسم نحولا: رق وهزل. والظاهر أنه استعمال عامي.

(٣) كذا في ف. وفي غيرها: "لحما على عظم". وفي حاشية س: "جلدا" وفوقه علامة "ص". وفي ز: "صار" مكان "عاد".

(٤) "بالله" لم يرد في س.

(٥) أخرجه الخرائطي في اعتلال القلوب (٣٢٢) وابن الجوزي في ذم الهوى (٣٧٣) وابن عساكر في تاريخه (١/ ٢٣٧ - ٢٢)، (١٧٩٩/ ٢) من طريق محمد بن عيسى بن بكار عن فليح بن إسماعيل بن جعفر عن عبد الله بن صالح عن عمه سليمان بن علي عن عكرمة قال: "إنا لمع ابن عباس عشية عرفة ... "

نحوه. وسنده ضعيف، محمد بن عيسى بن بكار لم أقف عليه. وفليح ذكره ابن حبان في الثقات (٩/ ١١) وقال: يعتبر حديثه من غير رواية شاذان عنه.

(ز). وانظر مصارع العشاق (٢/ ٢١٧). (ص).

(٦) س: "حتى يخلو"، خطأ.

(٧) س، ل: "بتعطيلها". وقد سقط من ل: "تلك القوى فيحدث".." [1]

"من الآفات على البدن والروح ما يعز دواؤه أو يتعذر (١)، فتتغير أفعاله وصفاته ومقاصده، ويختل جميع ذلك، فيعجز البشر عن صلاحه، كما قيل (٢):

الحب أول ما يكون لجاجة ... تأتي به وتسوقه الأقدار (٣)

حتى إذا خاض الفتى لجج الهوى ... جاءت أمور لا تطاق كبار

[١٠٩/ ب] والعشق مبادئه سهلة حلوة، وأوسطه هم وشغل قلب وسقم، وآخره عطب وقتل، إن لم يتداركه (٤) عناية من الله، كما قيل:

وعش خاليا فالحب أوله عنا ... وأوسطه سقم، وآخره قتل (٥)

وقال آخر:

تولع بالعشق حتى عشق ... فلما استقل به لم يطق

رأى لجة ظنها موجة ... فلما تمكن منها غرق (٦)

---

(١) الداء والدواء ط المجمع ابن القيم ص/٤٩٧

(١) ف، ل: "ويتعذر". وفي س: "لو يتعذر"، وصوابه ما أثبتنا من ز.

(٢) للعباس بن الأحنف كما في الأغاني (٥/ ١٩٣)، وانظر: ديوانه (١٣٩). وقد نسبا إلى المجنون (ديوانه ٩٦) وجميل (ديوانه ٨٤) أيضا.

(٣) س، ف، ز: "لحاجة"، وقد ضبط في ف، ز بالجر. وكتبت في ف علامة الإهمال. والمثبت من ل، وهي الرواية المشهورة.

(٤) ف: "تتداركه". س: "يدركه".

(٥) لابن الفارض في ديوانه (١٣٤) وروايته: "فالحب راحته عنا، وأوله سقم".

(٦) ذكرهما المؤلف في روضة المحبين (٢٥٢) وشفاء العليل (١٣٨، ١٥٣) أيضا.

وهما من أربعة أبيات نقلها ابن الجوزي بسنده في ذم الهوى (٥٨٦) من إنشاد ابن نحرير البغدادي.." [١]

"والذنب له، فهو الجاني على نفسه، وقد قعد تحت المثل السائر: "يداك أوكتا، وفوك نفخ" (١).

فصل

والعاشق له ثلاث مقامات: مقام ابتداء، ومقام توسط، ومقام انتهاء.

فأما مقام ابتدائه، فالواجب عليه فيه (٢) مدافعته بكل ما يقدر عليه، إذا كان الوصول إلى معشوقه متعذرا قدرا أو شرعا.

فإن عجز عن ذلك، وأبى قلبه إلا السفر إلى محبوبه -وهذا مقام التوسط والانتهاء- فعليه كتمان ذلك، وأن لا يفشيه (٣) إلى الخلق، ولا يشبب بمحبوبه ويهتكه بين الناس، فيجمع بين الشرك والظلم. فإن الظلم في هذا الباب من أعظم أنواع الظلم، وربما كان أعظم ضررا على المعشوق وأهله من ظلمه في ماله. فإنه يعرض المعشوق بتهتكه في **عشقه** إلى وقوع الناس فيه (٤)، وانقسامهم إلى مصدق ومكذب، وأكثر الناس يصدق في هذا الباب بأدنى شبهة. وإذا قيل: فلان فعل بفلان أو

فلانة كذبه واحد، وصدقه تسعمائة وتسعة وتسعون! وخبر العاشق المتهتك عند الناس في هذا الباب يفيد القطع اليقيني،

---

(١) الداء والدواء ط المجمع ابن القيم ص/٤٩٨

(١) انظر مجمع الأمثال للميداني (٣/ ٥١٩).

(٢) لم يرد "فيه" في س.

(٣) ف: "ولا يفشيه".

(٤) "فيه" ساقط من ف.." [١]

"بل إذا أخبرهم المفعول به عن نفسه (١) كذبا وافتراء على غيره جزموا بصدقه جزما لا يحتمل النقيض (٢)، بل لو جمعهما مكان واحد اتفاقا جزموا أن ذلك عن وعد واتفاق بينهما. وجزمهم في هذا الباب على الظنون والتخيل والشبه (٣) والأوهام والأخبار الكاذبة، كجزمهم بالحسيات المشاهدة.

وبذلك وقع أهل الإفك في الطيبة المطيبة حبيبة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، المبرأة من فوق سبع سماوات، بشبهة مجيء صفوان بن المعطل بها وحده خلف العسكرة حتى هلك من هلك. ولولا أن تولى الله سبحانه (٤) براءتها والذب عنها وتكذيب قاذفها، وألا كان أمرا آخر (٥).

والمقصود أن في إظهار المبتلى **عشق** (٦) من لا يحل له الاتصال به من ظلمه وأذاه ما هو عدوان عليه وعلى أهله، وتعريض لتصديق كثير من الناس ظنونهم فيه.

---

(١) ف: "به نفسه".

(٢) ز: "النقض".

(٣) ز: "التخييل والشبهة".

(٤) ز: "أن الله سبحانه تولى".

(٥) ف، ز: "أمر" بالرفع. وكذا وقع "وإلا" هنا في جميع النسخ، وهو استعمال عامي تكرر في كتب المؤلف. انظر طريق الهجرتين (٤٤). والوجه حذفها.

وفي ط المدني وغيرها: "قاذفها لكان"، ولعله إصلاح من الناشرين. وقصة الإفك أخرجها البخاري في الشهادات، باب تعديل النساء بعضهن بعضا (٢٦٦١)؛ ومسلم في التوبة، باب في حديث الإفك (٢٧٧٠) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٦) ف: "**بعشق**"، خطأ.." [٢]

---

[١] الداء والدواء ط المجمع ابن القيم ص/٤٩٩

[٢] الداء والدواء ط المجمع ابن القيم ص/٥٠٠

"التي حرمها الله ليأخذ ماله، يتوصل (١) به إلى معشوقه.

فكل (٢) هذه الآفات وأضعافها وأضعاف أضعافها تنشأ من **عشق** الصور. وربما حمل على الكفر الصريح. وقد تنصر جماعة ممن نشأ في الإسلام بسبب **العشق**، كما جرى لبعض المؤذنين حين أبصر امرأة جميلة على سطح، ففتن بها، فنزل ودخل عليها، وسألها نفسها، فقالت: هي نصرانية، فإن دخلت في ديني تزوجت بك، ففعل. فرقي ذلك اليوم (٣) على درجة عندهم، فسقط منها (٤)، فمات. ذكر هذا عبد الحق في كتاب "العاقبة" له (٥).

وإذا أراد النصارى أن ينصروا الأسير أروه امرأة جميلة، وأمروها أن تطمعه في نفسها، حتى إذا تمكن حبها من قلبه بذلت له نفسها إن دخل في دينها. فهنالك: ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء (٢٧)﴾ [إبراهيم: ٢٧].

وفي **العشق** من ظلم كل واحد من العاشق والمعشوق (٦) لصاحبه بمعاونته له على الفاحشة، وظلمه لنفسه (٧). فكل منهما ظالم لنفسه

---

(١) ف: "ليتوصل".

(٢) ل: "وكل".

(٣) س: "في ذلك اليوم". وفي ف: "الرجل" مكان "اليوم".

(٤) لم يرد "منها" في س.

(٥) ص (١٧٩). وقد تقدمت القصة مفضلة (٣٩٤).

(٦) ف: "المعشوق والعاشق".

(٧) زاد الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد رحمه الله بعده بين القوسين: "ما فيه"؛ لأنه ظن الجملة ناقصة. ثم جاءت النشرات التابعة لنشرته، وحذفت القوسين!." (١)

"وصاحبه، وظلمهما متعد إلى الغير كما تقدم. وأعظم من ذلك ظلمهما بالشرك. فقد تضمن **العشق** أنواع الظلم كلها.

والمعشوق إذا لم يتق الله، فإنه يعرض العاشق للتلف -وذلك ظلم منه- بأن يطمعه في نفسه، ويتزين له، ويستميله بكل طريق، حتى يستخرج منه ماله ونفعه، ولا يمكنه من نفسه لئلا يزول غرضه بقضاء

---

(١) الداء والدواء ط المجمع ابن القيم ص/٥٠٥

وطره منه، فهو (١) يسومه سوء العذاب. والعاشق ربما قتل معشوقه ليشفي نفسه منه، ولا سيما إذا جاد بالوصال لغيره.

فكم **للعشق** من قتيل من الجانبين! وكم قد أزال [١١١/ ب] من نعمة، وأفقر من غنى، وأسقط من مرتبة، وشتت من شمل! وكم أفسد من أهل للرجل وولد! فإن المرأة إذا رأت بعلها عاشقا لغيرها اتخذت هي معشوقا لنفسها، فيصير الرجل مترددا بين خراب بيته بالطلاق وبين القيادة. فمن الناس من يؤثر هذا، ومنهم من يؤثر هذا (٢).

فعلى العاقل (٣) أن لا يحكم على نفسه **عشق** الصور، لئلا يؤديه ذلك إلى هذه المفاسد أو أكثرها أو بعضها. فمن فعل ذلك فهو المفرط بنفسه المغرر بها، فإذا هلكت فهو الذي أهلكها. فلولا (٤) تكراره النظر إلى وجه معشوقه وطمعه في وصاله لم يتمكن **عشقه** من قلبه.

فإن أول أسباب **العشق** الاستحسان، سواء تولد عن نظر أو سماع.

---

(١) "منه" ساقط من ز. وفي ف: "وهو".

(٢) "هذا" ساقط من س.

(٣) من هنا قارن بما جاء في فتوى في **العشق** (١٨٠ - ١٨١)، والسطور الأولى منقولة منها بحروفها.

(٤) ف: "ولولا".." (١)

"فإن لم يقارنه طمع في الوصال، وقارنه الإياس من ذلك؛ لم يحدث له **العشق**. فإن اقترن به الطمع، فصرفه عن فكره (١) ولم يشتغل قلبه به (٢)؛ لم يحدث له ذلك.

فإن أطال مع ذلك الفكر في محاسن المعشوق، وقارنه خوف ما هو أكبر عنده من لذة وصاله: إما خوف ديني كدخول النار، وغضب الجبار، واحتقاب الأوزار؛ وغلب هذا الخوف على ذلك الطمع والفكر، لم يحدث له **العشق**.

فإن فاته هذا الخوف، فقارنه خوف دنيوي، كخوف تلاف (٣) نفسه وماله، وذهاب جاهه وسقوط مرتبته عند الناس، وسقوطه من عين من يعز عليه؛ وغلب هذا الخوف لداعي **العشق** = دفعه.

وكذلك إذا خاف من ذوات محبوب هو أحب إليه وأنفع له من ذلك المعشوق، وقدم محبته على محبة المعشوق؛ اندفع عنه **العشق**.

---

(١) الداء والدواء ط المجمع ابن القيم ص/٥٠٦

---

(١) ف: "فصرفه فكره".

(٢) ز: "ولم يشغل ... ". و"به" ساقط من ل.

(٣) مصدر تلف، والمذكور في كتب اللغة: التلف. وقد ورد في كلام الشعراء والكتاب المتأخرين، ومن ذلك قول ابن زيلاق الموصلي الكاتب الشاعر (٦٦٠ هـ) من قصيدة:

تجمعت فيك للورى فتن ... على تلاف النفوس تتفق

انظر: فوات الوفيات (٤/ ٣٨٨). وقد جمع أبو العلاء بين المصدرين في قوله من لزومية (٢/ ١٠٥):

تلاف أمرك من قبل التلاف به ... فغاية الناس في دنياهم التلف

وفي النسخ المطبوعة: "إتلاف"، ولعله تغيير من بعض الناسخين أو الناشرين.." [١]

"فإن انتفى ذلك كله، أو غلبت محبة المعشوق لذلك؛ انجذب إليه القلب بكليته، ومالت إليه النفس كل الميل.

فإن قيل (١): قد ذكرتم آفات **العشق** ومضاره ومفاسده، فهلا ذكرتم منافعه وفوائده التي من جملتها: رقة الطبع، وترويح النفس، وخفتها، وزوال ثقلها، ورياضتها، وحملها على مكارم الأخلاق من الشجاعة والكرم والمروءة ورقة الحاشية ولطف الجانب.

وقد (٢) قيل ليحيى بن معاذ الرازي: إن ابنك **عشق** فلانة، فقال: الحمد لله الذي صيره إلى طبع الآدمي (٣)! وقال بعضهم: **العشق** داء أفئدة الكرام (٤).

وقال غيره: **العشق** لا يصلح إلا لذي مروءة ظاهرة وخليقة طاهرة، أو لذي لسان فاضل وإحسان كامل، أو لذي أدب بارع وحسب ناصع (٥).

وقال آخر: **العشق** يشجع جنان الجبان، ويصفي ذهن الغبي، ويسخي كف البخيل، ويذل عزة الملوك، ويسكن نوافر الأخلاق (٦).

وهو أنيس من لا أنيس له، وجليس من لا جليس له (٧).

---

(١) من هنا إلى ص (٥٣٢) فصل طويل في فوائد **العشق** التي ذكرها المؤلف على لسان المعترض، ثم رد عليه.

---

(١) الداء والدواء ط المجمع ابن القيم ص/٥٠٧

(٢) لم يرد "وقد" في ف.

(٣) فتوى في العشق (١٧٨).

(٤) المرجع السابق.

(٥) المرجع السابق.

(٦) ف: "الأعلاق"، تحريف.

(٧) فتوى في العشق (١٧٩)، المصون (٤٦)، بهجة المجالس (١/ ٨٢٣)، روضة =." [1]

"وقال آخر: العشق يزيل الأثقال، ويلطف الروح، ويصفي كدر القلب، ويوجب الارتياح لأفعال الكرام (١) كما قال (٢):

سيهلك في الدنيا شفيق عليكم ... إذا غاله من حادث الحب غائله (٣)

كريم يميت السر حتى كأنه ... إذا استفهموه عن حديثك جاهله

يود بأن يمسي سقيما لعلها ... إذا سمعت عنه بشكوى تراسله

ويهتز للمعروف في طلب العلى ... لتحمد يوما عند ليلى شمائله

فالعشق يحمل على مكارم الأخلاق.

وقال بعض الحكماء (٤): العشق يروض النفس، ويهذب الأخلاق.

إظهاره (٥) طبعي، وإضماره تكلفي (٦).

وقال آخر: من لم تبتهج (٧) نفسه بالصوت الشجي والوجه البهي، فهو فاسد المزاج، محتاج إلى علاج (٨).

وأنشدوا في ذلك:

= المحبين (٢٨١).

(١) ف: "لأفعال البر".

(٢) ديوان كثير عزة (٢٤٧ - ٢٤٨).

(٣) س، ل: "جانب الحب". ف: "جاذب الحب". ز: "في جاذب ... "، ولعل كليهما تصحيف. ورواية الديوان: "حادث الدهر".

---

(١) الداء والدواء ط المجمع ابن القيم ص/٥٠٨

(٤) ف: "وقال الحكماء".

(٥) ز: "واظهاره".

(٦) فتوى في العشق (١٧٩).

(٧) ف: "يهيج".

(٨) نسب في المرجع السابق إلى جالينوس.." (١)

"إذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى ... فأنت وعير في الفلاة سواء (١)

وقال آخر:

إذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى ... فكن حجرا من جانب الصخر جلمدا (٢)

وقال آخر:

إذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى ... فقم واعتلف تبنا فأنت حمار (٣)

وقال آخر:

إذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى ... فمالك في طيب الحياة نصيب

وقال بعض العشاق أولو العفة والصيانة: عفوا تشرفوا واعشقوا تظرفوا (٤).

وقيل لبعض العشاق: ما كنت تصنع لو ظفرت (٥) بمن تهوى؟

فقال: كنت (٦) أمتع طرفي بوجهه، وأروح قلبي بذكره وحديثه، وأستر منه ما لا يحب كشفه، ولا أصير بقبح الفعل إلى ما ينقض عهده. ثم

---

(١) المرجع السابق (١٧٩)، ذم الهوى (٣٠٦)، الواضح المبين (٦٥). ونقله المؤلف في روضة المحبين (٢٨٤) أيضا.

(٢) للأحوص في العقد (٦/ ٦١)، وانظر ديوانه (١٢١)، وروضة المحبين (٢٨٤).

وكذا "جانب الصخر" في جميع النسخ، والرواية: "يابس الصخر".

(٣) هذا البيت ساقط من س، ل. وانظر روضة المحبين (٢٨٤).

(٤) نقله المؤلف في روضة المحبين (٢٨١) من قول عبد الله بن طاهر أمير خراسان لولده. وانظر: الواضح المبين (٦٢).

---

(١) الداء والدواء ط المجمع ابن القيم ص/٥٠٩

(٥) ف: "إذا ظفرت".

(٦) "كنت" ساقط من س.." [(١)]

"أنشد [١١٢/ ب]:

أخلو به فأعف عنه تكرما ... خوف الديانة لست من عشاقه (١)

كالماء في يد صائم يلتذه ظما فيصبرعن لذيذ مذاقه (٢)

وقال إسحاق بن إبراهيم (٣): أرواح العشاق عطرة لطيفة، وأبدانهم رقيقة خفيفة، نزهتهم المؤانسة، وكلامهم يحيي موات القلوب، ويزيد في العقول؛ ولولا **العشق** والهوى لبطل نعيم الدنيا.

وقال آخر: **العشق** للأرواح بمنزلة الغذاء للأبدان. إن تركته ضرك، وإن أكثرت منه قتلك (٤). وفي ذلك قيل:

خليلي إن الحب فيه لذاذة ... وفيه شقاء دائم وكروب

على ذاك ما عيش يطيب بغيره ... ولا عيش إلا بالحبيب يطيب

ولا خير في الدنيا بغير صبابة ... ولافي نعيم ليس فيه حبيب (٥)

---

(١) "تكرما" ساقط من ز. وفي ت مكانه: "من الخنا". وفي فتوى في **العشق** (١٨٣): "كانني"، وهو أجود.

(٢) انظر القول مع الشعر في فتوى في **العشق** (١٨٣).

(٣) هو إسحاق بن إبراهيم الموصلي الأديب النديم المغنِي المشهور المتوفى سنة ٢٣٥ هـ، لا الإمام إسحاق بن راهويه كما في بعض طبعات الكتاب. انظر منازل الأحباب (١٨٥).

(٤) البصائر والذخائر (٢/ ١٦٨)، ومنازل الأحباب (١٨٥).

(٥) منازل الأحباب (١٨٥)، وروضة المحبين (٢٨١). ونقل المؤلف البيت الثالث في الروضة (٢٨٤) وهو في الواضح المبين (٦٤). وفي ز: "بغير صيانة"، تصحيف.." [(٢)]

"ثمنها من مالي. فقال: أشهدك يا أمير المؤمنين أنها له (١).

ونحن (٢) لا ننكر فساد **العشق** الذي متعلقه فعل الفاحشة بالمعشوق، وإنما الكلام في **العشق** العفيف

---

(١) الداء والدواء ط المجمع ابن القيم ص/٥١٠

(٢) الداء والدواء ط المجمع ابن القيم ص/٥١١

من الرجل الظريف الذي يأبى له دينه وعفته ومروءته أن يفسد ما بينه وبين الله، وما بينه وبين معشوقه بالحرام. وهذا **كعشق** السلف الكرام والأئمة الأعلام. فهذا عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أحد الفقهاء السبعة (٣) **عشق** حتى اشتهر أمره، ولم ينكر عليه، وعد ظالما من لامه. ومن شعره (٤):

كتمت الهوى حتى أضر بك الكتم .... ولامك أقوام ولومهم ظلم

فنم عليك الكاشحون وقبلهم .... عليك الهوى قد نم لو ينفع الكتم (٥)

فأصبحت كالنهدي إذ مات حسرة ... على إثر هند أو كمن شفه سقم (٦)

تجنبت إتيان الحبيب تأثما ... ألا إن هجران الحبيب هو الإثم

فذق هجرها قد كنت تزعم أنه ... رشاد ألا يا ربما كذب الزعم

وهذا عمر بن عبد العزيز، **عشقه** لجاري‍ة فاطمة بنت عبد الملك بن

---

(١) الواضح المبين (٣١) عن امتزاج النفوس للتميمي. وانظر: روضة المحبين (٥٢١).

(٢) "ونحن" ساقط من ز. ولا يزال الكلام مستمرا على لسان المعترض.

(٣) توفي سنة ٩٨هـ. انظر ترجمته في سير أعلام البلاء (٤/ ٤٧٥).

(٤) الأبيات في الأمالي (٢/ ٢٠)، ومصارع العشاق (١/ ٣٢١) وغيرهما.

(٥) الرواية: "لو نفع النم".

(٦) ما عدا ل: "الهندي"، تحريف. والمقصود عبد الله بن عجلان النهدي، وهند زوجه. انظر ترجمة عبد الله في الأغاني (٢٢/ ٢٤٥).." [1]

"دفعه إليه (١). ثم أمر بالجارية فدفعت إليه. ثم قال له: إياك وإياها، فلعل أباك كان ألم بها. فقال (٢) الغلام: هي لك يا أمير المؤمنين. قال: لا حاجة لي بها. قال: فابتعها مني. قال لست إذا ممن نهى النفس عن الهوى. فلما عزم الفتى على الانصراف بها قالت: أين وجدك بي يا أمير المؤمنين؟ قال: على حاله، ولقد زاد! ولم تزل الجارية في نفس عمر حتى مات رحمه الله.

وهذا أبو بكر محمد (٣) بن داود الظاهري، العلم (٤) المشهور في فنون العلم من الفقه والحديث والتفسير والأدب، وله قول في الفقه، وهو من أكابر العلماء، **وعشقه** مشهور (٥).

قال نفطويه: دخلت عليه في مرضه الذي مات فيه، فقلت: كيف تجدك؟ فقال (٦): حب من تعلم أورثني

---

(١) الداء والدواء ط المجمع ابن القيم ص/٥١٣

ما ترى. فقلت: وما يمنعك من الاستمتاع به مع القدرة عليه؟ فقال: الاستمتاع على وجهين: أحدهما النظر المباح، والآخر اللذة المحظورة. فأما النظر المباح فهو الذي أورثني ما ترى. وأما اللذة المحظورة فمنعني منها ما حدثني أبي، حدثنا سويد بن سعيد، حدثنا علي بن مسهر، عن أبي يحيي القتات، عن مجاهد، عن ابن عباس يرفعه: "من **عشق** وكتم وعف وصبر غفر الله له، ______________

(١) س: "رده عليه".

(٢) ف: "قال".

(٣) ف، ل: "بن محمد"، خطأ. وسقط "بن داود" من ل.

(٤) س: "العالم". ز: "المعلم"، تحريف.

(٥) انظر ترجمته في تاريخ بغداد (٥/ ٢٥٦)، وسير أعلام البلاء (١٣/ ١٠٩).

(٦) ف: "قال".." (١)

"فما أحد بعدي وبعدك منصف ... خليلا ولا نفس لنفس موافقه

ثم شهقت، وقفت نحبها. فاحتفرنا لهما قبرا واحدا، ودفناهما فيه. ثم رجعت، فأقمت (١) سبع سنين. ثم ذهبت إلى الحجاز، ووردت المدينة، فقلت: والله لآتين قبر عتبة أزوره. فأتيت القبر، فإذا عليه شجرة عليها عصائب حمر وصفر. فقلت لأرباب المنزل: ما يقال لهذه الشجرة؟ قالوا: شجرة العروسين!

ولو لم يكن في **العشق** من الرخصة المخالفة للتشديد إلا الحديث الوارد بالحسن من الأسانيد، وهو حديث سويد بن سعيد، عن علي بن مسهر، عن أبي يحيى القتات، عن مجاهد، عن ابن عباس يرفعه: "من **عشق** وعف وكتم فمات، فهو شهيد" (٢).

ورواه سويد أيضا عن ابن مسهر، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة مرفوعا.

ورواه الخطيب، عن الأزهري، عن المعافى بن زكريا، عن قطبة بن الفضل (٣)، عن أحمد بن مسروق عنه.

____

(١) ف: "ثم رحت إلى المدينة وأقمت"، وهو غلط. والمقصود أنه رجع إلى بلده.

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٣/ ١٩٥) وابن الجوزي في ذم الهوى (١٠١). وأخرجه الخطيب في تاريخ بغداد (٥/ ٣٦٤) و (٦/ ٤٨) و (١١/ ٢٩٥) و (١٣/ ٨٥) وابن الجوزي في العلل المتناهية (١٢٨٦، ١٢٨٧) وفي ذم الهوى (٢٥٦ - ٢٥٨) من طريق جماعة عن سويد بن سعيد به.

____

(١) الداء والدواء ط المجمع ابن القيم ص/٥١٥

وسيأتي كلام المؤلف عليه في آخر الكتاب.

(٣) ف: "قطبة عن الفضل"، خطأ.." (١)

"ورواه الزبير بن بكار، عن عبد العزيز الماجشون (١)، عن عبد العزيز بن أبي حازم، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس.

وهذا سيد الأولين والآخرين ورسول رب العالمين نظر إلى زينب بنت جحش فقال: "سبحان مقلب القلوب" (٢). وكانت تحت زيد بن حارثة مولاه، فلما هم بطلاقها قال له: "اتق الله وأمسك عليك زوجك".

فلما طلقها زوجها الله سبحانه من رسوله من (٣) فوق سبع سماوات، فكان هو وليها وولي تزويجها من رسوله. وعقد [١٧١/ أ]، عقد نكاحها

---

(١) س، ف: "ابن الماجشون".

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٨/ ١٠١ - ١٠٢) والحاكم في المستدرك ٤/ ٢٥ (٦٧٧٥) من طريق محمد بن عمر الواقدي عن عبد الله بن عامر الأسلمي عن محمد بن يحيى بن حبان قال: جاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بيت زيد يطلبه ... فذكره مطولا. وفيه: "سبحان الله العظيم مصرف القلوب". الواقدي متروك الحديث.

ورواه سليم مولى الشعبي عن الشعبي أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فذكره وفيه: "سبحان الله مقلب القلوب". أخرجه ابن عدي في الكامل (٣/ ٣١٦). قلت: سليم ضعيف، والحديث مرسل. (ز).

وقال المؤلف في زاد المعاد (٤/ ٢٦٦): "وأما ما زعمه بعض من لم يقدر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حق قدره أنه ابتلي به في شأن زينب بنث جحش وأنه رآها فقال: "سبحان مقلب القلوب"، وأخذت بقلبه، وجعل يقول لزيد بن حارثة: أمسكها ... فظن هذا الزاعم أن ذلك في شأن العشق وصنف بعضهم كتابا في العشق، وذكر فيه عشق الأنبياء، وذكر هذه الواقعة. وهذا من جهل هذا القائل بالقرآن وبالرسل، وتحميله كلام الله ما لا يحتمله، ونسبته رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى ما برأه الله منه، فإن زينب ... ". وانظر ما سيأتي من كلام المصنف على قصة زينب في ص (٥٥٦) (ص).

(٣) لم ترد "من" في ز.." (٢)

---

(١) الداء والدواء ط المجمع ابن القيم ص/٥٢٧

(٢) الداء والدواء ط المجمع ابن القيم ص/٥٢٨

"وقال رجل لعمر بن الخطاب: يا امير الؤمنين رأيت امرأة، فعشقتها. فقال: ذاك مالا تملك (١).
فالجواب- وبالله التوفيق- أن الكلام في هذا الباب لا بد فيه من التمييز بين الواقع والجائز (٢) والنافع والضار. ولا يسجل (٣) عليه بالذم والإنكار ولا بالمدح [١١٧/ ب] والقبول من حيث الجملة (٤). وإنما يتبين حكمه وينكشف أمره بذكر متعلقه، وإلا فالعشق من حيث هو لا يحمد
ولا يذم. ونحن نذكر النافع من الحب والضار والجائز والحرام.
اعلم أن أنفع المحبة على الإطلاق وأوجبها وأعلاها وأجلها محبة من جبلت القلوب على محبته، وفطرت الخليقة على تألهه. وبها قامت الأرض والسماوات، وعليها فطرت المخلوقات. وهي سر شهادة أن لا إله إلا الله، فإن "الإله" هو الذي تألهه القلوب بالمحبة والإجلال والتعظيم والذل والخضوع، وتعبده. والعبادة لا تصح إلا له وحده، و"العبادة" هي كمال الحب مع كمال الخضوع والذل. والشرك في هذه العبودية من أظلم الظلم الذي لا يغفره الله. والله تعالى حيث لذاته من
جميع الوجوه، وما سواه وإنما يحب تبعا لمحبته.

---

(١) الواضح المبين (٣٠).
(٢) ف: "الواقع الجائز".
(٣) س، ل: "لا يستعجل". والمثبت من ز. وكذا في ف، ولكن يظهر أنه غير.
وأسجل الحكم: أرسله. والمقصود أنه لا يحكم عليه مطلقا بالمدح أو الذم.
قال المصنف في الصواعق المرسلة (٧٩١): "وأسجل عليهم بالكفر والنفاق".
(٤) انظر: روضة المحبين (٣١٠).." (١)

"المعيشة الضنك، فليست الحياة الطيبة إلا بالله.
وكان بعض المحبين تمر به أوقات، فيقول: إن كان أهل الجنة في مثل هذا، إنهم لفي عيش طيب! (١)
وكان غيره [١٢٠/ ب] يقول: لو علم الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف (٢).
وإذا كان صاحب المحبة الباطلة التي هي عذاب على قلب المحب (٣) يقول في حاله:
وما الناس إلا العاشقون ذوو الهوى ... ولا خير فيمن لا يحب ويعشق (٤)
ويقول الآخر (٥):

---

(١) الداء والدواء ط المجمع ابن القيم ص/٥٣٢

أف للدنيا متى ما لم يكن (٦) ... صاحب الدنيا محبا أو حبيبا (٧)

---

(١) سبق في ص (١٨٦).

(٢) سبق أيضا في ص (١٨٦).

(٣) ف: "كان المحبة ... عذاب القلب والمحب". وفي ل: "على قول المحب".

(٤) البيت للعباس بن الأحنف في ديوانه (٢٢٢). وقد عزاه المؤلف إليه في روضة المحبين (٢٨٢). وانظر منازل الأحباب (٥٠) ومدارج السالكين (٣/ ٢١٢).

(٥) بل صاحب البيت السابق نفسه، كما في منازل الأحباب (٥٠). وانظر ديوان العباس (٥٨).

(٦) ز: "إذا ما لم يكن". وكذا في المنازل والديوان. وفي ل: "متى لم يكن"، خطأ.

(٧) كذا ورد البيت في س، ومنازل الأحباب. وهي رواية مغيرة، فإن الأبيات التي منها هذا البيت من الضرب الثالث من الرمل، وعجزه في الديوان (٥٨) هكذا:

صاحب الدنيا حبيبا أو محب

والذي في النسخة س والمنازل من الضرب الأول. وفي خا: "محبا أو حبيب"، وفي النسخ الأخرى: "محمد أو حبيب"، وهما من الضرب الثاني!." (١)

"فهذا من أقوى الأدلة عدى فراغ قلبه من محبة الله وكلامه، وتعلقه بمحبة سماع الشيطان؛ والمغرور يعتقد أنه على شيء!

ففي محبة الله وكلامه ورسوله أضعاف أضعاف ما ذكر (١) السائل من فوائد العشق ومنافعه، بل لا حب على الحقيقة أنفع منه؛ وكل حب سوى ذلك باطل، إن لم يعن عليه ويشوق المحب (٢) إليه.

فصل

وأما محبة النسوان فلا لوم على المحب فيها، بل هي من كماله (٣).

وقد امتن الله سبحانه بها (٤) على عباده فقال: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون (٢١)﴾ [الروم: ٢١]. فجعل المرأة سكنا للرجل يسكن قلبه إليها، وجعل بينهما خالص الحب، وهو المودة المقترنة بالرحمة.

---

(١) الداء والدواء ط المجمع ابن القيم ص/٥٤٤

وقد قال تعالى عقيب ذكره ما أحل لنا من النساء وما حرم منهن: ﴿يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم (٢٦) والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما (٢٧) يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا (٢٨)﴾ [النساء: ٢٦ - ٢٨].

ذكر سفيان الثوري في تفسيره عن ابن طاووس عن أبيه:

---

(١) ف: "طلب".

(٢) ف: "يسوق" بالمهملة. وفي ز: "يسوق المحبة".

(٣) ف: "هي كماله".

(٤) ف: "امتن ... " بإسقاط "وقد". و"بها" ساقط من س.." [1]

"مرفوعا: "لم ير للمتحابين مثل النكاح".

فنكاح المعشوقة هو دواء **العشق** الذي جعله الله (١) دواءه شرعا وقدرا. وبه تداوى داود - صلى الله عليه وسلم -، ولم يرتكب نبي الله مرما، وإنما تزوج المرأة، وضمها إلى نسائه لمحبته لها، وكانت توبته بحسب منزلته عند الله وعلؤ مرتبته. ولا يليق بنا المزيد على هذا (٢).

وأما قصة زينب بنت جحش، فزيد كان قد عزم على طلاقها ولم توافقه، وكان يستشير النبي - صلى الله عليه وسلم - في فراقها (٣)، وهو يأمره بإمساكها، فعلم

= البسام: ٧٣٢ - ٧٣٤) وغرهم من طريق محمد بن مسلم الطائفي عن إبراهيم بن ميسرة عن طاوس عن ابن عباس فذكره.

ورواه سفيان بن عيينة وعبد الملك بن جريج ومعمر بن راشد كلهم عن إبراهيم بن ميسرة عن طاووس عن النبي - صلى الله عليه وسلم - مرسلا. أخرجه العقيلي (٤/ ١٣٤) وعبد الرزاق (٦/ ١٥١، ١٦٨) وغيرهما. قال العقيلي: "هذا أولى".

وروراه عبد الصمد بن حسان ومؤمل بن إسماعيل عن الثوري عن إبراهيم بن ميسرة عن طاووس عن ابن عباس مرفوعا. أخرجه الخليلي في الإرشاد (٢/ ٦٥٣) و (٣/ ٩٤٧) وابن جميع في معجمه (٢٤٤). قال

---

(١) الداء والدواء ط المجمع ابن القيم ص/٥٥٢

الخليلي: "هذا جؤده عبد الصمد والمؤمل بن إسماعيل عن سفيان. ورواه غيرهما عن سفيان عن طاووس مرسلا. ورواه محمد بن مسلم الطائفي عن إبراهيم مجودا".

قلت: كلامه هذا يدل على أن من رفعه عن الثوري أخطأ فيه، ولهذا عد الخليلي هذا الحديث مما تفرد به عبد الصمد عن الثوري. راجع: الروض البسام بترتيب وتخريج فوائد تمام (٢/ ٣٦٧ - ٣٦٨) للدوسري.

(١) سقط لفظ الجلالة من ز.

(٢) بل القصة نفسها باطلة من أكاذيب اليهود، ولم يسلم نبي من أنبيائهم من القبائح التي افتروها عليهم. وانظر ما سبق في ص (٥٢٩).

(٣) ل: "بفراقها".." [١]

"وذكر الزمخشري في ربيعه (١) أن زبيدة (٢) قرأت في طريق مكة على حائط:

أما في عباد الله أو في إمائه ... كريم يجلي الهم عن ذاهب العقل له مقلة أما الماقي قريحة ... وأما الحشا فالنار منه على رجل فنذرت أن تحتال لقائلهما إن عرفته حتى تجمع بينه وبين من يحبه.

فبينا هي بالمزدلفة إذ سمعت من ينشد البيتين، فطلبته، فزعم أنه قالهما في ابنة عم له، نذر أهلها أن لا يزوجوها منه. فوجهت إلى الحي، ومازالت تبذل لهم المال حتى زوجوها منه؛ وإذا المرأة أعشق له منه لها. فكانت تعده من أعظم حسناتها، وتقول: ما أنا بشيء أسر مني من جمعي بين ذلك الفتى والفتاة.

قال الخرائطي (٣): وكان لسليمان بن عبد الملك غلام وجارية يتحابان، فكتب الغلام لها يوما:

ولقد رأيتك في المنام كأنما ... عاطيتني من ريق فيك البارد

وكأن كفك في يدي وكأننا ... بتنا جميعا في فراش واحد

فطفقت يومي متراقدا ... لأراك في نومي ولست براقد (٤)

---

(١) ربيع الأبرار (٣/ ١٢١). ومنه نقلها في روضة المحبين (٥٣٠) أيضا.

(٢) بنت جعفر، زوج هارون الرشيد.

(٣) وكذا نقلها المؤلف عن الخرائطي في روضة المحبين (٥٣١) أيضا، ولم أجدها في اعتلال القلوب.

---

(١) الداء والدواء ط المجمع ابن القيم ص/٥٥٤

وهي في ربيع الأبرار (٣/ ١٢٢) والواضح المبين (٣٤).

(٤) "طفقت لا هنا بمعنى لزمت. انظر: المحكم لابن سيده (٦/ ١٧٦).." [١]

"فقال سعيد: والله ما سألني أحد عن هذا، ولو سألني ما كنت (١) أجيب إلا به (٢).

فعشق النساء (٣) ثلاثة أقسام:

عشق هو قربة وطاعة، وهو عشق الرجل امرأته وجاريته. وهذا العشق نافع فإنه أدعى إلى المقاصد التي شرع الله لها النكاح، وأكف للبصر والقلب عن التطلع (٤) إلى غير أهله. ولهذا يحمد هذا العاشق عند الله وعند الناس.

وعشق هو مقت من الله، وبعد من رحمته، وهو أضر شيء على العبد في دينه ودنياه؛ وهو عشق المردان. فما ابتلي [١٢٤/ ب] به (٥) إلا من سقط من عين الله، وطرده عن بابه (٦)، وأبعد قلبه عنه. وهو من أعظم الحجب القاطعة عن الله، كما قال بعض السلف: إذا سقط العبد من عين الله ابتلاه بمحبة المردان.

---

(١) ف، ز: "لما كنت".

(٢) روى صاحب الأغاني عن الزبير بن بكار أن قول جامع لما بلغ سعيدا قال: "كذب والله ما سألني ولا أفتيته بما قال".

ونقل القصة صاحب الظرف والظرفاء (١٦٠) عن ثعلب، وفيه: "ابن مرجانة الشاعر". وهو تحريف. وانظر الرد على مثل هذه الفتاوى المزعومة في روضة المحبين (٢٢٧،٢٤٧).

(٣) في حاشية س: "ظ فالعشق ثلاثة"، لأن القسم الثاني ليس من عشق النساء.

وقد يكون الصواب في المتن: "فعشق الناس".

(٤) س: "إلى التطلع"، غلط.

(٥) ز: "به أحد".

(٦) ف، ل: "طرد". وفي ف: "من بابه".." [٢]

---

(١) الداء والدواء ط المجمع ابن القيم ص/٥٦٣

(٢) الداء والدواء ط المجمع ابن القيم ص/٥٦٥

"وهذه المحبة هي (١) التي جلبت على قوم لوط ما جلبت، فما اتوا إلا من هذا **العشق** (٢) قال تعالى ﴿لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون (٧٢)﴾ [الحجر: ٧٢].

ودواء هذا الداء الدوي: الاستعانة (٣) بمقلب القلوب، وصدق اللجأ إليه، والاشتغال بذكره، والتعوض بحبه وقربه، والتفكر في الألم الذي يعقبه هذا **العشق**، واللذة التي تفوته به؛ فيترتب عليه فوات أعظم محبوب، وحصول أعظم مكروه. فإن أقدمت نفسه على هذا وآثرته، فليكبر عليها تكبيره على الجنازة، وليعلم أن البلاء قد أحاط به!

والقسم الثالث من **العشق**: **عشق** مباح لا يملك، **كعشق** من وصفت له امرأة جميلة، أو رآها فجأة من غير قصد، فأورثه ذلك **عشقا** لها، ولم يحدث له ذلك **العشق** معصية؛ فهذا لا يملك ولا يعاقب عليه. والأنفع له مدافعته، والاشتغال بما هو أنفع له. والواجب على هذا أن يكتم، ويعف، ويصبر على بلواه. فيثيبه الله على ذلك، ويعوضه على صبره لله، وعفته، وتركه طاعة هواه، وإيثار مرضاة الله وما عنده.

---

(١) لم ترد "هي" في ف، ل.

(٢) ل: "إلا من هذا الباب الضيق".

(٣) ف، ز: "الاستغاثة".." (١)

"فصل

والعشاق ثلاثة أقسام (١):

منهم من **يعشق** الجمال المطلق.

ومنهم من **يعشق** الجمال المقيد، سواء طمع بوصاله أو لم يطمع.

ومنهم من لا **يعشق** إلا من يطمع في الوصول إليه.

وبين هذه الأنواع تفاوت في القوة والضعف. فعاشق الجمال المطلق قلبه (٢) يهيم في كل واد، وله في كل صورة جميلة مراد!

يوما بحزوى ويوما بالعذيب ويو ... ما بالعقيق ويوما بالخليصاء

وتارة تنتحي نجدا وآونة ... شعب العقيق وطورا قصر تيماء (٣)

فهذا **عشقه** واسع، ولكنه غير ثابت كثير التنقل (٤).

---

(١) الداء والدواء ط المجمع ابن القيم ص/٥٦٦

يهيم بهذا ثم يعشق غيره ... ويسلاهم من وقته حين يصبح (٥)

---

(١) انظر: روضة المحبين (١٨٧).

(٢) "المطلق" ساقط من س. و"قلبه" ساقط من ف.

(٣) ف: "ينتجي" تصحيف. والبيتان من قصيدة صاحبية لأبي محمد الخازن.

انظر: اليتيمة (٣/ ١٩١)، وفيه: "بحزوى ويوما بالعقيق، وبالعذيب يوما".

(٤) "كثير التنقل" ساقط من ل، وفيها: "وقال آخر".

(٥) "ثم يعشق يخرج" ساقط من س. والبيت من أبيات لسمنون بن حمزة أوردها المؤلف في طريق الهجرتين (٣٢) دون نسبة. وعزاها صاحب الزهرة (٦٢) إلى "بعض أهل هذا العصر". وسمنون توفي بعد الجنيد (٢٩٧ هـ) فهو معاصر لأبي بكر المتوفى ٢٩٦ هـ أو ٢٩٧ هـ. وقد أوردها السلمي في طبقات الصوفية (١٩٨) لسمنون، ونقلها عنه الخطيب في تاريخ بغداد (٩/ ٢٣٦). وانظر صفة =." [1]

"وعاشق الجمال المقيد أثبت على معشوقه، وأدوم محبة له. ومحبته أقوى من [١٢٥/ أ] محبة الأول لاجتماعها في واحد، وتقسم الأولى، ولكن يضعفها عدم الطمع في الوصال.

وعاشق الجمال الذي يطمع في وصاله أعقل العشاف وأعرفهم، وحبه أقوى لأن الطمع يمده ويقويه.

فصل

وأما حديث "من عشق فعف (١) "، فهذا يرويه سويد بن سعيد، فقد أنكره حفاظ الإسلام عليه (٢).

قال ابن عدي في كامله (٣): هذا الحديث أحد ما أنكر على سويد.

وكذا ذكره البيهقي، وابن طاهر في الذخيرة (٤)، والتذكرة (٥).

وأبو الفرج بن الجوزي، وعده في الموضوعات (٦).

= الصفوة (١/ ٤٨٥).

(١) مكان "فعف" بياض في س. وفي ف: "فعف وكتم".

(٢) سبق تخريجه (٥٢٨ - ٥٢٩)، وانظر: زاد المعاد (٤/ ٢٧٥ - ٢٧٨) وروضة المحبين (٢٨٧ -

---

(١) الداء والدواء ط المجمع ابن القيم ص/٥٦٧

٢٨٩).

(٣) ليس في المطبوع فلعله مما سقط منه، وما أكثره!. وإنما فيه بعد أن ساق له أحاديث (٣/ ٤٢٨ - ٤٢٩) ليس هذا منها: "ولسويد مما أنكرت عليه غير ما ذكرت، وهو إلى الضعف أقرب".

(٤) لم أجده في المطبوع.

(٥) تذكرة الموضوعات (٩١).

(٦) وكذا قال المؤلف في الزاد (٤/ ٢٧٧) والروضة (٢٨٩). قال الكناني في تنزيه الشريعة (٣٦٤): "ذكر غير واحد من المصنفين أن هذا الحديث أورده ابن الجوزي في الموضوعات وأعله بسويد بن سعيد. وتعقبوه بان سويدا من رجال مسلم وبأنه =." (١)

"يرجع في هذا الشأن. وما صححه، بل ولا حسنه أحد يعول في علم الحديث عليه، ويرجع في التصحيح (١) إليه؛ ولا من عادته التساهل والتسامح، فإنه لم يطنف (٢) نفسه له. ويكفي أن ابن طاهر الذي يتساهل في أحاديث التصوف، ويروي منها الغث والسمين والمنخنقة والموقودة قد أنكره، وحكم ببطلانه (٣).

نعم، ابن عباس غير مستنكر ذلك عنه. وقد ذكر أبو محمد ابن حزم عنه أنه سئل عن الميت **عشقا**، فقال: قتيل الهوى، لا عقل ولا قود! (٤) ورفع إليه بعرفات شاب قد صار (٥) كالفرخ، فقال: ما شأنه؟ قالوا: **العشق**. فجعل عامة يومه يستعيذ من **العشق** (٦). فهذا نفس من قال: من **عشق** وعف وكتم ومات، فهو شهيد.

ومما يوضح ذلك أن النبي- صلى الله عليه وسلم - عد الشهداء في الصحيح، فذكر المقتول في الجهاد، والمبطون، والحرق، والنفساء يقتلها ولدها، والغرق، وصاحب ذات الجنب (٧)، ولم يعد منهم العاشق يقتله **العشق**.

---

(١) ف، ل: "الصحيح"، تحريف.

(٢) ل: "يطيف"، تصحيف. طنفه بالأمر: اتهمه به. وطنف للأمر: قارفه. وطنف نفسه إلى الشيء: أدناها إلى الطمع فيه. ولعل المقصود أن المتساهل أيضا لم يدفع نفسه إلى تصحيح الحديث.

(٣) وذكره في تذكرة الموضوعات (٩١) كما سبق.

---

(١) الداء والدواء ط المجمع ابن القيم ص/٥٦٨

(٤) طوق الحمامة (٦). وقد سقط من س "لا عقل".

(٥) ز: "صار" دون "قد".

(٦) سبق تخريجه (٤٩٨).

(٧) أخرجه الإمام مالك في الموطأ، كتاب الجنائز، باب النهي عن البكاء على الميت (٥٥٥) من حديث جابر بن عتيك. قال النووي: "وهذا الحديث الذي =." [١]

"وحسب قتيل **العشق** أن يصح (١) له هذا الأثر عن ابن عباس (٢) على أنه لا يدخل تحته حتى يصبر لله، ويعف لله، ويكتم لله. وهذا لا يكون إلا مع قدرته على معشوقه، وإيثار محبة الله وخوفه ورضاه. وهذا من أحق من دخل تحت قوله: ﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى (٤٠) فإن الجنة هي المأوى (٤١)﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١] وتحت قوله: ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان (٤٦)﴾ [الرحمن: ٤٦].

فنسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يجعلنا ممن آثر حبه على هواه، وابتغى بذلك [١٢٦/ أ] قربه ورضاه (٣).

= رواه مالك صحيح بلا خلاف، وإن كان البخاري ومسلم لم يخرجاه". شرح النووي (١٣/ ٦٦).

(١) س: "صح".

(٢) ولكن المؤلف رحمه الله قال نفسه -كما تقدم- في زاد المعاد (٤/ ٢٧٧): "وفي صحته موقوفا على ابن عباس نظر".

(٣) بعده في س: "آمين آخر الكتاب ... ". وفي ف: "تم الكتاب والحمد لله رب العالمين ... " وفي ز: "تم الكتاب بحمد الله وحسبنا الله ونعم الوكيل". وفي ل: "بمنه وكرمه إنه جواد كريم" ثم بعد بياض كتب: "تم الكتاب ... ". وكذا في خا.." [٢]

"بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

---

(١) الداء والدواء ط المجمع ابن القيم ص/٥٧٢

(٢) الداء والدواء ط المجمع ابن القيم ص/٥٧٣

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد فإن هذا الكتاب الذي اشتهر بعنوان "الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي"، وطبع مرات باسم "الداء والدواء"، من أنفع الكتب في تهذيب النفوس، واستثارتها للكف عن المعاصي والتوبة النصوح. وقد أفرد لمعالجة مرض من أخطر أمراض القلوب، "مخالف لسائر الأمراض في ذاته وأسبابه وعلاجه، وإذا تمكن واستحكم عز على الأطباء دواؤه، وأعيا العليل داؤه". وهو مرض العشق الذي قال فيه الشاعر:

الحب داء عضال لا دواء له ... يحار فيه الأطباء النحارير

قدكنت أحسب أن العاشقين غلوا ... في وصفه فإذا بالقوم تقصير

ومؤلفه رحمه الله من أطباء القلوب البارعين الذين لا يرجعون في مداواتهم لأمراض القلوب إلى حكماء اليونان، وإنما يصدرون عن كتاب الله الحكيم، الذي فيه هدى وموعظة وشفاء لما في الصدور، وسنة رسول الله الذي إنما بعث لتعليم الناس الكتاب والحكمة، وإصلاح عقيدتهم وسلوكهم، وتزكية نفوسهم، وهدايتهم لمراشد الأمور، فكانت الجماعة التي تخرجت على يديه خير أمة أخرجت للناس، لم يعرف في التاريخ البشري لها نظير.." (١)

"وكان أصل الكتاب استفتاء ورد على المؤلف، فسئل عن رجل ابتلي ببلية إن استمرت به أفسدت دنياه واخرته، وقد اجتهد في دفعها عن نفسه بكل طريق، فما تزداد إلا توقدا وشدة. ونظر المجيب إلى الحالة المستعصية، وعموم البلوى، فرأى أن التفصيل أولى في هذا المقام من الإيجاز، ومقتضى النصح للسائل والشفقة عليه وعلى أمثاله أن يستوعب القول في أسباب المرض وعواقبه الوخيمة، وأن يرشد إلى طرق الوقاية وسبل الخلاص. فكتب فصولا نفيسة في الدعاء وشروط قبوله والأسباب المانعة من ترتب أثره، وفي الفرق بين حسن الظن بالله والاغترار برحمته، وفي أضرار المعاصي واثارها في حياة الأفراد والأمم وعقوباتها في الدنيا والآخرة، وحقيقة التعبد لله والإشراك به، والسر في كون الشرك لا يغفر من سائر الذنوب، ومضادة عشق الصور للتوحيد، ومفاسده الأخرى العاجلة والاجلة، وهكذا أصبح الجواب عن ذلك السؤال كتابا مفصلا.

ولئن كان المجتمع الذي عاش فيه المؤلف رحمه الله بحاجة إلى هذا الكتاب، على ما فيه من تمسك بالدين ومحافظة على الأخلاق والآداب = إن مجتمعاتنا إليه لأحوج، إذ صارت تمور بأسباب الفساد، بعد

(١) الداء والدواء ط المجمع ابن القيم ص/٥

ما نجح الغواة في كثير من البلدان الإسلامية في استدراج المرأة المسلمة تحت شعارات خادعة إلى نزع الحجاب والاختلاط بالرجال فصار المعروف منكرا، والمنكر معروفا. ثم تفنن إخوان الشياطين في

إيجاد وسائل جديدة لإثارة الغريزة الجنسية وإشاعة الفاحشة في الذين امنوا، فقد علموا أن الانحلال الخلقي هو أقرب طريق إلى تدمير الأمة، والله المستعان.

وقد صدر الكتاب قديما في الهند سنة ١٣٥٧ هـ، ثم طبع في مصر،." (١)

"ومن ذلك كلام المصنف على حديث "من عشق فكتم وعف وصبر فمات، فهو شهيد" (ص ٥٦٨)، ونجد الكلام بعينه في زاد المعاد (٤/ ٢٧٥)، وروضة المحبين (ص ٢٨٧).

٤) حكى المؤلف عن نفسه أنه مكث مرة بمكة، تعتريه الأمراض، ولا يجد طبيبا، فكان يعالج نفسه بسورة الفاتحة (ص ٨). وقد حكى مثله في زاد المعاد (٤/ ١٧٨)، ومدارج السالكين (١/ ٥٧ - ٥٨).." (٢)

"موضوع الكتاب

الكتاب جواب عن استفتاء ورد على المؤلف رحمه الله، ونصه: "ما تقول السادة العلماء أئمة الدين -رضي الله عنهم أجمعين- في رجل ابتلي ببلية، وعلم أنها إن استمرت به أفسدت عليه دنياه وآخرته، وقد اجتهد في دفعها عن نفسه بكل طريق، فما تزداد إلا توقدا وشدة؛ فما الحيلة في دفعها؟ وما الطريق إلى كشفها؟ ".

لم يفصح السائل عن نوع البلية كما ترى، والمؤلف رحمه الله أيضا قد شرع في الإجابة دون أن يسميها، وكتب فصولا في الدعاء وآثار المعاصي وعقوباتها القدرية والشرعية، وذكر كبائر الذنوب، ومنها الشرك وقتل النفس، ثم بين عظم مفسدة الزنى واللواط. فلما وصل إلى هذا الموضع قال:

"فإن قيل: وهل مع ذلك كله من دواء لهذا الداء العضال، ورقية لهذا السحر القتال؟ وما الاحتيال لدفع هذا الخبال؟ ... وهل يملك العاشق قلبه، والعشق قد وصل إلى سويدائه؟ ... ولعل هذا هو

المقصود بالسؤال الذي وقع عليه الاستفتاء، والداء الذي طلب له الدواء" (٤١٣ - ٤١٤).

ثم رد على السؤال قائلا: "قيل: نعم، الجواب من رأس (وما أنزل الله سبحانه من داء إلا أنزل له دواء، علمه من علمه، وجهله من جهله) ". ثم تكلم على علاج هذا الداء من طريقين أحدهما: حسم مادته قبل

---

(١) الداء والدواء ط المجمع ابن القيم ص/٦

(٢) الداء والدواء ط المجمع ابن القيم ص/١١

حصولها، والثاني: قلعها بعد نزولها.

وختم الجواب ببيان ما في **عشق** الصور من المفاسد العاجلة." (١)

"والاجلة، وذكر أن الله سبحانه إنما حكى هذا المرض في كتابه عن طائفتين من الناس، وهما قوم لوط والنساء، ثم قال: "وهذا داء أعيا الأطباء دواؤه، وعز عليهم شفاؤه. وهو لعمر الله- الداء العضال، والسم القتال ... " (٤٩١).

وتبين من هذا أن الاستفتاء الذي ورد على المؤلف كان عن داء **العشق**: كيف يمكن مداواته وإنقاذ صاحبه مما ابتلي به من تباريحه؟ ولفظ الاستفتاء يدل على أن السؤال عن مرض حاصل لا عن متوقع، فكان للمؤلف أن يقتصر على بيان الطرق المفضية إلى الخلاص منه، كما فعل في الفصل المحكم الذي كتبه في زاد المعاد بعنوان "فصل في هديه - صلى الله عليه وسلم - في علاج **العشق"**. استهله بقوله: "هذا مرض من أمراض القلب، مخالف لسائر الأمراض في ذاته وأسبابه، وعلاجه، وإذا تمكن واستحكم عز على الأطباء دواؤه، وأعيا العليل داؤه. وإنما حكاه الله سبحانه في كتابه عن طائفتين من الناس: عن النساء وعشاق الصبيان المردان، فحكاه عن امرأة العزيز في شأن يوسف، وحكاه عن قوم لوط" (١).

ثم ذكر ثماني حالات، ووصف لكل حالة علاجها. وكأن هذا الفصل من كتاب الزاد -من حيث دقته وتحريره- هو الجواب المطلوب عن الاستفتاء الوارد عليه.

أما الكتاب الحافل الذي بين أيدينا، فقد سلك فيه المؤلف رحمه الله مسلكا آخر ارتضاه ودافع عنه، وحكى عن شيخه أنه كان ينتهجه أيضا،

---

(١) زاد المعاد (٤/ ٢٦٥ - ٢٧٨).." (٢)

"فقال في كتابه مدارج السالكين: "ومن الجود بالعلم أن السائل إذا سألك عن مسألة استقصيت له جوابها جوابا شافيا، لا يكون جوابك له بقدر ما تدفع به الضرورة ... ولقد شاهدت من شيخ الإسلام ابن تيمية -قدس الله روحه- في ذلك أمرا عجيبا: كان إذا سئل عن مسألة حكمية، ذكر في جوابها مذاهب الأئمة الأربعة إذا قدر، ومأخذ الخلاف وترجيح القول الراجح، وذكر متعلقات المسألة التي ربما تكون أنفع للسائل من مسألته، فيكون فرحه بتلك المتعلقات واللوازم أعظم من فرحه

---

(١) الداء والدواء ط المجمع ابن القيم ص/١٧

(٢) الداء والدواء ط المجمع ابن القيم ص/١٨

بمسألته ... " (١).

وفي موضع آخر جعل ذلك دليلا على كمال نصح المفتي للسائل وكمال علمه وإرشاده (٢). ولا شك أن الجواب عن بعض المسائل الفرعية قد يكون محل انتقاد إذا خرج عن المألوف في الاستطالة

والتشعب وكثرة الاستطراد، مما يضطر المجيب كلما بعد عن الغرض أن يعود إلى ما بدأ، فيتضجر السائل، ويمل القارئ، ولكن إذا كان السؤال عن مرض خطير من أمراض القلوب كمرض **العشق** المخالف لسائر الأمراض في ذاته وأسبابه وعلاجه كما قال المؤلف، وهو مرض لا يخلو منه زمان ولا مكان، ولكنه قد يبلغ في بعض المجتمعات- لكثرة دواعيه- من الفشو في الخاصة بعد العامة مبلغا ينذر بسقوط المجتمع في الهاوية = إذا كان السؤال عن مثل هذا المرض الذي يكاد يكون وباء فتاكا

فلا ريب أن من كمال نصح المفتي وأمانته وعلمه وفقهه أن يكون جوابه مفصلا مستوعبا لجوانب الموضوع. فلا يصح له أن يقتضب الكلام أو

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٢٩٣ - ٢٩٤).

(٢) إعلام الموقعين (٤/ ١٥٨).." (١)

"بيان الحدود والتعزيرات، لتكون هذه رادعة لمن لم يتعظ بتلك. وقسم العقوبات الشرعية إلى ثلاثة أنواع: القتل، والقطع، والجلد؛ والعقوبات القدرية إلى نوعين: نوع على القلب، ونوع على البدن، وأورد طرفا منها مرة أخرى، ليستحضرها العبد، ويكف عن الذنوب.

ثم قسم الذنوب إلى أربعة أقسام: الملكية والشيطانية والسبعية والبهيمية، ثم عقد فصلا في أن الذنوب كبائر وصغائر، وكشف الغطاء عن القول بأن الذنوب كلها كبائر بالنظر إلى الجرأة على الله.

ثم تكلم على مسألة، وهي أن تحريم الشرك هل هو مستفاد من الشرع فحسب، أو هو قبيح في الفطر والعقول، وممتنع أن تأتي به شريعة؟ وما السر في كون الشرك لا يغفر من بين سائر الذنوب؟ وقد فصل القول في هذه المسألة ببيان أنواع الشرك وحقيقته وخصائص الإلهية، وكون الشرك أكبر الكبائر عند الله.

وتكلم بعد ذلك على مفسدة القتل باختصار، ثم تناول مفسدة الزنى واللواط بالتفصيل، فإن الفتوى كلها دائرة على هذه المفسدة. فذكر أربعة مداخل للمعاصي: اللحظات، والخطرات، واللفظات،

---

(١) الداء والدواء ط المجمع ابن القيم ص/١٩

والخطوات. ثم شرح مفسدة الزنى وما اختص حده به من بين الحدود، ثم بين عظم مفسدة اللواط وشدة فحشها، ورد على من جعل عقوبته دون عقوبة الزنى، وانجر الكلام إلى وطء الميتة والبهيمة والسحاق، ثم حكم التلوط مع المملوك.

٤) علاج داء العشق (٤١٣ - ٥٠٨).

هذا القسم هو أصل الجواب ومقصود السائل. وقد بين المؤلف فيه." [١]

"أن الكلام في دواء هذا الداء من طريقين: أحدهما حسم مادتة قبل حصولها، والثاني قلعها بعد نزولها.

أما الطريق الأول المانع من حصول الداء، فهو أمران: أحدهما غض البصر، وذكر المؤلف جملة من فوائده.

والأمر الثاني أن يشتغل القلب بما يصده عن الوقوع في شرك العشق. وهو إما خوف مقلق أو حب مزعج. ثم تكلم على الحب، وقال: لا يمكن أن يجتمع في القلب حب المحبوب الأعلى وعشق الصور، بل هما ضدان لا يتلاقيان.

والمحبة الصادقة تقتضي توحيد المحبوب، وأوضح أن أصل الشرك بالله هو الإشراك به في المحبة، وذكر مراتب المحبة، وأن العاقل يؤثر أعلى المحبة على أدناها، وأن أصل السعادة محبة الله وحده ومحبة ما يحبه

الله.

أما الطريق الثاني وهو قلع مادة العشق بعد نزولها، فبدأ الكلام عليه بأن هذا المرض إنما حكاه الله سبحانه عن طائفتين من الناس، وهما اللوطية والنساء، وفصل توافر الدواعي القوية إلى الفاحشة في قصة يوسف، وكيف آثر يوسف عليه السلام مرضاة الله وخوفه، وحمله حبه لله على أن اختار السجن على ما دعته إليه امرأة العزيز.

ثم ذكر أن عشق الصور أقسام، وأنه تارة يكون كفرا، كمن اتخذ معشوقه ندا يحبه كما يحب الله، بل يقدم بعضهم رضا معشوقه على رضا ربه، قال: "فهذا العشق الكفري الشركي لا يغفر لصاحبه. وهكذا حال أكثر عشاق الصور إذا تأملته".

---

(١) الداء والدواء ط المجمع ابن القيم ص/٢٣

ثم بين علاج هذا الداء القتال، وهو أن يعرف الإنسان أن ما ابتلي به هو مضاد للتوحيد، ثم يأتي من العبادات الظاهرة والباطنة بما يشغل قلبه." (١)

"عن دوام الفكرة فيه، ويكثر اللجأ والتضرع إلى الله سبحانه في صرف ذلك عنه.

ثم بين مفاسد العشق الدينية والدنيوية، وأشار إلى ثلاثة مقامات للعاشق وما يجب عليه فيها. ثم كشف عما في العشق من صور الظلم والعدوان، وانتهى إلى أنه قد تضمن أنواع الظلم كلها.

٥) إيراد الخصم بذكر فوائد العشق، والرد عليه (٥٠٨ – ٥٧٣).

هذا القسم تكملة للقسم السابق. أورد فيه على لسان المعترض فوائد العشق ومنافعه، وطائفة من قصص العشاق، وإعانة الصالحين إياهم على بلوغ مآربهم. ثم رد عليه بأن العشق من حيث هو لا يحمد ولا يذم، وإنما يتبين حكمه بذكر متعلقه. فمنه النافع والضار والجائز والحرام. ثم ذكر أن أنفع المحبة على الإطلاق وأوجبها وأعلاها حب الله سبحانه، وأن أعظم لذات الدنيا هي الموصلة إلى أعظم لذة في الآخرة.

ثم عقد فصلا على أن محبة النسوان لا لوم فيها على المحب، بل هي من كماله. فنكاح المعشوقة هو دواء العشق الذي جعله الله دواءه شرعا وقدرا. ثم ذكر أن العشق ثلاثة أقسام: أحدها قربة وطاعة، وهو عشق الرجل امرأته وجاريته. والثاني مقت من الله، وهو عشق المردان، وسماه "الداء الدوي"، وذكر علاجه. والثالث عشق مباح لا يملك، كمن وصفت له امرأة جميلة أو رآها فجأة من غير قصد، فأورثه ذلك عشقا لها، ولم يحدث له ذلك العشق معصية. وذكر أن الأنفع له مدافعته والاشتغال بما هو أنفع له، ويجب عليه أن يكتم ويعف، ويصبر على بلواه. فيثيبه الله على ذلك، ويعوضه على صبره لله، وعفته، وتركه طاعة هواه، وايثار مرضاة الله وما عنده.." (٢)

"وفي آخر هذا القسم –وهو آخر فصول الكتاب– تكلم على حديث "من عشق فعف ... " الذي احتج به الخصم.." (٣)

"الدين الحلبي، الذي ذكره المؤلف في موضع –كما سبق– وعرفه بـ "صاحب منازل الأحباب"، فجائز أن يكون قد نقلها من كتاب المنازل، ولكن بعض القرائن تشير إلى أن مصدرها أيضا "الواضح المبين" لمغلطاي.

---

(١) الداء والدواء ط المجمع ابن القيم ص/٢٤

(٢) الداء والدواء ط المجمع ابن القيم ص/٢٥

(٣) الداء والدواء ط المجمع ابن القيم ص/٢٦

وهكذا نقل المؤلف في موضع (٥٣١) عن ابن حزم قولا ورد في كتابه "طوق الحمامة"، ولكن لفظه في كتاب ابن القيم يدل على أنه منقول من كتاب "الواضح المبين".

- قد وضع بعضهم "فتوى في **العشق**"، ونسبها إلى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، فأثبت الإمام ابن القيم في كتابه روضة المحبين (٢٣٣) أنها مكذوبة على شيخ الإسلام. من هذه الفتوى نقل ابن القيم أقوالا في فوائد **العشق** (٥٥٨ - ٥١١) في الفصل الذي عقده للرد على المعترض المحتج بمنافع **العشق**. وهذا لا ضير فيه؛ لأن مثل هذه الأقوال تتناقلها كتب الأدب. ولكنه نقل قبل هذا الفصل (٥٠٦) كلاما مفيدا لصاحب الفتوى نفسه فيما يجب على المبتلى **بعشق** الصور، فليته أسنده إلى "بعضهم"!

رابعا: نقل المؤلف عن شيخه في عدة مواضع مصرحا باسمه (٧٣، ٩٧، ٢٠٨، ٣٣٥، ٣٨٣، ٤٧٢). وفي موضعين نقل قولا له بلفظ "ويقول الآخر"، ضمن أقوال العارفين في النعيم الذي يتمتعون به لأنسهم بربهم، وطمأنينتهم بذكره، وارتياحهم بحبه، فقال: "ويقول الآخر: إن في الدنيا جنة، من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة" (١٨٧).." (١)

"يتصور غيرة المزاحمة عليه بل هو حسد والغيرة المحمودة في حقه أن يغار المحب على محبته له أن يصرفها إلى غيره أو يغار عليها أن يطلع عليها الغير فيفسدها عليه أو يغار على أعماله أن يكون فيها شيء لغير محبوبه أو يغار عليها أن يشوبها ما يكره محبوبه من رياء أو إعجاب أو محبة لإشراف غيره عليها أو غيبته عن شهود منته عليه فيها

وبالجملة فغيرته تقتضي أن تكون أحواله وأعماله وأفعاله كلها لله وكذلك يغار على أوقاته أن يذهب منها وقت في غير رضى محبوبه فهذه الغيرة من جهة العبد وهي غيرة من المزاحم له المعوق القاطع له عن مرضاة محبوبه وأما غيرة محبوبه عليه فهي كراهية أن ينصرف قلبه عن محبته إلى محبة غيره بحيث يشاركه في حبه ولهذا كانت غيرة الله أن يأتي العبد ماحرم عليه ولأجل غيرته سبحانه حرم الفاحشة ما ظهر منها وما بطن لأن الخلق عبيده وإماؤه فهو يغار على إمائه كما يغار السيد على جواريه ولله المثل الأعلى ويغار على عبيده أن تكون محبتهم لغيره بحيث تحملهم تلك المحبة على **عشق** الصور ونيل الفاحشة منها

من عظم وقار الله في قلبه أن يعصيه وقره الله في قلوب الخلق أن يذلوه إذا علقت شروش المعرفة في أرض القلب نبتت فيه شجرة المحبة فإذا تمكنت وقويت أثمرت الطاعة فلا تزال الشجرة تؤتي أكلها كل حين باذن الله ربها أول منازل القوم اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا وأوسطها هو الذي يصلي عليكم

---

(١) الداء والدواء ط المجمع ابن القيم ص/٣١

وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى والنور وآخرها تحيتهم يوم يلقونه سلام أرض الفطرة رحبة قابلة لما يغرس فيها فإن غرست شجرة الإيمان والتقوى أورثت حلاوة الأبد وإن غرست شجرة الجهل والهوى فكل الثمر من ارجع إلى الله واطلبه من عينك وسمعك وقلبك ولسانك ولا تشرد عنه من هذه الأربعة فما رجع من رجع إليه بتوفيقه إلا منها وما شرد من شرد عنه بخذلانه إلا منها فالموفق يسمع ويبصر ويتكلم وي‍بطش بمولاه والمخذول يصدر ذلك عنه بنفسه وهواه." (١)

"وفاز بالوصل من قد جدوا انقشعت ... عن أفقه ظلمات الليل والسحب

كم ذا التخلف والدنيا قد ارتحلت ... ورسل ربك قد وافتك في الطلب

ما في الديار وقد سارت ركائب من ... تهواه للصب من شكر ولا أرب

فافرش الخد ذياك التراب وقل ... ما قاله صاحب الأشواق والحقب

ما ربع مية محفوفا يطيف به ... غيلان أشهى له من ربعك الخرب

منازلا كان يهواها ويألفها ... أيام كان منال الوصل عن كثب

ولا الخدود ولو أدمين من ضرج ... أشهى إلى ناظري من ربعك الخرب

وكلما جليت تلك الربوع له ... يهوى إليها هوى الماء في الصبب

أحيي له الشوق تذكار العهود بها ... فلو دعي القلب للسلوان لم يجب

هذا وكم منزل في الأرض يألفه ... وماله في سواها الدهر من رغب

ما في الخيام أخو وجدير يحك إن ... بثثته بعض شأن الحب فاغترب

وأسر في غمرات الليل متهديا ... بنفحة الطيب لا بالعود والحطب

وعاد كل أخي جبن ومعجزة ... وحارب النفس لا تلقيك في الحرب

وخذ لنفسك نورا تستضيء به ... يوم اقتسام الورى الأنوار بالرتب

إن كان يوجب صبري رحمتي فرضا ... بسوء حالي وحل للضنا بدني

منحتك الروح لا أبغي لها ثمنا ... إلا رضاك ووافقري الا الثمن

أحن بأطراف النهار صبابة ... وبالليل يدعوني الهوى فأجيب

وإذا لم يكن من العشق بد ... فمن عجز عشق غير الجميل." (٢)

---

(١) الفوائد لابن القيم ابن القيم ص/٣٤

(٢) الفوائد لابن القيم ابن القيم ص/٧٦

"للسجود وهل لمعنى لم كن خرورهم عن صمم وعمه فلهم عليها خرورا بالقلب خضوعا أو بالبدن سجودا أو ليس هناك خرور وعبر به عن القعود

أصول المعاصي كلها كبارها وصغارها ثلاثة تعلق القلب بغير الله وطاعة القوة الغضبية والقوة الشهوانية وهي الشرك والظلم والفواحش فغاية التعلق بغير الله شرك وأن يدعى معه إله آخر وغاية طاعة القوة الغضبية القتل وغاية القوة الشهوانية الزنا ولهذا جمع الله سبحانه بين الثلاثة في قوله ﴿والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون﴾ وهذه الثلاثة يدعو بعضها إلى بعض فالشرك يدعو إلى الظلم والفواحش كما أن الإخلاص والتوحيد يصرفهما عن صاحبه قال تعالى

﴿كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين﴾ فالسوء **العشق** والفحشاء الزنا وكذلك الظلم يدعو إلى الشرك والفاحشة فإن الشرك اظلم لظلم كما أن أعدل العدل التوحيد فالعدل قرين التوحيد والظلم قرين الشرك ولهذا يجمع سبحانه بينهما أما الأول ففي قوله شهد اللهأنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط وأما الثاني فكقوله تعالى ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾ والفاحشة تدعو إلى الشرك والظلم ولا سيما إذا قويت إرادتها ولم تحصل إلا بنوع من الظلم والاستعانة بالسحر والشيطان وقد جمع سبحانه بين الزنا والشرك في قوله

﴿الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين﴾ فهذه الثلاثة يجر بعضها إلى بعض ويأمر بعضها ببعض ولهذا كلما كان القلب أضعف توحيدا وأعظم شركا كان أكثر فاحشة وأعظم تعلقا بالصور **وعشقا** لها ونظير هذا قوله تعالى وما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون والذين يجتنبون كبائر الأثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون فأخبر أن ما عنده خير لمن آمن به وتوكل عليه وهذا هو التوحيد ثم قال ﴿والذين يجتنبون كبائر الأثم والفواحش﴾ فهذا اجتناب داعي القوة الشهوانية ثم قال." (١)

"الهموم والغموم والأحزان ومن أبى إلا تدبيره لنفسه وقع في النكد والنصب وسوء الحال والتعب فلا عيش يصفو ولا قلب يفرح ولا عمل يزكو ولا أمل يقوم ولا راحة تدوم والله سبحانه سهل لخلقه السبيل إليه وحجبهم عنه بالتدبير فمن رضي بتدبير الله له وسكن إلى اختياره وسلم لحكمه أزال ذلك الحجاب فأفضى القلب إلى ربه واطمأن إليه وسكن المتوكل لا يسأل غير الله ولا يرد على الله ولا يدخر مع الله من شبغل بنفسه شغل عن غيره ومن شغل بربه شغل عن نفسه الإخلاص هو ما لا يعلمه ملك فيكتبه ولا عدو فيفسده

---

(١) الفوائد لابن القيم ابن القيم ص/٨١

ولا يعجب به صاحبه فيبطله الرضا سكون القلب تحت مجاري الأحكام الناس في الدنيا معذبون على قدر هممهم بها للقلب ستة مواطن يجول فيها لا سابع لها ثلاثة سافلة وثلاثة عالية فالسافلة دنيا تزين له ونفس تحدثه وعدو يوسوس له فهذه مواطن الأرواح السافلة التي لا تزال تجول فيها والثلاثة العالية علم يتبين له وعقل يرشده وإله يعبده والقلوب جوالة في هذه المواطن إتباع لهوى وطول الأمل مادة كل فساد فإن اتباع الهوى يعمي عن الحق معرفة وقصدا وطول الأمل ينسي الآخرة ويصد عن الاستعداد لها لا يشم عبد رائحة الصدق ويداهن نفسه أو يداهن غيره إذا أراد الله بعبد خيرا جعله معترفا بذنبه ممسكا عن ذنب غيره جوادا بما عنده زاهدا فيما عنده محتملا لأذى غيره وإن أراد به شرا عكس ذلك عليه الهمة العلية لا تزال حائمة حول ثلاثة أشياء تعرف لصفة من الصفات العليا تزداد بمعرفتها محبة وإرادة وملاحظة لمنة تزداد بملاحظتها شكر او اطاعة وتذكر لذنب تزداد بتذكره توبة وخشية فإذا تعلقت الهمة بسوى هذه الثلاثة جالت في أودية الوساوس والخطرات من **عشق** الدنيا نظرت إلى قدرها عنده فصيرته من خدمها وعبيدها وأذلته ومن أعرض عنها نظرت إلى كبر قدره فخدمته وذلت له إنما يقطع السفر." (١)

"الجراب، وقال: طف به على كل من يعمل الجرب ببغداد.

فإن عرفه أحد منهم فاسأله عمن باعه منه، فإذا دلك عليه فاسأل المشتري عن ذلك ونقر عن خبره.

فغاب الرجل ثلاثة أيام، ثم عاد، فقال: ما زلت أسأل عن خبره حتى انتهى إلى فلان الهاشمي، اشتراه مع عشرة جرب، وشكا البائع شره وفساده، ومن جملة ما قال: إنه كان **يعشق** فلانة المغنية وأنه غيبها، فلا يعرف لها خبر، وادعى أنها هربت، والجيران يقولون: إنه قتلها.

فبعث المعتضد من كبس منزل الهاشمي وأحضره، وأحضر اليد والرجل، وأراه إياهما، فلما رآهما امتقع لونه، وأيقن بالهلاك واعترف.

فأمر المعتضد بدفع ثمن الجارية إلى مولاها، وحبس الهاشمي حتى مات في الحبس.

[فصل في محاسن الفراسة]

١٥ - (فصل)

ومن محاسن الفراسة: أن الرشيد رأى في داره حزمة خيزران، فقال لوزيره الفضل بن الربيع: ما هذه؟ قال عروق الرماح يا أمير المؤمنين، ولم يقل الخيزران لموافقة اسم أمه.

---

(١) الفوائد لابن القيم ابن القيم ص/٩٩

ونظير هذا: أن بعض الخلفاء سأل ولده – وفي يده مسواك – ما جمع هذا؟ قال: محاسنك يا أمير المؤمنين. وهذا من الفراسة في تحسين اللفظ.

وهو باب عظيم، اعتنى به الأكابر والعلماء. وله شواهد كثيرة في السنة وهو من خاصية العقل والفطنة.

فقد روينا عن عمر – رضي الله عنه –: أنه خرج يعس المدينة بالليل، فرأى نارا موقدة في خباء، فوقف وقال: " يا أهل الضوء ". وكره أن يقول: يا أهل النار. وسأل رجلا عن شيء: " هل كان؟ " قال: لا. أطال الله بقاءك، فقال: " قد علمتم فلم تتعلموا، هلا قلت: لا، وأطال الله بقاءك؟ ".

وسئل العباس: أنت أكبر أم رسول الله – صلى الله عليه وسلم –؟ فقال: هو أكبر مني، وأنا ولدت قبله. وسئل عن ذلك قباث بن أشيم؟ فقال: رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أكبر مني، وأنا أسن منه.

وكان لبعض القضاة جليس أعمى، وكان إذا أراد أن ينهض يقول: يا غلام، اذهب مع أبي محمد، ولا يقول: خذ بيده، قال: والله ما أخل بها مرة.

ومن ألطف ما يحكى في ذلك: أن بعض الخلفاء سأل رجلا عن اسمه؟ فقال: سعد يا أمير المؤمنين فقال: أي السعود أنت؟ قال: سعد السعود لك يا أمير المؤمنين، وسعد الذابح لأعدائك، وسعد بلع على سماطك، وسعد الأخبية لسرك، فأعجبه ذلك. ويشبه هذا: أن معن بن زائدة دخل على المنصور، فقارب في خطوه. فقال له المنصور: كبرت." (١)

"وشهد عليها: أنها قد بغت، وكان من قصتها أنها كانت يتيمة عند رجل، وكان للرجل امرأة؛ وكان كثير الغيبة عن أهله. فشبت اليتيمة، فخافت المرأة أن يتزوجها زوجها؛ فدعت نسوة حتى أمسكنها. فأخذت عذرتها بأصبعها؛ فلما قدم زوجها من غيبته رمتها المرأة بالفاحشة، وأقامت البينة من جاراتها اللواتي ساعدنها على ذلك. فسأل المرأة: ألك شهود؟ قالت: نعم. هؤلاء جاراتي يشهدن بما أقول. فأحضرهن علي، وأحضر السيف، وطرحه بين يديه، وفرق بينهن. فأدخل كل امرأة بيتا؛ فدعا امرأة الرجل، فأدارها بكل وجه؛ فلم تزل عن قولها. فردها إلى البيت الذي كانت فيه. ودعا بإحدى الشهود، وجثا على ركبتيه.

وقال: قد قالت المرأة ما قالت، ورجعت إلى الحق، وأعطيتها الأمان؛ وإن لم تصدقيني لأفعلن، ولأفعلن. فقالت: لا والله، ما فعلت، إلا أنها رأت جمالا وهيبة، فخافت فساد زوجها؛ فدعتنا وأمسكناها لها، حتى افتضتها بأصبعها؛ قال علي: الله أكبر؛ أنا أول من فرق بين الشاهدين. فألزم المرأة حد القذف؛ وألزم النسوة جميعا العقر، وأمر الرجل أن يطلق المرأة، وزوجه اليتيمة، وساق إليها المهر من عنده. ثم حدثهم:

---

(١) الطرق الحكمية ابن القيم ص/٤٠

أن دانيال كان يتيما، لا أب له ولا أم، وأن عجوزا من بني إسرائيل ضمته وكفلته، وأن ملكا من ملوك بني إسرائيل كان له قاضيان. وكانت امرأة مهيبة جميلة، تأتي الملك فتناصحه وتقص عليه، وأن القاضيين **عشقاها**. فراوداها عن نفسها فأبت، فشهدا عليها عند الملك أنها بغت. فدخل الملك من ذلك أمر عظيم فاشتد غمه، وكان بها معجبا. فقال لهما: إن قولكما مقبول، وأجلها ثلاثة أيام، ثم ترجمونها. ونادى في البلد: احضروا رجم فلانة، فأكثر الناس في ذلك، وقال الملك لثقته: هل عندك من حيلة؟ فقال: ماذا عسى عندي؟ - يعني وقد شهد عليها القاضيان - فخرج ذلك الرجل في اليوم الثالث، فإذا هو بغلمان يلعبون، وفيهم دانيال، وهو لا يعرفه، فقال دانيال: يا معشر الصبيان تعالوا حتى أكون أنا الملك، وأنت يا فلان المرأة العابدة، وفلان وفلان القاضيين الشاهدين عليها. ثم جمع ترابا وجعل سيفا من قصب، وقال للصبيان: خذوا بيد هذا القاضي إلى مكان كذا وكذا ففعلوا، ثم دعا الآخر، فقال له: قل الحق، فإن لم تفعل قتلتك، بأي شيء تشهد؟ - والوزير واقف ينظر ويسمع - فقال أشهد أنها بغت، قال: متى؟ قال: في يوم كذا وكذا. قال: مع من؟ قال: مع فلان بن فلان. قال: في أي مكان؟ قال في مكان كذا وكذا، فقال: ردوه إلى مكانه، وهاتوا الآخر. فردوه إلى مكانه، وجاءوا بالآخر، فقال: بأي شيء تشهد؟ قال: بغت. قال: متى؟ قال: يوم كذا وكذا، قال: مع من؟ قال: مع فلان بن فلان، قال:." (١)

"اشتغلت به عن طلب الغذاء والشراب، فلا تحس بجوع ولا عطش، بل ولا حر ولا برد، بل تشتغل به عن الإحساس المؤلم الشديد الألم، فلا تحس به، وما من أحد إلا وقد وجد في نفسه ذلك أو شيئا منه، وإذا اشتغلت النفس بما دهمها، وورد عليها، لم تحس بألم الجوع، فإن كان الوارد مفرحا قوي التفريح، قام لها مقام الغذاء، فشبعت به، وانتعشت قواها، وتضاعفت، وجرت الدموية في الجسد حتى تظهر في سطحه، فيشرق وجهه، وتظهر دمويته، فإن الفرح يوجب انبساط دم القلب، فينبعث في العروق، فتمتلىء به، فلا تطلب الأعضاء حظها من الغذاء المعتاد لاشتغالها بما هو أحب إليها، وإلى الطبيعة منه، والطبيعة إذا ظفرت بما تحب، آثرته على ما هو دونه.

وإن كان الوارد مؤلما أو محزنا أو مخوفا، اشتغلت بمحاربته ومقاومته ومدافعته عن طلب الغذاء، فهي في حال حربها في شغل عن طلب الطعام والشراب. فإن ظفرت في هذا الحرب، انتعشت قواها، وأخلفت عليها نظير ما فاتها من قوة الطعام والشراب، وإن كانت مغلوبة مقهورة، انحطت قواها بحسب ما حصل لها من ذلك، وإن كانت الحرب بينها وبين هذا العدو سجالا، فالقوة تظهر تارة وتختفي أخرى، وبالجملة

(١) الطرق الحكمية ابن القيم ص/٥٥

فالحرب بينهما على مثال الحرب الخارج بين العدوين المتقاتلين، والنصر للغالب، والمغلوب إما قتيل، وإما جريح، وإما أسير.

فالمريض له مدد من الله تعالى يغذيه به زائدا على ما ذكره الأطباء من تغذيته بالدم، وهذا المدد بحسب ضعفه وانكساره وانطراحه بين يدي ربه عز وجل، فيحصل له من ذلك ما يوجب له قربا من ربه، فإن العبد أقرب ما يكون من ربه إذا انكسر قلبه، ورحمة ربه عندئذ قريبة منه، فإن كان وليا له، حصل له من الأغذية القلبية ما تقوى به قوى طبيعته، وتنتعش به قواه أعظم من قوتها، وانتعاشها بالأغذية البدنية، وكلما قوي إيمانه وحبه لربه، وأنسه به، وفرحه به، وقوي يقينه بربه، واشتد شوقه إليه ورضاه به وعنه، وجد في نفسه من هذه القوة ما لا يعبر عنه، ولا يدركه وصف طبيب، ولا يناله علمه.

ومن غلظ طبعه، وكثفت نفسه عن فهم هذا والتصديق به، فلينظر حال كثير من عشاق الصور الذين قد امتلأت قلوبهم بحب ما **يعشقونه** من صورة، أو جاه، أو مال، أو علم، وقد شاهد الناس من هذا عجائب في أنفسهم وفي غيرهم.." (١)

"فصل

وأما هديه في الشراب، فمن أكمل هدي يحفظ به الصحة، فإنه كان يشرب العسل الممزوج بالماء البارد، وفي هذا من حفظ الصحة ما لا يهتدي إلى معرفته إلا أفاضل الأطباء، فإن شربه ولعقه على الريق يذيب البلغم، ويغسل خمل المعدة، ويجلو لزوجتها، ويدفع عنها الفضلات، ويسخنها باعتدال، ويفتح سددها، ويفعل مثل ذلك بالكبد والكلى والمثانة، وهو أنفع للمعدة من كل حلو دخلها، وإنما يضر بالعرض لصاحب الصفراء لحدته وحدة الصفراء، فربما هيجها، ودفع مضرته لهم بالخل، فيعود حينئذ لهم نافعا جدا، وشربه أنفع من كثير من الأشربة المتخذة من السكر أو أكثرها، ولا سيما لمن لم يعتد هذه الأشربة، ولا ألفها طبعه، فإنه إذا شربها لا تلائمه ملاءمة العسل، ولا قريبا منه، والمحكم في ذلك العادة، فإنها تهدم أصولا، وتبني أصولا.

وأما الشراب إذا جمع وصفي الحلاوة والبرودة، فمن أنفع شيء للبدن. ومن أكبر أسباب حفظ الصحة، وللأرواح والقوى، والكبد والقلب، **عشق** شديد له، واستمداد منه، وإذا كان فيه الوصفان، حصلت به التغذية، وتنفيذ الطعام إلى الأعضاء، وإيصاله إليها أتم تنفيذ.

والماء البارد رطب يقمع الحرارة، ويحفظ على البدن رطوباته الأصلية، ويرد عليه ما تحلل منها، ويرقق الغذاء

---

(١) الطب النبوي لابن القيم ابن القيم ص/٧٠

وينفذه في العروق.
واختلف الأطباء: هل يغذي البدن؟ على قولين: فأثبتت طائفة التغذية به بناء على ما يشاهدونه من النمو والزيادة والقوة في البدن به، ولا سيما عند شدة الحاجة إليه.
قالوا: وبين الحيوان والنبات قدر مشترك من وجوه عديدة منها: النمو والاغتذاء والاعتدال، وفي النبات قوة حس تناسبه، ولهذا كان غذاء النبات." (١)

"أضر الجماع، وهو يوجب القتل حدا عند طائفة من العلماء، كأحمد بن حنبل رحمه الله وغيره، وفيه حديث مرفوع ثابت [١] .
والثاني: ما يمكن أن يكون حلالا، كالأجنبية، فإن كانت ذات زوج، ففي وطئها حقان. حق لله، وحق للزوج. فإن كانت مكرهة، ففيه ثلاثة حقوق، وإن كان لها أهل وأقارب يلحقهم العار بذلك صار فيه أربعة حقوق، فإن كانت ذات محرم منه، صار فيه خمسة حقوق. فمضرة هذا النوع بحسب درجاته في التحريم.
وأما الضار طبعا، فنوعان أيضا: نوع ضار بكيفيته كما تقدم، ونوع ضار بكميته كالإكثار منه، فإنه يسقط القوة، ويضر بالعصب، ويحدث الرعشة، والفالج، والتشنج، ويضعف البصر وسائر القوى، ويطفيء الحرارة الغريزية، ويوسع المجاري، ويجعلها مستعدة للفضلات المؤذية.
وأنفع أوقاته، ما كان بعد انهضام الغذاء في المعدة وفي زمان معتدل لا على جوع، فإنه يضعف الحار الغريزي، ولا على شبع، فإنه يوجب أمراضا شديدة، ولا على تعب، ولا إثر حمام، ولا استفراغ ولا انفعال نفساني كالغم والهم والحزن وشدة الفرح.
وأجود أوقاته بعد هزيع من الليل إذا صادف انهضام الطعام، ثم يغتسل أو يتوضأ، وينام عليه، وينام عقبه، فتراجع إليه قواه، وليحذر الحركة والرياضة عقبه، فإنها مضرة جدا.

فصل في هديه صلى الله عليه وسلم في علاج **العشق**
هذا مرض من أمراض القلب، مخالف لسائر الأمراض في ذاته وأسبابه وعلاجه، وإذا تمكن واستحكم عز على الأطباء دواؤه، وأعيى العليل داؤه، وإنما حكاه الله سبحانه في كتابه عن طائفتين من الناس: من النساء، وعشاق الصبيان المردان، فحكاه عن." (٢)

---

(١) الطب النبوي لابن القيم ابن القيم ص/١٦٧

(٢) https://twitter.com/alruhaily_a/status/١٦٧١٨٢١٢٧٠٧١٨٠٧٤٨٨٠?s=٢

"امرأة العزيز في شأن يوسف، وحكاه عن قوم لوط، فقال تعالى إخبارا عنهم لما جاءت الملائكة لوطا: وجاء أهل المدينة يستبشرون قال إن هؤلاء ضيفي فلا تفضحون واتقوا الله ولا تخزون قالوا أولم ننهك عن العالمين، قال هؤلاء بناتي إن كنتم فاعلين لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون «١» .

وأما ما زعمه بعض من لم يقدر رسول الله صلى الله عليه وسلم حق قدره أنه ابتلي به في شأن زينب بنت جحش، وأنه رآها فقال «سبحان مقلب القلوب» . وأخذت بقلبه، وجعل يقول لزيد بن حارثة: أمسكها حتى أنزل الله عليه: وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك، ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه «٢» ، فظن هذا الزاعم أن ذلك في شأن العشق، وصنف بعضهم كتابا في العشق، وذكر فيه عشق الأنبياء، وذكر هذه الواقعة، وهذا من جهل هذا القائل بالقرآن وبالرسل، وتحميله كلام الله ما لا يحتمله، ونسبته رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ما برأه الله منه، فإن زينب بنت جحش كانت تحت زيد بن حارثة، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تبناه، وكان يدعى زيد بن محمد، وكانت زينب فيها شمم وترفع عليه، فشاور رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلاقها، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أمسك عليك زوجك واتق الله» وأخفى في نفسه أن يتزوجها إن طلقها زيد، وكان يخشى من قالة الناس أنه تزوج امرأة ابنه، لأن زيدا كان يدعى ابنه، فهذا هو الذي أخفاه في نفسه، وهذه هي الخشية من الناس التي وقعت له، ولهذا ذكر سبحانه هذه الآية يعدد فيها نعمه عليه لا يعاتبه فيها، وأعلمه أنه لا ينبغي له أن يخشى الناس فيما أحل الله له، وأن الله أحق أن يخشاه، فلا يتحرج ما أحله له لأجل قول الناس، ثم أخبره أنه سبحانه زوجه إياها بعد قضاء زيد وطره منها لتقتدي أمته به في ذلك، ويتزوج الرجل بامرأة ابنه من التبني، لا امرأة ابنه لصلبه «٣» ولهذا قال في آية

---

(١) الحجر- ٦٨- ٧٧.

(٢) الأحزاب- ٣٧.

(٣) لا صحة لهذا الحديث.." (١)

"التحريم: وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم «١» . وقال في هذه السورة:

ما كان محمد أبا أحد من رجالكم «٢» وقال في أولها: وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم «٣» . فتأمل هذا الذي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفع طعن الطاعنين عنه، وبالله التوفيق.

---

(١) الطب النبوي لابن القيم ابن القيم ص/٢٠٠

نعم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب نساءه، وكان أحبهن إليه عائشة رضي الله عنها، ولم تكن تبلغ محبته لها ولا لأحد سوى ربه نهاية الحب، بل صح أنه قال: «لو كنت متخذا من أهل الأرض خليلا لأغذت أبا بكر خليلا» «٤» . وفي لفظ: «وإن صاحبكم خليل الرحمن» «٥» .

فصل

وعشق الصور إنما تبتلى به القلوب الفارغة من محبة الله تعالى، المعرضة عنه، المتعوضة بغيره عنه، فإذا امتلأ القلب من محبة الله والشوق إلى لقائه، دفع ذلك عنه مرض **عشق** الصور، ولهذا قال تعالى في حق يوسف: كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين [يوسف: ٤٢] ، فدل على أن الإخلاص سبب لدفع **العشق** وما يترتب عليه من السوء والفحشاء التي هي ثمرته ونتيجته، فصرف المسبب صرف لسببه، ولهذا قال بعض السلف: **العشق** حركة قلب فارغ، يعني فارغا مما سوى معشوقه. قال تعالى: وأصبح فؤاد أم موسى فارغا إن كادت لتبدي به أي: فارغا من كل شيء إلا من موسى لفرط محبتها له، وتعلق قلبها به.

---

(١) النساء- ٢٣.

(٢) الأحزاب- ٤٠.

(٣) الأحزاب- ٤.

(٤) أخرجه البخاري في فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، ورواه مسلم في فضائل الصحابة.

(٥) أخرجه مسلم في فضائل الصحابة.." [1]

"**والعشق** مركب من أمرين: استحسان للمعشوق، وطمع في الوصول إليه، فمتى انتفى أحدهما انتفى **العشق**، وقد أعيت علة **العشق** على كثير من العقلاء وتكلم فيها بعضهم بكلام يرغب عن ذكره إلى الصواب. فنقول: قد استقرت حكمة الله- عز وجل- في خلقه وأمره على وقوع التناسب والتآلف بين الأشباه، وانجذاب الشيء إلى موافقه ومجانسه بالطبع، وهروبه من مخالفه، ونفرته عنه بالطبع، فسر التمازج والاتصال في العالم العلوي والسفلي، إنما هو التناسب والتشاكل، والتوافق، وسر التباين والانفصال، إنما هو بعدم التشاكل والتناسب، وعلى ذلك قام الخلق والأمر، فالمثل إلى مثله مائل، وإليه صائر، والضد عن ضده

---

(١) الطب النبوي لابن القيم ابن القيم ص/٢٠١

هارب، وعنه نافر، وقد قال تعالى «هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها «١»

فجعل سبحانه علة سكون الرجل إلى امرأته كونها من جنسه وجوهره، فعلة السكون المذكور- وهو الحب- كونها منه، فدل على أن العلة ليست بحسن الصورة، ولا الموافقة في القصد والإرادة، ولا في الخلق والهدي، وإن كانت هذه أيضا من أسباب السكون والمحبة.

وقد ثبت في «الصحيح» عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف» «٢» وفي «مسند الإمام أحمد» وغيره في سبب هذا الحديث: أن امرأة بمكة كانت تضحك الناس، فجاءت إلى المدينة، فنزلت على امرأة تضحك الناس، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «الأرواح جنود مجندة» الحديث «٣» .

وقد استقرت شريعته سبحانه أن حكم الشيء حكم مثله، فلا تفرق شريعته بين متماثلين أبدا ولا تجمع بين متضادين، ومن ظن خلاف ذلك، فإما لقلة علمه بالشريعة، وإما لتقصيره في معرفة التماثل والاختلاف، وإما لنسبته إلى شريعته ما لم ينزل به سلطانا، بل يكون من آراء الرجال، فبحكمته وعدله ظهر خلقه وشرعه،

---

(١) الأعراف- ١٨٩.

(٢) أخرجه البخاري في الأنبياء، ومسلم في البر والصلة.

(٣) أخرجه أحمد.." (١)

"إلا لعارض يزيلها، ومحبة **العشق** من هذا النوع، فإنها استحسان روحاني، وامتزاج نفساني، ولا يعرض في شيء من أنواع المحبة من الوسواس والنحول، وشغل البال، والتلف ما يعرض من **العشق**.

فإن قيل: فإذا كان سبب **العشق** ما ذكرتم من الاتصال والتناسب الروحاني، فما باله لا يكون دائما من الطرفين، بل تجده كثيرا من طرف العاشق وحده، فلو كان سببه الاتصال النفسي والامتزاج الروحاني، لكانت المحبة مشتركة بينهما.

فالجواب: أن السبب قد يتخلف عنه مسببه لفوات شرط، أو لوجود مانع، وتخلف المحبة من الجانب الآخر لابد أن يكون لأحد ثلاثة أسباب:

الأول: علة في المحبة، وأنها محبة عرضية لا ذاتية، ولا يجب الاشتراك في المحبة العرضية، بل قد يلزمها نفرة من المحبوب.

---

(١) الطب النبوي لابن القيم ابن القيم ص/٢٠٢

الثاني: مانع يقوم بالمحب يمنع محبوبه له، إما في خلقه، أو في خلقه أو هديه أو فعله، أو هيئته أو غير ذلك.

الثالث: مانع يقوم بالمحبوب يمنع مشاركته للمحب في محبته، ولولا ذلك المانع، لقام به من المحبة لمحبه مثل ما قام بالآخر، فإذا انتفت هذه الموانع، وكانت المحبة ذاتية، فلا يكون قط إلا من الجانبين، ولولا مانع الكبر والحسد، والرياسة والمعاداة في الكفار، لكانت الرسل أحب إليهم من أنفسهم وأهليهم وأموالهم، ولما زال هذا المانع من قلوب أتباعهم، كانت محبتهم لهم فوق محبة الأنفس والأهل والمال.

فصل

والمقصود: أن **العشق** لما كان مرضا من الأمراض، كان قابلا للعلاج، وله أنواع من العلاج، فإن كان مما للعاشق سبيل إلى وصل محبوبه شرعا وقدرا، فهو." (١)

"علاجه، كما ثبت في «الصحيحين» . من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء» . فدل المحب على علاجين:

أصلي، وبدلي. وأمره بالأصلي، وهو العلاج الذي وضع لهذا الداء، فلا ينبغي العدول عنه إلى غيره ما وجد إليه سبيلا.

وروى ابن ماجه في «سننه» عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لم نر للمتحابين مثل النكاح» . وهذا هو المعنى الذي أشار إليه سبحانه عقيب إحلال النساء حرائرهن وإمائهن عند الحاجة بقوله: يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا [النساء: ٢٨] . فذكر تخفيفه في هذا الموضع، وإخباره عن ضعف الإنسان يدل على ضعفه عن احتمال هذه الشهوة، وأنه- سبحانه- خفف عنه أمرها بما أباحه له من أطايب النساء مثنى وثلاث ورباع، وأباح له ما شاء مما ملكت يمينه، ثم أباح له أن يتزوج بالإماء إن احتاج إلى ذلك علاجا لهذه الشهوة، وتخفيفا عن هذا الخلق الضعيف، ورحمة به.

فصل

وإن كان لا سبيل للعاشق إلى وصال معشوقه قدرا أو شرعا، أو هو ممتنع عليه من الجهتين، وهو الداء

---

(١) الطب النبوي لابن القيم ابن القيم ص/٢٠٤

العضال، فمن علاجه إشعار نفسه اليأس منه، فإن النفس متى يئست من الشيء، استراحت منه، ولم تلتفت إليه، فإن لم يزل مرض العشق مع اليأس، فقد انحرف الطبع انحرافا شديدا، فينتقل إلى علاج آخر، وهو علاج عقله بأن يعلم بأن تعلق القلب بما لا مطمع في حصوله نوع من الجنون، وصاحبه بمنزلة من يعشق الشمس، وروحه متعلقة بالصعود إليها والدوران معها في فلكها، وهذا معدود عند جميع العقلاء في زمرة المجانين.

وإن كان الوصال متعذرا شرعا لا قدرا، فعلاجه بأن ينزله منزلة المتعذر قدرا، إذ ما لم يأذن فيه الله، فعلاج العبد ونجاته موقوف على اجتنابه، فليشعر نفسه أنه معدوم ممتنع لا سبيل له إليه، وأنه بمنزلة سائر المحالات، فإن لم تجبه." (١)

"المضطر إذا دعاه، وليطرح نفسه بين يديه على بابه، مستغيثا به، متضرعا، متذللا، مستكينا، فمتى وفق لذلك، فقد قرع باب التوفيق، فليعف وليكتم، ولا يشبب بذكر المحبوب، ولا يفضحه بين الناس ويعرضه للأذى، فإنه يكون ظالما معتديا.

ولا يغتر بالحديث الموضوع على رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي رواه سويد بن سعيد، عن علي بن مسهر، عن أبي يحيى القتات، عن مجاهد، عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم، ورواه عن أبي مسهر أيضا، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، ورواه الزبير بن بكار، عن عبد الملك بن عبد العزيز بن الماجشون، عن عبد العزيز بن أبي حازم، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من عشق، فعف، فمات فهو شهيد» وفي رواية: «من عشق وكتم وعف وصبر، غفر الله له، وأدخله الجنة» «١» .

فإن هذا الحديث لا يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا يجوز أن يكون من كلامه، فإن الشهادة درجة عالية عند الله، مقرونة بدرجة الصديقية، ولها أعمال وأحوال، هي شرط في حصولها، وهي نوعان: عامة وخاصة، فالخاصة: الشهادة في سبيل الله.

والعامة خمس مذكورة في «الصحيح» «٢» ليس العشق واحدا منها. وكيف يكون العشق الذي هو شرك في المحبة، وفراغ القلب عن الله، وتمليك القلب والروح، والحب لغيره تنال به درجة الشهادة، هذا من المحال، فإن إفساد عشق الصور للقلب فوق كل إفساد، بل هو خمر الروح الذي يسكرها، ويصدها عن

---

(١) الطب النبوي لابن القيم ابن القيم ص/٢٠٥

ذكر الله وحبه، والتلذذ بمناجاته، والأنس به، ويوجب عبودية القلب لغيره، فإن قلب العاشق متعبد لمعشوقه، بل **العشق** لب العبودية، فإنها كمال الذل، والحب

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه.

(٢) والعامة خمس مذكورة في الصحيح: في البخاري: «الشهداء خمسة: المطعون والفرق وصاحب الهدم، والشهيد في سبيل الله.." (١)

"والخضوع والتعظيم، فكيف يكون تعبد القلب لغير الله مما تنال به درجة أفاضل الموحدين وساداتهم، وخواص الأولياء، فلو كان إسناد هذا الحديث كالشمس، كان غلطا ووهما، ولا يحفظ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لفظ **العشق** في حديث صحيح البتة.

ثم إن **العشق** منه حلال، ومنه حرام، فكيف يظن بالنبي صلى الله عليه وسلم أنه يحكم على كل عاشق يكتم ويعف بأنه شهيد، فترى من **يعشق** امرأة غيره، أو **يعشق** المردان والبغايا، ينال **بعشقه** درجة الشهداء، وهل هذا إلا خلاف المعلوم من دينه صلى الله عليه وسلم بالضرورة؟ كيف **والعشق** مرض من الأمراض التي جعل الله سبحانه لها الأدوية شرعا وقدرا، والتداوي منه إما واجب إن كان **عشقا** حراما، وإما مستحب.

وأنت إذا تأملت الأمراض والآفات التي حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابها بالشهادة، وجدتها من الأمراض التي لا علاج لها، كالمطعون، والمبطون، والمجنون، والحريق، والغريق، وموت المرأة يقتلها ولدها في بطنها، فإن هذه بلايا من الله لا صنع للعبد فيها، ولا علاج لها، وليست أسبابها محرمة، ولا يترتب عليها من فساد القلب وتعبده لغير الله ما يترتب على **العشق**، فإن لم يكف هذا في إبطال نسبة هذا الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلد أئمة الحديث العالمين به وبعلله، فإنه لا يحفظ عن إمام واحد منهم قط أنه شهد له بصحة، بل ولا بحسن، كيف وقد أنكروا على سويد هذا الحديث، ورموه لأجله بالعظائم، واستحل بعضهم غزوه لأجله. قال أبو أحمد بن عدي في «كامله» : هذا الحديث أحد ما أنكر على سويد، وكذلك قال البيهقي: إنه مما أنكر عليه، وكذلك قال ابن طاهر في «الذخيرة» وذكره الحاكم في «تاريخ نيسابور» وقال: أنا أتعجب من هذا الحديث، فإنه لم يحدث به عن غير سويد، وهو ثقة، وذكره أبو الفرج ابن الجوزي في كتاب «الموضوعات» ، وكان أبو بكر الأزرق يرفعه أولا عن سويد، فعوتب فيه، فأسقط النبي صلى الله عليه وسلم وكان لا يجاوز به ابن عباس رضي الله عنهما.

---

(١) الطب النبوي لابن القيم ابن القيم ص/٢٠٧

ومن المصائب التي لا تحتمل جعل هذا الحديث من حديث هشام بن عروة عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها، عن النبي صلى الله عليه وسلم. ومن له أدنى إلمام بالحديث وعلله، لا يحتمل هذا البتة، ولا يحتمل أن يكون من حديث الماجشون عن ابن أبي." (١)

"شقاق، وإذا دهن به حقوه ومذاكيره وما والاها، نفع من برد الكليتين، وتقطير البول.

حرف الذال

ذريرة: ثبت في «الصحيحين» : عن عائشة رضي الله عنها قالت: طيبت رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي، بذريرة في حجة الوداع لحله وإحرامه «١» تقدم الكلام في الذريرة ومنافعها وماهيتها، فلا حاجة لإعادته.

ذباب: تقدم في حديث أبي هريرة المتفق عليه في أمره صلى الله عليه وسلم يغمس الذباب في الطعام إذا سقط فيه لأجل الشفاء الذي في جناحه، وهو كالترياق للسم الذي في الجناح الآخر، وذكرنا منافع الذباب هناك.

ذهب روى أبو داود، والترمذي «أن النبي صلى الله عليه وسلم رخص لعرفجة بن أسعد لما قطع أنفه يوم الكلاب، واتخذ أنفا من ورق، فأنتن عليه، فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يتخذ أنفا من ذهب» «٢» . وليس لعرفجة عندهم غير هذا الحديث الواحد

الذهب: زينة الدنيا، وطلسم الوجود، ومفرح النفوس، ومقوي الظهور، وسر الله في أرضه، ومزاجه في سائر الكيفيات، وفيه حرارة لطيفة تدخل في سائر المعجونات اللطيفة والمفرحات، وهو أعدل المعادن على الإطلاق وأشرفها.

ومن خواصه أنه إذا دفن في الأرض، لم يضره التراب، ولم ينقصه شيئا، وبرادته إذا خلطت بالأدوية، نفعت من ضعف القلب، والرجفان العارض من السوداء، وينفع من حديث النفس، والحزن، والغم، والفزع، **والعشق**، ويسمن البدن، ويقويه، ويذهب الصفار، ويحسن اللون، وينفع من الجذام، وجميع الأوجاع والأمراض السوداوية ويدخل بخاصية في أدوية داء الثعلب، وداء الحية

---

(١) الطب النبوي لابن القيم ابن القيم ص/٢٠٨

(١) أخرجه البخاري في اللباس، ومسلم في الحج.

(٢) أخرجه أبو داود في الخاتم والترمذي وأحمد وصححه ابن حبان.." (١)

---

(١) الطب النبوي لابن القيم ابن القيم ص/٢٣٢

(٢) الطب النبوي لابن القيم ابن القيم ص/٣٢٠

"فائدة: حذف العامل في بسم الله.

لحذف العامل في بسم الله فوائد عديدة منها: أنه موطن لا ينبغي أن يتقدم فيه سوى ذكر الله فلو ذكرت الفعل وهو لا يستغني عن فاعله كان ذلك مناقضا للمقصود فكان في حذفه مشاكلة اللفظ للمعنى ليكون المبدوء به اسم الله كما نقول في الصلاة الله أكبر ومعناه من كل شيء ولكن لا نقول هذا المقدر وليكون اللفظ مطابقا لمقصود الجنان وهو أن لا يكون في القلب إلا الله وحده فكما تجرد ذكره في قلب المصلي تجرد ذكره في لسانه ومنها أن الفعل إذا حذف صح الابتداء بالتسمية في كل عمل وقول وحركة وليس فعل أولى بها من فعل فكان الحذف أعم من الذكر فإن أي فعل ذكرته كان المحذوف أعم منه ومنها أن الحذف أبلغ لأن المتكلم بهذه الكلمة كأنه يدعي الاستغناء بالمشاهدة عن النطق بالفعل فكأنه لا حاجة إلى النطق به لأن المشاهدة والحال دالة على أن هذا وكل فعل فإنما هو باسمه تبارك وتعالى والحوالة على شاهد الحال أبلغ من الحوالة على شاهد النطق كما قيل:

ومن عجب قول العواذل من به ... وهل غير من أهوى يحب **ويعشق**

فائدة: عطف الصلاة على البسملة

استشكل طائفة قول المصنفين بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وآله وقالوا الفعل بعد الواو دعاء بالصلاة والتسمية قبله خبر والدعاء لا يحسن عطفه على الخبر لو قلت مررت بزيد وغفر الله لك لكان غثا من الكلام والتسمية في معنى الخبر لأن المعنى افعل كذا باسم الله وحجة من أثبتها الإقتداء بالسلف والجواب عما قاله هو أن الواو لم تعطف دعاء على خبر وإنما عطفت الجملة على كلام محكي كأنك تقول بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد أو أقول هذا وهذا أو أكتب هذا وهذا.." (١)

"وإنما خلصة ذل ﴿ربنا ظلمنا أنفسنا﴾ . لما **عشقت** للبلاء به الشجر تعلقت طلبا للعناق فقيل لها مع الكثافة لا يمكن فرضيت بالتحول والتفت.

تلق قلبي فقد أرسلته عجلا ... إلى لقائك والأشواق تقدمه

ولا تكلني على بعد الديار إلى ... صبري الضعيف فصبري أنت تعلمه

وقال الشاعر:

إذا لم يكن بيني وبينك مرسل ... فريح الصبا مني إليك رسول

ملؤوا مراكب القلوب متاعا لا ينفق إلا على الملك فلما هبت رياح السحر أقلعت تلك المراكب قطعوا بادية

---

(١) بدائع الفوائد ابن القيم ١/٢٥

الهوى بأقدام الجد فما كان إلا القليل حتى قدموا من السفر فاعتنقتهم الراحة في طريق التلقي فدخلوا بلد الوصل وقد حازوا ربح الأبد. فرغ القوم قلوبهم من الشواغل فضربت فيها سرادقات المحبة فأقاموا العيون تحرس تارة وترسق الأرض أخرى. سرادق المحبة لا تضرب إلا في قاع فارغ نزه. فرغ لي بيتا اسكنه أعرف مقدار ما ضاع منك وابك بكاء من يدري مقدار الفائت. لو تخيلت قرب الأحباب لأقمت المآثم على بعدك. لو استنشقت ريح الاسحار لأفاق قلبك المخمور. من استطال الطريق ضعف مشيه.

وما أنت بالمشتاق إن قلت بيننا ... طوال الليالي أو بعيد المفاوز

أما علمت أن الصادق إذا هم ألقى بين عينيه عزمة. إذا نزل آب في القلب سكن إذار في العين. من قبل فم اللذة لا ينكر عض أسنان الندامة. هان سهر الحراس لما علموا أن أصواتهم بمسع الملك. فيقك قيسي وأنت يماني. إذا كنت كلما لاحت لك شهوة طفيل العرائس فانتظر قبله وضاح اليمن. من لاح له كمال الآخرة هان عليه فراق الدنيا. إذا لاح للباشق الصيد نسي مألوف الكف. يا أقدام الصبر احملي بقي القليل. تذكر حلاوة الوصال يهين عليك مر المجاهدة.." (١)

"التبذير والبطاله اخل معها في بيت الفكر سويعة ثم انظر هل هي معك أو عليك ثم عاملها بما تعامل به واحدا منهما. من لم تبك الدنيا عليه لم تضحك الآخرة إليه. سينقشع غيم التعب عن فجر الآخرة. كم صبر بشر عن شهوة حتى سمع كل يا من لم يأكل. يامن حسد سجاف نعم العبد على قبة ووهبنا له حتى وصل على قدر إنا وجدناه صابرا. كيف يفلح من يشكو الليل إلى ربه من طول يومه والنهار من قبيح فعله. كيف يفلح من هو جيفة بالليل قطرب بالنهار ينصب بميزان البخس ومكيال التطفيف والقدر ثالثة الأثافي. لو فكر الطائر في الذبح ما حام حول القمح. لولا صبر المضمرات على قلة العلف ما قيل لها سوابق.

مما أضر بأهل العشق أنهم ... هووا وما عرفوا الدنيا وما فطنوا

تفنى نفوسهم شوقا وأعينهم ... في إثر كل قبيح وجهه حسن

تحمل حميلكم كل رابحة ... فكل بين على اليوم مؤتمن

ما في هوادجكم من مهجتي عوض ... إن مت شوقا ولا فيها لها ثمن

سهرت بعد رحيل وحشة لكم ... ثم استمر مريري وارعوى الوسن

لا تلق دهرك إلا غير مكترث ... ما دام تصحب فيه روحك البدن

---

(١) بدائع الفوائد ابن القيم ٢١٥/٣

فما يديم سرورا قد سررت به ... لا يرد عليك الغائب الحزن

إذا لم تكن من أنصار الرسول فتناول الحرب فكن من حراس الخيام فإن لم تفعل فكن من نظارة الحرب الذين يتمنون الظفر للمسلمين ولا تكن الرابعة فتهلك. إذا رأيت الباب مسدودا في وجهك فاقنع بالوقوف خارج الدار مستقبلا الباب سائلا مستعطيا فعسى ولكن لا تول ظهرك وتقول ما حيلتي وقد سد الباب دوني. لما نادي منادي الأفضال ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾ سارت نجائب الأعمال قام الجزاء يصيح بالدليل ﴿ولولا أن ثبتناك﴾ فقال: " ما منكم من ينجيه عمله ". إن لم تقدر على مشارع أرباب العزائم فرد باقي الحياض. فمن لم يكن." (١)

"بأرجل العيس تنبيك الرمال فما ... أمشي بوجدي غذا إلا على الأثر

يا من فقد قلبه لا تيأس من عوده

فقد يجمع الله الشتيتين بعدما ... يظنان كل الظن أن لا تلاقيا

الهوى قاطن والصواب خاطر وطرد القاطن صعب وإمساك الخاطر أصعب. إنك لم تزل في حبس فأول الحبوس صلب الأب والثاني بطن الأم والثالث القماط والمهد والرابع المكتب والخامس الكد على العيال والسادس مرض الموت والسابع القبر فإن وقعت في الثامن نسيت مرارة كل حبس تقدم. ادخل حبس التقوى باختيارك أياما ليحصل لك الإطلاق على الدوام ولا تؤثر إطلاق نفسك فيما تحب فإنه يؤثر حبس الأبد. العذل على حمل العشق علاوة ومريخ قطب الشم يوجده فروى له خبر التعذيب فعرضا متى تركت المعصية وما حللت عقد الإصرار لم يفد شيئا كما لو سكن المرض من غير استفراغ فإنه على حاله إن لم يتحقق قصد القلب لم يؤثر النطق شيئا. يمين المكره لا تنعقد ويحك نفسك سلعتك وقد ،ستامها المشترى بأفخر الثمن فاجهد في إصلاح عيوبها لعلة يرضي بها. منام المنى أضغاث ورائد الأمال كذوب ومرتع الشهوات وخيم. العجز شريك الحرمان التفريط مصائب الكسل. قفل قلبك رومي ما يقع عليه غش. متى خامر من جنود عزمك عليك واحد لم يأمن قلبك الهزيمة عليه. وإذا كان في الأنابيب خلف وقع الطيش في رؤوس الصعاد. كمن قيما على جوارحك ورعيتك إذا وفيتها الحظوظ فاستوف منها الحقوق. تأمل قوله تعالى: ﴿فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى﴾ كيف شرك بينهما في الخروج وخص الذكر بالشقاء لاشتغاله بالكسب والمعاش والمرأة في خدرها

تزود من الماء القراح فلن يرى ... بوادي الغضا ماء نقاحا ولا بردا

---

(١) بدائع الفوائد ابن القيم ٢٢٦/٣

فهل من نسيم البان والرند نفحة ... فهيهات واد ينبت البان والرندا
وكر إلى نجد بطرفك إنه ... متى تسر لا تنظر عقيقا ولا نجدا." (١)

"المؤمن كما يذوب الملح في الماء، قيل: مم ذاك يا رسول الله؟ قال: مما يرى من المنكر لا يستطيع تغييره» .

وذكر الإمام أحمد من حديث جرير أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: «ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي، وهم أعز وأكثر ممن يعمله، فلم يغيروه إلا عمهم الله بعقاب» .

وفي صحيح البخاري، عن أسامة بن زيد قال: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: «يجاء بالرجل يوم القيامة، فيلقى في النار، فتندلق أقتابه في النار، فيدور كما يدور الحمار برحاه، فيجتمع عليه أهل النار، فيقولون: أي فلان، ما شأنك؟ ألست كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ قال: بلى، كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن المنكر وآتيه» .

وذكر الإمام أحمد عن مالك بن دينار قال: كان حبر من أحبار بني إسرائيل يغشى منزله الرجال والنساء، فيعظهم ويذكرهم بأيام الله، فرأى بعض بنيه يوما يغمز النساء، فقال: مهلا يا بني، مهلا يا بني فسقط من سريره، فانقطع نخاعه، وأسقطت امرأته، وقتل بنوه، فأوحى الله إلى نبيهم: أن أخبر فلانا الخبر: أني لا أخرج من صلبك صديقا أبدا، ما كان غضبك لي إلا أن قلت مهلا يا بني.

وذكر الإمام أحمد من حديث عبد الله بن مسعود أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: «إياكم ومحقرات الذنوب، فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه، وإن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ضرب لهن مثلا، كمثل القوم نزلوا أرض فلاة، فحضر صنيع القوم، فجعل الرجل ينطلق فيجيء بالعود، والرجل يجيء بالعود، حتى جمعوا سوادا، وأججوا نارا، وأنضجوا ما قذفوا فيها» .

وفي صحيح البخاري عن أنس بن مالك قال: «إنكم لتعملون أعمالا هي أدق في أعينكم من الشعر، وإن كنا لنعدها على عهد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من الموبقات.»

وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: «عذبت امرأة في هرة سجنتها حتى ماتت، فدخلت النار، لا هي أطعمتها، ولا سقتها، ولا تركتها تأكل من خشاش الأرض» .

وفي الحلية لأبي نعيم عن حذيفة أنه قيل له: في يوم واحد تركت بنو إسرائيل دينهم؟ قال: لا، ولكنهم كانوا

---

(١) بدائع الفوائد ابن القيم ٣/٢٢٩

إذا أمروا بشيء تركوه، وإذا نهوا عن شيء ركبوه، حتى انسلخوا من دينهم كما ينسلخ الرجل من قميصه.

ومن هاهنا قال بعض السلف: المعاصي بريد الكفر، كما أن القبلة بريد الجماع، والغناء بريد الزنا، والنظر بريد **العشق**، والمرض بريد الموت.

وفي الحلية أيضا عن ابن عباس أنه قال: يا صاحب الذنب لا تأمن سوء عاقبته، ولما." (١)

"ومنها: المعيشة الضنك في الدنيا وفي البرزخ، والعذاب في الآخرة، قال تعالى: ﴿ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى﴾ [سورة طه: ١٢٤] .

وفسرت المعيشة الضنك بعذاب القبر، ولا ريب أنه من المعيشة الضنك، والآية تتناول ما هو أعم منه، وإن كانت نكرة في سياق الإثبات، فإن عمومها من حيث المعنى، فإنه سبحانه رتب المعيشة الضنك على الإعراض عن ذكره، فالمعرض عنه له من ضنك المعيشة بحسب إعراضه، وإن تنعم في الدنيا بأصناف النعم، ففي قلبه من الوحشة والذل والحسرات التي تقطع القلوب، والأماني الباطلة والعذاب الحاضر ما فيه، وإنما يواريه عنه سكرات الشهوات **والعشق** وحب الدنيا والرياسة، وإن لم ينضم إلى ذلك سكر الخمر، فسكر هذه الأمور أعظم من سكر الخمر، فإنه يفيق صاحبه ويصحو، وسكر الهوى وحب الدنيا لا يصحو صاحبه إلا إذا كان صاحبه في عسكر الأموات، فالمعيشة الضنك لازمة لمن أعرض عن ذكر الله الذي أنزله على رسوله - صلى الله عليه وسلم - في دنياه وفي البرزخ ويوم معاده، ولا تقر العين، ولا يهدأ القلب، ولا تطمئن النفس إلا بإلهها ومعبودها الذي هو حق، وكل معبود سواه باطل، فمن قرت عينه بالله قرت به كل عين، ومن لم تقر عينه بالله تقطعت نفسه على الدنيا حسرات، والله تعالى إنما جعل الحياة الطيبة لمن آمن به وعمل صالحا، كما قال تعالى: ﴿من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾ [سورة النحل: ٩٧] .

فضمن لأهل الإيمان والعمل الصالح الجزاء في الدنيا بالحياة الطيبة، والحسنى يوم القيامة، فلهم أطيب الحياتين، فهم أحياء في الدارين.

ونظير هذا قوله تعالى: ﴿للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين﴾ [سورة النحل: ٣٠] .

---

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي = الداء والدواء ابن القيم ص/٥٠

ونظيرها قوله تعالى: ﴿وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعا حسنا إلى أجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله﴾ [سورة هود: ٣] .." (١)

"الثاني: أنه نهى عباده أن تأخذهم بالزناة رأفة في دينه، بحيث تمنعهم من إقامة الحد عليهم، فإنه سبحانه من رأفته بهم ورحمته بهم شرع هذه العقوبة؛ فهو أرحم بكم، ولم تمنعه رحمته من أمره بهذه العقوبة، فلا يمنعكم أنتم ما يقوم بقلوبكم من الرأفة من إقامة أمره.

وهذا - وإن كان عاما في سائر الحدود - ولكن ذكر في حد الزنى خاصة لشدة الحاجة إلى ذكره، فإن الناس لا يجدون في قلوبهم من الغلظة والقسوة على الزاني ما يجدونه على السارق والقاذف وشارب الخمر، فقلوبهم ترحم الزاني أكثر مما ترحم غيره من أرباب الجرائم، والواقع شاهد بذلك، فنهوا أن تأخذهم هذه الرأفة وتحملهم على تعطيل حد الله.

وسبب هذه الرحمة: أن هذا ذنب يقع من الأشراف والأوساط والأراذل، وفي النفوس أقوى الدواعي إليه، والمشارك فيه كثير، وأكثر أسبابه **العشق**، والقلوب مجبولة إلى رحمة العاشق، وكثير من الناس يعد مساعدته طاعة وقربة، وإن كانت الصورة المعشوقة محرمة عليه، ولا يستنكر هذا الأمر، فهو مستقر عند ما شاء الله من أشباه الأنعام، ولقد حكى لنا من ذلك شيئا كثيرا نقاص العقول كالخدام والنساء.

وأيضا فإن هذا ذنب غالبا ما يقع مع التراضي من الجانبين، ولا يقع فيه من العدوان والظلم والاغتصاب ما تنفر النفوس منه.

وفي النفوس شهوة غالبة له فيصور ذلك لها، فتقوم بها رحمة تمنع إقامة الحد، وهذا كله من ضعف الإيمان.

وكمال الإيمان أن تقوم به قوة يقيم بها أمر الله، ورحمة يرحم بها المحدود، فيكون موافقا لربه تعالى في أمره ورحمته.

الثالث: أنه سبحانه أمر أن يكون حدهما بمشهد من المؤمنين، فلا يكون في خلوة بحيث لا يراهما أحد، وذلك أبلغ في مصلحة الحد، والحكمة الزجر، وحد الزاني المحصن مشتق من عقوبة الله تعالى لقوم لوط بالقذف بالحجارة، وذلك لاشتراك الزنا واللواط في الفحش، وفي كل منهما فساد يناقض حكمة الله في خلقه وأمره، فإن في اللواط من المفاسد ما يفوت الحصر والتعداد، ولأن يقتل المفعول به خير له من أن يؤتى، فإنه يفسد فسادا لا يرجى له بعده صلاح أبدا، ويذهب خيره كله، وتمص الأرض ماء الحياء من وجهه، فلا يستحي بعد ذلك من الله ولا من خلقه، وتعمل في قلبه وروحه نطفة الفاعل ما يعمل السم في

---

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي = الداء والدواء ابن القيم ص/١٢٠

البدن.
وقد اختلف الناس هل يدخل الجنة مفعول به؟ على قولين، سمعت شيخ الإسلام يحكيهما.
والذين قالوا: لا يدخل الجنة احتجوا بأمور:
منها أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: «لا يدخل الجنة ولد زنية» فإذا كان هذا حال ولد الزنى مع." (١)

"ولقد بكى سفيان الثوري ليلة إلى الصباح، فلما أصبح قيل له: كل هذا خوفا من الذنوب؟ فأخذ تبنة من الأرض، وقال: الذنوب أهون من هذا، وإنما أبكي من خوف سوء الخاتمة.
وهذا من أعظم الفقه: أن يخاف الرجل أن تخذله ذنوبه عند الموت، فتحول بينه وبين الخاتمة الحسنى.
وقد ذكر الإمام أحمد عن أبي الدرداء أنه لما احتضر جعل يغمى عليه ثم يفيق ويقرأ: ﴿ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون﴾ [سورة الأنعام: ١١٠] .
فمن هذا خاف السلف من الذنوب، أن تكون حجابا بينهم وبين الخاتمة الحسنى.
قال: واعلم أن سوء الخاتمة – أعاذنا الله تعالى منها – لا تكون لمن استقام ظاهره وصلح باطنه، ما سمع بهذا ولا علم به ولله الحمد، وإنما تكون لمن له فساد في العقد، أو إصرار على الكبائر، وإقدام على العظائم، فربما غلب ذلك عليه حتى ينزل به الموت قبل التوبة، فيأخذه قبل إصلاح الطوية. ويصطلمه قبل الإنابة فيظفر به الشيطان عند تلك الصدمة، ويختطفه عند تلك الدهشة، والعياذ بالله.
قال: ويروى أنه كان بمصر رجل يلزم مسجدا للأذان والصلاة، وعليه بهاء الطاعة وأنوار العبادة، فرقي يوما المنارة على عادته للأذان، وكان تحت المنارة دار لنصراني، فاطلع فيها، فرأى ابنة صاحب الدار فافتتن بها، فترك الأذان، ونزل إليها، ودخل الدار عليها، فقالت له: ما شأنك وما تريد؟ قال: أريدك، فقالت: لماذا؟ قال: قد سبيت لبي، وأخذت بمجامع قلبي، قالت: لا أجيبك إلى ريبة أبدا، وقال: أتزوجك؟ قالت: أنت مسلم وأنا نصرانية وأبي لا يزوجني منك، قال: أتنصر، قالت: إن فعلت أفعل، فتنصر الرجل ليتزوجها، وأقام معهم في الدار، فلما كان في أثناء ذلك اليوم، رقي إلى سطح كان في الدار فسقط منه فمات، فلم يظفر بها، وفاته دينه.
قال: ويروى أن رجلا عشق شخصا فاشتد كلفه به، وتمكن حبه من قلبه، حتى وقع ألم به ولزم الفراش بسببه، وتمنع ذلك الشخص عليه، واشتد نفاره عنه، فلم تزل الوسائط يمشون بينهما حتى وعده بأن يعوده،

---

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي = الداء والدواء ابن القيم ص/١٦٤

فأخبره بذلك الناس، ففرح واشتد سروره وانجلى غمه، وجعل ينتظر الميعاد الذي ضرب له، فبينا هو كذلك إذ جاءه الساعي بينهما، فقال: إنه وصل معي إلى بعض الطريق ورجع، ورغبت إليه وكلمته، فقال: إنه ذكرني وصرح بي، ولا أدخل مداخل الريبة ولا أعرض نفسي لمواقع التهم، فعاودته فأبى وانصرف، فلما سمع." (١)

"الآثار المرفوعة: " «إذا أتت المرأة المرأة فهما زانيتان» " ولكن لا يجب الحد بذلك، لعدم الإيلاج، وإن أطلق عليهما اسم الزنى العام، كزنى العين واليد والرجل والفم.

وإذا ثبت هذا: فأجمع المسلمون على أن حكم التلوط مع المملوك كحكمه مع غيره، ومن ظن أن تلوط الإنسان بمملوكه جائز، واحتج على ذلك بقوله تعالى: ﴿إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين﴾ [سورة المعارج: ٣٠] .

وقاس ذلك على أمته المملوكة فهو كافر، يستتاب كما يستتاب المرتد، فإن تاب وإلا ضربت عنقه، وتلوط الإنسان بمملوكه كتلوطه بمملوك غيره في الإثم والحكم.

[فصل دواء اللواط]

فصل

دواء اللواط

فإن قيل: فهل مع هذا كله دواء لهذا الداء العضال؟ ورقية لهذا السحر القتال؟ وما الاحتيال لدفع هذا الخبال؟ وهل من طريق قاصد إلى التوفيق؟ وهل يمكن السكران بخمر الهوى أن يفيق؟ وهل يملك العاشق قلبه والعشق قد وصل إلى سويدائه؟ وهل للطبيب بعد ذلك حيلة في برئه من سويدائه؟ وإن لامه لائم التذ بملامه ذكرا لمحبوبه، وإن عذله عاذل أغراه عذله، وسار به في طريق مطلوبه، ينادي عليه شاهد حاله بلسان مقاله:

وقف الهوى بي حيث أنت فليس ... لي متأخر عنه ولا متقدم

وأهنتني فأهنت نفسي جاهدا ... ما من يهون عليك ممن يكرم

أشبهت أعدائي فصرت أحبهم ... إذ كان حظي منك حظي منهم

أجد الملامة في هواك لذيذة ... حبا لذكرك فليلمني اللوم

ولعل هذا هو المقصود بالسؤال الأول الذي وقع عليه الاستفتاء، والداء الذي طلب له الدواء.

---

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي = الداء والدواء ابن القيم ص/١٦٧

قيل: نعم، الجواب من رأس: " «ما أنزل الله سبحانه من داء إلا جعل له دواء،» علمه من علمه وجهله من جهله ".

والكلام في دواء داء تعلق القلب بالمحبة الهوائية من طريقين:

أحدهما: حسم مادته قبل حصولها.." (١)

"وكان شجاع الكرماني يقول: من عمر ظاهره باتباع السنة، وباطنه بدوام المراقبة، وغض بصره عن المحارم، وكف نفسه عن الشبهات، واغتذى بالحلال، لم تخطئ له فراسة وكان شجاعا لا تخطئ له فراسة.

والله سبحانه يجزي العبد على عمله بما هو من جنس عمله، ومن ترك لله شيئا عوضه الله خيرا منه، فإذا غض بصره عن محارم الله، عوضه الله بأن يطلق نور بصيرته، عوضا عن حبس بصره لله، ويفتح عليه باب العلم والإيمان، والمعرفة والفراسة الصادقة المصيبة التي إنما تنال ببصيرة، فقال تعالى: ﴿لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون﴾ [سورة الحجر: ٢٧] .

فوصفهم بالسكرة التي هي فساد العقل، والعمه الذي هو فساد البصيرة، فالتعلق بالصور يوجب فساد العقل، وعمه البصيرة، وسكر القلب، كما قال القائل:

سكران سكر هوى وسكر مدامة ... ومتى إفاقة من به سكران

وقال الآخر:

قالوا جننت بمن تهوى فقلت لهم ... **العشق** أعظم مما بالمجانين

العشق لا يستفيق الدهر صاحبه ... وإنما يصرع المجنون في الحين

السابعة: أنه يورث القلب ثباتا وشجاعة وقوة، فجمع الله له بين سلطان النصرة والحجة، وسلطان القدرة والقوة، كما في الأثر: " الذي يخالف هواه، يفر الشيطان من ظله ".

وضد هذا تجد في المتبع لهواه - من ذل النفس ووضاعتها ومهانتها وخستها وحقارتها - ما جعله الله سبحانه فيمن حصاه.

كما قال الحسن: " إنهم وإن طقطقت بهم البغال، وهملجت بهم البراذين، إن ذل المعصية في رقابهم، أبى الله إلا أن يذل من عصاه ".

وقد جعل الله سبحانه العز قرين طاعته، والذل قرين معصيته، فقال تعالى: ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾

---

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي = الداء والدواء ابن القيم ص/١٧٧

[سورة المنافقون: ٨] .

وقال تعالى: ﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين﴾ [سورة آل عمران: ١٣٩] .." (١)

"منع تعلق القلوب

الطريق الثاني المانع من حصول تعلق القلب: اشتغال القلب بما يصده عن ذلك، ويحول بينه وبين الوقوع فيه، وهو إما خوف مقلق أو حب مزعج، فمتى خلا القلب من خوف ما فواته أضر عليه من حصول هذا المحبوب، أو خوف ما حصوله أضر عليه من فوات هذا المحبوب، أو محبته ما هو أنفع له وخير له من هذا المحبوب، وفواته أضر عليه من فوات هذا المحبوب، لم يجد بدا من **عشق** الصور.

وشرح هذا: أن النفس لا تترك محبوبا إلا لمحبوب أعلى منه، أو خشية مكروه حصوله أضر عليه من فوات هذا المحبوب، وهذا يحتاج صاحبه إلى أمرين إن فقدهما أو أحدهما لم ينتفع بنفسه.

أحدهما: بصيرة صحيحة يفرق بها بين درجات المحبوب والمكروه، فيؤثر أعلى المحبوبين على أدناهما، ويحتمل أدنى المكروهين ليخلص من أعلاهما، وهذا خاصة العقل، ولا يعد عاقلا من كان بضد ذلك، بل قد تكون البهائم أحسن حالا منه.

الثاني: قوة عزم وصبر يتمكن به من هذا الفعل والترك، فكثيرا ما يعرف الرجل قدر التفاوت، ولكن يأبى له ضعف نفسه وهمته وعزيمته على أشياء لا تنفع من خسته وحرصه ووضاعة نفسه وخسة همته، ومثل هذا لا ينتفع بنفسه، ولا ينتفع به غيره، وقد منع الله سبحانه إمامة الدين إلا من أهل الصبر واليقين، فقال تعالى، وبقوله يهتدي المهتدون منهم: ﴿وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون﴾ [سورة السجدة: ٢٤] .

وهذا هو الذي ينتفع بعلمه، وينتفع به الناس، وضده لا ينتفع به غيره، ومن الناس من ينتفع بعلمه في نفسه ولا ينتفع به غيره، فالأول يمشي في نوره ويمشي الناس في نوره، والثاني قد طفئ نوره، فهو يمشي في الظلمات ومن تبعه في ظلمته، والثالث يمشي في نوره وحده.

[فصل توحيد المحبوب]

فصل

توحيد المحبوب

---

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي = الداء والدواء ابن القيم ص/١٧٩

إذا عرفت هذه المقدمة فلا يمكن أن يجتمع في القلب حب المحبوب الأعلى **وعشق** الصور أبدا، بل هما ضدان لا يتلاقيان، بل لا بد أن يخرج أحدهما صاحبه، فمن كانت قوة حبه كلها للمحبوب الأعلى الذي محبة ما سواه باطلة وعذاب على صاحبها صرفه ذلك عن." (١)

"ثم بعدها الصبابة، وسميت بذلك لانصباب القلب إلى المحبوب، قال الشاعر:

تشكى المحبون الصبابة ليتني ... تحملت ما يلقون من بينهم وحدي

فكانت لقلبي لذة الحب كلها ... فلم يلقها قبلي محب ولا بعدي

ثم الغرام، وهو لزوم الحب للقلب لزوما لا ينفك عنه، ومنه سمي الغريم غريما؛ لملازمته صاحبه، ومنه قوله تعالى: ﴿إن عذابها كان غراما﴾ [سورة الفرقان: ٦٥] .

وقد أولع المتأخرون باستعمال هذا اللفظ في الحب، وقل أن تجده في أشعار العرب.

ثم **العشق** وهو إفراط المحبة، ولهذا لا يوصف به الرب تبارك وتعالى، ولا يطلق في حقه.

ثم الشوق وهو سفر القلب إلى المحبوب أحث السفر، وقد جاء إطلاقه في حق الرب تعالى كما في مسند الإمام أحمد عن عمار بن ياسر: «أنه صلى صلاة فأوجز فيها، فقيل له في ذلك، فقال أما إني دعوت فيها بدعوات كان النبي – عليه الصلاة والسلام – يدعو بهن: اللهم إني أسألك بعلمك الغيب، وقدرتك على الخلق، أحيني إذا كانت الحياة خيرا لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرا لي، اللهم إني أسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وأسألك كلمة الحق في الغضب والرضا، وأسألك القصد في الفقر والغنى، وأسألك نعيما لا ينفد، وأسألك قرة عين لا تنقطع، وأسألك برد العيش بعد الموت، وأسألك لذة النظر إلى وجهك، وأسألك الشوق إلى لقائك، في غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة، اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين.»

وفي أثر آخر: " «طال شوق الأبرار إلى لقائي، وأنا إلى لقائهم أشد شوقا» ".

وهذا هو المعنى الذي عبر عنه – صلى الله عليه وسلم – بقوله: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه» .

وقال بعض أهل البصائر في قوله تعالى: ﴿من كان يرجو لقاء الله فإن أجل الله لآت﴾ [سورة العنكبوت: ٥] .

لما علم سبحانه شدة شوق أوليائه إلى لقائه، وأن قلوبهم لا تهتدي دون لقائه، ضرب لهم أجلا وموعدا

---

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي = الداء والدواء ابن القيم ص/١٨١

للقائه، وتسكن نفوسهم به، وأطيب العيش وألذه على الإطلاق عيش المحبين المشتاقين المستأنسين، فحياتهم هي الحياة الطيبة الحقيقية، ولا حياة للقلب." (١)

"﴿ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم﴾ ، فكيف أخاف من ناصيته بيد غيره، وهو في قهره وقبضته وتحت قهره وسلطانه دونه، وهل هذا إلا من أجهل الجهل، وأقبح الظلم؟

ثم أخبر أنه سبحانه على صراط مستقيم، فكل ما يقضيه ويقدره فلا يخاف العبد جوره ولا ظلمه، فلا أخاف ما دونه، فإن ناصيته بيده، ولا أخاف جوره وظلمه، فإنه على صراط مستقيم، فهو سبحانه ماض في عبده حكمه، عدل فيه قضاؤه، له الملك وله الحمد، ولا يخرج في تصرفه في عباده عن العدل والفضل، إن أعطى وأكرم وهدى ووفق فبفضله ورحمته، وإن منع وأهان وأضل وخذل وأشقى فبعدله وحكمته، وهو على صراط مستقيم في هذا وهذا.

وفي الحديث الصحيح: «ما أصاب عبدا قط هم ولا حزن، فقال: اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماض في حكمك، عدل في قضاؤك، أسألك اللهم بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك: أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي وغمي، إلا أذهب الله همه وغمه، وأبدله مكانه فرجا، قالوا: يا رسول الله ألا نتعلمهن؟ قال: بلى ينبغي لمن سمعهن أن يتعلمهن» .

وهذا يتناول حكم الرب الكوني والأمري وقضاءه الذي يكون باختيار العبد وغير اختياره، وكلا الحكمين ماض في عبده، وكلا القضائين عدل فيه، فهذا الحديث مشتق من هذه الآية، بينهما أقرب نسب.

[فصل عشق الصور]

فصل

عشق الصور

ونختم الجواب بفصل متعلق بعشق الصور وما فيه من المفاسد العاجلة والآجلة، وإن كانت أضعاف ما ذكره ذاكر، فإنه يفسد القلب بالذات، وإذا فسد القلب؛ فسدت الإرادات والأقوال والأعمال، وفسد ثغر التوحيد كما تقدم، وكما سنقرره أيضا إن شاء الله تعالى.

والله سبحانه وتعالى إنما حكى هذا المرض عن طائفتين من الناس، وهم اللوطية والنساء، فأخبر عن عشق

---

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي = الداء والدواء ابن القيم ص/١٨٣

امرأة العزيز ليوسف، وما راودته وكادته به، وأخبر عن الحال التي صار إليها يوسف بصبره وعفته وتقواه، مع أن الذي ابتلي به أمر لا يصبر عليه إلا من صبره." (١)

"[فصل عشق اللوطية]

فصل

عشق اللوطية

والطائفة الثانية، الذين حكى الله عنهم العشق: هم اللوطية كما قال تعالى: ﴿وجاء أهل المدينة يستبشرون – قال إن هؤلاء ضيفي فلا تفضحون – واتقوا الله ولا تخزون – قالوا أولم ننهك عن العالمين – قال هؤلاء بناتي إن كنتم فاعلين – لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون﴾ [سورة الحجر: ٦٧ – ٧٢] .

فهذه الأمة عشقت فحكاه سبحانه عن طائفتين، عشق كل منهما ما حرم عليه من الصور، ولم يبال بما في عشقه من الضرر.

وهذا داء أعيا الأطباء دواؤه، وعز عليهم شفاؤه، وهو والله الداء العضال، والسم القتال، الذي ما علق بقلب إلا وعز على الورى خلاصه من إساره، ولا اشتعلت ناره في مهجة إلا وصعب على الخلق تخليصها من ناره.

وهو أقسام:

تارة يكون كفرا: لمن اتخذ معشوقه ندا يحبه كما يحب الله، فكيف إذا كانت محبته أعظم من محبة الله في قلبه؟ فهذا عشق لا يغفر لصاحبه، فإنه من أعظم الشرك، والله لا يغفر أن يشرك به، وإنما يغفر بالتوبة الماحية ما دون ذلك.

وعلامة العشق الشركي الكفري: أن يقدم العاشق رضاء معشوقه على ربه، وإذا تعارض عنده حق معشوقه وحظه، وحق ربه وطاعته، قدم حق معشوقه على حق ربه، وآثر رضاه على رضاه، وبذل له أنفس ما يقدر عليه، وبذل لربه – إن بذل – أردأ ما عنده، واستفرغ وسعه في مرضاة معشوقه وطاعته والتقرب إليه، وجعل لربه – إن أطاعه – الفضلة التي تفضل معشوقه من ساعاته.

فتأمل حال أكثر عشاق الصور تجدها مطابقة لذلك، ثم ضع حالهم في كفة، وتوحيدهم وإيمانهم في كفة، ثم زن وزنا يرضى الله به ورسوله ويطابق العدل، وربما صرح العاشق منهم بأن وصل معشوقه أحب إليه من توحيد ربه، كما قال العاشق الخبيث:

---

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي = الداء والدواء ابن القيم ص/٢٠٨

يترشفن من فمي رشفات ... هن أحلى فيه من التوحيد

وكما صرح الخبيث الآخر أن وصل معشوقه أشهى إليه من رحمة ربه، وقد مر.." (١)

"بلا ريب إن هذا **العشق** من أعظم الشرك، وكثير منهم يصرح بأنه لم يبق في قلبه موضع لغير معشوقه ألبتة، بل قد ملك عليه قلبه كله فصار عبدا محضا من كل وجه لمعشوقه، فقد رضي هذا من عبودية الخالق جل جلاله بعبودية مخلوق مثله: فإن العبودية هي كمال الحب والخضوع، وهذا قد استفرغ قوة حبه وخضوعه وذله لمعشوقه فقد أعطاه حقيقة العبودية.

ولا نسبة بين مفسدة هذا الأمر العظيم ومفسدة الفاحشة، فإن تلك ذنب كبير لفاعله حكم أمثاله، ومفسدة هذا **العشق** مفسدة الشرك، وكان بعض الشيوخ من العارفين يقول: لأن أبتلى بالفاحشة مع تلك الصورة أحب إلي من أن أبتلى فيها **بعشق** يتعبد لها قلبي ويشغله عن الله.

[فصل دواء **العشق**]

فصل

دواء **العشق**

ودواء هذا الداء القتال: أن يعرف أن ما ابتلي به من هذا الداء المضاد للتوحيد، إنما هو من جهله وغفلة قلبه عن الله تعالى، فعليه أن يعرف توحيد ربه وسننه أولا، ثم يأتي من العبادات الظاهرة والباطنة بما يشغل قلبه عن دوام الفكرة فيه، ويكثر اللجأ والتضرع إلى الله سبحانه في صرف ذلك عنه، وأن يراجع بقلبه إليه، وليس له دواء أنفع من الإخلاص لله، وهو الدواء الذي ذكره الله في كتابه حيث قال: ﴿كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين﴾ [سورة يوسف: ٢٤] .

وأخبر سبحانه أنه صرف عنه السوء من **العشق** والفحشاء من الفعل بإخلاصه، فإن القلب إذا أخلص وأخلص عمله لله لم يتمكن منه **عشق** الصور فإنه إنما يتمكن من قلب فارغ، كما قال:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى ... فصادف قلبا خاليا فتمكنا

وليعلم العاقل أن العقل والشرع يوجبان تحصيل المصالح وتكميلها، وإعدام المفاسد وتقليلها، فإذا عرض

---

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي = الداء والدواء ابن القيم ص/٢١١

للعاقل أمر يرى فيه مصلحة ومفسدة، وجب عليه أمران: أمر علمي، وأمر عملي، فالعلمي: معرفة الراجح من طرفي المصلحة والمفسدة، فإذا تبين له الرجحان وجب عليه إيثار الأصلح له.." (١)

"أضرار **العشق**

ومن المعلوم أنه ليس في **عشق** الصور مصلحة دينية ولا دنيوية، بل مفسدته الدينية والدنيوية أضعاف أضعاف ما يقدر فيه من المصلحة، وذلك من وجوه:

أحدها: الاشتغال بحب المخلوق وذكره عن حب الرب تعالى وذكره، فلا يجتمع في القلب هذا وهذا إلا ويقهر أحدهما الآخر، ويكون السلطان والغلبة له.

الثاني: عذاب قلبه به، فإن من أحب شيئا غير الله عذب به ولا بد، كما قيل:

فما في الأرض أشقى من محب ... وإن وجد الهوى حلو المذاق

تراه باكيا في كل حين ... مخافة فرقة أو لاشتياق

فيبكي إن نأوا شوقا إليهم ... ويبكي إن دنوا خوف الفراق

فتسخن عينه عند الفراق ... وتسخن عينه عند التلاقي

والعشق وإن استلذ به صاحبه، فهو أعظم من عذاب القلب.

الثالث: أن قلبه أسير قبضة غيره يسومه الهوان، ولكن لسكرته لا يشعر بمصابه، فقلبه كعصفورة في كف طفل يسومها حياض الردى، والطفل يلهو ويلعب، كما قال بعض هؤلاء:

ملكت فؤادي بالقطيعة والجفا ... وأنت خلي البال تلهو وتلعب

فعيش العاشق عيش الأسير الموثق، وعيش الخلي عيش المسيب المطلق.

طليق برأي العين وهو أسير ... عليل على قطب الهلاك يدور

وميت يرى في صورة الحي غاديا ... وليس له حتى النشور نشور

أخو غمرات ضاع فيهن قلبه ... فليس له حتى الممات حضور

الرابع: أنه يشتغل به عن مصالح دينه ودنياه، فليس شيء أضيع لمصالح الدين والدنيا من **عشق** الصور، أما مصالح الدين فإنها منوطة بلم شعث القلب وإقباله على الله، **وعشق** الصور أعظم شيء تشعيثا وتشتيتا له. وأما مصالح الدنيا فهي تابعة في الحقيقة لمصالح الدين، فمن انفرطت عليه مصالح دينه وضاعت عليه، فمصالح دنياه أضيع وأضيع.

---

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي = الداء والدواء ابن القيم ص/٢١٢

الخامس: أن آفات الدنيا والآخرة أسرع إلى عشاق الصور من النار في يابس الحطب، وسبب ذلك: أن القلب كلما قرب من **العشق** وقوي اتصاله به بعد من الله، فأبعد." (١)

"القلوب من الله قلوب عشاق الصور، وإذا بعد القلب من الله طرقته الآفات، وتولاه الشيطان من كل ناحية، واستولى عليه لم يدع أذى يمكنه إيصاله إليه إلا أوصله، فما الظن بقلب تمكن منه عدوه وأحرص الخلق على غيه وفساده، وبعد منه وليه، ومن لا سعادة له ولا فرح ولا سرور إلا بقربه وولايته؟

السادس: أنه إذا تمكن من القلب واستحكم وقوي سلطانه، أفسد الذهن، وأحدث الوسواس، وربما ألحق صاحبه بالمجانين الذين فسدت عقولهم فلا ينتفعون بها.

وأخبار العشاق في ذلك موجودة في مواضعها، بل بعضها مشاهد بالعيان، وأشرف ما في الإنسان عقله، وبه يتميز عن سائر الحيوانات، فإذا عدم عقله التحق بالحيوان البهيم، بل ربما كان حال الحيوان أصلح من حاله، وهل أذهب عقل مجنون ليلى وأضرابه إلا ذلك؟ وربما زاد جنونه على جنون غيره كما قيل:

قالوا جننت بمن تهوى فقلت لهم ... **العشق** أعظم مما بالمجانين

العشق لا يستفيق الدهر صاحبه ... وإنما يصرع المجنون في الحين

السابع: أنه ربما أفسد الحواس أو بعضها، إما إفسادا معنويا أو صوريا، أما الفساد المعنوي فهو تابع لفساد القلب، فإن القلب إذا فسد فسدت العين والأذن واللسان، فيرى القبيح حسنا منه ومن معشوقه كما في المسند مرفوعا: «حبك الشيء يعمي ويصم» فهو يعمي عين القلب عن رؤية مساوئ المحبوب وعيوبه، فلا ترى العين ذلك، ويصم أذنه عن الإصغاء إلى العدل فيه، فلا تسمع الأذن ذلك، والرغبات تستر العيوب، فالراغب في الشيء لا يرى عيوبه، حتى إذ زالت رغبته فيه أبصر عيوبه، فشدة الرغبة غشاوة على العين، تمنع من رؤية الشيء على ما هو به، كما قيل:

هويتك إذ عيني عليها غشاوة ... فلما انجلت قطعت نفسي ألومها

والداخل في الشيء لا يرى عيوبه، والخارج منه الذي لم يدخل فيه لا يرى عيوبه، ولا يرى عيوبه إلا من دخل فيه، ثم خرج منه، ولهذا كان الصحابة الذين دخلوا في الإسلام بعد الكفر خيرا من الذين ولدوا في الإسلام.

قال عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – إنما تنتقض عرى الإسلام عروة عروة، إذا ولد في الإسلام من لا يعرف الجاهلية.

---

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي = الداء والدواء ابن القيم ص/٢١٣

وأما فساد الحواس ظاهرا، فإنه يمرض البدن وينهكه، وربما أدى إلى تلفه، كما هو المعروف في أخبار من قتلهم **العشق**." (١)

"وقد رفع إلى ابن عباس وهو بعرفة شاب قد انتحل حتى عاد جلدا على عظم، فقال: ما شأن هذا؟ قالوا: به **العشق**، فجعل ابن عباس يستعيذ بالله من **العشق** عامة يومه.

الثامن: أن **العشق** كما تقدم هو الإفراط في المحبة، بحيث يستولي المعشوق على قلب العاشق، حتى لا يخلو من تخيله وذكره والفكر فيه، بحيث لا يغيب عن خاطره وذهنه، فعند ذلك تشتغل النفس عن استخدام القوة الحيوانية والنفسانية فتتعطل تلك القوة، فيحدث بتعطيلها من الآفات على البدن والروح ما يعز دواؤه ويتعذر، فتتغير أفعاله وصفاته ومقاصده، ويختل جميع ذلك، فتعجز البشر عن صلاحه، كما قيل:

الحب أول ما يكون لجاجة ... يأتي بها وتسوقه الأقدار

حتى إذا خاض الفتى لجج الهوى ... جاءت أمور لا تطاق كبار

والعشق مباديه سهلة حلوة، وأوسطه هم وشغل قلب وسقم، وآخره عطب وقتل، إن لم تتداركه عناية من الله تعالى، كما قيل:

وعش خاليا فالحب أوله عنا ... وأوسطه سقم وآخره قتل

وقال آخر:

تولع **بالعشق** حتى **عشق** ... فلما استقل به لم يطق

رأى لجة ظنها موجة ... فلما تمكن منها غرق

والذنب له، فهو الجاني على نفسه، وقد قعد تحت المثل السائر: " يداك أوكتا، وفوك نفخ ".

[فصل مقامات العاشق]

فصل

مقامات العاشق

والعاشق له ثلاث مقامات: مقام ابتداء، ومقام توسط، ومقام انتهاء.

فأما مقام ابتدائه: قالوا: يجب عليه مدافعته بكل ما يقدر عليه، إذا كان الوصول إلى معشوقه متعذرا قدرا وشرعا، فإن عجز عن ذلك وأبى قلبه إلا السفر إلى محبوبه – وهذا مقام التوسط والانتهاء – فعليه كتمانه

---

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي = الداء والدواء ابن القيم ص/٢١٤

ذلك، وأن لا يفشيه إلى الخلق، ولا يشمت بمحبوبه ويهتكه بين الناس، فيجمع بين الشرك والظلم، فإن الظلم في هذا الباب من أعظم أنواع." (١)

"الظلم، وربما كان أعظم ضررا على المعشوق وأهله من ظلمه في ماله، فإنه يعرض المعشوق بهتكه في عشقه إلى وقوع الناس فيه، وانقسامهم إلى مصدق ومكذب، وأكثر الناس يصدق في هذا الباب بأدنى شبهة، وإذا قيل فلان فعل بفلان أو بفلانة، كذبه واحد وصدقه تسعمائة وتسعة وتسعون.

وخبر العاشق المتهتك عند الناس في هذا الباب يفيد القطع اليقيني، بل إذا أخبرهم المفعول به عن نفسه كذبا وافتراء على غيره جزموا بصدقه جزما لا يحتمل النقيض، بل لو جمعهما مكان واحد اتفاقا؛ لجزموا أن ذلك عن وعد واتفاق بينهما، وجزمهم في هذا الباب على الظنون والتخيل والشبه والأوهام والأخبار الكاذبة، كجزمهم بالحسيات المشاهدة، وبذلك وقع أهل الإفك في الطيبة المطيبة، حبيبة رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، المبرأة من فوق سبع سماوات، بشبهة مجيء صفوان بن المعطل بها وحده خلف العسكر حتى هلك من هلك، ولولا أن تولى الله سبحانه براءتها، والذب عنها، وتكذيب قاذفها، لكان أمرا آخر.

والمقصود: أن في إظهار المبتلى عشق من لا يحل له الاتصال به من ظلمه وأذاه ما هو عدوان عليه وعلى أهله، وتعرض لتصديق كثير من الناس ظنونهم فيه، فإن استعان عليه بمن يستميله إليه، إما برغبة أو رهبة، تعدى الظلم وانتشر، وصار ذلك الواسطة ديوثا ظالما، وإذا كان النبي – صلى الله عليه وسلم – قد لعن الرائش – وهو الواسطة بين الراشي والمرتشي في إيصال الرشوة – فما ظنك بالديوث الواسطة بين العاشق والمعشوق في الوصل، فيتساعد العاشق والديوث على ظلم المعشوق وظلم غيره ممن يتوقف حصول غرضه على ظلمه في نفس أو مال أو عرض، فإن كثيرا ما يتوقف المطلوب فيه على قتل نفس يكون حياتها مانعة من غرضه، وكم قتيل طل دمه بهذا السبب، من زوج وسيد وقريب، وكم خببت امرأة على بعلها، وجارية وعبد على سيدهما، وقد لعن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من فعل ذلك وتبرأ منه، وهو من أكبر الكبائر.

وإذا كان النبي – صلى الله عليه وسلم – قد نهى أن يخطب الرجل على خطبة أخيه، وأن يستام على سوم أخيه، فكيف بمن يسعى في التفريق بين رجل وبين امرأته وأمته حتى يتصل بهما؟

وعشاق الصور ومساعدوهم من الديايثة لا يرون ذلك ذنبا، فإن طلب العاشق وصل معشوقه ومشاركة الزوج

---

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي = الداء والدواء ابن القيم ص/٢١٥

والسيد، ففي ذلك من إثم ظلم الغير ما لعله لا يقصر عن إثم الفاحشة، وإن لم يرب عليها، ولا يسقط حق الغير بالتوبة من الفاحشة، فإن التوبة وإن أسقطت حق الله فحق العبد باق له المطالبة به يوم القيامة، فإن من ظلم الوالد إفساد ولده وفلذة كبده، ومن هو أعز عليه من نفسه، فظلم الزوج بإفساد حبيبته والجناية على فراشه – أعظم من ظلمه بأخذ ماله كله، ولهذا يؤذيه ذلك أعظم مما يؤذيه أخذ ماله، ولا يعدل ذلك عنده إلا سفك دمه، فيا له من ظلم أعظم إثما من فعل الفاحشة، فإن كان ذلك حقا لغاز." (١)

"في سبيل الله وقف له الجاني الفاعل يوم القيامة، وقيل له: «خذ من حسناته ما شئت،» كما أخبر بذلك النبي – صلى الله عليه وسلم –.

ثم قال النبي – صلى الله عليه وسلم –: فما ظنكم؟ أي: فما تظنون يبقى له من حسناته؟ فإن انضاف إلى ذلك أن يكون المظلوم جارا، أو ذا رحم محرم، تعدد الظلم فصار ظلما مؤكدا لقطيعة الرحم وإيذاء الجار، ولا يدخل الجنة قاطع رحم، ولا من لا يأمن جاره بوائقه.

فإن استعان العاشق على وصال معشوقه بشياطين الجن – إما بسحر أو استخدام أو نحو ذلك – ضم إلى الشرك والظلم كفر السحر، فإن لم يفعله هو ورضي به، كان راضيا بالكفر غير كاره لحصول مقصده، وهذا ليس ببعيد من الكفر.

والمقصود أن التعاون في هذا الباب، تعاون على الإثم والعدوان.

وأما ما يقترن بحصول غرض العاشق من الظلم المنتشر المتعدي ضرره فأمر لا يخفى، فإنه إذا حصل له مقصوده من المعشوق، فللمعشوق أغراض أخر يريد من العاشق إعانته عليها، فلا يجد من إعانته بدا، فيبقى كل منهما يعين الآخر على الظلم والعدوان، فالمعشوق يعين العاشق على ظلم من يتصل به من أهله وأقاربه وسيده وزوجه، والعاشق يعين المعشوق على ظلم من يكون غرض المعشوق متوقفا على ظلمه، فكل منهما يعين الآخر على أغراضه التي فيها ظلم الناس، فيحصل العدوان والظلم بسبب اشتراكهما في القبح لتعاونهما بذلك على الظلم، كما جرت به العادة بين العشاق والمعشوقين، من إعانة العاشق لمعشوقه على ما فيه ظلم وعدوان وبغي، حتى ربما يسعى له في منصب لا يليق به ولا يصلح لمثله، وفي تحصيل مال من غير حله، وفي استطالته على غيره، فإذا اختصم معشوقه وغيره أو تشاكيا لم يكن إلا في جانب المعشوق ظالما كان أو مظلوما، هذا إلى ما ينضم إلى ذاك من ظلم العاشق للناس بالتحيل على أخذ أموالهم، والتوصل بها إلى معشوقه بسرقة أو غصب أو خيانة أو يمين كاذبة أو قطع طريق ونحو ذلك، وربما أدى ذلك إلى

---

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي = الداء والدواء ابن القيم ص/٢١٦

قتل النفس التي حرم الله، ليأخذ ماله ليتوصل به إلى معشوقه.
فكل هذه الآفات وأضعافها وأضعاف أضعافها تنشأ من عشق الصور، وربما حمل على الكفر الصريح، وقد تنصر جماعة ممن نشئوا في الإسلام بسبب العشق، كما جرى لبعض المؤذنين حين أبصر امرأة جميلة على سطح، ففتن بها، ونزل، ودخل عليها، وسألها نفسها، فقالت: هي نصرانية، فإن دخلت في ديني تزوجت بك، ففعل، فرقي في ذلك اليوم على درجة عندهم فسقط منها فمات، ذكر هذا عبد الحق في كتاب العاقبة له.
وإذا أراد النصارى أن ينصروا الأسير، أروه امرأة جميلة وأمروها أن تطمعه في نفسها." [1]
"حتى إذا تمكن حبها من قلبه، بذلت له نفسها إن دخل في دينها، فهنالك: ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء﴾ [سورة إبراهيم: ٢٧]
.
وفي العشق من ظلم كل واحد من العاشق والمعشوق لصاحبه بمعاونته له على الفاحشة، وظلمه لنفسه ما فيه، فكل منهما ظالم لنفسه وصاحبه، وظلمهما متعد إلى الغير كما تقدم، وأعظم من ذلك ظلمهما بالشرك، فقد تضمن العشق أنواع الظلم كلها.
والمعشوق إذا لم يتق الله فإنه يعرض العاشق للتلف، وذلك ظلم منه، بأن يطمعه في نفسه ويتزين له ويستميله بكل طريق حتى يستخرج منه ماله ونفعه ولا يمكنه من نفسه، لئلا يزول غرضه بقضاء وطره منه، فهو يسومه سوء العذاب، والعاشق ربما قتل معشوقه ليشفي نفسه منه، ولا سيما إذا جاد بالوصال لغيره، فكم للعشق من قتيل من الجانبين، وكم أزال من نعمة، وأفقر من غنى، وأسقط من مرتبة. وشتت من شمل، وكم أفسد من أهل للرجل وولده، فإن المرأة إذا رأت بعلها عاشقا لغيرها اتخذت هي معشوقا لنفسها، فيصير الرجل مترددا بين خراب بيته بالطلاق وبين القيادة، فمن الناس من يؤثر هذا، ومنهم من يؤثر هذا.
فعلى العاقل أن لا يحكم على نفسه عشق الصور، لئلا يؤديه ذلك إلى هذه المفاسد أو أكثرها أو بعضها، فمن فعل ذلك فهو المفرط بنفسه المغرر بها، فإذا هلكت فهو الذي أهلكها، فلولا تكراره النظر إلى وجه معشوقه وطمعه في وصاله لم يتمكن عشقه من قلبه، فإن أول أسباب العشق الاستحسان سواء تولد عن نظر أو سماع، فإن لم يقارنه طمع في الوصال وقارنه الإياس من ذلك لم يحدث له العشق، فإن اقترن به الطمع فصرفه عن فكره ولم يشغل قلبه به؛ لم يحدث له ذلك، فإن أطال مع ذلك الفكر في محاسن

---
(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي = الداء والدواء ابن القيم ص/٢١٧

المعشوق وقارنه خوف ما هو أكبر عنده من لذة وصاله، إما خوف ديني كدخول النار، وغضب الجبار، واحتقاب الأوزار، وغلب ہذا الخوف على ذلك الطمع والفكر؛ لم يحدث له ذلك العشق، فإن فاته هذا الخوف فقارنه خوف دنيوي كخوف إتلاف نفسه، أو ماله، أو ذهاب جاهه وسقوط مرتبته عند الناس، وسقوطه من عين من يعز عليه، وغلب هذا الخوف لداعي العشق دفعه، وكذلك إذا خاف من فوات محبوب هو أحب إليه وأنفع له من ذلك المعشوق، وقدم محبته على محبة ذلك المعشوق؛ اندفع عنه العشق، فإن انتفى ذلك كله، وغلبت محبة المعشوق لذلك، انجذب إليه القلب بالكلية، ومالت إليه النفس كل الميل.

فإن قيل: قد ذكرتم آفات العشق ومضاره ومفاسده، فهلا ذكرتم منافعه وفوائده التي من جملتها: رقة الطبع، وترويح النفس وخفتها، وزوال ثقلها ورياضتها، وحملها على مكارم الأخلاق، من الشجاعة، والكرم، والمروءة، ورقة الحاشية، ولطف الجانب.." (١)

"وقد قيل ليحيى بن معاذ الرازي: إن ابنك قد عشق فلانة، فقال: الحمد لله الذي صيره إلى طبع الآدمي.

وقال بعضهم: العشق دواء أفئدة الكرام.

وقال غيره: العشق لا يصلح إلا لذي مروءة ظاهرة، وخليقة طاهرة، أو لذي لسان فاضل، وإحسان كامل، أو لذي أدب بارع، وحسب ناصع.

وقال آخر: العشق يشجع جنان الجبان، ويصفي ذهن الغبي، ويسخي كف البخيل، ويذل عزة الملوك، ويسكن نوافر الأخلاق، وهو أنيس من لا أنيس له، وجليس من لا جليس له.

وقال آخر: العشق يزيل الأثقال، ويلطف الروح، ويصفي كدر القلب، ويوجب الارتياح لأفعال الكرام، كما قال الشاعر:

سيهلك في الدنيا شفيق عليكم ... إذا غاله من حادث الحب غائله

كريم يميت السر حتى كأنه ... إذا استفهموه عن حديثك جاهله

يود بأن يمسي سقيما لعلها ... إذا سمعت عنه بشكوى تراسله

ويهتز للمعروف في طلب العلا ... لتحمد يوما عند ليلى شمائله

---

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي = الداء والدواء ابن القيم ص/٢١٨

فالعشق يحمل على مكارم الأخلاق.

وقال بعض الحكماء: العشق يروض النفس، ويهذب الأخلاق، وإظهاره طبيعي، وإضماره تكليفي.

وقال الآخر: من لم يهيج نفسه بالصوت الشجي، والوجه البهي، فهو فاسد المزاج، يحتاج إلى علاج، وأنشدوا في ذلك:

إذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى ... فما لك في طيب الحياة نصيب

وقال آخر:

إذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى ... فأنت وعير في الفلاة سواء

وقال آخر:

إذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى ... فقم فاعتلف تبنا فأنت حمار." (١)

"وقال بعض العشاق أولو العفة والصيانة: عفوا تشرفوا، واعشقوا تظفروا.

وقيل لبعض العشاق: ما كنت تصنع لو ظفرت بمن تهوى؟ فقال: كنت أمتع طرفي بوجهه، وأروح قلبي بذكره وحديثه، وأستر منه ما لا يحب كشفه، ولا أصير بقبيح الفعل إلى ما ينقض عهده، ثم أنشد:

أخلو به فأعف عنه تكرما ... خوف الديانة لست من عشاقه

كالماء في يد صائم يلتذه ... ظمأ فيصبر عن لذيذ مذاقه

وقال أبو إسحاق بن إبراهيم: أرواح العشاق عطرة لطيفة، وأبدانهم رقيقة خفيفة، نزهتهم المؤانسة، وكلامهم يحيي موات القلوب، ويزيد في العقول، ولولا العشق والهوى لبطل نعيم الدنيا.

وقال آخر: العشق للأرواح بمنزلة الغذاء للأبدان، إن تركته ضرك، وإن أكثرت منه قتلك، وفي ذلك قيل:

خليلي إن الحب فيه لذاذة ... وفيه شقاء دائم وكروب

على ذاك ما عيش يطيب بغيره ... ولا عيش إلا بالحبيب يطيب

ولا خير في الدنيا بغير صبابة ... ولا في نعيم ليس فيه حبيب

وذكر الخرائطي عن أبي غسان قال: مر أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - بجارية وهي تقول:

وهويته من قبل قطع تمائمي ... متمايلا مثل القضيب الناعم

سألها: أحرة أنت أم مملوكة؟ قالت: بل مملوكة، فقال: من هواك؟ فتلكأت، فأقسم عليها، فقالت:

وأنا التي لعب الهوى بفؤادها ... قتلت بحب محمد بن القاسم

---

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي = الداء والدواء ابن القيم ص/٢١٩

فاشتراها من مولاها، وبعث بها إلى محمد بن القاسم بن جعفر بن أبي طالب فقال: هؤلاء والله فتن الرجال، وكم والله مات بهن كريم، وعطب بهن سليم.

وجاءت جارية إلى عثمان بن عفان – رضي الله عنه – تستعدي على رجل من الأنصار، فقال لها عثمان: ما قصتك؟ فقالت: كلفت يا أمير المؤمنين بابن أخيه، فما أنفك أراعيه، فقال عثمان: إما أن تهبها إلى ابن أخيك، أو أعطيك ثمنها من مالي، فقال: أشهدك يا أمير المؤمنين أنها له.

ونحن لا ننكر فساد **العشق** الذي متعلقه فعل الفاحشة بالمعشوق، وإنما الكلام في." (١)

"**العشق** العفيف من الرجل الظريف، الذي يأبى له دينه وعفته ومروءته أن يفسد ما بينه وبين الله، وما بينه وبين معشوقه بالحرام، وهذا **عشق** السلف الكرام والأئمة الأعلام، فهذا عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أحد الفقهاء السبعة، **عشق** حتى اشتهر أمره، ولم ينكر عليه، وعد ظالما من لامه، ومن شعره:

كتمت الهوى حتى أضر بك الكتم ... ولامك أقوام ولومهم ظلم

فنم عليك الكاشحون، وقبلهم ... عليك الهوى قد نم لو ينفع الكتم

فأصبحت كالهندي إذ مات حسرة ... على إثر هند أو كمن شفه سقم

تجنبت إتيان الحبيب تأثما ... ألا إن هجران الحبيب هو الإثم

فذق هجرها قد كنت تزعم أنه ... رشاد ألا يا ربما كذب الزعم

وهذا عمر بن عبد العزيز **وعشقه** مشهور لجارية فاطمة بنت عبد الملك، وكانت جارية بارعة الجمال، وكان معجبا بها، وكان يطلبها من امرأته، ويحرص على أن تهبها له، فتأبى، ولم تزل الجارية في نفس عمر، فلما استخلف، أمرت فاطمة بالجارية فأصلحت، وكانت مثلا في حسنها وجمالها، ثم دخلت على عمر، وقالت: يا أمير المؤمنين، إنك كنت معجبا بجاريتي فلانة، وسألتها، فأبيت عليك، والآن قد طابت نفسي لك بها، فلما قالت له ذلك؛ استبان الفرح في وجهه، وقال عجلي علي بها، فلما دخلت بها عليه، ازداد بها عجبا، وقال لها: ألقي ثيابك، ففعلت، ثم قال لها: على رسلك، أخبريني لمن كنت؟ ومن أين صرت لفاطمة؟ فقالت: أغرم الحجاج عاملا له بالكوفة مالا، وكنت في رقيق ذلك العامل، قالت: فأخذني وبعث بي إلى عبد الملك، فوهبني لفاطمة، قال: وما فعل ذلك العامل؟ قالت: هلك، قال: وهل ترك ولدا؟ قالت: نعم، قال: فما حالهم؟ قالت: سيئة، فقال: شدي عليك ثيابك، واذهبي إلى مكانك، ثم كتب إلى عامله على العراق: أن ابعث إلي فلان بن فلان على البريد، فلما قدم، قال له: ارفع إلي جميع ما أغرمه الحجاج

---

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي = الداء والدواء ابن القيم ص/٢٢٠

لأبيك، فلم يرفع إليه شيئا إلا دفعه إليه، ثم أمر بالجارية فدفعت إليه، ثم قال له: إياك وإياها، فلعل أباك قد ألم بها، فقال الغلام: هي لك يا أمير المؤمنين، قال: لا حاجة لي بها، قال: فابتعها مني، قال: لست إذا ممن نهى النفس عن الهوى، فلما عزم الفتى على الانصراف بها، قالت: أين وجدك بي يا أمير المؤمنين؟ قال: على حاله، ولقد زاد، ولم تزل الجارية في نفس عمر، حتى مات رحمه الله.

وهذا أبو بكر بن محمد بن داود الظاهري العالم المشهور في فنون العلم: من الفقه، والحديث، والتفسير، والأدب، وله قوله في الفقه، وهو من أكابر العلماء، وعشقه مشهور.

قال نفطويه: دخلت عليه في مرضه الذي مات فيه، فقلت: كيف تجدك؟ فقال: حب من تعلم أورثني ما ترى، فقلت: وما يمنعك من الاستمتاع به مع القدرة عليه؟ فقال:." (١)

"الاستمتاع على وجهين: أحدهما: النظر المباح، والآخر: اللذة المحظورة، فأما النظر المباح فهو الذي أورثني ما ترى، وأما اللذة المحظورة فيمنعني منها ما حدثني أبي، حدثنا سويد بن سعيد، حدثنا علي بن مسهر عن أبي يحيى القتاب عن مجاهد عن ابن عباس - رضي الله عنهما - يرفعه: «من عشق وكتم وعف وصبر، غفر الله له وأدخله الجنة ".»

ثم أنشد:

انظر إلى السحر يجري من لواحظه ... وانظر إلى دعج في طرفه الساجي

وانظر إلى شعرات فوق عارضه ... كأنهن نمال دب في عاج

ثم أنشد:

ما لهم أنكروا سوادا بخديه ... ولا ينكرون ورد الغصون؟

إن يكن عيب خده برد الشعر ... فعيب العيون شعر الجفون

فقلت له: نفيت القياس في الفقه، وأثبته في الشر؟ فقال: غلبة الوجد وملكة النفس دعت إليه، ثم مات من ليلته، وبسبب معشوقه صنف كتاب الزهرة.

ومن كلامه فيه: " من يئس ممن يهواه، ولم يمت من وقته سلاه، وذلك أول روعات اليأس تأتي القلب وهو غير مستعد لها، فأما الثانية فتأتي القلب وقد وطأته لها الروعة الأولى ".

والتقى هو وأبو العباس بن سريج في مجلس أبي الحسن علي بن عيسى الوزير، فتناظرا في مسألة من الإيلاء، فقال له ابن سريج: أنت بأن تقول: من دامت لحظاته؛ كثرت حسراته، أحذق منك بالكلام على الفقه،

---

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي = الداء والدواء ابن القيم ص/٢٢١

فقال: لئن كان ذلك فإني أقول:

أنزه في روض المحاسن مقلتي ... وأمنع نفسي أن تنال محرما

وأحمل من ثقل الهوى ما لو أنه ... يصب على الصخر الأصم تهدما

وينطق طرفي عن مترجم خاطري ... فلولا اختلاسي وده لتكلما

رأيت الهوى دعوى من الناس كلهم ... فلست أرى ودا صحيحا مسلما

فقال له أبو العباس بن سريج: بم تفخر علي؟ ولو شئت لقلت:

ومطاعمه كالشهد في نغماته ... قد بت أمنعه لذيذ سناته

بصبابة وبحسنه وحديثه ... وأنزه اللحظات عن وجناته

حتى إذا ما الصبح راح عموده ... ولى بخاتم ربه وبراته

فقال أبو بكر: يحفظ عليه الوزير ما أقر به حتى يقيم شاهدا على أنه ولى بخاتم ربه وبراءته، فقال ابن سريج: يلزمني في هذا ما يلزمك في قولك:." (١)

"فقل ما شئت، فقال: ألف مثقال من الذهب، ومائة ثوب من الأبراد، وخمسة أكرشة من عنبر، فقال عبد الله: لك ذلك كله، فهل أجبت، قال: نعم، قال عبد الله: فأنفذت نفرا من الأنصار إلى المدينة، فأتوا بجميع ما طلب، ثم صنعت الوليمة، وأقمنا على ذلك أياما، ثم قال: خذوا فتاتكم وانصرفوا مصاحبين، ثم حملها في هودج، وجهزها بثلاثين راحلة من المتاع والتحف، فودعناه وسرنا، حتى إذا بقي بيننا وبين المدينة مرحلة واحدة، خرجت علينا خيل تريد الغارة

أحسبها من سليم، فحمل عليها عتبة بن الحباب، فقتل منهم رجالا، وجرح آخرين، ثم رجع وبه طعنة تفور دما، فسقط إلى الأرض، وانثنى بخده، فطردت عنا الخيل وقد قضى عتبة نحبه، فقلنا: واعتبتاه، فسمعتنا الجارية، فألقت نفسها من البعير، وجعلت تصيح بحرقة، وأنشدت:

تصبرت لا أني صبرت وإنما ... أعلل نفسي أنها بك لاحقه

فلو أنصفت روحي لكانت إلى الردى ... أمامك من دون البرية سابقه

فما أحد بعدي وبعدك منصف ... خليلا ولا نفس لنفس موافقه

ثم شهقت وقضت نحبها، فاحتفرنا لهما قبرا واحدا ودفناهما فيه، ثم رجعت إلى المدينة، فأقمت سبع سنين، ثم ذهبت إلى الحجاز ووردت المدينة فقلت: والله لآتين قبر عتبة أزوره، فأتيت القبر، فإذا عليه

---

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي = الداء والدواء ابن القيم ص/٢٢٢

شجرة عليها عصائب حمر وصفر، فقلت: لأرباب المنزل ما يقال لهذه الشجرة؟ قالوا: شجرة العروسين.
ولو لم يكن في العشق من الرخصة المخالفة للتشديد إلا الحديث الوارد بالحسن من الأسانيد، وهو حديث سويد بن سعيد بن علي بن مسهر عن أبي يحيى القتات عن مجاهد عن ابن عباس يرفعه: «من عشق وعف، وكتم فمات فهو شهيد» ورواه سويد أيضا عن ابن مسهر عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة مرفوعا، ورواه الخطيب عن الأزهري عن المعافى بن زكريا عن قطبة عن ابن الفضل عن أحمد بن مسروق عنه، ورواه الزبير بن بكار عن عبد العزيز الماجشون عن عبد العزيز بن أبي حازم عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد عن ابن عباس.
وهذا سيد الأولين والآخرين ورسول رب العالمين - صلى الله عليه وسلم - نظر إلى زينب بنت جحش - رضي الله عنها - فقالت: سبحان مقلب القلوب، وكانت تحت زيد بن حارثة مولاه، فلما هم بطلاقها، قال له: اتق الله وأمسك عليك زوجك، فلما طلقها، زوجها الله سبحانه من رسوله - صلى الله عليه وسلم - من فوق سبع سماوات، فكان هو وليها وولي تزويجها من رسوله - صلى الله عليه وسلم -، وعقد نكاحها من فوق عرشه، وأنزل على رسوله - صلى الله عليه وسلم -:." (١)

"﴿وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه﴾ [سورة الأحزاب: ٣٧] .
وهذا داود نبي الله عليه السلام، لما كان تحته تسع وتسعون امرأة، ثم أحب تلك المرأة فتزوجها وكمل بها المائة.
قال الزهري: أول حب كان في الإسلام، حب النبي - صلى الله عليه وسلم - عائشة - رضي الله عنها - ، وكان مسروق يسميها حبيبة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -.
وقال أبو قيس مولى عبد الله بن عمرو: أرسلني عبد الله بن عمرو إلى أم سلمة؛ أسألها: «أكان النبي - صلى الله عليه وسلم - يقبل أهله وهو صائم؟ فقالت: لا، فقال: إن عائشة - رضي الله عنها - قالت: إن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يقبلها وهو صائم، فقالت أم سلمة - رضي الله عنها -: إن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان إذا رأى عائشة لا يتمالك عنها» .
وذكر سعيد بن إبراهيم عن عامر بن سعيد عن أبيه، قال: كان إبراهيم الخليل عليه السلام يزور هاجر في كل يوم من الشام على البراق من شغفه بها، وقلة صبره عنها.

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي = الداء والدواء ابن القيم ص/٢٢٦

وذكر الخرائطي أن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - اشترى جارية رومية، فكان يحبها حبا شديدا، فوقعت ذات يوم عن بغلة له، فجعل يمسح التراب عن وجهها ويقبلها، وكانت تكثر من أن تقول: يا بطرون أنت قالون، تعني: يا مولاي أنت جيد، ثم إنها هربت منه، فوجد عليها وجدا شديدا، وقال:

قد كنت أحسبني قالون فانصرفت ... فاليوم أعلم أني غير قالون

قال أبو محمد بن حزم: وقد أحب من الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين كثير، وقال رجل لعمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: يا أمير المؤمنين، رأيت امرأة **فعشقتها**، فقال: ذلك ما لا تملك.

فالجواب، وبالله التوفيق: أن الكلام في هذا الباب لا بد فيه من التمييز بين الواقع والجائز، والنافع والضار، ولا يحكم عليه بالذم والإنكار، ولا بالمدح والقبول من حيث الجملة، وإنما يبين حكمه، وينكشف أمره بذكر متعلقه، وإلا **فالعشق** من حيث هو لا يحمد ولا يذم، ونحن نذكر النافع من الحب والضار، والجائز والحرام.

[المحبة النافعة]." (١)

"وفي النسائي ومسند الإمام أحمد عن عمار بن ياسر - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - في دعائه: «وأسألك اللهم لذة النظر إلى وجهك الكريم، والشوق إلى لقائك» وفي كتاب السنة لعبد الله ابن الإمام أحمد مرفوعا: «كأن الناس يوم القيامة لم يسمعوا القرآن، إذا سمعوه من الرحمن فكأنهم لم يسمعوا قبل ذلك» .

وإذا عرف هذا، فأعظم الأسباب التي تحصل هذه اللذة هو أعظم لذات الدنيا على الإطلاق، وهي لذة معرفته سبحانه، ولذة محبته، فإن ذلك هو جنة الدنيا ونعيمها العالي، ونسبة لذاتها الفانية إليه كتفلة في بحر، فإن الروح والقلب والبدن إنما خلق لذلك، فأطيب ما في الدنيا معرفته ومحبته وألذ ما في الجنة رؤيته ومشاهدته، فمحبته ومعرفته قرة العيون، ولذة الأرواح، وبهجة القلوب، ونعيم الدنيا وسرورها، بل لذات الدنيا القاطعة عن ذلك تتقلب آلاما وعذابا، ويبقى صاحبها في المعيشة الضنك، فليست الحياة الطيبة إلا بالله.

وكان بعض المحبين تمر به أوقات فيقول: إن كان أهل الجنة في نعيم مثل هذا إنهم لفي عيش طيب، وقد تقدم ذلك، وكان غيره يقول: لو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف.

وإذا كان صاحب المحبة الباطلة التي هي عذاب على قلب المحب، يقول في حاله:

---

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي = الداء والدواء ابن القيم ص/٢٢٧

وما الناس إلا العاشقون ذوو الهوى ... فلا خير فيمن لا يحب ويعشق

ويقول غيره:

أف للدنيا إذا ما لم يكن ... صاحب الدنيا محبا أو حبيبا

ويقول آخر:

ولا خير في الدنيا ولا في نعيمها ... وأنت وحيد مفرد غير عاشق

ويقول الآخر:

اسكن إلى سكن تلذ بحبه ... ذهب الزمان وأنت منفرد

ويقول الآخر:

تشكى المحبون الصبابة ليتني ... تحملت ما يلقون من بينهم وحدي

فكانت لقلبي لذة الحب كلها ... فلم يلقها قبلي محب ولا بعدي

فكيف بالمحبة التي هي حياة القلوب، وغذاء الأرواح، وليس للقلب لذة، ولا نعيم، ولا فلاح، ولا حياة إلا به، وإذا فقدها القلب كان ألمه أعظم من ألم العين إذا فقدت نورها، والأذن إذا فقدت سمعها، والأنف إذا فقد شمه، واللسان إذا فقد نطقه، بل فساد القلب إذا خلا من محبة فاطره." (١)

"إن كنت تزعم حبي فلم هجرت كتابي؟ ... أما تأملت ما فيه من لذيذ خطابي

وقال عثمان بن عفان – رضي الله عنه –: لو طهرت قلوبنا لما شبعت من كلام الله، وكيف يشبع المحب من كلام محبوبه وهو غاية مطلوبه؟ وقال النبي – صلى الله عليه وسلم – يوما لعبد الله بن مسعود – رضي الله عنه –: «اقرأ علي، فقال: أقرأ عليك وعليك أنزل؟ فقال: إني أحب أن أسمعه من غيري، فاستفتح سورة النساء، حتى إذا بلغ قوله: ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا﴾ [سورة النساء: ٤١] ، قال: حسبك الآن، فرفع رأسه فإذا عينا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – تذرفان من البكاء» .

وكان الصحابة إذا اجتمعوا وفيهم أبو موسى يقولون: يا أبا موسى ذكرنا ربنا، فيقرأ، وهم يستمعون، فلمحبي القرآن – من الوجد، والذوق، واللذة، والحلاوة، والسرور – أضعاف ما لمحبي السماع الشيطاني، فإذا رأيت الرجل، ذوقه، ووجده، وطربه، وتشوقه إلى سماع الأبيات دون سماع الآيات، وسماع الألحان دون سماع القرآن، كما قيل:

---

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي = الداء والدواء ابن القيم ص/٢٣٣

تقرأ عليك الختمة وأنت جامد كالحجر، وبيت من الشعر ينشد تميل كالسكران.

فهذا من أقوى الأدلة على فراغ قلبه من محبة الله وكلامه، وتعلقه بمحبة سماع الشيطان، والمغرور يعتقد أنه على شيء.

ففي محبة الله وكلام رسوله - صلى الله عليه وسلم - أضعاف أضعاف ما ذكر السائل من فوائد **العشق** ومنافعه، بل لا حب على الحقيقة أنفع منه، وكل حب سوى ذلك باطل إن لم يعن عليه ويسق المحب إليه.

[فصل محبة الزوجات]

فصل

محبة الزوجات

وأما محبة الزوجات: فلا لوم على المحب فيها بل هي من كماله، وقد امتن الله سبحانه بها على عباده فقال:." (١)

"﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ [سورة الروم: ٢١] .

فجعل المرأة سكنا للرجل، يسكن قلبه إليها، وجعل بينهما خالص الحب، وهو المودة المقترنة بالرحمة، وقد قال تعالى عقيب ذكره ما أحل لنا من النساء وما حرم منهن: ﴿يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم - والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما - يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا﴾ [سورة النساء: ٢٦ - ٢٨] .

ذكر سفيان الثوري في تفسيره عن ابن طاوس عن أبيه: كان إذا نظر إلى النساء لم يصبر.

وفي الصحيح من حديث جابر عن النبي - صلى الله عليه وسلم - «أنه رأى امرأة، فأتى زينب فقضى حاجته منها، وقال: إن المرأة تقبل في صورة شيطان، وتدبر في صورة شيطان، فإذا رأى أحدكم امرأة فأعجبته فليأت أهله، فإن ذلك يرد ما في نفسه» ، ففي هذا الحديث عدة فوائد:

منها: الإرشاد إلى التسلي عن المطلوب بجنسه، كما يقوم الطعام مكان الطعام، والثوب مقام الثوب.

ومنها: الأمر بمداواة الإعجاب بالمرأة المورث لشهوتها بأنفع الأدوية، وهو قضاء وطره من أهله، وذلك

---

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي = الداء والدواء ابن القيم ص/٢٣٦

ينقض شهوته لها، وهذا كما أرشد المتحابين إلى النكاح، كما في سنن ابن ماجه مرفوعا: «لم ير للمتحابين مثل النكاح» .

فنكاح المعشوقة هو دواء **العشق** الذي جعله الله دواء شرعا، وقد تداوى به داود عليه السلام ولم يرتكب نبي الله محرما، وإنما تزوج المرأة وضمها إلى نسائه لمحبته لها، وكانت توبته بحسب منزلته عند الله وعلو مرتبته، ولا يليق بنا المزيد على هذا.

وأما قصة زينب بنت جحش: فزيد كان قد عزم على طلاقها ولم توافقه، وكان يستشير رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في فراقها، وهو يأمره بإمساكها، فعلم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أنه مفارقها لا بد، فأخفى في نفسه أنه يتزوجها إذا فارقها زيد، وخشي مقالة الناس: إن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – تزوج زوجة ابنه، فإنه كان قد تبنى زيدا قبل النبوة، والرب تعالى يريد أن يشرع شرعا عاما فيه مصالح عباده، فلما طلقها زيد، وانقضت عدتها منه، أرسله إليها يخطبها لنفسه، فجاء زيد واستدبر." (١)

"إذ سمعت من ينشدهما، فطلبته، فزعم أنه قالهما في ابنة عم له نذر أهلها أن لا يزوجوها منه، فوجهت إلى الحي، وما زالت تبذل لهم المال حتى زوجوها منه، وإذا المرأة **أعشق** له منه لها، فكانت تعده من أعظم حسناتها، وتقول: ما أنا بشيء أسر مني من جمعي بين ذلك الفتى والفتاة.

وقال الخرائطي: وكان لسليمان بن عبد الملك غلام وجارية يتحابان، فكتب الغلام إليها يوما:

ولقد رأيتك في المنام كأنما ... عاطيتني من ريق فيك البارد

وكأن كفك في يدي وكأننا ... بتنا جميعا في فراش واحد

فطفقت يومي كله متراقدا ... لأراك في نومي ولست براقد

فأجابته الجارية:

خيرا رأيت وكل ما أبصرته ... ستناله مني برغم الحاسد

إني لأرجو أن تكون معانقي ... فتبيت مني فوق ثدي ناهد

وأراك بين خلاخلي ودمالجي ... وأراك فوق ترائبي ومجاسدي

فبلغ سليمان ذلك فأنكحها الغلام وأحسن حالهما على فرط غيرته.

وقال جامع بن برخية: سألت سعيد بن المسيب مفتي المدينة: هل في حب دهمنا من وزر؟

فقال سعيد: إنما تلام على ما تستطيع من الأمر، فقال سعيد: والله ما سألني أحد عن هذا، ولو سألني ما

---

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي = الداء والدواء ابن القيم ص/٢٣٧

كنت أجيب إلا به.

أقسام عشق النساء

فعشق النساء ثلاثة أقسام: قسم هو قربة وطاعة، وهو عشق امرأته وجاريته، وهذا العشق نافع؛ فإنه أدعى إلى المقاصد التي شرع الله لها النكاح، وأكف للبصر والقلب عن التطلع إلى غير أهله، ولهذا يحمد هذا العاشق عند الله، وعند الناس.

وعشق: هو مقت عند الله وبعد من رحمته، وهو أضر شيء على العبد في دينه ودنياه، وهو عشق المردان، فما ابتلي به إلا من سقط من عين الله، وطرد عن بابه، وأبعد قلبه عنه، وهو من أعظم الحجب القاطعة عن الله، كما قال بعض السلف: إذا سقط العبد من عين." (١)

"الله، ابتلاه بمحبة المردان، وهذه المحبة هي التي جلبت على قوم لوط ما جلبت، فما أتوا إلا من هذا العشق، قال الله تعالى: ﴿لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون﴾ [سورة الحجر: ٧٢] .

ودواء هذا الداء: الاستعانة بمقلب القلوب، وصدق اللجأ إليه، والاشتغال بذكره، والتعويض بحبه وقربه، والتفكر في الألم الذي يعقبه هذا العشق، واللذة التي تفوته به، فيترتب عليه فوات أعظم محبوب، وحصول أعظم مكروه، فإذا أقدمت نفسه على هذا وآثرته، فليكبر على نفسه تكبير الجنازة، وليعلم أن البلاء قد أحاط به.

والقسم الثالث: العشق المباح، وهو الواقع من غير قصد، كعشق من وصفت له امرأة جميلة، أو رآها فجأة من غير قصد، فتعلق قلبه بها، ولم يحدث له ذلك العشق معصية، فهذا لا يملك ولا يعاقب، والأنفع له مدافعته، والاشتغال بما هو أنفع له منه، ويجب الكتم والعفة والصبر فيه على البلوى، فيثبته الله على ذلك، ويعوضه على صبره ىله وعفته، وتركه طاعة هواه، وإيثار مرضاة الله وما عنده.

[فصل أقسام الناس في العشق]

فصل

أقسام الناس في العشق

والناس في العشق ثلاثة أقسام:

منهم: من يعشق الجمال المطلق، وقلبه يهيم في كل واد، له في كل صورة جميلة مراد.

---

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي = الداء والدواء ابن القيم ص/٢٤٠

ومنهم: من يعشق الجمال المقيد، سواء طمع في وصاله أو لا.

ومنهم: من لا يعشق إلا من يطمع في وصاله.

وبين هذه الأنواع الثلاثة تفاوت في القوة والضعف.

فعاشق الجمال المطلق، يهيم قلبه في كل واد، وله في كل صورة جميلة مراد:

فيوما بحزوى، ويوما

بالعقيق وبال

عذيب يوما ويوما بالخليصاء ... وتارة ينتحي نجدا وآونة

شعب العقيق وطورا قصر تيماء

فهذا عشقه أوسع، ولكنه غير ثابت كثير التنقل:

يهيم بهذا ثم يعشق غيره ... ويسلاهم من وقته حين يصبح

وعاشق الجمال المقيد أثبت على معشوقه، وأدوم محبة له، ومحبته أقوى من محبة الأول، لاجتماعهما في واحد، ولكن يضعفهما عدم الطمع في الوصال، وعاشق الجمال الذي يطمع في وصاله أعقل العشاق وأعرفهم، وحبه أقوى لأن الطمع يمده ويقويه.." (١)

"[فصل حديث من عشق فعف]

فصل

حديث " من عشق فعف "

وأما حديث: " «من عشق فعف» " فهذا يرويه سويد بن سعيد، وقد أنكره حفاظ الإسلام عليه.

قال ابن عدي في كامله: هذا الحديث أحد ما أنكر على سويد، وكذلك ذكره البيهقي وابن طاهر في الذخيرة والتذكرة، وأبو الفرج ابن الجوزي وعده من الموضوعات، وأنكره أبو عبد الله الحاكم على تساهله، وقال أنا أتعجب منه.

قلت: والصواب في الحديث أنه من كلام ابن عباس - رضي الله عنهما - موقوفا عليه، فغلط سويد في رفعه.

قال أبو محمد بن خلف بن المرزبان: حدثنا أبو بكر بن الأزرق عن سويد به، فعاتبته على ذلك، فأسقط ذكر النبي - صلى الله عليه وسلم - وكان بعد ذلك يسأل عنه فلا يرفعه، ولا يشبه هذا كلام النبوة.

---

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي = الداء والدواء ابن القيم ص/٢٤١

وأما ما رواه الخطيب له عن الزهري: حدثنا المعافى بن زكريا، حدثنا قطبة بن الفضل، حدثنا أحمد بن محمد بن مسروق، حدثنا سويد بن مسهر عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة مرفوعا، فمن أبين الخطأ ولا يحمل هشام عن أبيه عن عائشة مثل هذا عند من شم أدنى رائحة من الحديث، ونحن نشهد بالله أن عائشة ما حدثت بهذا عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قط، ولا حدث به عروة عنها، ولا حدث به هشام قط.

وأما حديث ابن الماجشون عن عبد العزيز بن أبي حازم عن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس مرفوعا، فكذب على ابن الماجشون، فإنه لم يحدث بهذا، ولا حدث به عنه الزبير بن بكار، وإنما هذا من تركيب بعض الوضاعين، ويا سبحان الله! كيف يحتمل هذا الإسناد مثل هذا المتن؟ فقبح الله الوضاعين.

وقد ذكره أبو الفرج ابن الجوزي، من حديث محمد بن جعفر بن سهل: حدثنا يعقوب بن عيسى، عن ولد عبد الرحمن بن عوف، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مرفوعا، وهذا غلط قبيح، فإن محمد بن جعفر هذا هو الخرائطي، ووفاته سنة سبع وعشرين وثلاثمائة، فمحال أن يدرك شيخه يعقوب ابن أبي نجيح، لا سيما وقد رواه في كتاب الاعتدال، عن." (١)

"يعقوب هذا عن الزبير عن عبد الملك عن عبد العزيز عن ابن أبي نجيح، والخرائطي هذا مشهور بالضعف في الرواية، ذكره أبو الفرج في كتاب الضعفاء.

وكلام حفاظ الإسلام في إنكار هذا الحديث هو الميزان، وإليهم يرجع في هذا الشأن، ولا صححه ولا حسنه أحد يعول في علم الحديث عليه، ويرجع في التصحيح إليه، ولا من عادته التسامح والتساهل، فإنه لم يصف نفسه له، ويكفي أن ابن طاهر الذي يتساهل في أحاديث التصوف، ويروي منها الغث والسمين، قد أنكره وشهد ببطلانه.

نعم ابن عباس لا ينكر ذلك عنه.

وقد ذكر أبو محمد بن حزم عنه: أنه سئل عن الميت **عشقا**، فقال: قتيل الهوى لا عقل له ولا قود.

ورفع إليه بعرفات شاب قد صار كالفرخ، فقال: ما شأنه؟ قالوا: **العشق**، فجعل عامة يومه يستعيذ من **العشق** وقد تقدم.

فهذا نفس ما روي عنه ذلك.

ومما يوضح ذلك «أن النبي – صلى الله عليه وسلم – عد الشهداء في الصحيح، فذكر المقتول في الجهاد،

---

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي = الداء والدواء ابن القيم ص/٢٤٢

والمبطون، والحرق، والنفساء يقتلها ولدها، والغرق، وصاحب ذات الجنب،» ولم يذكر منهم من يقتله العشق.

وحسب قتيل العشق أن يصح له هذا الأثر عن ابن عباس – رضي الله عنهما –، على أنه لا يدخل الجنة حتى يصبر لله، ويعف لله، ويكتم لله، لكن العاشق إذا صبر وعف وكتم مع قدرته على معشوقه، وآثر محبة الله وخوفه ورضاه، هذا أحق من دخل تحت قوله تعالى: ﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى﴾ [سورة النازعات: ٤٠ – ٤١] .

وتحت قوله تعالى: ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾ [سورة الرحمن: ٤٦] .

فنسأل الله العظيم، رب العرش الكريم، أن يجعلنا ممن آثر حبه على هواه، وابتغى بذلك قربه ورضاه.." (١)

"وقوله تعالى ﴿يعمهون﴾ أي يتحيرون وإنما وصف الله سبحانه اللوطية بالسكرة لأن سكرة العشق مثل سكرة الخمرة كما قال القائل:

سكران بكسر هوى وسكر مدامة ... ومتى إفاقة من به سكران

فصل

ومن ذلك قوله تعالى ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما﴾ أقسم سبحانه بنفسه المقدسة قسما مؤكدا بالنفي قبله على عدم إيمان الخلق حتى يحكموا رسوله في كل ما شجر بينهم من الأصول والفروع وأحكام الشرع وأحكام المعاد وسائر الصفات وغيرها ولم يثبت لهم الإيمان بمجرد هذا التحكيم حتى ينتفي عنهم الحرج وهو ضيق الصدر وتنشرح صدورهم لحكمه كل الانشراح وتنفسح له كل الانفساح وتقبله كل القبول ولم يثبت لهم الإيمان." (٢)

"فأمراض القلب التى تزول بالأدوية الطبيعية من جنس أمراض البدن، وهذه قد لا توجب وحدها شقاءه وعذابه بعد الموت. وأما أمراضه التى لا تزول إلا بالأدوية الإيمانية النبوية فهى التى توجب له الشقاء والعذاب الدائم، إن لم يتداركها بأدويتها المضادة لها، فإذا استعمل تلك الأدوية حصل له الشفاء، ولهذا يقال "شفى غيظه" فإذا استولى عليه عدوه آلمه ذلك، فإذا انتصف منه اشتفى قلبه، قال تعالى:

﴿قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم

---

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي = الداء والدواء ابن القيم ص/٢٤٣

(٢) التبيان في أقسام القرآن ابن القيم ص/٤٣٠

ويتوب الله على من يشاء﴾ [التوبة: ١٤-١٥] .

فأمر بقتال عدوهم، وأعلمهم أن فيه ست فوائد.

فالغيظ يؤلم القلب، ودواؤه فى شفاء غيظه، فإن شفاه بحق اشتفى، وإن شفاه بظلم وباطل زاده مرضا من حيث ظن أنه يشفيه، وهو كمن شفى مرض العشق بالفجور بالمعشوق، فإن ذلك يزيد مرضه، ويوجب له أمراضا أخر أصعب من مرض العشق كما سيأتى إن ش١ء الله تعالى، وكذلك الغم والهم والحزن أمراض للقلب، وشفاؤها بأضدادها: من الفرح والسرور، فإن كان ذلك بحق اشتفى القلب وصح وبرئ من مرضه، وإن كان بباطل توارى ذلك واستتر، ولم يزل، وأعقب أمراضا هى أصعب وأخطر.

وكذلك الجهل مرض يؤلم القلب. فمن الناس من يداويه بعلوم لا تنفع، ويعتقد أنه قد صح من مرضه بتلك العلوم، وهى فى الحقيقة إنما تزيده مرضا إلى مرضه، لكن اشتغال القلب بها عن إدراك الألم الكامن فيه، بسبب جهله بالعلوم النافعة، التى هى شرط فى صحته وبرئه، وقال النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فى الذين أفتوا بالجهل، فهلك المستفتى بفتواهم "قتلوه، قتلهم الله، ألا سألوا إذ لم يعلموا؟ فإنما شفاء العى السؤال"، فجعل الجهل مرضا وشفاءه سؤال أهل العلم.

وكذلك الشاك فى الشيء المرتاب فيه، يتألم قلبه حتى يحصل له العلم واليقين، ولما كان." (١)

"من تلك الجواذب الفاسدة والمواد الرديئة: زكا ونما، وقوى واشتد، وجلس على سرير ملكه، ونفذ حكمه فى رعيته، فسمعت له وأطاعت. فلا سبيل له إلى زكاته إلا بعد طهارته كما قال تعالى:

﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون﴾ [النور: ٣٠] .

فجعل الزكاة بعد غض البصر وحفظ الفرج.

ولهذا كان غض البصر عن المحارم يوجب ثلاث فوائد عظيمة الخطر، جليلة القدر:

إحداها: حلاوة الإيمان ولذته، التى هى أحلى وأطيب وألذ مما صرف بصره عنه وتركه لله تعالى فإن من ترك شيئا لله عوضه الله عز وجل خيرا منه، والنفس مولعة بحب النظر إلى الصور الجميلة، والعين رائد القلب. فيبعث رائده لنظر ما هناك، فإذا أخبره بحسن المنظور إليه وجماله، تحرك اشتياقا إليه، وكثيرا ما يتعب ويتعب رسوله ورائده كما قيل:

وكنت متى أرسلت طرفك رائدا ... لقلبك يوما أتعبتك المناظر

---

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ابن القيم ١/ ١٩

رأيت الذى لا كلـه أنت قادر ... عليه ولا عن بعضه أنت صابر

فإذا كف الرائد عن الكشف والمطالعة استراح القلب من كلفة الطلب والإرادة، فمن أطلق لحظاته دامت حسراته، فإن النظر يولد المحبة. فتبدأ علاقة يتعلق بها القلب بالمنظور إليه. ثم تقوى فتصير صبابة. ينصب إليه القلب بكليته. ثم تقوى فتصير غراما يلزم القلب، كلزوم الغريم الذى لا يفارق غريمه. ثم يقوى فيصير **عشقا**. وهو الحب المفرط. ثم يقوى فيصير شغفا. وهو الحب الذى قد وصل إلى شغاف القلب وداخله. ثم يقوى فيصير تتيما. والتتيم التعبد ومنه تيمه الحب إذا عبده. وتيم الله عبد الله. فيصير القلب عبدا لمن لا يصلح أن يكون هو عبدا له. وهذا كله جناية النظر فحينئذ يقع القلب فى الأسر. فيصير أسيرا بعد أن كان ملكا، ومسجونا بعد أن كان مطلقا. يتظلم من الطرف ويشكوه. والطرف يقول: أنا رائدك ورسولك، وأنت بعثتنى. وهذا إنما ابتلى به القلوب الفارغة من حب الله والإخلاص له، فإن القلب لا بد له من التعلق بمحبوب. فمن لم يكن الله وحده محبوبه وإلهه ومعبوده فلا بد أن ينعقد قلبه لغيره. قال تعالى عن يوسف الصديق عليه السلام:

﴿كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين﴾ [يوسف: ٢٤] .

فامرأة العزيز لما كانت مشركة وقعت فيما وقعت فيه، مع كونها ذات زوج، ويوسف عليه السلام لما كان مخلصا لله تعالى نجا من ذلك مع كونه شابا عزبا غريبا مملوكا.." (١)

"البتة ربه بقراب الأرض خطايا أتاه بقرابها مغفرة، ولا يحصل هذا لمن نقص توحيده وشابه بالشرك. فإن التوحيد الخالص الذى لا يشوبه شرك لا يبقى معه ذنب. فإنه يتضمن من محبة الله تعالى وإجلاله، وتعظيمه، وخوفه، ورجائه وحده ما يوجب غسل الذنوب، ولو كانت قراب الأرض، فالنجاسة عارضة، والدافع لها قوى فلا تثبت معه، ولكن نجاسة الزنا واللواط أغلظ من غيرهما من النجاسات، من جهة أنها تفسد القلب، وتضعف توحيده جدا، ولهذا كان أحظى الناس بهذه النجاسة أكثرهم شركاء، فكلما كان الشرك فى العبد أغلب كانت هذه النجاسة والخبائث فيه أكثر، وكلما كان أعظم إخلاصا كان منها أبعد، كما قال تعالى عن يوسف الصديق عليه السلام.

﴿كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين﴾ [يوسف: ٢٤] .

فإن **عشق** الصور المحرمة نوع تعبد لها، بل هو من أعلى أنواع التعبد، ولا سيما إذا استولى على القلب وتمكن منه صار تتيما، والتتيم التعبد، فيصير العاشق عابدا لمعشوقه، وكثيرا ما يغلب حبه وذكره والشوق

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ابن القيم ٤٧/١

إليه، والسعي في مرضاته، وإيثار محابه على حب الله وذكره، والسعي في مرضاته، بل كثيرا ما يذهب ذلك من قلب العاشق بالكلية، ويصير متعلقا بمعشوقه من الصور، كما هو مشاهد، فيصير المعشوق هو إلهه من دون الله عز وجل يقدم رضاه وحبه على رضى الله وحبه، ويتقرب إليه ما لا يتقرب إلى الله، وينفق في مرضاته ما لا ينفقه في مرضاة الله، ويتجنب من سخطه ما لا يتجنب من سخط الله تعالى، فيصير آثر عنده من ربه: حبا، وخضوعا، وذلا، وسمعا، وطاعة.

ولهذا كان العشق والشرك متلازمين، وإنما حكى الله سبحانه العشق عن المشركين من قوم لوط، وعن امرأة العزيز، وكانت إذ ذاك مشركة، فكلما قوى شرك العبد بلى بعشق الصور، وكلما قوى توحيده صرف ذلك عنه. والزنا واللواطة كمال لذتهما إنما يكون مع العشق ولا يخلو صاحبهما منه، وإنما لتنقله من محل إلى محل لا يبقى عشقه مقصورا على محل واحد بل ينقسم على سهام كثيرة، لكل محبوب نصيب من تألهه وتعبده.." (١)

"فإن من اقتفى آثارهم كان متسببا إلى تكثير أجورهم باتباعه لهم، ودعوته الناس إلى اتباعهم، فإذا أعرض عما دعوا إليه، واشتغل بضده حرم نفسه وحرمهم ذلك الأجر. فأى تعظيم لهم واحترام فى هذا؟.

وإنما اشتغل كثير من الناس بأنواع من العبادات المبتدعة التي يكرهها الله ورسوله لإعراضهم عن المشروع أو بعضه، وإن قاموا بصورته الظاهرة فقد هجروا حقيقته المقصودة منه، وإلا فمن أقبل على الصلوات الخمس بوجهه وقلبه، عارفا بما اشتملت عليه من الكلام الطيب والعمل الصالح، مهتما بها كل الاهتمام، أغنته عن الشرك، وكل من قصر فيها أو فى بعضها تجد فيه من الشرك بحسب ذلك.

ومن أصغى إلى كلام الله بقلبه، وتدبره وتفهمه أغناه عن السماع الشيطانى الذى يصد عن ذكر الله وعن الصلاة، وينبت النفاق فى القلب. وكذلك من أصغى إليه وإلى حديث الرسول صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بكليته، وحدث نفسه باقتباس الهدى والعلم منه، لا من غيره أغناه عن البدع والآراء والتخرصات والشطحات والخيالات، التى هى وساوس النفوس وتخيلاتها.

ومن بعد عن ذلك فلا بد له أن يتعوض عنه بما لا ينفعه، كما أن من عمر قلبه بمحبة الله تعالى وذكره، وخشيته، والتوكل عليه، والإنابة إليه: أغناه ذلك عن محبة غيره وخشيته والتوكل عليه، وأغناه أيضا عن عشق الصور. وإذا خلا من ذلك صار عبد هواه، أى شئ استحسنه ملكه واستعبده.

فالمعرض عن التوحيد مشرك، شاء أم أبى، والمعرض عن السنة مبتدع ضال، شاء أم أبى، والمعرض عن

---

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ابن القيم ١/٦٤

محبة الله وذكره عبد الصور، شاء أم أبى، والله المستعان، وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

فصل

فإن قيل: فما الذى أوقع عباد القبور فى الافتتان بها، مع العلم بأن ساكنيها أموات، لا يملكون لهم ضرا ولا نفعا، ولا موتا ولا حياة ولا نشورا؟

قيل: أوقعهم فى ذلك أمور:

منها: الجهل بحقيقة ما بعث الله به رسوله، بل جميع الرسل من تحقيق التوحيد وقطع أسباب الشرك، فقل نصيبهم جدا من ذلك. ودعاهم الشيطان إلى الفتنة، ولم يكن." (١)

"وأكثر ما يورث عشق الصور، واستحسان الفواحش، وإدمانه يثقل القرآن على القلب، ويكرهه إلى سماعه بالخاصية، وإن لم يكن هذا نفاقا فما للنفاق حقيقة.

وسر المسألة: أنه قرآن الشيطان، كما سيأتى، فلا يجتمع هو وقرآن الرحمن فى قلب أبدا.

وأيضا فإن أساس النفاق: أن يخالف الظاهر الباطن، وصاحب الغناء بين أمرين، إما أن يتهتك فيكون فاجرا، أو يظهر النسك فيكون منافقا، فإنه يظهر الرغبة فى الله والدار الآخرة وقلبه يغلى بالشهوات، ومحبة ما يكرهه الله ورسوله من أصوات المعازف، وآلات اللهو، وما يدعو إليه الغناء ويهيجه، فقلبه بذلك معمور، وهو من محبة ما يحبه الله ورسوله وكراهة ما يكرهه قفر، وهذا محض النفاق.

وأيضا فإن الإيمان قول وعمل: قول الحق، وعمل بالطاعة، وهذا ينبت على الذكر، وتلاوة القرآن. والنفاق: قول الباطل، وعمل البغى، هذا ينبت على الغناء.

وأيضا، فمن علامات النفاق: قلة ذكر الله، والكسل عند القيام إلى الصلاة، ونقر الصلاة، وقل أن تجد مفتونا بالغناء إلا وهذا وصفه.

وأيضا: فإن النفاق مؤسس على الكذب، والغناء من أكذب الشعر، فإنه يحسن القبيح ويزينه، ويأمر به، ويقبح الحسن ويزهد فيه، وذلك عين النفاق.

وأيضا، فإن النفاق غش ومكر وخداع، والغناء مؤسس على ذلك.

وأيضا: فإن المنافق يفسد من حيث يظن أنه يصلح، كما أخبر الله سبحانه بذلك عن المنافقين وصاحب السماع يفسد قلبه وحاله من حيث [يظن] أنه يصلحه. والمغنى يدعو القلوب إلى فتنة الشهوات، والمنافق

---

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ابن القيم ٢١٤/١

يدعوها إلى فتنة الشبهات، قال الضحاك: "الغناء مفسدة للقلب، مسخطة للرب".

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى مؤدب ولده: "ليكن أول ما يعتقدون من أدبك بغض الملاهى، التى بدؤها من الشيطان، وعاقبتها سخط الرحمن، فإنه بلغنى عن الثقات من أهل العلم: أن صوت المعازف، واستماع الأغانى، واللهج بها ينبت النفاق فى القلب كما ينبت العشب على الماء".." (١)

"الرابع: أنه فتاها الذى هو فى بيتها وتحت كنفها، فحكمه حكم أهل البيت، بخلاف من طلب ذلك من الأجنبى البعيد.

الخامس: أنها هى المراودة الطالبة.

السادس: أنها قد بلغ بها عشقها له كل مبلغ، حتى وصل حبها له إلى شغاف قلبها.

السابع: أن فى ضمن هذا أنه أعف منها وأبر، وأوفى، حيث كانت هى المراودة الطالبة، وهو الممتنع، عفافا وكرما وحياء، وهذا غاية الذم لها.

الثامن: أنهن أتين بفعل المراودة بصيغة المستقبل الدالة على الاستمرار والوقوع، حالا واستقبالا: وأن هذا شأنها، ولم يقلن: راودت فتاها. وفرق بين قولك: فلان أضاف ضيفا، وفلان يقرى الضيف، ويطعم الطعام، ويحمل الكل. فإن هذا يدل على أن هذا شأنه وعادته.

التاسع قولهن: ﴿إنا لنراها فى ضلال مبين﴾ [يوسف: ٣٠] .

أى إنا لنستقبح منها ذلك غاية الاستقباح فنسبن الاستقباح إليها. ومن شأنهن مساعدة بعضهن بعضا على الهوى، ولا يكدن يرين ذلك قبيحا، كما يساعد الرجال بعضهم بعضا على ذلك، فحيث استقبحن منها ذلك كان هذا دليلا على أنه من أقبح الأمور، وأنه مما لا ينبغى أن تساعد عليه، ولا يحسن معاونتها عليه.

العاشر: أنهن جمعن لها فى هذا الكلام واللوم بين العشق المفرط، والطلب المفرط. فلم تقتصد فى حبها، ولا فى طلبها. أما العشق فقولهن: ﴿قد شغفها حبا﴾ [يوسف: ٣٠] .

أى وصل حبه إلى شغاف قلبها. وأما الطلب المفرط فقولهن: ﴿تراود فتاها﴾ [يوسف: ٣٠] .

والمراودة: الطلب مرة بعد مرة، فنسبوها إلى شدة العشق، وشدة الحرص على الفاحشة. فلما سمعت بهذا المكر منهن هيأت لهن مكرا أبلغ منه، فهيأت لهن متكأ، ثم أرسلت إليهن، فجمعتهن وخبأت يوسف عليه السلام عنهن. وقيل: إنها جملته وألبسته أحسن ما تقدر عليه، وأخرجته عليهن فجأة، فلم يرعهن إلا وأحسن خلق الله وأجملهم قد طلع عليهن بغتة، فراعهن ذلك المنظر البهى، وفى أيديهن مدى يقطعن بها ما يأكلنه

---

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ابن القيم ١/ ٢٥٠

فدهشن حتى قطعن أيديهن، وهن لا يشعرن. وقد قيل: إنهن أبن أيديهن، والظاهر خلاف ذلك، وإنما تقطيعهن أيديهن: جرحها وشقها بالمدى لدهشهن بما رأين،." (١)

"فبالتأويل الباطل قتل عثمان رضى الله عنه، وعاثت الأمة فى دمائها، وكفر بعضها بعضا وتفرقت على بضع وسبعين فرقة، فجرى على الإسلام من تأويل هؤلاء، وخداع هؤلاء ومكرهم ما جرى، واستولت الطائفتان، وقويت شوكتهما، وعاقبوا من لم يوافقهم وأنكر عليهم، ويأبى الله إلا أن يقيم لدينه من يذب عنه، ويبين أعلامه وحقائقه، لكيلا تبطل حجج الله وبيناته على عباده.

فلنرجع إلى ما نحن بصدده من بيان مكايد الشيطان ومصايده.

فصل

ومن مكايده ومصايده: ما فتن به عشاق الصور.

وتلك لعمر الله الفتنة الكبرى والبلية العظمى التى استعبدت النفوس لغير خلاقها. وملكت القلوب لمن يسومها الهوان من عشاقها، وألقت الحرب بين **العشق** والتوحيد، ودعت إلى موالاة كل شيطان مريد. فصيرت القلب للهوى أسيرا وجعلته عليه حاكما وأميرا. فأوسعت القلوب محنة. وملأتها فتنة، وحالت بينها وبين رشدها. وصرفتها عن طريق قصدها.

ونادت عليها فى سوق الرقيق فباعتها بأبخس الأثمان، وأعاضتها بأخس الحظوظ وأدنى المطالب عن العالى من غرف الجنان، فضلا عما هو فوق ذلك من القرب من الرحمن، فسكنت إلى ذلك المحبوب الخسيس، الذى ألمها به أضعاف لذتها، ونيله والوصول إليه أكبر أسباب مضرتها، فما أوشكه حبيبا يستحيل عدوا عن قريب. ويتبرأ منه محبه لو أمكنه حتى كأنه لم يكن له بحبيب. وإن تمتع به فى هذه الدار فسوف يجد به أعظم الألم بعد حين. لاسيما إذا صار الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدوا إلا المتقين. فيا حسرة المحب الذى باع نفسه لغير الحبيب الأول بثمن بخس، وشهوة عاجلة، ذهبت لذتها وبقيت تبعتها وانقضت منفعتها، وبقيت مضرتها، فذهبت الشهوة، وبقيت الشقوة، وزالت النشوة، وبقيت الحسرة، فوا رحمتاه لصب جمع له بين الحسرتين، حسرة فوت المحبوب الأعلى والنعيم المقيم، وحسرة ما يقاسيه من النصب فى العذاب الأليم. فهناك يعلم." (٢)

---

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ابن القيم ٢/١١٦

(٢) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ابن القيم ٢/١٢١

"والكل حق. فإن الأسباب هى الوصل التى كانت بينهم فى الدنيا، تقطعت بهم أحوج ما كانوا إليها. وأما أسباب الموحدين المخلصين لله فاتصلت بهم ودام اتصالها بدوام معبودهم ومحبوبهم. فإن السبب تبع لغايته فى البقاء والانقطاع.

فصل

إذا تبين أصل هذا فأصل المحبة المحمودة التى أمر الله تعالى بها وخلق خلقه لأجلها: هى محبته وحده لا شريك له، المتضمنة لعبادته دون عبادة ما سواه.

فإن العبادة تتضمن غاية الحب بغاية الذل، ولا يصلح ذلك إلا لله عز وجل وحده.

ولما كانت المحبة جنسا تندرج تحته أنواع متفاوتة فى القدر والوصف، كان أغلب ما يذكر فيها فى حق الله تعالى: ما يختص به ويليق به، كالعبادة والإنابة والإخبات، ولهذا لا يذكر فيها لفظ **العشق** والغرام، والصبابة، والشغف، والهوى، وقد يذكر لها لفظ المحبة، كقوله: ﴿يحبهم ويحبونه﴾ [المائدة: ٥٤] وقوله ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله﴾ [آل عمران: ٣١] وقوله ﴿والذين آمنوا أشد حبا لله﴾ [البقرة: ١٦٥] .

ومدار كتب الله تعالى المنزلة من أولها إلى آخرها على الأمر بتلك المحبة ولوازمها والنهى عن محبة ما يضادها وملازمتها، وضرب الأمثال والمقاييس لأهل المحبتين، وذكر قصصهم ومآلهم، ومنازلهم، وثوابهم، وعقابهم، ولا يجد حلاوة الإيمان، بل لا يذوق طعمه، إلا من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، كما فى الصحيحين من حديث أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله تعالى عليه وآله سلم قال: "ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان - وفى لفظ: لا يجد طعم الإيمان إلا من كان فيه ثلاث: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يرجع فى الكفر بعد إذ أنقذه الله تعالى منه، كما يكره أن يلقى فى النار".

وفى الصحيحين أيضا عنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: "والذى نفسى بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين".." (١)

"نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها﴾ [الأعراف: ١٨٩] ، وقال: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾ [الروم: ٢١] .

وفى الصحيح عنه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أنه سئل "من أحب الناس إليك؟ فقال: عائشة" ولهذا

---

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ابن القيم ١٣٣/٢

كان مسروق رحمه الله يقول، إذا حدث عنها: "حدثتنى الصديقة بنت الصديق، حبيبة رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، المبرأة من فوق سبع سماوات".

وصح عنه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أنه قال: "حبب إلى من دنياكم النساء والطيب. وجعلت قرة عينى فى الصلاة".

فلا عيب على الرجل فى محبته لأهله، **وعشقه** لها، إلا إذا شغله ذلك عن محبة ما هو أنفع له، من محبة الله ورسوله، وزاحم حبه وحب رسوله، فإن كل محبة زاحمت محبة الله ورسوله، بحيث تضعفها وتنقصها فهى مذمومة. وإن أعانت على محبة الله ورسوله وكانت من أسباب قوتها فهى محمودة، ولذلك كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يحب الشراب البارد الحلو، ويحب الحلواء والعسل، ويحب الخيل، وكان أحب الثياب إليه القميص، وكان يحب الدباء، فهذه المحبة لا تزاحم محبة الله، بل قد تجمع الهم والقلب على التفرغ لمحبة الله، فهذه محبة طبيعية تتبع نية صاحبها وقصده بفعل ما يحبه.

فإن نوى به القوة على أمر الله تعالى وطاعته كانت قربة، وإن فعل ذلك بحكم الطبع والميل المجرد لم يثب ولم يعاقب. وإن فاته درجة من فعله متقربا به إلى الله.

فالمحبة النافعة ثلاثة أنواع: محبة الله ومحبة فى الله، ومحبة ما يعين على طاعة الله تعالى واجتناب معصيته.

والمحبة الضارة ثلاثة أنواع: المحبة مع الله، ومحبة ما يبغضه الله تعالى، ومحبة ما تقطع محبته عن محبة الله تعالى أو تنقصها.

فهذه ستة أنواع، عليها مدار محاب الخلق.

فمحبة الله عز وجل أصل المحاب المحمودة، وأصل الإيمان والتوحيد، والنوعان الآخران تبع لها.." (١)

"والمحبة مع الله أصل الشرك والمحاب المذمومة، والنوعان الآخران تبع لها.

ومحبة الصور المحرمة **وعشقها** من موجبات الشرك، وكلما كان العبد أقرب إلى الشرك وأبعد من الإخلاص كانت محبته **بعشق** الصور أشد، وكلما كان أكثر إخلاصا وأشد توحيدا، كان أبعد من **عشق** الصور، ولهذا أصاب امرأة العزيز ما أصابها من **العشق**، لشركها. ونجا منه يوسف الصديق عليه السلام بإخلاصه، قال تعالى: ﴿كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين﴾ [يوسف: ٢٤] .

فالسوء: **العشق**، والفحشاء: الزنا. فالمخلص قد خلص حبه لله، فخلصه الله من فتنة **عشق** الصور. والمشرك قلبه متعلق بغير الله، لم يخلص توحيده وحبه لله عز وجل.

---

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ابن القيم ٢/ ١٤٠

فصل

ومن أبلغ كيد الشيطان وسخريته بالمفتونين بالصور: أنه يمنى أحدهم أنه إنما يحب ذلك الأمرد، أو تلك المرأة الأجنبية لله تعالى، لا للفاحشة، ويأمره بمواخاته.

وهذا من جنس المخادنة، بل هو مخادنة باطنة. كذوات الأخدان اللاتى قال الله تعالى فيهن: ﴿محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان﴾ [النساء: ٢٥] .

وقال فى حق الرجال: ﴿محصنين غير مسافحين ولا متخذى أخدان﴾ [المائدة: ٥] .

فيظهرون للناس أن محبتهم تلك الصورة لله تعالى، ويبطنون اتخاذها خدنا، يتلذذون بها فعلا، أو تقبيلا، أو تمتعا مجرد النظر والمخادنة، والمعاشرة، واعتقادهم أن هذا لله، وأنه قربة وطاعة: هو من أعظم الضلال والغى، وتبديل الدين، حيث جعلوا ما كرهه الله سبحانه محبوبا له، وذلك من نوع الشرك، والمحبوب المتخذ من دون الله طاغوت. فإن اعتقاد كون التمتع بالمحبة والنظر والمخادنة وبعض المباشرة لله، وأنه حب فيه: كفر وشرك، كاعتقاد محبى الأوثان فى أوثانهم.." (١)

"وقد يبلغ الجهل بكثير من هؤلاء إلى أن يعتقد أن التعاون على الفاحشة تعاون على الخير والبر، وأن الجالب محسن إلى العاشق، جدير بالثواب، وأنه ساع فى دوائه وشفائه، وتفريج كرب **العشق** عنه، وأن "من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة".

فصل

ثم هم بعد هذا الضلال والغى أربعة أقسام:

قوم يعتقدون أن هذا لله، وهذا كثير فى طوائف العامة، والمنتسبين إلى الفقر والتصوف، وكثير من الأتراك.

وقوم يعلمون فى الباطن أن هذا ليس لله، وإنما يظهرون أنه لله خداعا ومكرا وتسترا.

وهؤلاء من وجه أقرب إلى المغفرة من أولئك، لما يرجى لهم من التوبة. ومن وجه أخبث، لأنهم يعلمون التحريم ويأتون المحرم، وأولئك قد يشتبه الأمر على بعضهم كما اشتبه على كثير من الناس أن استماع أصوات الملاهى قربة وطاعة، ووقع فى ذلك من شاء الله من الزهاد والعباد، فكذلك اشتبه على من هو أضعف علما و إيمانا أن التمتع **بعشق** الصور ومشاهدتها ومعاشرتها عبادة وقربة.

القسم الثالث: مقصودهم الفاحشة الكبرى. فتارة يكونون من أولئك الضالين الذين يعتقدون أن هذه المحبة التى لا وطء فيها لله تعالى، وأن الفاحشة معصية، فيقولون نفعل شيئا لله تعالى، ونفعل أمرا لغير الله تعالى،

---

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ابن القيم ١٤١/٢

وتارة يكونون من أهل القسم الثانى الذين يظهرون أن هذه المحبة لله، وهم يعلمون أن الأمر بخلاف ذلك، فيجمعون بين الكذب والفاحشة، وهم فى هذه المخادنة والمواخاة مضاهئون للنكاح، فإنه يحصل بين هذين من الاقتران والازدواج والمخالطة نظير ما يحصل بين الزوجين. وقد يزيد عليه تارة فى الكم والكيف، وقد ينقص عنه. وقد يحصل بينهما من الاقتران ما يشبه اقتران المتواخيين المتحابين فى الله، لكن الذين." (١)

"ومن هؤلاء من يعتقد أن **العشق** إذا بلغ بالعاشق إلى حد يخاف معه التلف أبيح له وطء معشوقه للضرورة، وحفظ النفس، كما يباح له الدم والميتة ولحم الخنزير فى المخمصة.

وقد يبيح هؤلاء شرب الخمر على وجه التدواى، وحفظ الصحة إذا سلم من معرة السكر ولا ريب أن الكفر والفسوق والمعاصى درجات، كما أن الإيمان والعمل الصالح درجات، كما قال تعالى:

﴿هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون﴾ [آل عمران: ١٦٣] وقال: ﴿ولكل درجات مما عملوا، وما ربك بغافل عما يعملون﴾ [الأنعام: ١٣٢] . وقال ﴿إنما النسئ زيادة فى الكفر﴾ [التوبة: ٣٧] وقال ﴿فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون وأما الذين فى قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم﴾ [التوبة: ١٢٤ - ١٢٥] .

ونظائره فى القرآن كثيرة.

ومن أخف هؤلاء جرما: من يرتكب ذلك معتقدا تحريمه، وأنه إذا قضى حاجته قال: استغفر الله فكأن ما كان لم يكن.

فقد تلاعب الشيطان بأكثر هذا الخلق، كتلاعب الصبيان بالكرة، وأخرج لهم أنواع الكفر والفسوق والعصيان فى كل قالب.

وبالجملة فمراتب الفاحشة متفاوتة بحسب مفاسدها، فالمتخذ خدنا من النساء والمتخذة خدنا من الرجال أقل شرا من المسافح والمسافحة مع كل أحد، والمستخفى بما يرتكبه أقل إثما من المجاهر المستعلن، والكاتم له أقل إثما من المخبر المحدث للناس به، فهذا بعيد عن عافية الله تعالى وعفوه، كما قال النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: "كل أمتى معافى إلا المجاهرين، وإن من المجاهرة أن يستر الله تعالى عليه ثم يصبح يكشف ستر الله عنه، يقول، يا فلان، فعلت البارحة كذا وكذا فيبيت ربه يستره، ويصبح يكشف ستر الله عن نفسه" أو كما قال.

---

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ابن القيم ١٤٢/٢

وفى الحديث الآخر عنه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: "من ابتلى من هذه القاذورات بشيء فليستتر بستر الله، فإنه من يبد لنا صفحته نقم عليه كتاب الله".." (١)

"فصل

ومما ينبغى أن يعلم: أنه قد يقترن بالأيسر إثما ما يجعله أعظم إثما مما هو فوقه.

مثاله: أنه قد يقترن بالفاحشة من العشق الذى يوجب اشتغال القلب بالمعشوق، وتأليهه له وتعظيمه، والخضوع له، والذل له، وتقديم طاعته وما يأمر به، على طاعة الله تعالى ورسوله وأمره، فيقترن بمحبة خدنه وتعظيمه، وموالاة من يواليه، ومعاداة من يعاديه، ومحبة ما يحبه وكراهة ما يكرهه، ما قد يكون أعظم ضررا على صاحبه من مجرد ركوب الفاحشة.

فإن المحبوبات لغير الله قد أثبت الشارع فيها اسم التعبد. كقوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فى الحديث الصحيح:

"تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد القطيفة، تعس عبد الخميصة، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش، إن أعطى رضى، وإن منع سخط" رواه البخارى.

فسمى هؤلاء الذين إن أعطوا رضوا، وإن منعوا سخطوا عبيدا لهذه الأشياء، لانتهاء محبتهم ورضاهم ورغبتهم إليها.

فإذا شغف الإنسان بمحبة صورة لغير الله، بحيث يرضيه وصوله إليها وظفره بها، ويسخطه فوات ذلك كان فيه من التعبد لها بقدر ذلك.." (٢)

"ولهذا يجعلون الحب مراتب: أوله: العلاقة، ثم الصبابة، ثم الغرام، ثم العشق. وآخر ذلك: التتيم. وهو التعبد للمعشوق. فيصير العاشق عبدا لمعشوقه.

والله سبحانه إنما حكى عشق الصور فى القرآن عن المشركين.

فحكاه عن امرأة العزيز، وكانت مشركة على دين زوجها. وكانوا مشركين، وحكاه عن اللوطية، وكانوا مشركين، فقال تعالى فى قصتهم: ﴿لعمرك إنهم لفى سكرتهم يعمهون﴾ [الحجر: ٧٢] .

أخبر سبحانه أنه يصرفه عن أهل الإخلاص، فقال: ﴿كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين﴾ [يوسف: ٢٤] وقال عن عدوه إبليس أنه قال: ﴿فبعزتك لأغوينهم أجمعين * إلا عبادك منهم

---

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ابن القيم ٢/١٤٧

(٢) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ابن القيم ٢/١٤٩

المخلصين﴾ [ص: ٨٢ - ٨٣] وقال تعالى: ﴿إن عبادى ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين﴾ [الحجر: ٤٢] .

والغاوى ضد الراشد، **والعشق** المحرم من أعظم الغى.

لهذا كان أتباع الشعراء وأهل السماع الشعرى غاوين. كما سماهم الله تعالى بذلك فى قوله:

﴿الشعراء يتبعهم الغاوون﴾ [الشعراء: ٢٢٤] .

فالغاوون يتبعون الشعراء، وأصحاب السماع الشعرى الشيطانى، وهؤلاء لا ينفكون عن طلب وصال، أو سؤال نوال. كما قال أبو تمام لرجل: أما تعرفنى؟ فقال: ومن أعرف بك منى؟.

أنت بين اثنتين تبرز للن ... اس وكلتاهما بوجه مذال

لست تنفك طالبا لوصال ... من حبيب أو راجيا لنوال

أى ماء يبقى لوجهك هذا ... بين ذل الهوى، وذل السؤال؟

والزنا بالفرج – وإن كان أعظم من الإلمام بالصغيرة، كالنظرة والقبلة واللمس– لكن إصرار العاشق على محبة الفعل، وتوابعه، ولوازمه، وتمنيه له، وحديث نفسه به: أنه لا يتركه، واشتغال قلبه بالمعشوق، قد يكون أعظم ضررا من فعل الفاحشة مرة بشيء كثير. فإن." (١)

"الإصرار على الصغيرة قد يساوى إثمه إثم الكبيرة، أو يربى عليها.

وأيضا، فإن تعبد القلب للمعشوق شرك، وفعل الفاحشة معصية، ومفسدة الشرك أعظم من مفسدة المعصية.

وأيضا، فإنه قد يتخلص من الكبيرة بالتوبة والاستغفار، وأما **العشق** إذا تمكن من القلب فإنه يعز عليه التخلص منه، كما قال القائل:

تالله ما أسرت لواحظك امرأ ... إلا وعز على الورى استنقاذه

بل يصير تعبدا لازما للقلب لا ينفك عنه، ومعلوم أن هذا أعظم ضررا وفسادا من فاحشة يرتكبها مع كراهيته لها، وقلبه غير معبد لمن ارتكبها منه.

وقد أخبر الله سبحانه أن سلطان الشيطان إنما هو: ﴿على الذين يتولونه والذين هم به مشركون﴾ [النحل: ١٠٠] .

وأن سلطانه إنما هو على من اتبعه من الغاوين، والغى اتباع الهوى والشهوات، كما أن الضلال اتباع الظنون والشبهات.

---

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ابن القيم ٢/١٥٠

وأصل الغى من الحب لغير الله، فإنه يضعف الإخلاص به، ويقوى الشرك بقوته، فأصحاب **العشق** الشيطانى لهم من تولى الشيطان والإشراك به بقدر ذلك، لما فيهم من الإشراك بالله، ولما فاتهم من الإخلاص له، ففيهم نصيب من اتخاذ الأنداد، ولهذا ترى كثيرا منهم عبدا لذلك المعشوق، متيما فيه. يصرخ فى حضوره ومغيبه: أنه عبده، فهو أعظم ذكرا له من ربه، وحبه فى قلبه أعظم من حب الله فيه، وكفى به شاهدا بذلك على نفسه: ﴿بل الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره﴾ [القيامة: ١٤- ١٥] .

فلو خير بين رضاه ورضا الله، لاختار رضا معشوقه على رضا ربه، ولقاء معشوقه أحب إليه من لقاء ربه، وتمنيه لقربه أعظم من تمنيه لقرب ربه، وهربه من سخطه عليه أشد من هربه من سخط ربه عليه، يسخط ربه بمرضاة معشوقه، ويقدم مصالح معشوقة وحوائجه على طاعة ربه، فإن فضل من وقته، وكان عنده قليل من الإيمان، صرف تلك الفضلة فى طاعة ربه، وإن استغرق الزمان حوائج معشوقه ومصالحه صرف زمانه كله فيها، وأهمل أمر الله تعالى، يجود لمعشوقه بكل نفيسة ونفيس، ويجعل لربه من ماله – إن جعل له – كل رذيلة." (١)

"وخسيس، فلمعشوقه لبه وقلبه، وهمه ووقته، وخالص ماله، وربه على الفضلة، قد اتخذه وراءه ظهريا، وصار لذكره نسيا، إن قام فى خدمته فى الصلاة فلسانه يناجيه وقلبه يناجى معشوقه، ووجه بدنه إلى القبلة ووجه قلبه إلى المعشوق. ينفر من خدمة ربه حتى كأنه واقف فى الصلاة على الجمر من ثقلها عليه، وتكلفه لفعلها، فإذا جاءت خدمة المعشوق أقبل عليها بقلبه وبدنه فرحا بها، ناصحا له فيها، خفيفة على قلبه لا يستثقلها ولا يستطيلها.

ولا ريب أن هؤلاء من الذين اتخذوا من دون الله أندادا، يحبونهم كحب الله، والذين آمنوا أشد حبا لله.

وعشقهم يجمع المحرمات الأربع: من الفواحش الظاهرة، والباطنة، والإثم، والبغى بغير الحق، والشرك بالله ما لم ينزل به سلطانا، والقول على الله ما لا يعلمون، فإن هذا من لوازم الشرك، فكل مشرك يقول على الله ما لا يعلم. فكثيرا ما يوجد فى هذا **العشق** من الشرك الأكبر الأصغر، ومن قتل النفوس، تغايرا على المعشوق، وأخذ أموال الناس بالباطل ليصرفها فى رضا المعشوق، ومن الفاحشة والكذب والظلم مالا خفاء به.

وأصل ذلك كله من خلو القلب من محبة الله تعالى، والإخلاص له، والتشريك بينه وبين غيره فى المحبة، ومن محبة ما يحب لغير الله، فيقوم ذلك بالقلب، ويعمل بموجبه بالجوارح، وهذا هو حقيقة اتباع الهوى.

---

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ابن القيم ٢/١٥١

وفى الأثر. "ما تحت أديم السماء إله يعبد أعظم عند الله من هوى متبع".

وقال تعالى: ﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون﴾ [الجاثية: ٢٣] .

وإذا تأملت حال عشاق الصور المتيمين فيها، وجدت هذه الآية منطبقة عليهم، مخبرة عن حالهم.

قال بعض العلماء: ليس شيء من المحبوبات يستوعب محبة القلب إلا محبة الله، أو محبة بشر مثلك، أما محبة الله فهى التى خلق لها العباد، وبها غاية سعادتهم، وكمال نعيمهم وأما البشر المماثل من ذكر أو أنثى، فإن فيه من المشاكلة والمناسبة بين العاشق وبينه." (١)

"ما ليس مثله وبين جنس آخر من المخلوقات. ولهذا لا يعرف فى محبة شيء من المحبوبات المخالفة للمحب فى الجنس ما يزيل العقل، ويفسد الإدراك، ويوجب انقطاع الإرادة لغير ذلك المحبوب، وإنما يعرف ذلك فى محبته لجنسه، فتستوعب قلبه، وتسلب لبه، ويصير لمعشوقه سامعا مطيعا كما قيل:

إن هواك الذى بقلبصيرنى سامعا مطيعا

ويقوى هذا السمع والطاعة عند كثير من العشاق، حتى يبذل نفسه، ويسلمها للتلف فى طاعة معشوقه، كما يبذل المجاهد نفسه لربه، حتى يقتل فى سبيله، وإذا كان النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قد قال فى الحديث الذى رواه أحمد وغيره:

"شارب الخمر – أو قال مدمن الخمر – كعابد وثن".

ومر على بن طالب رضى الله عنه بقوم يلعبون بالشطرنج فقال "ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون؟ ".

فما الظن بالعاشق المتيم الفانى فى معشوقه؟ ولهذا قرن الله سبحانه بين الخمر والأنصاب وهى الأصنام التى تعبد من دون الله، فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون * إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون﴾ [المائدة: ٩٠ – ٩١] .

ومعلوم أن شارب الخمر لا يدوم سكره، بل لا بد أن يفيق، ولعل أوقات إفاقته أكثر من أوقات سكره. وأما سكرة **العشق** فقل أن يستفيق صاحبها إلا إذا جاءت الرسل تطلبه للقدوم على الله تعالى، ولهذا استمرت سكرة اللوطية حتى فاجأهم عذاب الله وعقوبته." (٢)

---

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ابن القيم ٢/١٥٢

(٢) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ابن القيم ٢/١٥٣

"وهم فى سكرتهم يعمهون، فكيف إذا خرج **العشق** إلى حد الجنون المطبق؟ كما أنشد محمد بن جعفر الخرائطى فى كتاب اعتلال القلوب، قال: أنشد الصيدلانى:

قالت: جننت على رأسى، فقلت لها ... **العشق** أعظم مما بالمجانين

العشق لا يستفيق الدهر صاحبه ... وإنما يصرع المجنون فى الحين

فصاحبه أحق بأن يشبه بعابد الوثن، والعاكف على التماثيل، فإن عكوف قلب العاشق على صورة محبوبه وتمثاله يشبه عكوف عابد الصنم على صنمه.

وإذا كان الشيطان يريد أن يوقع العداوة والبغضاء بين المسلمين فى الخمر والميسر، ويصدهم بذلك عن ذكر الله وعن الصلاة، فالعداوة والبغضاء والصد الذى يوقعه **بالعشق** أعظم بكثير.

وجميع المعاصى يجتمع فيها هذان الوصفان، وهما العداوة والبغضاء، والصد عن ذكر الله وعن الصلاة، فإن التحاب والتآلف إنما هو بالإيمان والعمل الصالح، كما قال تعالى: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا﴾ [مريم: ٩٦] .

أى يلقى بينهم المحبة، فيحب بعضهم بعضا، فيتراحمون، ويتعاطفون بما جعل الله لبعضهم فى قلوب بعض من المحبة.

وقال ابن عباس "يحبهم ويحببهم إلى عبادة".

قال هرم بن حيان "ما أقبل عبد بقلبه إلى الله عز وجل إلا أقبل الله بقلوب المؤمنين إليه حتى يرزقه مودتهم ورحمتهم".." (١)

"وأهل المعاصى والفسوق وإن كان بينهم نوع مودة وتحاب، فإنها تنقلب عدواة وبغضا وفى الغالب يتعجل لهم ذلك فى الدنيا قبل الآخرة، أما فى الآخرة فالأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين.

وقال إمام الحنفاء لقومه: ﴿إنما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم فى الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا﴾ [العنكبوت: ٢٥] .

فالمعاصى كلها توجب ذلك، وتصد عن ذكر الله وعن الصلاة، وذكر ذلك فى الخمر الميسر - اللذين هما من أواخر المحرمات - تنبيه على ما فى غيرهما من ذلك، مما حرم قبلهما، وهو أشد تحريما منهما، فإن ما يوقعه قتل النفوس، وسرقة الأموال، وارتكاب الفواحش من ذلك، وما يصد به عن ذكر الله وعن الصلاة أضعاف أضعاف ما يقتضيه الخمر والميسر، والواقع شاهد بذلك.

---

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ابن القيم ١٥٤/٢

وكم وقع، وهو واقع بين الناس - بسبب **عشق** الصور - من العداوة والبغضاء، وزوال الألفة والمحبة، وانقلا بها عدواة.

وأما صده عن ذكر الله، فقلب العاشق ليس فيه موضع لغير معشوقه، كما قيل:

ما فى الفؤاد لغير حبك موضع ... كلا، ولا أحد سواك يحله

وأما صده عن الصلاة، فهو إن لم يصد عن صورتها وأعمالها الظاهرة، فإنه يصد عن حقيقتها ومقاصدها الباطنة.

فصل

ومما يبين أن هذه الفواحش أصلها المحبة لغير الله تعالى، سواء كان المطلوب المشاهدة أو المباشرة، أو غير ذلك: أنها فى المشركين أكثر منها فى المخلصين، ويوجد فيهم منها ما لا يوجد مثله فى المخلصين. قال تعالى ﴿يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما إنه يراكم هو وقبيله من حيث." (١)

"لا ترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله مالا تعلمون قل أمر ربى بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين - إلى قوله تعالى - قل إنما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغى بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله مالا تعلمون﴾ [الأعراف: ٢٧- ٣٣] .

فأخبر سبحانه أنه جعل الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون، وهو قوله: ﴿أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا﴾ [الكهف: ٥٠] .

وقال تعالى فى الشيطان: ﴿إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون﴾ [النحل: ١٠٠] .

وأخبر عنه أنه أقسم بعزة ربه أنه يغوى عباده أجمعين، واستثنى أهل الإخلاص منهم، وأخبر سبحانه عن أولياء الشيطان: أنهم إذا فعلوا فاحشة احتجوا بتقليد أسلافهم، وزعموا أن الله سبحانه أمرهم بها، فاتبعوا الظن الكاذب والهوى الباطل.

قال شيخنا: وفى هذا الوصف نصيب كبير لكثير من المنتسبين إلى القبلة، من الصوفية والعباد، والأمراء، والأجناد، والمتفلسفة، والمتكلمين، والعامة وغيرهم، يستحلون من الفواحش ما حرمه الله ورسوله، ظانين

---

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ابن القيم ٢/١٥٥

أن الله أباحه، أو تقليدا لأسلافهم وأصله العشق الذى يبغضه الله، فكثير منهم يجعله دينا، ويرى أنه يتقرب به إلى الله، إما لزعمه أنه يزكى النفس ويهذبها، وإما لزعمه أنه يجمع بذلك قلبه على آدمى، ثم ينقله إلى عبادة الله وحده، وإما لزعمه أن الصور الجميلة مظاهر الحق ومشاهده، ويسميها "مظاهر الجمال الأحدى" وإما لاعتقاده حلول الرب فيها، واتحاده بها، ولهذا تجد بين نساك هؤلاء وفقرائهم وأمرائهم وأصحابهم توافقا وتآلفا على اتخاذ أنداد من دون الله يحبونهم كحب الله. إما تدينا، وإما شهوة، وإما جمعا بين الأمرين. ولهذا يتآلفون ويجتمعون على السماع الشيطانى، الذى يهيج الحب المشترك، فيهيج من كل قلب ما فيه من الحب.

وسبب ذلك: خلو القلب مما خلق له، من عبادة الله تعالى التى تجمع محبته وتعظيمه، والخضوع والذل له، والوقوف مع أمره، ونهيه ومحابه ومساخطه. فإذا كان فى القلب وجدان حلاوة الإيمان وذوق طعمه أغناه ذلك عن محبة الأنداد وتأليهها. وإذا خلا القلب من ذلك احتاج إلى أن يستبدل به ما يهواه، ويتخذه إلهه، وهذا من تبديل الدين، وتغيير فطرة الله التى." (١)

"فالقلوب مفطورة على حب إلهها وفاطرها وتأليهه. فصرف ذلك التأله والمحبة إلى غيره تغيير للفطرة. ولما تغيرت فطر الناس بعث الله الرسل بصلاحها وردها إلى حالتها التى خلقت عليها فمن استجاب لهم رجع إلى أصل الفطرة، ومن لم يستجب لهم استمر على تغيير الفطرة وفسادها.

فصل

والفتنة بعشق الصور تنافى أن يكون دين العبد كله الله، بل ينقص من كون دينه لله بحسب ما حصل له من فتنة العشق. وربما أخرجت صاحبه من أن يبقى معه شئ من الدين لله. قال تعالى: ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله﴾ [الأنفال: ٣٩] .

فناقض بين كون الفتنة وبين كون الدين كله. فكل منهما يناقض الآخر.

والفتنة قد فسرت بالشرك.

فما حصلت به فتنة القلوب فهو إما شرك، وإما من أسباب الشرك.

وهى جنس تحته أنواع من الشبهات، والشهوات.

وفتنة الذين اتخذوا من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله من أعظم الفتن.

ومنه فتنة أصحاب العجل، كما قال تعالى لموسى: ﴿إنا قد فتنا قومك من بعدك﴾ [طه: ٨٥] .

---

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ابن القيم ١٥٦/٢

وكذلك فتنة **العشق** من أعظم الفتن، قال تعالى: ﴿ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى ألا فى الفتنة سقطوا﴾ [التوبة: ٤٩] .

نزلت فى الجد بن قيس لما غزا رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم تبوك قال له "هل لك يا جد فى بلاد بنى الأصفر، تتخذ منهم السرارى والوصفاء؟ فقال جد: ائذن لى فى القعود عنك. فقد عرف قومى أنى مغرم بالنساء، وأنى أخشى إن رأيت بنات الأصفر أن لا أصبر عنهن، فأنزل الله تعالى هذه الآية".." (١)

"قال هشام: وكانت لقريش أصنام فى جوف الكعبة وحولها، وأعظمها عندهم: هبل. وكان – فيما بلغنى – من عقيق أحمر، على صورة إنسان مكسور اليد اليمنى، أدركته قريش كذلك. فجعلوا له يدا من ذهب. وكان أول من نصبه خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر [وكان يقال له: هبل خزيمة] . وكان فى جوف الكعبة. وكان قدامه [سبعة] قداح، مكتوب فى أحدها: صريح، وفى الآخر: ملصق. فإذا شكوا فى مولود أهدوا له هدية، ثم ضربوا بالقداح، فإن خرج "صريح" ألحقوه. وإن خرج "ملصق" دفعوه [وقدح على الميت، وقدح على النكاح. وثلاثة لم تفسر، لى علام كانت؟] .

وكانوا إذا اختصموا فى أمر، أو أرادوا سفرا أو عملا، أتوه فاستقسموا بالقداح عنده [فما خرج عملوا به وانتهوا إليه. وعنده ضرب عبد المطلب بالقداح على ابنه عبد الله والد النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم] وهو الذى قال له أبو سفيان يوم أحد أعل هبل. فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: "قولوا له: الله أعلى وأجل".

وكان لهم إساف ونائلة.

قال هشام: فحدث الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس "أن إسافا رجل من جرهم يقال له: إساف بن يعلى، ونائله بنت زيد من جرهم، وكان **يتعشقها** فى أرض اليمن فأقبلوا حجاجا، فدخلا الكعبة، فوجدا غفلة من الناس وخلوة من البيت، ففجر بها فى البيت، فمسخا حجرين، فأصبحوا فوجدوهما مسخين، فأخرجوهما فوضعوهما موضعهما، فعبدتهما خزاعة وقريش ومن حج البيت بعد من العرب".

قال هشام: لما مسخا حجرين وضعا عند الكعبة ليتعظ بهما الناس، فلما طال مكثهما وعبدت الأصنام عبدا معها. وكان أحدهما ملصقا بالكعبة والآخر فى موضع زمزم، فنقلت قريش الذى كان ملصقا بالكعبة إلى الآخر، فكانوا يذبحون عندهما.

---

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ابن القيم ١٥٨/٢

وكان من تلك الأصنام ذو الخلصة، وكان مروة بيضاء، منقوشة، عليها كهيئة التاج، وكان له بيت بين مكة واليمن على مسيرة سبع ليال من مكة [وكان سدنتها بنو أمامة من." (١)

"هى روحانيات الأجرام العلوية. وكثير منهم لا يسأل عما عهد بل إذا سمع الخطاب من الصنم اتخذه إلها، ولا يسأل عما وراء ذلك.

وبالجملة فأكثر أهل الأرض مفتونون بعبادة الأصنام والأوثان، ولم يتخلص منها إلا الحنفاء، أتباع ملة إبراهيم عليه السلام، وعبادتها فى الأرض من قبل نوح عليه السلام كما تقدم، وهياكلها ووقوفها وسدنتها وحجابها. والكتب المصنفة فى شرائع عبادتها طبق ذلك كله الأرض.

قال إمام الحنفاء: ﴿واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام رب إنهن أضللن كثيرا من الناس﴾ [إبراهيم: ٣٥ - ٣٦] .

والأمم التى أهلكها الله بأنواع الهلاك كلهم كانوا يعبدون الأصنام، كما قص الله تعالى ذلك عنهم فى القرآن، وأنجى الرسل وأتباعهم من الموحدين.

ويكفى فى معرفة كثرتهم، وأنهم أكثر أهل الأرض: ما صح عن النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: "أن بعث النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون" وقد قال تعالى: ﴿فأبى أكثر الناس إلا كفورا﴾ [الإسراء: ٨٩] وقال: ﴿وإن تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله﴾ [الأنعام: ١١٦] وقال: ﴿وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين﴾ [يوسف: ١٠٣] وقال: ﴿وما وجدنا لأكثرهم من عهد وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين﴾ [الأعراف: ١٠٢] .

ولو لم تكن الفتنة بعبادة الأصنام عظيمة لما أقدم عبادها على بذل نفوسهم وأموالهم وأبنائهم دونها، فهم يشاهدون مصارع إخوانهم وما حل بهم، ولا يزيدهم ذلك إلا حبا لها وتعظيما، ويوصى بعضهم بعضا بالصبر عليها، وتحمل أنواع المكاره فى نصرتها وعبادتها، وهم يسمعون أخبار الأمم التى فتنت بعبادتها، وما حل بهم من عاجل العقوبات، ولا يثنيهم ذلك عن عبادتها.

ففتنة عبادة الأصنام أشد من فتنة عشق الصور، وفتنة الفجور بها. والعاشق لا يثنيه." (٢)

"«وسئل: أنطأ في الجنة؟ فقال: نعم والذي نفسي بيده، دحما دحما، فإذا قام عنها رجعت مطهرة بكرا» ورجال إسناده على شرط صحيح ابن حبان.

---

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ابن القيم ٢/٢١٥

(٢) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ابن القيم ٢/٢٢٥

وفي معجم الطبراني «أنه سئل: هل يتناكح أهل الجنة؟ فقال بذكر لا يميل، وشهوة لا تنقطع، دحما دحما» .

قال الجوهري: الدحم: الدفع الشديد.

وفيه أيضا «أنه سئل – صلى الله عليه وسلم –: أيجامع أهل الجنة؟ فقال دحما دحما ولكن لا مني ولا منية» .

«وسئل – صلى الله عليه وسلم –: أينام أهل الجنة؟ فقال النوم أخو الموت، وأهل الجنة لا ينامون» .

«وسئل – صلى الله عليه وسلم –: هل في الجنة خيل؟ فقال إن دخلت الجنة أتيت بفرس من ياقوتة له جناحان فحملت عليه فطار بك في الجنة حيث شئت» .

«وسئل – صلى الله عليه وسلم –: هل في الجنة إبل؟ فلم يقل للسائل مثل ما قال للأول، بل قال إن يدخلك الله الجنة يكن لك فيها ما اشتهت نفسك وقرت عينك» .

وفي معجم الطبراني «أن أم سلمة – رضي الله عنها – سألته فقالت: يا رسول الله أخبرني عن قول الله عز وجل ﴿وحور عين﴾ [الواقعة: ٢٢] قال حور: بيض، عين: ضخام العيون، شعر الحوراء بمنزلة جناح النسر قلت: أخبرني عن قول الله عز وجل ﴿كأمثال اللؤلؤ المكنون﴾ [الواقعة: ٢٣] فقال صفاؤهن صفاء الدر الذي في الأصداف الذي لم تمسه الأيدي قلت: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿فيهن خيرات حسان﴾ [الرحمن: ٧٠] قال: خيرات الأخلاق، حسان الوجوه قلت: أخبرني عن قول الله عز وجل ﴿كأنهن بيض مكنون﴾ [الصافات: ٤٩] قال رقتهن كرقة الجلد الذي رأيت في داخل البيضة مما يلي القشرة قلت: أخبرني يا رسول الله عن قوله تعالى: ﴿عربا أترابا﴾ [الواقعة: ٣٧] قال هن اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز رمصا شمطا، خلقهن الله بعد الكبر فجعلهن الله عذارى، عربا **متعشقات** متحببات، أترابا على ميلاد واحد قلت: يا رسول الله نساء الدنيا أفضل أم الحور العين؟ قال بل نساء الدنيا أفضل من الحور العين كفضل الظهارة على البطانة قلت: يا رسول الله، وبم ذاك؟ قال بصلاتهن وصيامهن وعبادتهن الله تعالى، ألبس الله وجوههن النور وأجسادهن الحرير، بيض الألوان، خضر الثياب، صفر الحلي، مجامرهن الدر، وأمشاطهن الذهب،

يقلن: نحن الخالدات فلا نموت، ونحن الناعمات فلا نبأس أبدا، ونحن المقيمات فلا نظعن أبدا، ونحن الراضيات فلا نسخط أبدا، طوبى." (١)

"فصل: فيما أعد الله تعالى في الجنة لأوليائه المتمسكين بالكتاب والسنة

يا خاطب الحور الحسان وطالبا ... لوصالهن بجنة الحيوان

لو كنت تدري من خطبت ومن طلبـ ... ـت بذلت ما تحوي من الأثمان

أو كنت تدري أين مسكنها جعلـ ... ـت السعي منك لها على الأجفان

ولقد وصفت طريق مسكنها فإن ... رمت الوصال فلا تكن بالواني

أسرع وحث السير جهدك إنما ... مسراك هذا ساعة لزمان

فاعشق وحدث بالوصال النفس وابـ ... ـذل مهرها ما دمت ذا إمكان

واجعل صيامك قبل لقياها ويو ... م الوصل يوم الفطر من رمضان

واجعل نعوت جمالها الحادي وسر ... تلق المخاوف وهي ذات أمان

لا يلهينك منزل لعبت به ... أيدي البلا من سالف الأزمان

فلقد ترحل عنه كل مسرة ... وتبدلت بالهم والأحزان

سجن يضيق بصاحب الإيمان لـ ... ـكن جنة المأوى لذي الكفران." (٢)

"في القيامة بأن الله يخرجهم من قبورهم الى موقف القيامة بصراء ويحشرون من الموقف الى النار عميا قاله الفراء وغيره الوجه الثامن والثمانون ان الله سبحانه بحكمته سلط على العبد عدوا عالما بطرق هلاكه واسباب الشر الذي يلقيه فيه متفننا فيها خبيرا بها حريصا عليها لايفتر يقظة ولا مناما ولا بد له من واحدة من ست ينالها منه احدها وهي غاية مراده منه ان يحول بينه وبين العلم والايمان فيلقيه في الكفر فإذا ظفر بذلك فرغ منه واستراح فان فاتته هذه وهدى للاسلام حرص على تلو الكفر وهي البدعة وهي احب اليه من المعصية فان المعصية يتاب منها والبدعة لا يتاب منها لان صاحبها يرى انه على هدى وفي بعض الاثار يقول ابليس اهلكت بني آدم بالذنوب واهلكوني بالاستغفار وبلا اله الا الله فلما رأيت ذلك بثثت فيهم الاهواء فهم يذنبون ولا يتوبون لانهم يحسبون انهم يحسنون صنعا فاذا ظفر منه بهذه صيره من رعاته وامرائه فان اعجزته شغله بالعمل المفضول عما هو افضل منه ليرتج عليه الذي بينهما وهي الخامسة

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين ابن القيم ٤/٢١١

(٢) نونية ابن القيم = الكافية الشافية ابن القيم ص/٣٠٧

فان اعجزه ذلك صار الى السادسة وهي تسليط حزبه عليه يؤذونه ويشتمونه ويبهتونه ويرمونه بالعظائم ليحزنه ويشغل قلبه عن العلم والارادة وسائر اعماله فكيف يمكن ان يحترز منه من لا علم له بهذه الامور ولا بعدوه ولا بما يحصنه منه فانه لا ينجو من عدوه الا من عرفه وعرف طريقه التي يأتيه منها وجيشه الذي يستعين به عليه وعرفت داخله ومخارجه وكيفية محاربته وبأي شيء يحاربه وبماذا يداوى جراحته وبأي شيء يستمد القوة لقتاله ودفعه وهذا كله لا يحصل الا بالعلم فالجاهل في غفلة وعمى عن هذا الامر العظيم والخطب الجسيم ولهذا جاء ذكر العدو وشأنه وجنوده ومكايده في القرآن كثيرا جدا لحاجة النفوس الى معرفة عدوها وطرق محاربته ومجاهدته فلولا ان العلم يكشف عن هذا لما نجا من نجا منه فالعلم هو الذي تحصل به النجاة الوجه التاسع والثمانون ان اعظم الاسباب التي يحرم بها العبد خير الدنيا والاخرة ولذة النعيم في الدارين ويدخل عليه عدو منها هو الغفلة المضادة للعلم والكسل المضاد للارادة والعزيمة هذان اصل بلاء العبد وحرمانه منازل السعداء وهما من عدم العلم اما الغفلة فمضادة للعلم منافية له وقد ذم سبحانه اهلها ونهى عن الكون منهم وعن طاعتهم والقبول منهم قال تعالى ولاتكن من الغافلين وقال تعالى ﴿ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا﴾ وقال تعالى ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها اولئك كالانعام بل هم اضل واولئك هم الغافلون وقال النبي في وصيته لنساء المؤمنين لا تغفلن فتنسين الرحمة وسئل بعض العلماء عن **عشق** الصور فقال قلوب غفلت عن ذكر الله فابتلاها الله بعبودية غيره فالقلب الغافل مأوى." (١)

"المتوهم فإن فرض في بهيمة أو شخص لا رقة فيه يفيد تصوره لو تصوره فيبقى أمر آخر وهو طلب الثناء على إحسانه فإن فرض بحيث لا يعلم أنه المنفذ فيتوقع أن يعلم فيكون ذلك التوقع باعثا فإن فرض في موضع يستحيل أن يعلم فيبقي ميل وترجيح يضاهي نفرة طبع السليم عن الحبل وذلك أنه رأى هذه الصورة مقرونة بالثناء فيظن أن الثناء مقرون بها بكل حال كما أنه لما رأى الأذى مقرونا بصورة الحبل فطبعه ينفر عن الأذى فينفر عن المقرون به فالمقرون باللذيذ لذيذ والمقرون بالمكروه مكروه بل الإنسان إذا جالس من **عشقه** في مكان فإذا نتهي إليه أحس في نفسه ذلك المكان من غيره قال الشاعر

أمر على الديار ديار ليلى ... أقبل ذا الجدار وذا الجدارا

وما حب الديار شغفن قلبي ... ولكن حب من سكن الديارا

وقال ابن الرومي منبها على سبب حب الأوطان

---

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ابن القيم ١١٢/١

وحبب أوطان الرجال إليهم ... مآرب قضاها الشباب هنالكا

إذا ذكروا أوطانهم ذكر تهموا ... عهودا جرت فيها فحنوا لذلكا

قال وشواهد ذلك مما يكثر وكل ذلك من حكم الوهم قالوا وأما الصبر على السيف في تركه كلمة الكفر مع طمأنينة النفس فلا يستحسنه جميع العقلاء لولا الشرع بل ربما استقبحوه فإنما يستحسنه من ينتظر الثواب على الصبر أو من ينتظر الثناء عليه بالشجاعة والصلابة في الدين فكم من شجاع ركب متن الخطر وهجم على عدد وهو يعلم أنه لا يطيقهم ويستحقر ما يناله من الألم لما يعتاضه من توهم الثناء والحمد ولو بعد موته وكذلك إخفاء السر وحفظ العهد إنما يتواصى الناس بهما لما فيهما من المصالح ولذلك أكثروا الثناء عليهما فمن يحتمل الضرر لا لله فإنما يحتمله لأجل الثناء فإن فرض من لا يستولي عليه هذا الوهم ولا ينتظر الثناء والثواب فهو يستقبح السعي في هلاك نفسه بغير فائدة ويستحمق من يفعل ذلك قطعا فمن يسلم أن مثل ذلك يؤثر الهلاك على الحياة قالوا وهذا هو الجواب عمن عرضت له حاجة وأمكن قضاؤها بالصدق والكذب واستويا عنده وإيثاره الصدق على أنا نقول تقدير استواء الصدق والكذب في المقصود مع قطع النظر عن الغير تقدير مستحيل لأن الصدق والكذب متنافيان ومن المحال تساوي المتنافيين في جميع الصفات فلأجل ذلك التقدير المستحيل يستبعد العقل إيثار الكذب ومنع إيثار الصدق قالوا ولا يلزم من استبعاد منع إيثار الصدق على التقدير المستحيل استبعاده في نفس الأمر وإنما يلزم لو كان التقدير المستلزم واقعا وهو ممنوع قالوا ولئن سلمنا أن ذلك التقدير ممكن فغايته أن يدل على حسن الصدق شاهدا ولكن لا." (١)

"البواعث والدواعي وأسباب الميول التي تحصل لفاعل الإحسان ومنقذ الغريق والحريق وما ينجى الهالك لا ينافى ما عليه هذه الأفعال في ذواتها من الصفات التي تقتضي حسنها وقبح أضدادها

الوجه الخامس والعشرون قولكم أنه يقدر نفسه في تلك الحال وتقديره غيره معرضا عن الانقاذ فيستقبحه منه لمخالفته غرضه فيدفع عن نفسه ذلك القبح المتوهم فيقال هذا القبح المتوهم إنما نشأ عن القبح المحقق في ترك الإحسان إليه مع قدرته عليه وعدم تضرره به فالقبح محقق في ترك إنقاذه ومتوهم في تصويره نفسه بتلك الحال وعدم إنقاذه غيره له فلولا تلك الحقيقة لم يحكم العقل بهذا القبح الموهوم وكون الانقاذ موافقا للغرض وتركه مخالفا له لا ينبغي أن يكون في ذاته حسنا وقبيحا ملائما وافق الغرض أو خالفه لما اتصفت به ذاته من الصفات المقتضية لهذه الموافقة والمخالفة الوجه السادس والعشرون قولكم فلو

---

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ابن القيم ٤٨/٢

فرض هذا في بهيمة أو شخص ل ارقة فيه فيبقى أمر آخر وهو طلب الثناء على إحسانه فيقال طلب الثناء يقتضي أن هذا الفعل مما يتعلق به الثناء وما ذاك ألا لأنه في نفسه على صفة تقتضي الثناء على فاعله ولو كان هذا الفعل مساويا لضده في نفس الأمر لم يتعلق الثناء به والذم بضده وفعله لتوقع الثناء لا ينفى أن يكون على صفة لأجلها استحق فاعله الثناء بل هو باقتضاء ذلك أولى من نفيه

الوجه السابع والعشرون قولكم فان فرض في موضع يستحيل أن يعلم فيبقى ميل وترجيح يضاهي نفرة طبع السليم عن الحبل وذلك أنه رأى هذه الصورة مقرونة بالثناء فيظن أن الثناء مقرون بها بكل حال كما أنه لما رأى الأذى مقرونا بصورة الحبل وطبعه ينفر عن الأذى فينفر عن المقرون به فالمقرون باللذيذ لذيذ والمقرون بالمكروه مكروه فيقال يا عجبا كيف يرد أعظم الإحسان الذي فطر الله عقول عباده وفطرهم على إحسانه حتى لو تصور نطق الحيوان البهيم لشهد باستحسانه إلى م جرد وهم وخيال فاسد يشبه نفرة طبع الرجل السليم عن حبل مرقش فتأمل كيف يحمل نفرة الآراء المتقلدة وبعض مخالفتها على أمثال هذه الشنع وهل سوى الله سبحانه في العقول والفطر بين إنقاذ الغريق والحريق وتخليص الأسير من عدوه واحياء النفوس وبين نفرة طبع السليم عن حبل مرقش لتوهمه أنه حية وقد كان مجرد تصور هذه الشبهة كافيا في العلم ببطلانها ولكنا زدنا الأمر إيضاحا وبيانا

الوجه الثامن والعشرون قولكم الإنسان إذا جالس من عشقه في مكان فإذا انتهى إليه أحس في نفسه تفرقة بين ذلك المكان وغيره واستشهادكم على ذلك بقول الشاعر أمر على الديار ديار ليلى ... وقوله

وحبب أوطان الرجال إليهم ... فيقال لا ريب أن الأمر هكذا ولكن هل يلزم من هذا استواء الصدق والكذب في نفس الأمر واستواء العدل والظلم والبر والفجور والإحسان والإساءة بل هذا المثال نفسه حجة عليكم فانه لم يمل طبعه." (١)

"قبل عينك ما تخفي عليك خفيه ومكنونه تذللا لله تقدس اسمه فيما استبان لك معلومه ووضح عندك مظنونه ثم قال أعلم أن العلم به حق ولكن الإصابة بعيدة وليس كل بعيد محالا ولا كل قريب صوابا ولا كل صواب معروفا ولا كل محال موصوفا وإنما كان العلم حقا والاجتهاد فيه مبلغا والقياس فيه صوابا وبذل السعي دونه محمودا لاشتبال هذا العالم السفلي بذلك العالم العلوي واتصال هذه الأجسام القابلة بتلك الأجسام الفاعلة واستحالة هذه الصور بحركات تلك المحركات المشاكلة بالوحدة وإذا صح هذا الاتصال والتشابك وهذه الحبال والروابط صح التأثير من العلوي وقبول التأثير من السفلي بالمواضع الشعاعية

---

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ابن القيم ٧٢/٢

وبالمناسبات الشكلية والأحوال الخفية والجلية وإذا صح التأثير من المؤثر وقبوله من القابل صح الاعتبار واستتب القياس وصدق الرصد وثبت الإلف واستحكمت العادة وانكشفت الحدود وانثالت العلل وتعاضدت الشواهد وصار الصواب غامرا والخطأ مغمورا والعلم جوهرا راسخا والظن عرضا زائلا فقيل هل تصح الأحكام أم لا فقال الأحكام لا تصح بأسرها ولا تبطل من أصلها وذلك سبب يتبين إذا أنعم النظر وبسط الإصغاء وصمد نحو الفائدة بغير متابعة الهوى وايثار التعصب ثم قال الأمور الموجودة على ضربين ضرب له الوجود الحق وضرب له الوجود ولكن ليس الوجود الحق فأما الأمور الموجودة بالحق فقد أعطت الأخرى نسبة من جهة الوجود الحق وأما الأمور الموجودة لا بالحق فقد أعطت الأخرى نسبة من جهة الوجود وارتجعت منها حقيقية ذلك فالحكم بالاعتبار الفاحص عن هذه الأسرار إن أصاب فبسبب الوجود الذي هو هذا العالم السفلي من ذلك العالم العلوي وإن أخطأ فبآفات هذا العالم السفلي من ذلك العالم العلوي والإصابة في هذه الأمور السيالة المتبدلة عرض والإصابة في أمور الفلك جوهر وقد يكون هناك ما هو كالخطأ ولكن بالعرض لا بالذات كما يكون ههنا لا هو بالصواب والحق لكن بالعرض لا بالذات فلهذا صح بعض الأحكام وبطل بعضها ومما يكون شاهدا لهذا أن هذا العالم السفلي مع تبدله في كل حالة واستحالته في كل طرف ولمح متقبل لذلك العالم العلوي يتحرك شرقا إلى كماله **وعشقا** لجماله وطلبا للتشبه به وتحققا بكل ما أمكن من شكله فهو بحق التقبل معط هذا العالم السفلي ما يكون به مشابها للعالم العلوي وبهذا التقبل يقبل الإنسان الناقص الكامل ويقبل الكامل من البشر الملك ويقبل الملك الباري جل وعز

قال آخر إنما وجب هذا التقبل والتشبه لأن وجود هذا العالم وجود متهافت مستحيل لا صورة له ثابتة ولا شكل دائم ولا هيئة معروفة وكان من هذا الوجه فقيرا إلى ما يمده ويشده فأما مسحه فهو موجود وثابت مقابل لذلك العالم الموجود الثابت وإنما عرض ما عرض لأن أحدهما مؤثرة والآخر قابل فبحق هذه المرتبة ما وجد التواصل وقال." (١)

"يثبت على كل وجه فصل ولم يبن ذلك قال لأن صحتها وبطلانها يتعلقان بآثار الفلك وقد يقتصى شكل الفلك في زمان أن لا يصح منها شيء وأن غيص على دقائقها وبلغ إلى أعماقها وقد يزول ذلك الشكل في وقت آخر إلى أن يكثر الصواب فيها والخطأ ويتقاربان ومتى وقف الأمر على هذا الحد لم يثبت على قضاء ولم يوثق بجواب

---

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ابن القيم ١٧٧/٢

وقال آخر أن الله تعالى وتقدس اخترع هذا العالم وزينه ورتبه وحسنه ووشحه ونظمه وهذبه وقومه وأظهر عليه البهجة وأبطن في أثنائه الحكمة وحقه بم اضطر العقول إلى تصفحه ومعرفته وحشاه بكل ما حاش النفوس إلى علمه وتعليمه والتعجب من أعاجيبه وأمتع الأرواح بمحاسنه وأودعه أمورا واستحزنه أسرارا ثم حرك الألباب عليها حتى استثارتها ولقطتها وأحبتها **وعشقتها** ودارت عليها لأنها عرفت بها ربها وخالقها وإلهها وواضعها وصانعها وحافظها وكافلها ثم أنه تعالى مزج بعض ما فيه ببعض وركب بعضه على بعض ونسج بعضه في بعض وأمد بعضه من بعض وأحال بعضه إلى بعض بوسائط من أشخاص وأجناس وطبائع وأنفس وعلوم وعقول وتصرف في ملكه بقدرته وجوده وحكمته لا معيب الفضل ولا معدوم الاختيار ولا مردود الحكمة ولا مجحود الذات ولا محدود الصفات سبحانه وهو مع هذا كله لم يستفد شيئا ولم ينتفع بشيء بل استفاد منه كل شيء وانتفع به كل شيء وبلغ غايته كل شيء بحسب مادته المنقادة وصورته المعتادة ولم يثبت بشيء وثبت به كل شيء فهو الفاعل القادر الجواد الواهب والمنيل المفضل والأول السابق فلما كان الباحث عن العالم العلوي يتصفح سكانه ومعرفة آثاره ومواقعه وأسراره متعرضا لأن يكون مثبتا بها لبارئه مناسبا لربه بهذا الوجه المعروف استحال أن يستفيد بعلمه كما استحال أن يستفيد خالقه بفعله لمن بقصد لصوبه وحكمه لزمه كليته بدت منه وصفته عادت عليه وهذه حال إذا فطن لها وأشرف ببصيرة ثاقبة عليها وتحقق بحقيقتها وترقي للخبرة بسني ما فيها علم اضطرارا عقليا أنها أجل وأعلى وأنفس وأسمى وأدوم وأبقي من جميع فوائد سابق العلوم التي حازها أولئك العاملون لأن علم أولئك فوائد علومهم فيما حفظ عليهم حد الإنسان وخلقه وعادته وخلقه وشهوته وراحته في اجتلاب نفع ودفع ضرر ونقصت رتبتهم عن ومشابهته والتشبه بخاصته والتحلي بحليته ولذلك جبر الله نقصهم في علمهم بفوائد نالوها ومنافع خبروها فأما من أراد معرفة هذه الخفايا والأسرار من هذه الأجرام والأنوار على ما هيأت له ونظمت عليه فهو حري جدير أن يعري من جميع ما وجده صاحب كل علم في علمه من المرافق والمنافع ويفرد بالحكم من رتبها على ما هي عليه غير مستفيد بذلك فائدة ولا جدوى وهذه لطيفة شريفة متى وقف عليها حق الوقوف وتقبلت حتى التقبل كان المدرك لها أجل من كل فائت وإن عز." (١)

"وأما قولكم: لم يقم دليل على تحريم السماع.

فيقال لك: أي السماعات تعني؟ وأي المسموعات تريد؟ فالسماعات والمسموعات منها المحرم، والمكروه، والمباح، والواجب، والمستحب، فعين نوعا يقع الكلام فيه نفيا وإثباتا.

---

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ابن القيم ٢/١٨٢

فإن قلت: سماع القصائد، قيل لك: أي القصائد تعني؟ ما مدح به الله ورسوله ودينه وكتابه، وهجي به أعداؤه؟ .

فهذه لم يزل المسلمون يروونها ويسمعونها ويتدارسونها، وهي التي سمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وأثاب عليها، وحرض حسان عليها، وهي التي غرت أصحاب السماع الشيطاني، فقالوا: تلك قصائد، وسماعنا قصائد، فنعم إذن، والسنة كلام، والبدعة كلام، والتسبيح كلام، والغيبة كلام، والدعاء كلام، والقذف كلام، ولكن هل سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه سماعكم هذا الشيطاني المشتمل على أكثر من مفسدة مذكورة في غير هذا الموضع، وقد أشرنا فيما تقدم إلى بعضها؟ .

ونظير هذا: م ا غرهم من استحسانه صلى الله عليه وسلم الصوت الحسن بالقرآن، وأذنه له وإذنه فيه، ومحبة الله له.

فنقلوا هذا الاستحسان إلى صوت النسوان والمردان وغيرهم، بالغناء المقرون بالمعازف والشاهد، وذكر القد والنهد والخصر، ووصف العيون وفعلها، والشعر الأسود، ومحاسن الشباب، وتوريد الخدود، وذكر الوصل والصد، والتجني والهجران، والعتاب والاستعطاف، والاشتياق، والقلق والفراق، وما جرى هذا المجرى، مما هو أفسد للقلب من شرب الخمر، بما لا نسبة بينهما، وأي نسبة لمفسدة سكر يوم ونحوه إلى سكرة العشق التي لا يستفيق الدهر صاحبها إلا في عسكر الهالكين، سليبا حربيا، أسيرا قتيلا؟ .

وهل تقاس سكرة الشراب بسكرة الأرواح بالسماع؟ وهل يظن بحكيم أن يحرم سكرا لمفسدة فيه معلومة، ويبيح سكرا مفسدته أضعاف أضعاف مفسدة الشراب؟ حاشا أحكم الحاكمين.

فإن نازعوا في سكر السماع، وتأثيره في العقول والأرواح خرجوا عن الذوق والحس، وظهرت مكابرة القوم، فكيف يحمي الطبيب المريض عما يشوش عليه صحته،." (١)

"، وهو رقية له ورائد وبريد، فهذا لا يشك في تحريمه أولو البصائر، فكيف يظن بالحكيم الخبير أن يحرم مثل رأس الإبرة من المسكر لأنه يسوق النفس إلى السكر الذي يسوقها إلى المحرمات ثم يبيح ما هو أعظم منه سوقا للنفوس إلى الحرام بكثير؟ فإن الغناء كما قال ابن مسعود رضي الله عنه هو رقية الزنا، وقد شاهد الناس أنه ما عاناه صبي إلا وفسد، ولا امرأة إلا وبغت، ولا شاب إلا وإلا، ولا شيخ إلا وإلا، والعيان من ذلك يغني عن البرهان، ولاسيما إذا جمع هيئة تحدو النفوس أعظم حدو إلى المعصية والفجور، بأن يكون على الوجه الذي ينبغي لأهله، من المكان والإمكان، والعشراء والإخوان، وآلات المعازف من

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ١/٤٩٠

اليراع، والدف، والأوتار والعيدان، وكان القوال شادنا شجي الصوت، لطيف الشمائل من المردان أو النسوان، وكان القول في **العشق** والوصال، والصد والهجران.

ودارت كئوس الهوى بينهم ... فلست ترى فيهم صاحيا

فكل على قدر مشروبه ... وكل أجاب الهوى الداعيا

فمالوا سكارى ولا سكر من ... تناول أم الهوى خاليا

وجار على القوم ساقيهم ... ولم يؤثروا غيره ساقيا

فمزق منهم قلوبا غدت ... لباسا عليه يرى ضافيا

فلم يستفيقوا إلى أن أتى ... إليهم منادي اللقا داعيا

أجيبوا فكل امرئ منكم ... على حاله ربه لاقيا

هنالك تعلم من حمأة ... شربت مع القوم أم صافيا؟

وبالله لا بد قبل اللقا ... سنعلم ذا إن تك واعيا

لا بد تصحو فإما هنا ... وإما هناك فكن راضيا

[فصل تحكيم الوحي في الأحوال والأذواق]

فصل

وإذا لم يكن بد من المحاكمة إلى الذوق، فهلم نحاكمك إلى ذوق لا ننكره نحن ولا أنت غير هذه الأذواق التي ذكرناها.

فالقلب يعرض له حالتان: حالة حزن وأسف على مفقود، وحالة فرح ورضى بموجود، وله بمقتضى هاتين الحالتين عبوديتان.

وله بمقتضى الحالة الأولى عبودية الرضاء، وهي للسابقين، والصبر وهي لأصحاب اليمين.." (١)

"الأحمق الفاجر، الذي هو الشيطان، وكذلك النوح ضد الصبر، كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في النائحة وقد ضربها حتى بدا شعرها وقال: لا حرمة لها، إنها تأمر بالجزع، وقد نهى الله عنه، وتنهى عن الصبر، وقد أمر الله به، وتفتن الحي وتؤذي الميت، وتبيع عبرتها، وتبكي شجو غيرها.

ومعلوم عند الخاصة والعامة أن فتنة سماع الغناء والمعازف أعظم من فتنة النوح بكثير، والذي شاهدناه نحن

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ١/٤٩٤

وغيرنا وعرفناه بالتجارب أنه ما ظهرت المعازف وآلات اللهو في قوم، وفشت فيهم، واشتغلوا بها، إلا سلط الله عليهم العدو، وبلوا بالقحط والجدب وولاة السوء، والعاقل يتأمل أحوال العالم وينظر والله المستعان.

ولا تستطل كلامنا في هذه المنزلة، فإن لها عند القوم شأنا عظيما.

وأما قولهم: من أنكر على أهله فقد أنكر على كذا وكذا ولي لله، فحجة عامية، نعم إذا أنكر أولياء الله على أولياء الله كان ماذا؟ فقد أنكر عليهم من أولياء الله من هو أكثر منهم عددا، وأعظم عند الله وعند المؤمنين منهم قدرا، وأقرب بالقرون المفضلة عهدا، وليس من شرط ولي الله العصمة، وقد تقاتل أولياء الله في صفين بالسيوف، ولما سار بعضهم إلى بعض كان يقال: سار أهل الجنة إلى أهل الجنة. وكون ولي الله يرتكب المحظور والمكروه متأولا أو عاصيا لا يمنع ذلك من الإنكار عليه، ولا يخرجه عن أصل ولاية الله، وهيهات هيهات أن يكون أحد من أولياء الله المتقدمين حضر هذا السماع المحدث المبتدع، المشتمل على هذه الهيئة التي تفتن القلوب أعظم من فتنة المشروب، وحاشا أولياء الله من ذلك وإنما السماع الذي اختلف فيه مشايخ القوم: اجتماعهم في مكان خال من الأغيار يذكرون الله، ويتلون شيئا من القرآن، ثم يقوم بينهم قوال ينشدهم شيئا من الأشعار المزهدة في الدنيا، المرغبة في لقاء الله ومحبته، وخوفه ورجائه، والدار الآخرة، وينبههم على بعض أحوالهم من يقظة أو غفلة، أو بعد أو انقطاع، أو تأسف على فائت، أو تدارك لفارط، أو وفاء بعهد، أو تصديق بوعد، أو ذكر قلق وشوق، أو خوف فرقة أو صد، وما جرى هذا المجرى. فهذا السماع الذي اختلف فيه القوم، لا سماع المكاء والتصدية، والمعازف والخمريات. وعشق الصور من المردان والنسوان، وذكر محاسنها ووصالها وهجرانها، فهذا لو سئل عنه من سئل من أولي العقول لقضى بتحريمه، وعلم أن الشرع لا يأتي بإباحته." (١)

"والفاسق ذليل» وأربعة يعشقهم الذل أشد العشق: الكذاب. والنمام. والبخيل. والجبار.

وقوله: ﴿أعزة على الكافرين﴾ [المائدة: ٥٤] هو من عزة القوة والمنعة والغلبة. قال عطاء رضي الله عنه: للمؤمنين كالوالد لولده. وعلى الكافرين كالسبع على فريسته. كما قال في الآية الأخرى ﴿أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ [الفتح: ٢٩] وهذا عكس حال من قيل فيهم:

كبرا علينا، وجبنا عن عدوكم ... لبئست الخلتان: الكبر، والجبن

وفي صحيح مسلم من حديث عياض بن حمار رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الله أوحى إلي: أن تواضعوا، حتى لا يفخر أحد على أحد. ولا يبغي أحد على أحد» .

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ١/٤٩٦

وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر» .

وفي الصحيحين مرفوعا «ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عتل جواظ مستكبر» .

وفي حديث احتجاج الجنة والنار «أن النار قالت: ما لي لا يدخلني إلا الجبارون،." (١)

"فصل والثاني على ثلاثة أقسام.

أحدهما: من اتصف قلبه بصفات نفسه. بحيث صار قلبه نفسا محضة. فغلبت عليه آفات الشهوات، ودعوات الهوى. فهذا حظه من السماع: كحظ البهائم. لا يسمع إلا دعاء ونداء. والفرق الذي بينها وبينه: غير طائل.

القسم الثاني: من اتصفت نفسه بصفات قلبه. فصارت نفسه قلبا محضا. فغلبت عليه المعرفة والمحبة، والعقل واللب. **وعشق** صفات الكمال. فاستنارت نفسه بنور القلب. واطمأنت إلى ربها. وقرت عينها بعبوديته. وصار نعيمها في حبه وقربه. فهذا حظه من السماع مثل - أو قريب من - حظ الملائكة. وسماعه غذاء قلبه وروحه، وقرة عينه ونعيمه من الدنيا، ورياضه التي يسرح فيها. وحياته التي بها قوامه. وإلى هذا المعنى قصد أرباب سماع القصائد والأبيات. ولكن أخطأوا الطريق وأخذوا عن الدرب شمالا ووراء.

القسم الثالث: من له منزلة بين منزلتين. وقلبه باق على فطرته الأولى. ولكن ما تصرف في نفسه تصرفا أحالها إليه. وأزال به رسومه. وجلا عنه ظلمتها. ولا قويت النفس على القلب بإحالته إليها. وتصرفت فيه تصرفا أزالت عنه نوره وصحته وفطرته.

فبين القلب والنفس منازلات ووقائع، والحرب بينهما دول وسجال، تدال النفس عليه تارة، ويدال عليها تارة.

فهذا حظه من السماع: حظ بين الحظين، ونصيبه منه بين النصيبين، فإن صادفه وقت دولة القلب: كان حظه منه قويا. وإن صادفه وقت دولة النفس: كان ضعيفا.

ومن هاهنا يقع التفاوت في الفقه عن الله. والفهم عنه. والابتهاج والنعيم بسماع كلامه.

وصاحب هذه الحال - في حال سماعه - يشتغل القلب بالحرب بينه وبين النفس، فيفوته من روح المسموع ونعيمه ولذته بحسب اشتغاله عنه بالمحاربة. ولا سبيل له إلى حصول ذلك بتمامه، حتى تضع الحرب أوزارها. وربما صادفه في حال السماع وارد حق، أو الظفر بمعنى بديع لا يقدر فكره على صيده

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٣١١/٢

كل وقت. فيغيب به ويستغرق فيه عما يأتي بعده. فيعجز عن صيد تلك المعاني. ويدهشه ازدحامها. فيبقى قلبه باهتا. كما يحكى أن بعض العرب: أرسل صائدا له على صيد. فخرج الصيد عليه من أمامه وخلفه، وعن يمينه وعن شماله، فوقف باهتا ينظر يمينا وشمالا. ولم يصطد شيئا. فقال:." (١)

"وهذا أيضا من حقوقها وثمراتها. وموجباتها.

الرابع والعشرون: سكر لا يصحو صاحبه إلا بمشاهدة محبوبه. ثم السكر الذي يحصل عند المشاهدة لا يوصف، وأنشد:

فأسكر القوم دور الكأس بينهم ... لكن سكري نشا من رؤية الساقي.

وينبغي صون المحبة والحبيب عن هذه الألفاظ، التي غاية صاحبها: أن يعذر بصدقه وغلبة الوارد عليه، وقهره له. فمحبة الله أعلى وأجل من أن تضرب لها هذه الأمثال، وتجعل عرضة للأفواه المتلوثة، والألفاظ المبتدعة، ولكن الصادق في خفارة صدقه.

الخامس والعشرون: أن لا يؤثر على المحبوب غيره، وأن لا يتولى أمورك غيره.

السادس والعشرون: الدخول تحت رق المحبوب وعبوديته، والحرية من استرقاق ما سواه.

السابع والعشرون: المحبة سفر القلب في طلب المحبوب، ولهج اللسان بذكره على الدوام.

قلت: أما سفر القلب في طلب المحبوب: فهو الشوق إلى لقائه، وأما لهج اللسان بذكره: فلا ريب أن من أحب شيئا أكثر من ذكره.

الثامن والعشرون: أن المحبة هي ما لا ينقص بالجفاء. ولا تزيد بالبر. وهو ليحيى بن معاذ، بل الإرادة والطلب والشوق إلى المحبوب لذاته، فلا ينقص ذلك جفاؤه. ولا يزيده بره.

وفي ذلك ما فيه. فإن المحبة الذاتية تزيد بالبر. ولا تنقصها زيادتها بالبر. وليس ذلك بعلة، ولكن مراد يحيى: أن القلب قد امتلأ بالمحبة الذاتية. فإذا جاء البر من محبوبه. لم يجد في القلب مكانا خاليا من حبه يشغله محبة البر. بل تلك المحبة قد استحقت عليه بالذات بلا سبب. ومع هذا فلا يزيل الوهم. فإن المحبة لا نهاية لها. وكلما قويت المعرفة والبر قويت المحبة. ولا نهاية لجمال المحبوب ولا بره. فلا نهاية لمحبته، بل لو اجتمعت محبة الخلق كلهم وكانت على قلب رجل واحد منهم: كان ذلك دون ما يستحقه

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٣٨٨/٢

الرب جل جلاله. ولهذا لا تسمى محبة العبد لربه **عشقا** – كما سيأتي – لأنه إفراط المحبة، والعبد لا يصل في محبة الله إلى حد الإفراط، ألبتة. والله أعلم.." (١)

"يغفر الذنب، ويحب التائب منه، ويوده. فحظ التائب: نيل المغفرة منه.

وعلى القول الأول " الودود " في معنى يكون سر الاقتران. أي اقتران " الودود بالغفور " استدعاء مودة العباد له، ومحبتهم إياه باسم الغفور.

السادسة: الشغف يقال: شغف بكذا. فهو مشغوف به. وقد شغفه المحبوب. أي وصل حبه إلى شغاف قلبه. كما قال النسوة عن امرأة العزيز: ﴿قد شغفها حبا﴾ [يوسف: ٣٠] وفيه ثلاثة أقوال.

أحدها: أنه الحب المستولي على القلب، بحيث يحجبه عن غيره. قال الكلبي: حجب حبه قلبها حتى لا تعقل سواه.

الثاني: الحب الواصل إلى داخل القلب. قال صاحب هذا القول: المعنى أحبته حتى دخل حبه شغاف قلبها، أي داخله.

الثالث: أنه الحب الواصل إلى غشاء القلب. والشغاف غشاء القلب إذا وصل الحب إليه باشر القلب. قال السدي: الشغاف جلدة رقيقة على القلب. يقول: دخله الحب حتى أصاب القلب.

وقرأ بعض السلف " شعفها " بالعين المهملة. ومعناه: ذهب الحب بها كل مذهب. وبلغ بها أعلى مراتبه، ومنه: شعف الجبال، لرءوسها.

السابعة: **العشق** وهو الحب المفرط الذي يخاف على صاحبه منه. وعليه تأول إبراهيم، ومحمد بن عبد الوهاب ﴿ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به﴾ [البقرة: ٢٨٦] قال محمد: هو **العشق**." (٢)

"ورفع إلى ابن عباس – رضي الله عنهما – شاب رضي الله عنهما – وهو يعرفه – قد صار كالخلال. فقال: ما به؟ قالوا: **العشق**. فجعل ابن عباس – رضي الله عنهما – عامة دعائه بعرفة: الاستعاذة من **العشق**.

وفي اشتقاقه قولان. أحدهما: أنه من **العشقة** – محركة – وهي نبت أصفر يلتوي على الشجر، فشبه به العاشق.

والثاني: أنه من الإفراط. وعلى القولين: فلا يوصف به الرب تبارك وتعالى، ولا العبد في محبة ربه. وإن أطلقه سكران من المحبة قد أفناه الحب عن تمييزه. كان في خفارة صدقه ومحبته.

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ١٧/٣

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٣٠/٣

الثامنة: التتيم وهو التعبد، والتذلل. يقال: تيمه الحب أي ذلله وعبده. وتيم الله: عبد الله. وبينه وبين اليتم - الذي هو الانفراد - تلاق في الاشتقاق الأوسط، وتناسب في المعنى. فإن المتيم المنفرد بحبه وشجوه. كانفراد اليتيم بنفسه عن أبيه، وكل منهما مكسور ذليل. هذا كسره يتم. وهذا كسره تتيم.

التاسعة: التعبد وهو فوق التتيم. فإن العبد هو الذي قد ملك المحبوب رقه فلم يبق له شيء من نفسه ألبتة. بل كله عبد لمحبوبه ظاهرا وباطنا. وهذا هو حقيقة العبودية. ومن كمل ذلك فقد كمل مرتبتها.

ولما كمل سيد ولد آدم هذه المرتبة: وصفه الله بها في أشرف مقاماته. مقام الإسراء، كقوله ﴿سبحان الذي أسرى بعبده﴾ [الإسراء: ١] ومقام الدعوة. كقوله ﴿وأنه لما قام عبد الله يدعوه﴾ [الجن: ١٩] ومقام التحدي كقوله ﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا﴾ [البقرة: ٢٣] وبذلك استحق التقديم على الخلائق في الدنيا والآخرة.

وكذلك يقول المسيح عليه الصلاة والسلام لهم، إذا طلبوا منه الشفاعة - بعد." (١)

"إن للعاشقين عن قصر اللي

ل، وعن طوله من العشق شغلا

قال الجنيد: دخلت على السري يوما. فقلت له: كيف أصبحت؟ فأنشأ يقول:

ما في النهار ولا في الليل لي فرج ... فلا أبالي أطال الليل أم قصرا

ثم قال: ليس عند ربكم ليل ولا نهار.

يشير إلى أنه غير متطلع إلى الأوقات. بل هو مع الذي قدر الليل والنهار.

[فصل معاني الوقت]

[المعنى الأول وقت وجد صادق]

فصل

قال صاحب المنازل:

الوقت: اسم في هذا الباب لثلاث معان. المعنى الأول: حين وجد صادق. أي وقت وجد صادق، أي زمن من وجد يقوم بقلبه، وهو صادق فيه، غير متكلف له، ولا متعمل في تحصيله.

" يكون متعلقه إيناس ضياء فضل " أي رؤية ذلك، والإيناس الرؤية. قال الله تعالى ﴿فلما قضى موسى

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٣١/٣

الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور نارا قال لأهله امكثوا إني آنست نارا﴾ [القصص: ٢٩] وليس هو مجرد الرؤية. بل رؤية ما يأنس به القلب، ويسكن إليه. ولا يقال لمن رأى عدوه أو مخوفا آنسه.
ومقصوده: أن هذا الوقت وقت وجد، صاحبه صادق فيه لرؤيته ضياء فضل الله ومنته عليه. والفضل هو العطاء الذي لا يستحقه المعطى، أو يعطى فوق استحقاقه. فإذا آنس هذا الفضل، وطالعه بقلبه: أثار ذلك فيه وجدا آخر، باعثا على محبة صاحب الفضل والشوق إلى لقائه، فإن النفوس مجبولة على حب من أحسن إليها.
ودخلت يوما على بعض أصحابنا، وقد حصل له وجد أبكاه. فسألته عنه؟ فقال: ذكرت ما من الله به علي من السنة ومعرفتها، والتخلص من شبه القوم وقواعدهم الباطلة، وموافقة العقل الصريح، والفطرة السليمة، لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم. فسرني ذلك حتى أبكاني.
فهذا الوجد أثاره إيناس فضل الله ومنته.
قوله " جذبه صفاء رجاء " أي جذب ذلك الوجد – أو الإيناس، أو الفضل – رجاء." (١)
"فلا يصلحونها، وهؤلاء أنساهم حظوظهم بحقوقه، وذكر ما سواه بذكره، والمقصود: أنه سبحانه أخذهم إليه وشغلهم به عنهم.
قوله: وألاح لهم لائحا أذهلهم عن إدراك ما هم فيه.
ألاح؛ أي: أظهر، والمعنى: أظهر لهم من معرفة جماله وجلاله لائحا ما لم تتسع قلوبهم بعده لإدراك شيء من أحوالهم ومقاماتهم، وهذا رقيقة من حال أهل الجنة، إذا تجلى لهم سبحانه وأراهم نفسه، فإنهم لا يشعرون في تلك الحال بشيء من النعيم، ولا يلتفتون إلى سواه ألبتة، كما صرح به في الحديث الصحيح في قوله: «فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه» .
والمعنى: أن هذا اللائح الذي ألاحه سبحانه لهم أذهلهم عن الشعور بغيره.
قوله: " هيمهم عن شهود ما هم له " يحتمل أن يكون مراده: أن هذا اللائح هيمهم عن شهود ما خلقوا له، فلم يبق فيهم اتساع للجمع بين الأمرين، وهذا وإن كان لقوة الوارد فهو دليل على ضعف المحل، حيث لم يتسع القلب معه لذكر ما خلق له، والكمال: أن يجتمع له الأمران.
ويحتمل أن يريد به: أن هذا اللائح غيبهم عن شهود أحوالهم التي هم لها في تلك الحال، فغابوا بمشهودهم عن شهودهم، وبمعروفهم عن معرفتهم، وبمعبودهم عن عبادتهم، فإن الهائم لا يشعر بما هو فيه ولا بحال

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ١٢٧/٣

نفسه، وفي الصحاح: الهيام كالجنون من **العشق**.

قوله: " وضن بحالهم عن علمهم " أي: بخل به، والمعنى لم يكن علمهم أن يدرك حالهم وما هم عليه،

قوله: " فاستسروا عنهم " أي: اختفوا حتى عن أنفسهم، فلم تعلم نفوسهم كيف هم؟ ولا تبادر بإنكار هذا، تكن ممن لا يصل إلى العنقود، فيقول: هو حامض.

قوله: مع شواهد تشهد لهم بصحة مقامهم.

يريد: أنهم لم يعطلوا أحكام العبودية في هذه الحال، فيكون ذلك شاهدا عليهم بفساد أحوالهم، بل لهم مع ذلك شواهد صحيحة، تشهد لهم بصحة مقاماتهم، وتلك الشواهد: هي القيام بالأمر وآداب الشريعة ظاهرا وباطنا.

قوله: عن قصد سابق، يهيجه غيب." (١)

"وفني بأمر الله عنهما، فتوسط بحر جمع السر والقلب والهم على الله، وجاوز حد التفرقة المانعة من امتثال هذا الأمر.

قوله: " ﴿فلما أسلما﴾ [الصافات: ١٠٣] " استسلما وانقادا لأمر الله، فلم يبق هناك منازعة لا من الوالد ولا من الولد، بل استسلام صرف وتسليم محض.

قوله: " ﴿وتله للجبين﴾ [الفاتحة: ١٠٣ - ٣١٨٧٠] " أي: صرعه على جبينه، وهو جانب الجبهة الذي يلي الأرض عند النوم، وتلك هي هيئة ما يراد ذبحه.

قوله: " توسط المقام " لا يريد به مقاما معينا، ولذلك أبهمه ولم يقيده و " المقام " عندهم: منزل من منازل السالكين، وهو يختلف باختلاف مراتبه، وله بداية وتوسط ونهاية، ف " الغرق " المشار إليه: أن يصير في وسط المقام.

فإن قيل: الغرق أخص بنهاية المقام من توسطه؛ لأنه استغراق فيه بحيث يستغرق قلبه وهمه، فكيف جعله الشيخ توسطا فيه؟

قلت: لما كانت همة الطالب في هذه الحال مجموعة على المقصود، وهو معرض عما سواه، قد فارق مقام التفرقة، وجاوز حدها إلى مقام الجمع، فابتدأ في المقام وأول كل مقام يشبه آخر الذي قبله فلما توسط فيه استغرق قلبه وهمه وإرادته، كما يغرق من توسط اللجة فيها قبل وصوله إلى آخرها.

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ١٧٤/٣

[درجات الغرق]

[الدرجة الأولى استغراق العلم في عين الحال]

قوله: وهو على ثلاث درجات؛ الدرجة الأولى: استغراق العلم في عين الحال، وهذا رجل قد ظفر بالاستقامة، وتحقق في الإشارة، فاستحق صحة النسبة.

هذه الدرجة التي بدأ بها هي أول درجاته؛ لأن الرجل قد يكون عالما بالشيء ولا يكون متصفا بالتخلق به واستعماله، فالعلم شيء والحال شيء آخر. فعلم العشق والصحة والشكر والعافية غير حصولها والاتصاف بها، فإذا غلب عليه حال تلك المعلومات صار علمه بها كالمغفول عنه، وليس بمغفول عنه، بل صار الحكم للحال.

فإن العبد يعرف الخوف من حيث العلم، ولكن إذا اتصف بالخوف وباشر الخوف قلبه غلب عليه حال الخوف والانزعاج، واستغرق علمه في حاله، فلم يذكر علمه لغلبة حاله عليه.." (١)

"قول سكران الفرح بوجد راحلته في المفازة، بعد أن استشعر الموت " اللهم أنت عبدي وأنا ربك " أخطأ من شدة فرحه، وسكرة الفرح فوق سكرة الشراب، فصور في نفسك حال فقير معدوم، عاشق للدنيا أشد العشق، ظفر بكنز عظيم، فاستولى عليه آمنا مطمئنا، كيف تكون سكرته؟ أو من غاب عنه غلامه بمال له عظيم مدة سنين، حتى أضر به العدم، فقدم عليه من غير انتظار له بماله كله، وقد كسب أضعافه؟ وقد يوجبه غضب شديد، يحول بين الغضبان وبين تمييزه، بل قد يكون سكر الغضب أقوى من سكر الطرب، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم «لا يقض القاضي بين اثنين وهو غضبان» ولا يستريب من شم رائحة الفقه أن الغضب إذا وصل بصاحبه إلى هذه الحال، فطلق لم يقع طلاقه، وقد نص الإمام أحمد على أن الإغلاق الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم «لا طلاق ولا عتاق في إغلاق» أنه الغضب، وقال أبو داود: أظنه الغضب، والشافعي سمى نذر اللجاج والغضب نذر الغلق؛ وذلك لأن الغضبان قد انغلق عليه باب القصد والتمييز بشدة غضبه، وإذا كان الإكراه غلقا فالغضب الشديد أولى أن يكون غلقا، وكذلك السكر غلق، والجنون غلق. فالغلق والإغلاق أيضا كلمة جامعة لمن انغلق عليه باب القصد والتمييز بسبب من الأسباب. وقد أشبعنا الكلام في هذا في كتابنا المسمى إغاثة اللهفان في طلاق الغضبان.." (٢)

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ١٩٦/٣

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٢٨٨/٣

"والحاصل: أن الفناء استغراق محض، والسكر معه لذة وطرب لا يتمالك صاحبها، ولا يقدر أن يفنى عنها.

والمقصود: أن السكر ليس من أعلى مقامات العارفين الواصلين؛ لأن أعلى مقاماتهم هو الفناء عنده، فمقامهم لا يقبل السكر.

قوله: " ومنازل العلم لا تبلغه " صحيح، فإن علم المحبة والشوق **والعشق** شيء وحال المحبة شيء آخر، والسكر لا ينشأ عن علم المحبة، وإنما ينشأ عن حالها، فكأنه يقول: السكر صفة وحالة نقص لمن مقامه فوق مقام العلم، ودون مقام الشهود والفناء، وهو مختص بالمحبة؛ لأن المحبة هي آخر منزلة يلتقي فيها مقدمة العامة وهم أهل طور العلم وساقة الخاصة وهم أهل طور الشهود والفناء فالبرزخ الحاصل بين المقامين: هو مقام المحبة، فاختص به السكر.

[فصل علامات السكر]

فصل

قال: وللسكر ثلاث علامات: الضيق عن الاشتغال بالخبر، والتعظيم قائم. واقتحام لجة الشوق، والتمكن دائم. والغرق في بحر السرور، والصبر هائم.

يريد: أن المحب تشغله شدة وجده بالمحبوب، وحضور قلبه معه، وذوبان جوارحه من شدة الحب عن سماع الخبر عنه، وهذا الكلام ليس على إطلاقه، فإن المحب الصادق أحب شيء إليه الخبر عن محبوبه وذكره، كما قال عثمان بن عفان رضي الله عنه: لو طهرت قلوبنا لما شبعت من كلام الله، وقال بعض العارفين: كيف يشبعون من كلام محبوبهم، وهو غاية مطلوبهم؟

والذي يريده الشيخ وأمثاله بهذا: أن المحب الصادق يمتلئ قلبه بالمحبة، فتكون هي الغالبة عليه، فتحمله غلبتها وتمكنها على أن لا يغفل عن محبوبه، ولا يشتغل قلبه بغيره ألبتة، فيسمع من الفارغين ما ورد في حق المحبين، ويسمع منهم أوصاف حبيبه والخبر عنه، فلا يكاد يصبر على أن يسمع ذلك أبدا، لضيق قلبه عن سماعه من قلب غافل، وإلا فلو سمع هذا الخبر ممن هو شريكه في شجوه وأنيسه في طريقه، وصاحبه في سفره لما ضاق عنه، بل لاتسع له غاية الاتساع فهذا وجه.

ووجه ثان وهو: أن السكران بالمحبة قد امتلأ قلبه بمشاهدة المحبوب،." (١)

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٣/٢٩١

"فاجتمعت قوى قلبه وهمه وإرادته عليه، ومعاني الخبر فيها كثرة، وانتقال من معنى إلى معنى، فقلبه يضيق في هذه الحال عنها حتى إذا صحا اتسع قلبه لها.

قوله: " والتعظيم قائم " أي: ضيق قلبه عن اشتغاله بالخبر ليس اطراحا له ورغبة عنه، وكيف؟ وهو خبر عن محبوبه واردا منه؟ بل لضيقه في تلك الحال عن الاشتغال به، وتعظيمه قائم في قلبه، فهو مشغول بوجده وحاله عما يفرقه عنه، وهذا يحسن إذا كان المشتغل به أحب إلى حبيبه من المشتغل عنه، فأما إذا كان ما أعرض عنه أحب إلى الحبيب مما اشتغل به فشرع المحبة يوجب عليه إيثار أعظم المحبوبين إلى حبيبه، وإلا كان مع نفسه ووجده ولذته.

قوله: " واقتحام لجة الشوق والتمكن دائم " اقتحام لجة الشوق: هو ركوب بحره، وتوسطه، لا الدخول في حاشيته وطرفه، والتمكن المشار إليه: هو لزوم أحكام العلم من العمل به، ولزوم أحكام الورع، والقيام بالأوراد الشرعية، فلزوم ذلك ودوامه علامة صحة الشوق.

قوله: " والغرق في بحر السرور، والصبر هائم " أي: يكون المحب غريقا في بحر السرور، ولا يفارقه السرور، حتى كأنه بحر قد غرق فيه، فكما أن الغريق لا يفارقه الماء، كذلك المحب لا يفارقه السرور، ومن ذاق مقام المحبة عرف صحة ما يقوله الشيخ، فإن نعيم المحبة في الدنيا رقيقه ولطيفه من نعيم الجنة في الآخرة، بل هو جنة الدنيا، فما طابت الدنيا إلا بمعرفة الله ومحبته، ولا الجنة إلا برؤيته ومشاهدته، فنعيم المحب دائم، وإن مزج بالآلام أحيانا، فلو عرف المشغولون بغير الحق سبحانه ما فيه أهل محبته، وذكره ومعرفته من النعيم لتقطعت قلوبهم حسرات، ولعلموا أن الذي حصلوه لا نسبة له إلى ما ضيعوه وحرموه.

كما قيل:

ولا خير في الدنيا ولا في نعيمها ... وأنت وحيد مفرد غير عاشق

وقال الآخر:

وما الناس إلا العاشقون ذوو الهوى ... ولا خير فيمن لا يحب ويعشق

وقال الآخر:

هل العيش إلا أن تروح وتغتدي ... وأنت بكأس العشق في الناس نشوان." (١)

"وقال الآخر:

وما تلفت إلا من العشق مهجتي ... وهل طاب عيش لامرئ غير عاشق

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٣/٢٩٢

وقال الآخر:

وما سرني أني خلي من الهوى ... ولو أن لي ما بين شرق ومغرب

وقال الآخر:

ولا خير في الدنيا بغير صبابة ... ولا في نعيم ليس فيه حبيب

وقال الآخر:

وما طابت الدنيا بغير محبة ... وأي نعيم لامرئ غير عاشق

وقال الآخر:

اسكن إلى سكن تلذ بحبه ... ذهب الزمان وأنت منفرد به

وقال الآخر:

إذا لم تذق في هذه الدار صبوة ... فموتك فيها والحياة سواء

وقال الآخر:

وما ذاق طعم العيش من لم يكن له ... حبيب إليه يطمئن ويسكن

وقال الآخر:

ولا خير في الدنيا إذا أنت لم تزر ... حبيبا ولا وافى إليك حبيب

قال الآخر:

يزور فتنجلي عني هموم ... لأن جلاء حزني في يديه

ويمضي بالمسرة حين يمضي ... لأن حوالتي فيها عليه

قال أبو المنجاب: رأيت في الطواف فتى نحيف الجسم، بين الضعف، يلوذ." (١)

"ففناء المعرفة في المعروف: هو غيبة العارف بمعروفه عن شعوره بمعرفته ومعانيها فيفنى به سبحانه عن وصفه هنا وما قام به، فإن المعرفة فعله ووصفه، فإذا استغرق في شهود المعروف فني عن صفة نفسه وفعلها، ولما كانت المعرفة فوق العلم وأخص منه كان فناء المعرفة في المعروف مستلزما لفناء العلم في المعرفة، فيفنى أولا في المعرفة ثم تفنى المعرفة في المعروف.

وأما فناء العيان في المعاين: فالعيان فوق المعرفة، فإن المعرفة مرتبة فوق العلم ودون العيان، فإذا انتقل من المعرفة إلى العيان فني عيانه في معاينه، كما فنيت معرفته في معروفه.

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٢٩٣/٣

وأما فناء الطلب في الوجود: فهو أن لا يبقى لصاحب هذا الفناء طلب؛ لأنه ظفر بالمطلوب المشاهد، وصار واجدا بعد أن كان طالبا، فكان إدراكه أولا علما، ثم قوي فصار معرفة، ثم قوي فصار عيانا، ثم تمكن فصار معرفة، ثم تمكن فصار وجودا.

ولعلك أن تستنكر - أو تستبعد - هذه الألفاظ ومعانيها، فاسمع ضرب مثل يهون عليك ذلك، ويقربه منك: مثل ملك - عظيم السلطان، شديد السطوة، تام الهيبة، قوي البأس - استدعى رجلا من رعيته قد اشتد جرمه وعصيانه له، فحضر بين يديه، وغلب على ظنه إتلافه، فأحواله في حال حضوره مختلفة بالنسبة إلى ما يشاهده، فتارة يتذكر جرمه وسطوة السلطان وقدرته عليه، فيفكر فيما سيلقاه، وتارة تقهره الحال التي هو فيها، فلا يذكر ما كان منه ولا ما أحضر من أجله، لغلبة الخوف على قلبه ويأسه من الخلاص، ولكن عقله وذهنه معه، وتارة يغيب قلبه وذهنه بالكلية فلا يشعر أين هو؟ ولا من إلى جانبه، ولا بما يراد به، وربما جرى على لسانه في هذه الحال ما لا يريده، فهذا فناء الخوف.

ومثال ثان في فناء الحب: محب استغرقت محبته شخصا في غاية الجمال والبهاء، وأكبر أمنيته الوصول إليه، ومحادثته ورؤيته، فبينا هو على حاله قد ملأ الحب قلبه، وقد استغرق فكره في محبوبه، وإذا به قد دخل عليه محبوبه بغتة على أحسن هيئة، فقابله قريبا منه، وليس دونه سواه، أفليس هذا حقيقا أن يفنى عن شهوده بمشهوده، بل وعن حبه بمحبوبه؟ فيملك عليه المحبوب سمعه وبصره وإرادته وإحساسه، ويغيب به عن ذاته وصفاته؟ وانظر إلى النسوة كيف قطعن أيديهن لما طلع عليهن يوسف، وشاهدن ذلك الجمال، ولم يتقدم لهن من عشقه ومحبته ما تقدم لامرأة العزيز، فأفناهن شهود جماله عن حالهن حتى قطعن أيديهن.." (١)

"حاكم، وعلى مشهود له، لا على شاهد، وعلى موزون، لا على ميزان.

ويا سبحان الله! هل يدل مجرد ذوق الشيء على حكمه، وأنه حق أو باطل؟ وهل جعل الله ورسوله الأذواق والمواجيد حججا وأدلة، يميز بها بين ما يحبه ويرضاه، وبين ما يكرهه ويسخطه؟ ولو كان ذلك كذلك: لاحتج كل مبطل على باطله بالذوق والوجد، كما تجده في كثير من أهل الباطل والإلحاد، فهؤلاء الاتحادية - وهم أكفر الخلق - يحتجون بالذوق والوجد على كفرهم وإلحادهم حتى ليقول قائلهم:

يا صاحبي أنت تنهاني وتأمرني ... والوجد أصدق نهاء وأمار

فإن أطعك وأعص الوجد رحت عم ... عن اليقين إلى أوهام أخبار

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٣٤٧/٣

وعين ما أنت تدعوني إليه إذا ... حققته بدل المنهي يا جار

ويقول هذا القائل: ثبت عندنا – بالكشف والذوق – ما يناقض صريح العقل، وكل معتقد لأمر جازم به، مستحسن له: يذوق طعمه، فالملحد يذوق طعم الاتحاد والانحلال من الدين، والرافضي يذوق طعم الرفض، ومعاداة خيار الخلق، والقدري يذوق طعم إنكار القدر، ويعجب ممن يثبته، والجبري عكسه، والمشرك يذوق طعم الشرك، حتى إنه ليستبشر إذا ذكر إلهه ومعبوده من دون الله، ويشمئز قلبه إذا ذكر الله وحده. وهذا الاحتجاج قد سلكه أرباب السماع المحدث الشيطاني، الذي هو محض شهوة النفس وهواها، واحتجوا على إباحة هذا السماع بما فيه من الذوق والوجد واللذة، وأنت تجد النصراني له في تثليثه ذوق، ووجد وحنين، بحيث لو عرض عليه أشد العذاب لاختاره، دون أن يفارق تثليثه، لما له فيه من الذوق.

وحينئذ، فيقال: هب أن الأمر كما تقول، وأن المتكلم المنكر لم يتكلم بلسان الذوق، فهل يصح أن يكون ذوق الذائق لذلك حجة صحيحة نافعة له بينه وبين الله؟ ولو فرضنا أن هذا المنكر قال: نعم، أنا محجوب عن الوصول إلى ما أنكرته، غير ذائق له، وأنت ذائق واصل، فما علامة ما ذقته، ووصلت إليه؟ وما الدليل عليه؟ وأنا لا أنكر ذوقك له ووجدك به، ولكن الشأن في المذوق لا في الذوق، وإذا ذاق المحب العاشق طعم محبته **وعشقه** لمحبوبه، ما كان غاية ذلك: إلا أن يدل على وجود محبته **وعشقه**، لا على كون ذلك نافعا له أو ضارا، أو موجبا لكماله أو نقصه، وبالله التوفيق.." (١)

"المقام الثانى: مقام الصبر إما لله وإما للمروءة الإنسانية

المقام الثالث: مقام الرضا وهو أعلى من مقام الصبر وفي وجوبه نزاع والسير متفق على وجوبه

المقام الرابع مقام الشكر وهو أعلى من مقام الرضا فإنه يشهد البلية نعمة فيشكر المبتلى عليها

وأما النوع الثانى وهو ما أصابه من قبل الناس فله فيه هذه المقامات ويضاف اليها أربعة أخر أحدها مقام العفو والصفح والثانى مقام سلامة القلب من ارادة التشفي والانتقام وفراغه من ألم مطالعة الجناية كل وقت وضيقه بها الثالث مقام شهود القدر وانه وان كان ظالما بإيصال هذا الأذى اليك فالذى قدره عليك وأجراه على يد هذا الظالم ليس بظالم وأذى الناس مثل الحر والبرد لا حيلة في دفعه فالمنسخط من أذى الحر والبرد غير حازم والكل جار بالقدر وان اختلفت طرقه وأسبابه

المقام الرابع مقام الإسحان إلى المسيء ومقابلة اساءته بإحسانك وفي هذا المقام من الفوائد والمصالح ما لا يعلمه الا الله فإن فات العبد هذا المقام العالى فلا يرضى لنفسه بأخس المقامات وأسفلها

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٣/٤١٠

فصل القسم الثالث ما يكون وروده باختياره فإذا تمكن لم يكن له اختيار ولا حيلة في دفعه وهذا **كالعشق** أوله اختيار وآخره اضطرار وكالتعرض لأسباب الأمراض والآلام التى لا حيلة في دفعها بعد مباشرة أسبابها كما لا حيلة في دفع السكر بعد تناول المسكر فهذا كان فرضه الصبر عنه في أوله فلما فاته بقى فرضه الصبر عليه في آخره وأن لا يطيع داعى هواه ونفسه وللشيطان ها هنا دسيسة عجيبة وهى أن يخيل اليه أن ينل بعض ما منع قد يتعين عليه أو يباح له على سبيل التداوى وغايته أن يكون كالتداوى بالخمر والنجاسة وقد أجازه كثير من الفقهاء وهذا من أعظم الجهل فإن هذا التداوى لا يزيل الداء بل يزيده ويقويه وكم ممن." (١)

"وفى المسند والسنن عن ابى ايوب رضى الله عنه قال سمعت رسول الله يقول: "انها ستفتح عليكم الامصار وتضربون فيها بعوثا فيكره الرجل منكم البعث فيخلص من قومه ويعرض نفسه على القبائل يقول من أكفيه بعث كذا وكذا إلا وذلك الأجير الى آخر قطرة من دمه" فانظر محبة الدنيا ماذا حرمت هذا المجاهد من المجاهدين من الأجر وأفسدت عليه عمله وجعلته أول الداخلين إلى النار

فصل: ورابعها أن محبتها تعترض بين العبد وبين فعل ما يعود عليه نفعه فى الآخرة لاشتغاله عنه بمحبوبه والناس ها هنا مراتب فمنهم من يشغله محبوبه عن الايمان وشرائعه ومنهم من يشغله عن الواجبات التى تجب عليه لله ولخلقه فلا يقوم بها ظاهرا ولا باطنا ومنهم من يشغله حبها عن كثير من الواجبات ومنهم من يشغله عن واجب يعارض تحصيلها وان قام بغيره ومنهم من يشغله عن القيام بالواجب فى الوقت الذى ينبغى على الوجه الذى ينبغى فيفرط فى وقته وفى حقوقه ومنهم من يشغله عن عبودية قلبه فى الواجب وتفريغه لله عند أدائه فيؤديه ظاهر الا باطنا وأين هذا من عشاق الدنيا ومحبيها هذا من أندرهم وأقل درجات حبها ان يشغل عن سعادة العبد وهو تفريغ القلب لحب الله ولسانه لذكره وجمع قلبه على لسانه وجمع لسانه وقلبه على ربه **فعشقها** ومحبتها تضر بالآخرة ولا بد كما أن محبة الآخرة تضر بالدنيا وفى هذا الحديث قد روى مرفوعا من أحب دنياه أضر بآخرته ومن أحب آخرته اضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى

فصل: وخامسها أن محبتها تجعلها أكثر هم العبد وقد روى الترمذى من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله: " من كانت الآخرة أكبر همه جعل الله غناه فى قلبه وجمع له شمله وأتته الدنيا

---

(١) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ابن القيم ص/٦٧

وهى راغمة ومن كانت الدنيا أكبر همه جعل الله فقره بين عينيه وفرق عليه شمله ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له".." (١)

"٣٢٠- وحديث "اتخذوا مع الفقراء أيادي فإن لهم دولة يوم القيامة وأي دولة".

٣٢١- وحديث "من عشق فعف فكتم فمات فهو شهيد" موضوع على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٣٢٢- وحديث "من أكل مع مغفور له غفر له" موضوع أيضا وغاية ما روي فيه أنه منام رآه بعض الناس.

٣٢٣- وحديث "من قص أظفاره مخالفا لم ير في عينيه رمدا" من أقبح الموضوعات.

٣٢٤- وحديث "إذا دعت أحدكم أمه وهو في الصلاة فليجب وإذا دعاه أبوه فلا يجب" يرويه عبد العزيز بن أبان القرشي الأموي قال البخاري: "تركوه" وقال ابن معين وغيره: "كذاب روى أحاديث موضوعة".

٣٢٥- وحديث جابر في التشهد وفي أوله "بسم الله التحيات لله" يرويه حميد بن الربيع عن أبي عاصم عن ابن جريج عن." (٢)

"اختاروا الضلالة على الهدى والغي على الرشاد، والقبيح على الحسن، والباطل على الحق، وأنهم اختاروا من العقائد أبطلها، ومن الأعمال أقبحها وأطبق على ذلك أساقفتهم وبتاركتهم ورهبانهم فضلا عن عوامهم.

(فصل) : ولم يقل أحد من المسلمين إن من ذكرتم من صغير وكبير وذكر وأنثى وحر وعبد وراهب وقسيس، كلهم تبين له الهدى، بل أكثرهم جهال بمنزلة الدواب السائمة، معرضون عن طلب الهدى فضلا عن تبيينه لهم، وهم مقلدون لرؤسائهم وكبرائهم وعلمائهم - وهم أقل القليل وهم الذين اختاروا الكفر على الإيمان بعد تبين الهدى.

وأي إشكال يقع للعقل في ذلك؟ فلم يزل في الناس من يختاره حسدا مع علمه ببطلانه كبرا، والباطل منهم يختاره جهلا وتقليدا لمن يحسن الظن به، ومنهم من يختاره حسدا وبغيا، ومنهم من يختاره طمعا ورغبة في مأكل أو جاه ورئاسة، ومنهم من يختاره محبة في صورة وعشقا، ومنهم من يختاره خشية، ومنهم من يختاره علوا، ومنهم من يختاره راحة ودعة، فلم تحصر أسباب اختيار الكفر في حب الرئاسة والمأكلة.

(١) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ابن القيم ص/٢٢٣

(٢) المنار المنيف في الصحيح والضعيف = نقد المنقول والمحك المميز بين المردود والمقبول ابن القيم ص/١٤٠

(فصل وأما المسألة الثانية)

[المسألة الثانية]

وهي قولكم: هب أنهم اختاروا الكفر لذلك، فهلا اتبع الحق من لا رئاسة له ولا مأكلة، إما اختيارا وإما قهرا؟

فجوابه من وجوه:

أحدها: أنا قد بينا أن أكثر من ذكرتم قد آمن بالرسول وصدقه اختيارا." (١)

"الحيوانات لا تلد إلا قائمة لأن أوصالها على خلاف أوصال الحيوان وهي عالية فتخاف أن تسقطه على الأرض فينصدع أو ينشق فتأتي ما وسطها تضعه فيه فيكون كالفراش اللين والوطاء الناعم ومن علم الذباب إذا سقط في مائع أن يتقي بالجناح الذي فيه الداء دون الآخر ومن علم الكلب إذا عاين الظباء أن يعرف المعتل من غيره والذكر من الأنثى فيقصد الذكر مع علمه بأن عدوه أشد وأبعد وثبة ويدع الأنثى على نقصان عدوها لأنه قد علم أن الذكر إذا عدا شوطا أو شوطين حقن ببوله وكل حيوان إذا اشتد فزعه فإنه يدركه الحقن وإذا حقن الذكر لم يستطع البول مع شدة العدو فيقل عدوه فيدركه كالكلب وأما الأنثى فتحذف بولها لسعة القبل وسهولة المخرج فيدوم عدوها ومن علمه أنه إذا كسا الثلج الأرض أن يتأمل الموضع الرقيق الذي قد انخسف فيعلم أن تحته جحر الأرنب فينبشه ويصطادها علما منه بأن حرارة أنفاسها تذيب بعض الثلج فيرق ومن علم الذئب إذا نام أن يجعل النوم نوبا بين عينيه فينام بإحداهما حتى إذا نعست الأخرى نام بها وفتح النائمة حتى قال بعض العرب:

ينام بإحدى مقلتيه ويتقي ... بأخرى المنايا فهو يقظان نائم

ومن علم العصفورة إذا سقط فرخها أن تستغيث فلا يبقى عصفور بجوارها حتى يجيء فيطيرون حول الفرخ ويحركونه بأفعالهم ويحدثون له قوة وهمة وحركة حتى يطير معهم قال بعض الصيادين: ربما رأيت العصفور على الحائط فأومئ بيدي كأني أرميه فلا يطير وربما أهويت إلى الأرض كأني أتناول شيئا فلا يتحرك فإن مسست بيدي أدنى حصاة أو حجر أو نواة طار قبل أن تتمكن منها يدي ومن علم الحمامة إذا حملت أن تأخذ هي والأب في بناء العش وأن يقيما له حروفا تشبه الحائط ثم يسخناه ويحدثا فيه طبيعة أخرى ثم يقلبان البيض في الأيام ومن قسم بينهما الحضانة والكد فأكثر ساعات الحضانة على الأنثى وأكثر ساعات

---

(١) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ابن القيم ٢٥٦/١

جلب القوت على الأب وإذا خرج الفرخ علما ضيق حوصلته عن الطعام فنفخا فيه نفخا متداركا حتى تتسع حوصلته ثم يزقانه اللعاب أو شيئا قبل الطعام وهو كاللبا للطفل ثم يعلمانه احتياج الحوصلة إلى دباغ فيزقانه من أصل الحيطان من شيء بين الملح والتراب تندبغ به الحوصلة فإذا اندبغت زقاه الحب فإذا علما أنه أطاق اللقط منعاه الزق على التدريج فإذا تكاملت قوته وسألهما الكفالة ضرباه ومن علمهما إذا أراد السفاد أن يبتدئ الذكر بالدعاء فتتطارد له الأنثى قليلا لتذيقه حلاوة المواصلة ثم تطيعه في نفسها ثم تمتنع بعض التمنع ليشتد طلبه وحبه ثم تتهادى وتتكسل وتريه معاطفها وتعرض محاسنها ثم يحدث بينهما من التغزل **والعشق** والتقبيل والرشف ما هو مشاهد بالعيان ومن علم المرسلة منها إذا سافرت ليلا أن تستدل ببطون الأودية ومجاري المياه والجبال ومهاب الريح ومطلع الشمس ومغربها فتستدل بذلك وبغيره إذا ضلت فإذا عرفت الطريق مرت كالريح ومن علم اللبب وهو صنف من العناكب أن يلطأ بالأرض ويجمع نفسه فيرى الذبابة أنه لاه عنها ثم يثب عليها وثوب الفهد ومن علم العنكبوت أن تنسج تلك الشبكة الرفيعة المحكمة وتجعل في أعلاها خيطا ثم تتعلق به فإذا تعرقلت البعوضة في الشبكة تدلت إليها فاصطادتها ومن علم الظبي أنه لا يدخل كناسة إلا مستدبرا ليستقبل بعينيه ما يخافه على نفسه وخشفه ومن علم السنور إذا رأى فأرة في السقف أن يرفع رأسه كالمشير إليها بالعود ثم يشير إليها بالرجوع وإنما يريد أن يدهشها فتزلق فتسقط ومن علم اليربوع أن يحفر بيته في سفح الوادي حيث يرتفع عن مجرى السيل ليسلم من مدق الحافر ومجرى الماء ويعمقه ثم يتخذ في زواياه." (١)

"عليهم حتى يجازيهم به وقول من قال أنه أعلامها بعلامة تعرفها بها الملائكة وقد بينا بطلان ذلك بما فيه كفاية، قالت القدرية: لا يلزم من الطبع والختم والقفل أن تكون مانعة من الإيمان بل يجوز أن يجعل الله فيهم ذلك من غير أن يكون منعهم من الإيمان بل يكون ذلك من جنس الغفلة والبلادة والغشا في البصر فيورث ذلك إعراضا عن الحق وتعاميا عنه ولو أنعم النظر وتفكر وتدبر لما آثر على الإيمان غيره وهذا الذي قالوه يجوز أن يكون في أول الأمر فإذا تمكن واستحكم من القلب ورسخ فيه امتنع معه الإيمان ومع هذا فهو أثر فعله وإعراضه وغفلته وإيثاره وشهوته وكبره على الحق والهدى فلما تمكن فيه واستحكم صار صفة راسخة وطبعا وختما وقفلا ورانا فكان مبداه غير حائل بينهم وبين الإيمان والإيمان ممكن معه لو شاؤا لآمنوا مع مبادئ تلك الموانع فلما استحكمت لم يبق إلى الإيمان سبيل ونظير هذا أن العبد يستحسن ما يهواه فيميل إليه بعض الميل ففي هذه الحال يمكن صرف الداعية له إذ الأسباب لم تستحكم فإذا استمر

(١) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ابن القيم ص/٧٦

على ميله واستدعى أسبابه واستمكنت لم يمكنه صرف قلبه عن الهوى والمحبة فيطبع على قلبه ويختم عليه فلا يبقى فيه محل لغير ما يهواه ويحبه وكان الانصراف مقدورا له في أول الأمر فلما تمكنت أسبابه لم يبق مقدورا له كما قال الشاعر:

تولع بالعشق حتى عشق ... فلما استقل به لم يطق

رأى لجة ظنها موجة ... فلما تمكن منها غرق

فلو أنهم بادروا في مبدأ الأمر إلى مخالفة الأسباب الصادة عن الهدى لسهل عليهم ولما استعصى عليهم ولقدروا عليه ونظير ذلك المبادرة إلى إزالة العلة قبل استحكام أسبابها ولزومها للبدن لزوما لا ينفك منها فإذا استحكمت العلة وصارت كالجزء من البدن عز على الطبيب استنقاذ العليل منها ونظير ذلك المتوحل في حمأة فإنه ما لم يدخل تحتها فهو قادر على التخلص فإذا توسط معظمها عز عليه وعلى غيره إنقاذه فمبادئ الأمور مقدورة للعبد فإذا استحكمت أسبابها وتمكنت لم يبق الأمر مقدور له فتأمل هذا الموضع حق التأمل فإنه من أنفع الأشياء في باب القدر والله الموفق للصواب والله سبحانه جاعل ذلك كله وخالقه فيهم بأسباب منهم وتلك الأسباب قد تكون أمورا عدمية يكفي فيها عدم مشيئة أضدادها فلا يشاء سبحانه أن يخلق للعبد أسباب الهدى فيبقى على العدم الأصلي وإن أراد من عبده الهداية فهي لا تحصل حتى يريد من نفسه إعانته وتوفيقه فإذا لم يرد سبحانه من نفسه ذلك لم تحصل الهداية.

فصل: ومما ينبغي أن يعلم أنه لا يمتنع مع الطبع والختم والقفل حصول الإيمان بأن يفك الذي ختم على القلب وطبع عليه وضرب عليه القفل ذلك الختم والطابع والقفل ويهديه بعد ضلاله ويعلمه بعد جهله ويرشده بعد غيه ويفتح قفل قلبه بمفاتيح توفيقه التي هي بيده حتى لو كتب على جبينه الشقاوة والكفر لم يمتنع أن يمحوها ويكتب عليه السعادة والإيمان وقرأ قارئ عند عمر بن الخطاب: ﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾ وعنده شاب فقال اللهم عليها أقفالها ومفاتيحها بيدك لا يفتحها سواك فعرفها له عمر وزادته عنده خيرا وكان عمر يقول في دعائه: "اللهم إن كنت كتبتني شقيا فامحني واكتبني سعيدا فإنك تمحو ما تشاء وتثبت" فالرب تعالى فعال لما يريد لا حجر عليه وقد ضل ههنا فريقان القدرية حيث زعمت أن ذلك ليس مقدورا للرب ولا يدخل تحت فعله إذ لو كان مقدورا له ومنعه العبد لناقض جوده ولطفه والجبرية حيث زعمت أنه سبحانه إذا قدر قدرا أو علم." (١)

---

(١) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ابن القيم ص/٩٠

"وقدرته في الطريق التي يصل بها إلى غاية صلاحه فإجراؤها في طريق هلاكه بمنزلة من أعطى عبده فرسا يركبها وأوقفه على طريق نجاة وهلكة وقال أجرها في هذه الطريق فعدل بها إلى الطريق الأخرى وأجراها فيها فغلبته بقوة رأسها وشدة سيرها وعز عليه ردها عن جهة جريها وحيل بينه وبين إدارتها إلى ورائها مع اختيارها وإرادتها فلو قلت كان ردها عن طريقها ممكنا له مقدورا أصبت وإن قلت لم يبق في هذه الحال بيده من أمرها شيء ولا هو متمكن أصبت بل قد حال بينه وبين ردها من يحول بين المرء وقلبه ومن يقلب أفئدة المعاندين وأبصارهم وإذا أردت فهم هذا على الحقيقة فتأمل حال من عرضت له سورة بارعة الجمال فدعاه حسنها إلى محبتها فنهاه عقله وذكره ما في ذلك من التلف والعطب وأراه مصارع العشاق عن يمينه وعن شماله ومن بين يديه ومن خلفه فعاد يعاود النظر مرة مرة ويحث نفسه على التعلق وقوة الإرادة ويحرض على أسباب المحبة ويدني الوقود من النار حتى إذا اشتعلت وشب ضرامها ورمت بشررها وقد أحاطت به طلب الخلاص قال له القلب هيهات لات حين مناص وأنشده:

تولع **بالعشق** حتى **عشق** ... فلما استقل به لم يطق

رأى لجة ظنها موجة ... فلما تمكن منها غرق

فكان الترك أولا مقدورا له لما لم يوجد السبب التام والإرادة الحازمة الموجبة للفعل فلما تمكن الداعي واستحكمت الإرادة قال المحب لعاذله:

يا عاذلي والأمر في يده ... هلا عذلت وفي يدي الأمر

فكان أول الأمر إرادة واختيار ومحبة ووسطه اضطرارا وآخره عقوبة وبلاء ومثل هذا برجل ركب فرسا لا يملكه راكبه ولا يتمكن من رده وأجراه في طريق ينتهي به إلى موضع هلاك فكان الأمر إليه قبل ركوبها فلما توسطت به الميدان خرج الأمر عن يده فلما وصلت به إلى الغاية حصل على الهلاك ويشبه هذا حال السكران الذي قد زال عقله إذا جني عليه في حال سكره لم يكن معذورا لتعاطيه السبب اختيارا فلم يكن معذورا بما ترتب عليه اضطرارا وهذا مأخذ من أوقع طلاقه من الأئمة ولهذا قالوا إذا زال عقله بسبب يعذر فيه لم يقع طلاقه فجعلوا وقوع الطلاق عليه من تمام عقوبته والذين لو يوقعوا الطلاق قولهم أفقه كما أفتى به عثمان بن عفان ولم يعلم له في الصحابة مخالف ورجع عليه الإمام أحمد واستقر عليه قوله فإن الطلاق ما كان عن وطر والسكران لا وطر له في الطلاق وقد حكم النبي صلى الله عليه وسلم بعدم عدم الطلاق في حال الغلق والسكر من الغلق كما أن الإكراه والجنون من الغلق بل قد نص الإمام أحمد وأبو عبيد وأبو داود على أن الغضب إغلاق وفسر به الإمام أحمد الحديث في رواية أبي طالب وهذا يدل على أن مذهبه

أن طلاق الغضبان لا يقع وهذا هو الصحيح الذي يفتى به إذا كان الغضب شديدا قد أغلق عليه قصده فإنه يصير بمنزلة السكران والمكره بل قد يكونان أحسن حالا منه فإن العبد في حال شدة غضبه يصدر منه ما لا يصدر من السكران من الأقوال والأفعال وقد أخبر الله سبحانه أنه لا يجيب دعاءه على نفسه وولده في هذا الحال ولو أجابه لقضى إليه أجله وقد عذر سبحانه من اشتد به الفرح بوجود راحلته في الأرض المهلكة بعدما يأس منها فقال اللهم أنت عبدي وأنا ربك ولم يجعله بذلك كافرا لأنه أخطأ بهذا القول من شدة الفرح فكمال." (١)

"أحدثتها ولا لعلمنا بأن لك نافع علما آخر أحدثه فالمرجح هو ما خلق عليه العبد وفطر عليه من صفاته القائمة به فالله سبحانه أنشأ العبد نشأة يتحرك فيها بالطبع فحركته بالإرادة والمشيئة من لوازم نشئه وكونه حيوانا فإرادته وميله من لوازم كونه حيا فأفعال العبد الخاصة به هي الدواعي والإرادات لا غير وما يقع بها من الأفعال شبيه بالفعل المتولد من حيث كان المتولد سببا وهذه الأفعال صادرة عن الدواعي التي عرفها العبد ابتداء من غير واسطة فاشتراكهما في أن كل واحد منهما مستند إلى فعل خاص بالعبد فهما متماثلان من هذه الجهة قال السني وهذا جواب باطل بأبطل منه ورد فاسد بأفسد منه ومعاذ الله والله أكبر وأجل وأعظم وأعز أن يكون في عبده شيء غير مخلوق له ولا هو داخل تحت قدرته ومشيئته فما قدر الله حق قدره من زعم ذلك ولا عرفه حق معرفته ولا عظمه حق تعظيمه بل العبد جسمه وروحه وصفاته وأفعاله ودواعيه وكل ذرة فيه مخلوق لله خلقا تصرف به في عبده وقد بينا أن قدرته وإرادته ودواعيه جزء من أجزاء سبب الفعل غير مستقل بإيجاده ومع ذلك فهذا الجزء مخلوق لله فيه فهو عبد مخلوق من كل وجه وبكل اعتبار وفقره إلى خالقه وبارئه من لوازم ذاته وقلبه بيد خالقه وبين أصبعين من أصابعه يقلبه كيف يشاء فيجعله مريدا لما شاء وقوعه منه كارها لما لم يشأ وقوعه فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ونعم والله سلسلة المرجحات تنتهي إلى أمر الله الكوني ومشيئته النافذة التي لا سبيل لمخلوق إلى الخروج عنها ولكن الجبر لفظ مجمل يراد به حق وباطل كما تقدم فإن أردتم به أن العبد مضطر في أفعاله وحركته في الصعود في السلم كحركته في وقوعه منه فهذا مكابرة للعقول والفطر وإن أردتم به أنه لا حول له ولا قوة إلا بربه وفاطره فنعم لا حول ولا قوة إلا بالله وهي كلمة عامة لا تخصيص فيها بوجه ما فالقوة والقدرة والحول بالله فلا قدرة له ولا فعل إلا بالله فلا ننكر هذا ولا نجحده لتسمية القدري له جبرا فليس الشأن في الأسماء: ﴿إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان﴾ فلا نترك لهذه الأسماء مقتضى العقل

---

(١) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ابن القيم ص/١٣٨

والإيمان والمحذور كل المحذور أن نقول أن الله يعذب عبده على ما لا صنع له فيه ولا قدرة له عليه ولا تأثير له في فعله بوجه ما بل يعذبه على فعله هو سبحانه وعلى حركته إذا سقط من علو إلى سفل نعم لا يمتنع أن يعذبه على ذلك إذ كان قد تعاطي أسبابه بإرادته ومحبته كما يعاقب السكران على ما جناه في حال سكره لتفريطه وعدوانه بارتكاب السبب وكما يعاقب العاشق الذي غلب على صبره وعقله وخرج الأمر عن يده لتفريطه السابق بتعاطي أسباب **العشق** وكما يعاقب الذي آل به إعراضه وبغضه للحق إلى أن صار طبعا وقفلا ورينا على قلبه فخرج الأمر عن يده وحيل بينه وبين الهدى فيعاقبه على ما لم يبق له قدرة عليه ولا إرادة بل هو ممنوع منه وعقوبته عليه عدل محض لا ظلم فيه بوجه ما، فإن قيل فهل يصير في هذه الحال مكلفا وقد حيل بينه وبين ما أمر به وصد عنه ومنع منه أم يزول التكليف، قيل ستقف على الجواب الشافي إن شاء الله عن هذا السؤال في باب القول في تكليف ما لا يطاق قريبا فإنه سؤال جيد إذ المقصود ههنا الكلام في الجبر وما في لفظه من الإجمال وما في معناه من الهدى والضلال.

فصل: قال الجبري: إذا صدر من العبد حركة معينة فإما أن تكون مقدورة للرب وحده أو العبد وحده أو للرب والعبد أو لا للرب ولا للعبد وهذا القسم الأخير باطل قطعا والأقسام." (١)

"من ربه إذا انكسر قلبه، ورحمة ربه عندئذ قريبة منه، فإن كان وليا له حصل له من الأغذية القلبية ما تقوى به قوى طبيعته، وتنتعش به قواه أعظم من قوتها، وانتعاشها بالأغذية البدنية، وكلما قوي إيمانه وحبه لربه وأنسه به وفرحه به وقوي يقينه بربه، واشتد شوقه إليه ورضاه به وعنه، وجد في نفسه من هذه القوة ما لا يعبر عنه، ولا يدركه وصف طبيب، ولا يناله علمه.

ومن غلظ طبعه وكثفت نفسه عن فهم هذا والتصديق به، فلينظر حال كثير من عشاق الصور الذين قد امتلأت قلوبهم بحب ما **يعشقونه** من صورة، أو جاه أو مال أو علم، وقد شاهد الناس من هذا عجائب في أنفسهم وفي غيرهم.

وقد ثبت في " الصحيح ": «عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يواصل في الصيام الأيام ذوات العدد، وينهى أصحابه عن الوصال ويقول: (لست كهيئتكم إني أظل يطعمني ربي ويسقيني»)

ومعلوم أن هذا الطعام والشراب ليس هو الطعام الذي يأكله الإنسان بفمه، وإلا لم يكن مواصلا ولم يتحقق الفرق، بل لم يكن صائما، فإنه قال: («أظل يطعمني ربي ويسقيني»)

وأيضا فإنه فرق بينه وبينهم في نفس الوصال، وأنه يقدر منه على ما لا يقدرون عليه، فلو كان يأكل ويشرب

---

(١) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ابن القيم ص/١٤٤

بفمه لم يقل لست كهيئتكم، وإنما فهم هذا من الحديث من قل نصيبه من غذاء الأرواح والقلوب، وتأثيره في القوة وإنعاشها، واغتذائها به فوق تأثير الغذاء الجسماني، والله الموفق.." (١)

"ويسخنها باعتدال، ويفتح سددها، ويفعل مثل ذلك بالكبد والكلى والمثانة، وهو أنفع للمعدة من كل حلو دخلها، وإنما يضر بالعرض لصاحب الصفراء لحدته وحدة الصفراء، فربما هيجها، ودفع مضرته لهم بالخل، فيعود حينئذ لهم نافعا جدا، وشربه أنفع من كثير من الأشربة المتخذة من السكر أو أكثرها، ولا سيما لمن لم يعتد هذه الأشربة، ولا ألفها طبعه، فإنه إذا شربها لا تلائمه ملاءمة العسل، ولا قريبا منه، والمحكم في ذلك العادة، فإنها تهدم أصولا، وتبني أصولا.

وأما الشراب إذا جمع وصفي الحلاوة والبرودة، فمن أنفع شيء للبدن، ومن أكبر أسباب حفظ الصحة، وللأرواح والقوى والكبد والقلب عشق شديد له، واستمداد منه، وإذا كان فيه الوصفان، حصلت به التغذية، وتنفيذ الطعام إلى الأعضاء، وإيصاله إليها أتم تنفيذ.

والماء البارد رطب يقمع الحرارة، ويحفظ على البدن رطوباته الأصلية، ويرد عليه بدل ما تحلل منها، ويرقق الغذاء وينفذه في العروق.

واختلف الأطباء هل يغذي البدن؟ على قولين: فأثبتت طائفة التغذية به بناء على ما يشاهدونه من النمو والزيادة والقوة في البدن به، ولا سيما عند شدة الحاجة إليه.

قالوا: وبين الحيوان والنبات قدر مشترك من وجوه عديدة منها: النمو والاغتذاء والاعتدال، وفي النبات قوة حس تناسبه، ولهذا كان غذاء النبات بالماء، فما ينكر أن يكون للحيوان به نوع غذاء، وأن يكون جزءا من غذائه التام.

قالوا: ونحن لا ننكر أن قوة الغذاء ومعظمه في الطعام، وإنما أنكرنا أن لا يكون للماء تغذية البتة. قالوا: وأيضا الطعام إنما يغذي بما فيه من المائية، ولولاها لما حصلت به التغذية.." (٢)

"ويوسع المجاري ويجعلها مستعدة للفضلات المؤذية.

وأنفع أوقاته ما كان بعد انهضام الغذاء في المعدة، وفي زمان معتدل لا على جوع، فإنه يضعف الحار الغريزي، ولا على شبع، فإنه يوجب أمراضا شديدة، ولا على تعب، ولا إثر حمام، ولا استفراغ، ولا انفعال نفساني كالغم والهم والحزن وشدة الفرح.

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد ابن القيم ٨٦/٤

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد ابن القيم ٢٠٦/٤

وأجود أوقاته بعد هزيع من الليل إذا صادف انهضام الطعام، ثم يغتسل أو يتوضأ، وينام عليه، وينام عقبه، فتراجع إليه قواه، وليحذر الحركة والرياضة عقبه، فإنها مضرة جدا.

[فصل هديه صلى الله عليه وسلم في علاج العشق]

فصل

في هديه - صلى الله عليه وسلم - في علاج العشق

هذا مرض من أمراض القلب، مخالف لسائر الأمراض في ذاته وأسبابه وعلاجه، وإذا تمكن واستحكم، عز على الأطباء دواؤه، وأعيا العليل داؤه، وإنما حكاه الله سبحانه في كتابه عن طائفتين من الناس: من النساء، وعشاق الصبيان المردان، فحكاه عن امرأة العزيز في شأن يوسف، وحكاه عن قوم لوط، فقال تعالى إخبارا عنهم لما جاءت الملائكة لوطا: ﴿وجاء أهل المدينة يستبشرون - قال إن هؤلاء ضيفي فلا تفضحون - واتقوا الله ولا تخزون - قالوا أولم ننهك عن العالمين - قال هؤلاء بناتي إن كنتم فاعلين - لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون﴾ [الحجر: ٦٧ - ٧٢] [الحجر: ٦٨:٧٣] .

وأما ما زعمه بعض من لم يقدر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حق قدره أنه ابتلي به في شأن زينب بنت جحش، وأنه رآها فقال: («سبحان مقلب القلوب») . وأخذت بقلبه، وجعل يقول لزيد بن حارثة: أمسكها حتى أنزل الله عليه: ﴿وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه﴾ [الأحزاب: ٣٧]." (١)

"[الأحزاب: ٣٧] ، فظن هذا الزاعم أن ذلك في شأن العشق، وصنف بعضهم كتابا في العشق، وذكر فيه عشق الأنبياء، وذكر هذه الواقعة، وهذا من جهل هذا القائل بالقرآن وبالرسل، وتحميله كلام الله ما لا يحتمله، ونسبته رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى ما برأه الله منه، فإن زينب بنت جحش كانت تحت زيد بن حارثة، وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد تبناه، وكان يدعى زيد بن محمد، وكانت زينب فيها شمم وترفع عليه، فشاور رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في طلاقها، فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم: ﴿أمسك عليك زوجك واتق الله﴾ [الأحزاب: ٣٧] ، وأخفى في نفسه أن يتزوجها إن طلقها زيد، وكان يخشى من قالة الناس أنه تزوج امرأة ابنه؛ لأن زيدا كان يدعى ابنه، فهذا هو الذي أخفاه في نفسه، وهذه هي الخشية من الناس التي وقعت له.

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد ابن القيم ٤/٢٤٤

ولهذا ذكر سبحانه هذه الآية يعدد فيها نعمه عليه لا يعاتبه فيها، وأعلمه أنه لا ينبغي له أن يخشى الناس فيما أحل الله له، وأن الله أحق أن يخشاه، فلا يتحرج ما أحله له لأجل قول الناس، ثم أخبره أنه سبحانه زوجه إياها بعد قضاء زيد وطره منها لتقتدي أمته به في ذلك، ويتزوج الرجل بامرأة ابنه من التبني، لا امرأة ابنه لصلبه، ولهذا قال في آية التحريم: ﴿وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم﴾ [النساء: ٢٣]." (١)
"[النساء: ٢٣] .

وقال في هذه السورة: ﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم﴾ [الأحزاب: ٤٠] [الأحزاب: ٤٠] ، وقال في أولها: ﴿وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم﴾ [الأحزاب: ٤] [الأحزاب: ٤] ، فتأمل هذا الذب عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ودفع طعن الطاعنين عنه، وبالله التوفيق.

نعم كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يحب نساءه، وكان أحبهن إليه عائشة - رضي الله عنها، ولم تكن تبلغ محبته لها ولا لأحد سوى ربه نهاية الحب، بل صح أنه قال: («لو كنت متخذا من أهل الأرض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا») وفي لفظ: («وإن صاحبكم خليل الرحمن») .

[فصل الإخلاص سبب لدفع العشق]

فصل

وعشق الصور إنما تبتلى به القلوب الفارغة من محبة الله تعالى، المعرضة عنه المتعوضة بغيره عنه، فإذا امتلأ القلب من محبة الله والشوق إلى لقائه، دفع ذلك عنه مرض عشق الصور، ولهذا قال تعالى في حق يوسف ﴿كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين﴾ [يوسف: ٢٤] [يوسف: ٢٤] ، فدل على أن الإخلاص سبب لدفع العشق وما يترتب عليه من السوء والفحشاء التي هي ثمرته ونتيجته، فصرف المسبب صرف لسببه، ولهذا قال بعض السلف: العشق حركة قلب فارغ، يعني فارغا مما سوى معشوقه.

قال تعالى: ﴿وأصبح فؤاد أم موسى فارغا إن كادت لتبدي به﴾ [القصص: ١٠] [القصص: ١١] أي فارغا من كل شيء إلا من موسى لفرط محبتها له، وتعلق قلبها به.." (٢)

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد ابن القيم ٢٤٥/٤

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد ابن القيم ٢٤٦/٤

"[علة العشق]

والعشق مركب من أمرين: استحسان للمعشوق، وطمع في الوصول إليه، فمتى انتفى أحدهما انتفى العشق، وقد أعيت علة العشق على كثير من العقلاء، وتكلم فيها بعضهم بكلام يرغب عن ذكره إلى الصواب.

فنقول: قد استقرت حكمة الله - عز وجل - في خلقه وأمره على وقوع التناسب والتآلف بين الأشباه، وانجذاب الشيء إلى موافقه ومجانسه بالطبع، وهروبه من مخالفه، ونفرته عنه بالطبع، فسر التمازج والاتصال في العالم العلوي والسفلي، إنما هو التناسب والتشاكل، والتوافق، وسر التباين والانفصال إنما هو بعدم التشاكل والتناسب، وعلى ذلك قام الخلق والأمر، فالمثل إلى مثله مائل، وإليه صائر، والضد عن ضده هارب وعنه نافر، وقد قال تعالى: ﴿هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها﴾ [الأعراف: ١٨٩] [الأعراف: ١٨٩] ، فجعل سبحانه علة سكون الرجل إلى امرأته كونها من جنسه وجوهره، فعلة السكون المذكور - وهو الحب - كونها منه، فدل على أن العلة ليست بحسن الصورة، ولا الموافقة في القصد والإرادة، ولا في الخلق والهدي، وإن كانت هذه أيضا من أسباب السكون والمحبة.

وقد ثبت في " الصحيح " عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: («الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف») ، وفي " مسند الإمام أحمد "، وغيره في سبب هذا الحديث: أن امرأة بمكة كانت تضحك الناس، فجاءت إلى المدينة، فنزلت على امرأة تضحك الناس، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم: («الأرواح جنود مجندة») الحديث.." (١)

"[أنواع المحبة]

والمحبة أنواع متعددة: فأفضلها وأجلها: المحبة في الله ولله، وهي تستلزم محبة ما أحب الله، وتستلزم محبة الله ورسوله.

ومنها محبة الاتفاق في طريقة، أو دين، أو مذهب، أو نحلة أو قرابة، أو صناعة، أو مراد ما.

ومنها: محبة لنيل غرض من المحبوب، إما من جاهه أو من ماله أو من تعليمه وإرشاده، أو قضاء وطر منه، وهذه هي المحبة العرضية التي تزول بزوال موجبها، فإن من ودك لأمر، ولى عنك عند انقضائه.

وأما محبة المشاكلة والمناسبة التي بين المحب والمحبوب، فمحبة لازمة لا تزول إلا لعارض يزيلها، ومحبة العشق من هذا النوع، فإنها استحسان روحاني، وامتزاج نفساني، ولا يعرض في شيء من أنواع المحبة من الوسواس والنحول، وشغل البال، والتلف ما يعرض من العشق.

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد ابن القيم ٤/٢٤٧

[سبب كون العشق أحيانا من طرف واحد]

فإن قيل: فإذا كان سبب العشق ما ذكرتم من الاتصال والتناسب الروحاني، فما باله لا يكون دائما من الطرفين، بل تجده كثيرا من طرف العاشق وحده، فلو كان سببه الاتصال النفسي والامتزاج الروحاني، لكانت المحبة مشتركة بينهما.

فالجواب: أن السبب قد يتخلف عنه مسببه لفوات شرط، أو لوجود مانع، وتخلف المحبة من الجانب الآخر لا بد أن يكون لأحد ثلاثة أسباب:

الأول: علة في المحبة، وأنها محبة عرضية لا ذاتية، ولا يجب الاشتراك في المحبة العرضية، بل قد يلزمها نفرة من المحبوب.

الثاني: مانع يقوم بالمحب يمنع محبة محبوبه له، إما في خلقه، أو في خلقه أو هديه أو فعله، أو هيئته أو غير ذلك.." (١)

"الثالث: مانع يقوم بالمحبوب يمنع مشاركته للمحب في محبته، ولولا ذلك المانع، لقام به من المحبة لمحبه مثل ما قام بالآخر، فإذا انتفت هذه الموانع، وكانت المحبة ذاتية، فلا يكون قط إلا من الجانبين، ولولا مانع الكبر والحسد، والرياسة والمعاداة في الكفار، لكانت الرسل أحب إليهم من أنفسهم وأهليهم وأموالهم، ولما زال هذا المانع من قلوب أتباعهم، كانت محبتهم لهم فوق محبة الأنفس والأهل والمال.

[فصل علاج العشق بالزواج بالمعشوق]

فصل

والمقصود: أن العشق لما كان مرضا من الأمراض، كان قابلا للعلاج، وله أنواع من العلاج، فإن كان مما للعاشق سبيل إلى وصل محبوبه شرعا وقدرا، فهو علاجه، كما ثبت في " الصحيحين " من حديث ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: («يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء») . فدل المحب على علاجين: أصلي، وبدلي. وأمره بالأصلي، وهو العلاج الذي وضع لهذا الداء، فلا ينبغي العدول عنه إلى غيره ما وجد إليه

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد ابن القيم ٤/٢٤٩

سبيلا.

وروى ابن ماجه في " سننه " عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: («لم نر للمتحابين مثل النكاح») ، وهذا هو المعنى الذي أشار إليه سبحانه عقيب إحلال النساء حرائرهن وإمائهن عند الحاجة بقوله: ﴿يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا﴾ [النساء: ٢٨] [النساء: ٢٨] . فذكر تخفيفه في هذا الموضع، وإخباره عن ضعف الإنسان يدل على ضعفه عن احتمال هذه الشهوة، وأنه – سبحانه – خفف عنه أمرها بما أباحه له من أطايب النساء مثنى وثلاث ورباع، وأباح له ما شاء مما ملكت يمينه، ثم أباح له أن يتزوج بالإماء إن احتاج." (١)

"إلى ذلك علاجا لهذه الشهوة وتخفيفا عن هذا الخلق الضعيف ورحمة به.

[فصل من علاجه إشعار النفس اليأس منه إن كان الوصال متعذرا قدرا وشرعا]

فصل

وإن كان لا سبيل للعاشق إلى وصال معشوقه قدرا أو شرعا، أو هو ممتنع عليه من الجهتين، وهو الداء العضال، فمن علاجه إشعار نفسه اليأس منه، فإن النفس متى يئست من الشيء، استراحت منه، ولم تلتفت إليه، فإن لم يزل مرض **العشق** مع اليأس، فقد انحرف الطبع انحرافا شديدا، فينتقل إلى علاج آخر، وهو علاج عقله بأن يعلم بأن تعلق القلب بما لا مطمع في حصوله نوع من الجنون، وصاحبه بمنزلة من **يعشق** الشمس، وروحه متعلقة بالصعود إليها والدوران معها في فلكها، وهذا معدود عند جميع العقلاء في زمرة المجانين.

[إن كان الوصال متعذرا شرعا فعلاجه إنزاله منزلة المتعذر قدرا وذكر علاجات أخرى]

وإن كان الوصال متعذرا شرعا لا قدرا، فعلاجه بأن ينزله منزلة المتعذر قدرا، إذ ما لم يأذن فيه الله، فعلاج العبد ونجاته موقوف على اجتنابه، فليشعر نفسه أنه معدوم ممتنع لا سبيل له إليه، وأنه بمنزلة سائر المحالات، فإن لم تجبه النفس الأمارة، فليتركه لأحد أمرين: إما خشية، وإما فوات محبوب هو أحب إليه، وأنفع له، وخير له منه، وأدوم لذة وسرورا، فإن العاقل متى وازن بين نيل محبوب سريع الزوال بفوات محبوب أعظم منه، وأدوم، وأنفع وألذ، أو بالعكس، ظهر له التفاوت، فلا تبع لذة الأبد التي لا خطر لها بلذة ساعة

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد ابن القيم ٤/٢٥٠

تنقلب آلاما، وحقيقتها أنها أحلام نائم، أو خيال لا ثبات له، فتذهب اللذة، وتبقى التبعة، وتزول الشهوة، وتبقى الشقوة.

الثاني: حصول مكروه أشق عليه من فوات هذا المحبوب، بل يجتمع له الأمران، أعني: فوات ما هو أحب إليه من هذا المحبوب، وحصول ما هو أكره إليه من فوات هذا المحبوب، فإذا تيقن أن في إعطاء النفس حظها من هذا المحبوب هذين الأمرين، هان عليه تركه، ورأى أن صبره على فوته أسهل من صبره عليهما بكثير، فعقله ودينه، ومروءته وإنسانيته، تأمره باحتمال الضرر." (١)

"اليسير الذي ينقلب سريعا لذة وسرورا وفرحا لدفع هذين الضررين العظيمين. وجهله وهواه، وظلمه وطيشه، وخفته يأمره بإيثار هذا المحبوب العاجل بما فيه جالبا عليه ما جلب، والمعصوم من عصمه الله.

فإن لم تقبل نفسه هذا الدواء، ولم تطاوعه لهذه المعالجة، فلينظر ما تجلب عليه هذه الشهوة من مفاسد عاجلته، وما تمنعه من مصالحها، فإنها أجلب شيء لمفاسد الدنيا، وأعظم شيء تعطيلا لمصالحها، فإنها تحول بين العبد وبين رشده الذي هو ملاك أمره، وقوام مصالحه.

فإن لم تقبل نفسه هذا الدواء، فليتذكر قبائح المحبوب، وما يدعوه إلى النفرة عنه، فإنه إن طلبها وتأملها، وجدها أضعاف محاسنه التي تدعو إلى حبه، وليسأل جيرانه عما خفي عليه منها، فإنها المحاسن، كما هي داعية الحب والإرادة، فالمساوئ داعية البغض والنفرة، فليوازن بين الداعيين، وليحب أسبقهما وأقربهما منها بابا، ولا يكن ممن غره لون جمال على جسم أبرص مجذوم، وليجاوز بصره حسن الصورة إلى قبح الفعل، وليعبر من حسن المنظر والجسم إلى قبح المخبر والقلب.

فإن عجزت عنه هذه الأدوية كلها لم يبق له إلا صدق اللجأ إلى من يجيب المضطر إذا دعاه، وليطرح نفسه بين يديه على بابه مستغيثا به، متضرعا متذللا، مستكينا، فمتى وفق لذلك فقد قرع باب التوفيق، فليعف وليكتم، ولا يشبب بذكر المحبوب، ولا يفضحه بين الناس ويعرضه للأذى، فإنه يكون ظالما معتديا.

[بطلان حديث " من عشق فعف ... "]

ولا يغتر بالحديث الموضوع على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – رواه سويد بن سعيد، عن علي بن مسهر، عن أبي يحيى القتات، عن مجاهد، عن ابن عباس – رضي الله عنهما – عن النبي – صلى الله

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد ابن القيم ٤/٢٥١

عليه وسلم. ورواه عن أبي مسهر أيضا، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، عن النبي – صلى الله عليه وسلم، ورواه الزبير بن بكار، عن عبد الملك بن عبد." (١)

"العزيز بن الماجشون، عن عبد العزيز بن أبي حازم، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس – رضي الله عنهما – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: («من **عشق**، فعف فمات، فهو شهيد») ، وفي رواية: («من **عشق** وكتم وعف وصبر، غفر الله له وأدخله الجنة») .

فإن هذا الحديث لا يصح عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم، ولا يجوز أن يكون من كلامه، فإن الشهادة درجة عالية عند الله، مقرونة بدرجة الصديقية، ولها أعمال وأحوال، هي شرط في حصولها، وهي نوعان: عامة وخاصة، فالخاصة: الشهادة في سبيل الله.

والعامة خمس مذكورة في " الصحيح " ليس **العشق** واحدا منها.." (٢)

"وكيف يكون **العشق** الذي هو شرك في المحبة، وفراغ القلب عن الله، وتمليك القلب والروح، والحب لغيره تنال به درجة الشهادة، هذا من المحال، فإن إفساد **عشق** الصور للقلب فوق كل إفساد، بل هو خمر الروح الذي يسكرها، ويصدها عن ذكر الله وحبه، والتلذذ بمناجاته، والأنس به، ويوجب عبودية القلب لغيره، فإن قلب العاشق متعبد لمعشوقه، بل **العشق** لب العبودية، فإنها كمال الذل والحب والخضوع والتعظيم، فكيف يكون تعبد القلب لغير الله مما تنال به درجة أفاضل الموحدين وساداتهم، وخواص الأولياء، فلو كان إسناد هذا الحديث كالشمس، كان غلطا ووهما، ولا يحفظ عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لفظ **العشق** في حديث صحيح البتة.

ثم إن **العشق** منه حلال، ومنه حرام، فكيف يظن بالنبي – صلى الله عليه وسلم – أنه يحكم على كل عاشق يكتم ويعف بأنه شهيد، فترى من **يعشق** امرأة غيره، أو **يعشق** المردان والبغايا، ينال **بعشقه** درجة الشهداء، وهل هذا إلا خلاف المعلوم من دينه – صلى الله عليه وسلم – بالضرورة؟ كيف **والعشق** مرض من الأمراض التي جعل الله سبحانه لها الأدوية شرعا وقدرا، والتداوي منه إما واجب إن كان **عشقا** حراما، وإما مستحب.

وأنت إذا تأملت الأمراض والآفات التي حكم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لأصحابها بالشهادة،

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد ابن القيم ٢٥٢/٤

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد ابن القيم ٢٥٣/٤

وجدتها من الأمراض التي لا علاج لها، كالمطعون والمبطون، والمجنوب والغريق، وموت المرأة يقتلها ولدها في بطنها، فإن هذه." (١)

"بلايا من الله لا صنع للعبد فيها، ولا علاج لها، وليست أسبابها محرمة، ولا يترتب عليها من فساد القلب وتعبده لغير الله ما يترتب على **العشق**، فإن لم يكف هذا في إبطال نسبة هذا الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلد أئمة الحديث العالمين به وبعلله، فإنه لا يحفظ عن إمام واحد منهم قط أنه شهد له بصحة، بل ولا بحسن، كيف وقد أنكروا على سويد هذا الحديث، ورموه لأجله بالعظائم، واستحل بعضهم غزوه لأجله.

قال أبو أحمد بن عدي في "كامله ": هذا الحديث أحد ما أنكر على سويد، وكذلك قال البيهقي: إنه مما أنكر عليه وكذلك قال ابن طاهر في " الذخيرة " وذكره الحاكم في " تاريخ نيسابور " وقال: أنا أتعجب من هذا الحديث، فإنه لم يحدث به عن غير سويد، وهو ثقة، وذكره أبو الفرج بن الجوزي في كتاب " الموضوعات "، وكان أبو بكر الأزرق يرفعه أولا عن سويد، فعوتب فيه، فأسقط النبي صلى الله عليه وسلم وكان لا يجاوز به ابن عباس رضي الله عنهما.

ومن المصائب التي لا تحتمل جعل هذا الحديث من حديث هشام بن عروة عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها، عن النبي صلى الله عليه وسلم.

ومن له أدنى إلمام بالحديث وعلله، لا يحتمل هذا البتة، ولا يحتمل أن يكون من حديث الماجشون عن ابن أبي حازم، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا، وفي صحته موقوفا على ابن عباس نظر، وقد رمى الناس سويد بن سعيد راوي هذا الحديث بالعظائم، وأنكره عليه يحيى بن معين وقال: هو ساقط كذاب، لو كان لي فرس ورمح كنت أغزوه، وقال الإمام أحمد: متروك الحديث، وقال النسائي: ليس بثقة وقال البخاري: كان قد عمي فيلقن ما ليس من حديثه، وقال ابن حبان: يأتي بالمعضلات عن الثقات يجب مجانبة ما روى. انتهى.

وأحسن ما قيل فيه قول أبي حاتم الرازي: إنه صدوق كثير التدليس، ثم قول الدارقطني: هو ثقة غير أنه لما كبر كان ربما قرئ عليه حديث فيه بعض النكارة فيجيزه انتهى.

وعيب على مسلم." (٢)

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد ابن القيم ٤/٢٥٤

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد ابن القيم ٤/٢٥٥

"الذريرة ومنافعها وماهيتها، فلا حاجة لإعادته.

[ذباب]

: تقدم في حديث أبي هريرة المتفق عليه في أمره صلى الله عليه وسلم بغمس الذباب في الطعام إذا سقط فيه لأجل الشفاء الذي في جناحه، وهو كالترياق للسم الذي في الجناح الآخر، وذكرنا منافع الذباب هناك.

[ذهب]

: روى أبو داود، والترمذي: " أن النبي صلى الله عليه وسلم («رخص لعرفجة بن أسعد لما قطع أنفه يوم الكلاب، واتخذ أنفا من ورق، فأنتن عليه، فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يتخذ أنفا من ذهب») .
وليس لعرفجة عندهم غير هذا الحديث الواحد.
الذهب: زينة الدنيا، وطلسم الوجود، ومفرح النفوس، ومقوي الظهور، وسر الله في أرضه، ومزاجه في سائر الكيفيات، وفيه حرارة لطيفة تدخل في سائر المعجونات اللطيفة والمفرحات، وهو أعدل المعادن على الإطلاق وأشرفها.
ومن خواصه أنه إذا دفن في الأرض، لم يضره التراب، ولم ينقصه شيئا، وبرادته إذا خلطت ب ا لأدوية، نفعت من ضعف القلب، والرجفان العارض من السوداء، وينفع من حديث النفس، والحزن، والغم، والفزع، **والعشق**، ويسمن البدن، ويقويه، ويذهب الصفار، ويحسن اللون، وينفع من الجذام، وجميع الأوجاع والأمراض السوداوية، ويدخل بخاصية في أدوية داء الثعلب، وداء الحية شربا وطلاء، ويجلو العين ويقويها، وينفع من كثير من أمراضها، ويقوي جميع الأعضاء.." (١)

"هذا وتأمله هان عليه ترك الهوى المردي واعتاض عنه بالنافع المجدي وعرف حكمة الله ورحمته وتمام نعمته على عباده فيما أمرهم به ونهاهم عنه وفيما أباحه لهم وأنه لم يأمرهم بما أمرهم به حاجة منه إليهم ولا نهاهم عنه بخلا منه تعالى عليهم بل أمرهم بما أمرهم إحسانا منه ورحمة ونهاهم عما نهاهم عنه صيانة لهم وحمية فلذلك وضعنا هذا الكتاب وضع عقد الصلح بين الهوى والعقل وإذا تم عقد الصلح بينهما سهل على العبد محاربة النفس والشيطان والله سبحانه المستعان وعليه التكلان فما كان فيه من صواب فمن الله فهو الموفق له والمعين عليه وما كان فيه من خطإ فمني ومن الشيطان والله ورسوله من ذلك بريئان

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد ابن القيم ٤/٢٨٤

وقد جعلته تسعة وعشرين بابا

الباب الأول في أسماء المحبة الباب الثاني في اشتقاق هذه الأسماء

ومعانيها الباب الثالث في نسبة هذه الأسماء بعضها إلى بعض

الباب الرابع في أن العالم العلوي والسفلي إنما وجد بالمحبة ولأجلها

الباب الخامس في دواعي المحبة ومتعلقها

الباب السادس في أحكام النظر وغائلته وما يجني على صاحبه

الباب السابع في ذكر مناظرة بين القلب والعين

الباب الثامن في ذكر الشبه التي احتج بها من أباح النظر إلى من لا يحل له الاستمتاع به وأباح **عشقه**

الباب التاسع في الجواب عما احتجت به هذه الطائفة وما لها وما عليها في هذا الاحتجاج

الباب العاشر في ذكر حقيقة **العشق** وأوصافه وكلام الناس فيه." (١)

"الباب الحادي عشر في **العشق** وهل هو اضطراري خارج عن الاختيار أو أمر اختياري واختلاف الناس في ذلك وذكر الصواب فيه

الباب الثاني عشر في سكرة العشاق

الباب الثالث عشر في أن اللذة تابعة للمحبة في الكمال والنقصان

الباب الرابع عشر فيمن مدح **العشق** وتمناه وغبط صاحبه على ما أوتيه من مناه

الباب الخامس عشر فيمن ذم **العشق** وتبرم به وما احتج به كل فريق على صحة مذهبه

الباب السادس عشر في الحكم بين الفريقين وفصل النزاع بين الطائفتين الباب السابع عشر في استحباب تخير الصور الجميلة للوصال الذي يحبه الله ورسوله

الباب الثامن عشر في أن دواء المحبين في كمال الوصال الذي أباحه رب العالمين

الباب التاسع عشر في ذكر فضيلة الجمال وميل النفوس إليه على كل حال

الباب العشرون في علامات المحبة وشواهدها

الباب الحادي والعشرون في اقتضاء المحبة إفراد الحبيب بالمحب وعدم التشريك بينه وبين غيره فيه

الباب الثاني والعشرون في غيرة المحبين على أحبابهم

---

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ابن القيم ص/٩

الباب الثالث والعشرون في عفاف المحبين مع أحبابهم

الباب الرابع والعشرون في ارتكاب سبل الحرام وما يفضي إليه من المفاسد والآلام." (١)

"الباب الأول: في أسماء المحبة

لما كان الفهم لهذا المسمى أشد وهو بقلوبهم أعلق كانت أسماؤه لديهم أكثر وهذا عادتهم في كل ما اشتد الفهم له أو كثر خطوره على قلوبهم تعظيما له أو اهتماما به أو محبة له فالأول كالأسد والسيف والثاني كالداهية والثالث كالخمر وقد اجتمعت هذه المعاني الثلاثة في الحب فوضعوا له قريبا من ستين اسما وهي المحبة والعلاقة والهوى والصبوة والصبابة والشغف والمقة والوجد والكلف والتتيم **والعشق** والجوى والدنف والشجو والشوق والخلابة والبلابل والتباريح والسدم والغمرات والوهل والشجن واللاعج والاكتئاب والوصب والحزن والكمد واللذع والحرق والسهد والأرق واللهف والحنين والاستكانة والتبالة واللوعة والفتون والجنون واللمم والخبل والرسيس والداء المخامر والود والخلة والخلم والغرام والهيام والتدليه والوله والتعبد وقد ذكر له أسماء غير هذه وليست من أسمائه وإنما هي من موجباته وأحكامه فتركنا ذكرها." (٢)

"..

من قولهم تيمه الحب إذا عبده وذلله فهو متيم ويقال تامته المرأة قال لقيط بن زرارة

تامت فؤادك لو يحزنك ما صنعت ... إحدى نساء بني ذهل بن شيبانا

فصل وأما **العشق** فهو أمر هذه الأسماء وأخبثها وقل ما ولعت به العرب وكأنهم ستروا اسمه وكنوا عنه بهذه الأسماء فلم يكادوا يفصحوا به ولا تكاد تجده في شعرهم القديم وإنما أولع به المتأخرون ولم يقع هذا اللفظ في القرآن ولا في السنة إلا في حديث سويد بن سعيد وسنتكلم عليه إن شاء الله تعالى وبعد فقد استعملوه في كلامهم قال الشاعر

وماذا عسى الواشون أن يتحدثوا ... سوى أن يقولوا إنني لك عاشق

نعم صدق الواشون أنت حبيبة ... إلي وإن لم تصف منك الخلائق

قال في الصحاح **العشق** فرط الحب وقد **عشقها** **عشقا** مثل علم علما **وعشقا** أيضا عن الفراء قال رؤبة

ولم يضعها بين فرك **وعشق**

---

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ابن القيم ص/١٠

(٢) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ابن القيم ص/١٦

قال ابن السراج إنما حركه ضرورة وإنما لم يحركه بالكسر إتباعا للعين كأنه كره الجمع بين كسرتين فإن هذا عزيز في الأسماء ورجل عشيق مثل فسيق أي كثير العشق والتعشق تكلف العشق قال الفراء يقولون امرأة محب لزوجها وعاشق وقال ابن سيده العشق عجب المحب بالمحبوب يكون في عفاف الحب ودعارته يعني في العفة والفجور وقيل العشق الاسم." (١)

"والعشق المصدر وقيل هو مأخوذ من شجرة يقال لها عاشقة تخضر ثم تدق وتصفر قال الزجاج واشتقاق العاشق من ذلك وقال الفراء عشق عشقا وعشقا إذا أفرط في الحب والعاشق الفاعل والمعشوق المفعول والعشيق يقال لهذا ولهذا وامرأة عاشق وعاشقة قال

ولذ كطعم الصرخدي طرحته ... عشية خمس القوم والعين عاشقه

وقال الفراء العشق نبت لزج وسمي العشق الذي يكون من الإنسان للصوقه بالقلب وقال ابن الأعرابي العشقة اللبلابة تخضر وتصفر وتعلق بالذي يليها من الأشجار فاشتق من ذلك العاشق وقد اختلف الناس هل يطلق هذا الاسم في حق الله تعالى فقالت طائفة من الصوفية لا بأس بإطلاقه وذكروا فيه أثرا لا يثبت وفيه فإذا فعل ذلك عشقني وعشقته وقال جمهور الناس لا يطلق ذلك في حقه سبحانه وتعالى فلا يقال إنه يعشق ولا يقال عشقه عبده ثم اختلفوا في سبب المنع على ثلاثة أقوال أحدها عدم التوقيف بخلاف المحبة الثاني أن العشق إفراط المحبة ولا يمكن ذلك في حق الرب تعالى فإن الله تعالى لا يوصف بالإفراط في الشيء ولا يبلغ عبده ما يستحقه من حبه فضلا أن يقال أفرط في حبه الثالث أنه مأخوذ من التغير." (٢)

"كما يقال للشجرة المذكورة عاشقة ولا يطلق ذلك على الله سبحانه وتعالى

فصل وأما الجوى ففي الصحاح الجوى الحرقة وشدة الوجد من عشق أو حزن تقول منه جوي الرجل بالكسر فهو جو مثل دو ومنه قيل للماء المتغير المنتن جو قال الشاعر

ثم كان المزاج ماء سحاب ... لا جو آجن ولا مطروق

فصل وأما الدنف فلا تكاد تستعمله العرب في الحب وإنما ولع به المتأخرون وإنما استعملته العرب في المرض قال في الصحاح الدنف بالتحريك المرض الملازم رجل دنف أيضا يعني بفتح النون وامرأة دنف وقوم دنف يستوي فيه المذكر والمؤنث والتثنية والجمع فإن قلت رجل دنف بكسر النون قلت امرأة دنفة

---

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ابن القيم ص/٢٧

(٢) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ابن القيم ص/٢٨

أنثت وثنيت وجمعت وقد دنف المريض بالكسر ثقل وأدنف بالألف مثله وأدنفه المرض يتعدى ولا يتعدى فهو مدنف ومدنف قلت وكأنهم استعاروا هذا الاسم للحب اللازم تشبيها له به والله أعلم فصل وأما الشجو فهو حب يتبعه هم وحزن قال في الصحاح الشجو الهم والحزن يقال شجاه يشجوه شجوا إذا أحزنه وأشجاه يشجيه إشجاء." (١)

"قالت جننت بمن تهوى فقلت لها ... ألعشق أعظم مما بالمجانين

العشق لا يستفيق الدهر صاحبه ... وإنما يصرع المجنون في الحين

وأصل المادة من الستر في جميع تصاريفها ومنه أجنه الليل وجن عليه إذا ستره ومنه الجنين لاستتاره في بطن أمه ومنه الجنة لاستتارها بالأشجار ومنه المجن لاستتار الضارب به والمضروب ومنه الجن لاستتارهم عن العيون بخلاف الإنس فإنهم يؤنسون أي يرون ومنه الجنة بالضم وهي ما استترت به واتقيت ومنه قوله تعالى ﴿اتخذوا أيمانهم جنة﴾ وأجننت الميت واريته في القبر فهو جنين والحب المفرط يستر العقل فلا يعقل المحب ما ينفعه ويضره فهو شعبة من الجنون

فصل

وأما اللمم فهو طرف من الجنون ورجل ملموم أي به لمم ويقال أيضا أصابت فلانا من الجن لمة وهو المس والشيء القليل قاله الجوهري قلت وأصل اللفظة من المقاربة ومنه قوله تعالى ﴿الذين يجتنبون كبائر الأثم والفواحش إلا اللمم﴾ وهي الصغائر قال ابن عباس رضي الله عنهما ما رأيت أشبه باللمم مما قال أبو هريرة رضي الله عنه إن العين تزني وزناها النظر واليد تزني وزناها البطش والرجل تزني وزناها المشي والفم يزني وزناه القبل ومنه ألم بكذا أي قاربه ودنا منه وغلام ملم أي قارب." (٢)

"البلوغ وفي الحديث إن مما ينبت الربيع ما يقتل حبطا أو يلم أي يقرب من ذلك وبالجملة فلا يستبين كون اللمم من أسماء الحب وإن كان قد ذكره جماعة إلا أن يقال إن المحبوب قد ألم بقلب المحب أي نزل به ومنه ألمم بنا أي انزل بنا ومنه قوله

متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا ... تجد حطبا جزلا ونارا تأججا

فصل

وأما الخبل فمن موجبات العشق وآثاره لا من أسمائه وإن ذكر من أسمائه فإن أصله الفساد وجمعه خبول

---

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ابن القيم ص/٢٩

(٢) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ابن القيم ص/٤٤

والخبل بالتحريك الجن يقال به خبل أي شيء من أهل الأرض وقد خبله وخبله واختبله إذا أفسد عقله أو عضوه ورجل مخبل وهو نوع من الجنون والفساد

فصل

وأما الرسيس فقد كثر في كلامهم رسيس الهوى والشوق ورسيس الحب فظن من أدخله في أماء الحب أنه منها وليس كذلك بل الرسيس الشيء الثابت فرسيس الحب ثباته ودوامه ويمكن أن يكون من رس الحمى ورسيسها وهو أول مسها فشبهوا رسيس الحب بحرارته وحرقته برسيس الحمى وكان ،لواجب على هؤلاء أن يجعلوا الأوار من أسماء الحب لأنه يضاف إليه قال الشاعر." (١)

"إذا وجدت أوار الحب في كبدي ... أقبلت نحو سقاء القوم أبترد

هبني بردت ببرد الماء ظاهره ... فمن لنار على الأحشاء تتقد

وقد وقع إضافة الرسيس إلى الهوى في شعر ذي الرمة حيث يقول

إذا غير النأي المحبين لم يكد ... رسيس الهوى من حب مية يبرح

وفيه إشكال نحوي ليس هذا موضعه

فصل

وأما الداء المخامر فهو من أوصافه وسمي مخامرا لمخالطته القلب والروح يقال خامره قال الجوهري والمخامرة المخالطة وخامر الرجل المكان إذا لزمه وقد يكون أخذ من قولهم استخمر فلان فلانا إذا استعبده وكأن **العشق** داء مستعبد للعاشق ومنه حديث معاذ من استخمر قوما أي أخذهم قهرا وتملك عليهم فالحب داء مخالط مستعبد

فصل

وأما الود فهو خالص الحب وألطفه وأرقه وهو من الحب بمنزلة الرأفة من الرحمة قال اجلوهري وددت الرجل أوده ودا إذا أحببته والود والود والود المودة تقول بودي أن يكون كذا وأما قول الشاعر

أيها العائد المسائل عن، ... وبوديك أن ترى أكفاني

فإنما أشبع كسرة الدال ليستقيم له البيت فصارت ياء والود الوديد بمعنى المودود والجمع أود مثل قدح

---

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ابن القيم ص/٤٥

وأقدح وذئب وأذؤب وهما يتوادان وهم أوداء والودود المحب ورجال ووداء يستوي فيه المذكر والمؤنث لكونه وصفا." (١)

.."

الذي عليه الدين يقال خذ من غريم السوء ما سنح ويكون الغريم أيضا الذي له الدين قال كثير عزة

قضى كل ذي دين فوفى غريمه ... وعزة ممطول معنى غريمها

ومن المادة قوله تعالى في جهنم ﴿إن عذابها كان غراما﴾ والغرام الشعر! الدائم اللازم والعذاب قال بشر

ويوم النسار ويوم الجفا ... ركانا عذابا وكانا غراما

وقال الأعشى

إن يعاقب يكن غراما وإن يع ... ط جزيلا فإنه لا يبالي

وقال أبو عبيدة إن عذابها كان غراما كان هلاكا ولزاما لهم وللطف المحبة عندهم واستعذابهم لها لم يكادوا يطلقون عليها لفظ الغرام وإن لهج به المتأخرون

فصل

وأما الهيام قال في الصحاح هام على وجهه يهيم هيما وهيمانا ذهب من **العشق** أو غيره وقلب مستهام أي هائم والهيام بالضم أشد العطش والهيام كالجنون من **العشق** والهيام داء يأخذ الإبل فتهيم لا ترعى يقال ناقة هيماء قال والهيام بالكسر الإبل العطاش الواحد هيمان وناقة هيمى." (٢)

"بالخاصية وهذا لا يعلل ولا يعرف سببه كانجذاب الحديد إلى الحجر المغناطيس ولا ريب أن وقوع هذا القدر بين الأرواح أعظم من وقوعه بين الجمادات كما قيل

محاسنها هيولى كل حسن ... ومغناطيس أفئدة الرجال

وهذا الذي حمل بعض الناس على أن قال إن **العشق** لا يقف على الحسن والجمال ولا يلزم من عدمه عدمه وإنما هو تشاكل النفوس وتمازجها في الطباع المخلوقة كما قيل

وما الحب من حسن ولا من ملاحة ... ولكنه شيء به الروح تكلف

قال هذا القائل فحقيقته انه مرآة يبصر فيها المحب طباعة ورقته في صورة محبوبة ففي الحقيقة لم يحب إلا نفسه وطباعه ومشاكله

---

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ابن القيم ص/٤٦

(٢) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ابن القيم ص/٥٠

قال بعضهم لمحبوبه صادفت فيك جوهر نفسي ومشاكلتها في كل أحوالها فانبعثت نفسي نحوك وانقادت إليك وإنما هويت نفسي وهذا صحيح من وجه فإن المناسبة علة الضم شرعا وقدرا وشاهد هذا بالاعتبار أن أحب الأغذية إلى الحيوان ما كان أشبه بجوهر بدنه وأكثر مناسبة له وكلما قويت المناسبة بين الغاذي والغذاء كان ميل النفس إليه أكثر وكلما بعدت المناسبة حصلت النفرة عنه ولا ريب أن هذا قدر زائد على مجرد الحسن." (١)

"والجمال ولهذا كانت النفوس الشريفة الزكية العلوية **تعشق** صفات الكمال بالذات فأحب شيء إليها العلم والشجاعة والعفة والجود والإحسان والصبر والثبات لمناسبة هذه الأوصاف لجوهرها بخلاف النفوس اللئيمة الدنية فإنها بمعزل عن محبة هذه الصفات وكثير من الناس يحمله على الجود والإحسان فرط **عشقه** ومحبته له واللذة التي يجدها في بذله كما قال المأمون لقد حبب إلي العفو حتى خشيت أن لا أؤجر عليه وقيل للإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى تعلمت هذا العلم لله فقال أما لله فعزيز ولكن شيء حبب إلي ففعلته وقال آخر إني لأفرح بالعطاء وألتذ به أكثر وأعظم مما يفرح الآخذ بما يأخذه مني وفي هذا قيل في مدح بعض الكرماء من أبيات

وتأخذه عند المكارم هزة ... كما اهتز عند البارح الغصن الرطب

وقال شاعر الحماسة

تراه إذا ماجئته متهللا ... كأنك تعطيه الذي أنت سائله

وكثير من الأجواد **يعشق** الجود أعظم **عشق** فلا يصبر عنه مع حاجته إلى ما يجود به ولا يقبل فيه عذل عاذل ولا تأخذه فيه لومة لائم وأما عشاق العلم فأعظم شغفا به **وعشقا** له من كل عاشق بمعشوقه وكثير منهم لا يشغله عنه أجمل صورة من البشر وقيل لامرأة الزبير بن بكار أو غيره هنيئا لك إذ ليست لك ضرة فقالت والله لهذه الكتب أضر علي من عدة ضرائر." (٢)

"وحدثني أخو شيخنا عبد الرحمن بن تيمية عن أبيه قال كان الجد إذا دخل الخلاء يقول لي اقرأ في هذا الكتاب وارفع صوتك حتى اسمع وأعرف من أصابه مرض من صداع وحمى وكان الكتاب عند رأسه فإذا وجد إفاقة قرأ فيه فإذا غلب وضعه فدخل عليه الطبيب يوما وهو كذلك فقال إن هذا لا يحل لك فإنك تعين على نفسك وتكون سببا لفوات مطلوبك وحدثني شيخنا قال ابتدأني مرض فقال لي الطبيب إن

---

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ابن القيم ص/٦٨

(٢) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ابن القيم ص/٦٩

مطالعتك وكلامك في العلم يزيد المرض فقلت له لا أصبر على ذلك وأنا أحاكمك إلى علمك أليست النفس إذا فرحت وسرت قويت الطبيعة فدفعت المرض فقال بلى فقلت له فإن نفسي تسر بالعلم فتقوى به الطبيعة فأجد راحة فقال هذا خارج عن علاجنا أو كما قال

فعشق صفات الكمال من أنفع العشق وأعلاه وإنما يكون بالمناسبة التي بين الروح وتلك الصفات ولهذا كان أعلى الأرواح وأشرفها أعلاها وأشرفها معشوقا كما قيل

أنت القتيل بكل من أحببته ... فاختر لنفسك في الهوى من تصطفي

فإذا كانت المحبة بالمشاكلة والمناسبة ثبتت وتمكنت ولم يزلها إلا مانع أقوى من السبب وإذا لم تكن بالمشاكلة فإنما هي محبة لغرض من الأغراض تزول عند انقضائه وتضمحل فمن أحبك لأمر ولى عند انقضائه فداعى المحبة وباعثها إن كان غرضا للمحب لم يكن لمحبته بقاء وإن كان أمرا قائما بالمحبوب سريع الزوال والانتقال زالت محبته بزواله وإن كان صفة لازمة فمحبته باقية ببقاء داعيها مالم يارضه يعارضه يوجب زوالها وهو إما تغير حال في المحب أو أذى من المحبوب فإن الأذى إما أن يضعف المحبة أو يزيلها." (١)

"كانت تدخل على قريش فتضحكهم فقدمت المدينة فنزلت على امرأة تضحك الناس فقال النبي صلى الله عليه وسلم على من نزلت فلانة فالت على فلانة المضحكة فقال الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف وأصل الحديث في الصحيح وذكر لبقراط رجل من أهل النقص يحبه فاغتم لذلك وقال ما أحبني إلا وقد وافقته في بعض أخلاقه وأخذا المتنبي هذا المعنى فقلبه وأجاد فقال

وإذا أتتك مذمتي من ناقص ... فهي الشهادة لي بأني فاضل

وقال بعض الأطباء العشق امتزاج الروح بالورح لما بينهما من التناسب والتشاكل فإذا امتزج الماء بالماء امتنع تخليص بعضه من بعض ولذلك تبلغ المحبة بين الشخصين حتى يتألم أحدهما بتألم الآخر ويسقم بسقمه وهو لا يشعر ويذكر أن رجلا كان يحب شخصا فمرض فدخل عليه أصحابه يعودونه فوجدوا به خفة فانبسط معهم وقال من أين جئتم قالوا من عند فلان عدناه فقال أو كان عليلا قالوا نعم وقد عوفي فقال والله لقد أنكرت علتي هذه ولم أعرف لها سببا غير أني توهمت أن ذلك لعلة نالت بعض من أحب

---

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ابن القيم ص/٧٠

ولقد وجدت في يومي هذا راحة ففرحت طمعا أن يكون الله سبحانه وتعالى شفاه ثم دعا بدواة فكتب إلى محبوبه." (١)

"إني حممت ولم أشعر بحماك ... حتى تحدث عوادي بشكواك

فقلت ما كانت الحمى لتطرقني ... من غير ما سبب إلا لحماك

وخصلة كنت فيها غير متهم ... عافاني الله منها حين عافاك

حتى اتفقت نفسي ونفسك في ... هذا وذاك وفي هذا وفي ذاك

ويحكى أن رجلا مرض من يحبه فعاده المحب فمرض من وقته فعوفي محبوبه فجاء يعوده فلما رآه عوفي من وقته وأنشد

مرض الحبيب فعدته ... فمرضت من حذري عليه

وأتى الحبيب يعودني ... فبرئت من نظري إليه

وأنت إذا تأملت الوجود لا تكاد تجد اثنين يتحابان إلا وبينهما مشاكلةأو اتفاق في فعل أو حال أو مقصد فإذا تباينت المقاصد والأوصاف والأفعال والطرائق لم يكن هناك إلا النفرة والبعد بين القلوب ويكفي في هذا الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر

فإنقيل فهذا الذي ذكرتم يقتضي أنه إذا أحب شخص شخصا أن يزن الآخر يحبه فيشتركان في المحبة والواقع يشهد بخلافه فكم من محب غير محبوب بل بسيف البغض مضروب قيل قد اختلف الناس في جواب هذا السؤال فأما أبو محمد بن حزم فإنه قال الذي أذهب إليه أن **العشق** اتصال بين أجزاء النفوس المقسومة في هذه الخلقة في أصل عنصرها الرفيع لا على." (٢)

"ومحبة لبلوغ اللذة وقضاء الوطر ومحبة **العشق** التي لا علة لها إلا ما ذكرنا من اتصال النفوس وكل هذه الأجناس فمنقضية مع انقضاء عللها وزائدة بزيادتها وناقصة بنقصانها متأكدة بدنوها فاترة ببعدها حاشا محبة **العشق** الصحيح المتمكن من النفس ثم أورد هذا السؤال قال والجواب أن نفس الذي لا يحب من يحبه مكتنفة الجهات ببعض الأعراض الساترة والحجب المحيطة بها من الطبائع الأرضية فلم تحس بالجزء الذي كان متصلا بها قبل حلولها حيث هي ولو تخلصت لاستويا في الاتصال والمحبة ونفس المحب

---

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ابن القيم ص/٧٣

(٢) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ابن القيم ص/٧٤

متخلصة عالمة بمكان ما كان يشركها في المجاورة طالبة له قاصدة إليه باحثة عنه مشتهية لملاقاته جاذبة له لو أمكنها كالمغناطيس والحديد وكالنار في الحجر

وأجابت طائفة أخرى أن الأرواح خلقت على هيئة الكرة ثم قسمت فأي روحين تلاقيتا هناك وتجاورتا تألفتا في هذا العالم وتحابتا وإن تنافرتا هناك تنافرتا هنا وإن تألفتا من وجه وتنافرتا من وجه كانتا كذلك ها هنا وهذا الجواب مبني على الأصل الفاسد الذي أصله هؤلاء أن الأرواح موجودة قبل الأجساد وأنها كانت متعارفة متجاورة هناك تتلاقى وتتعارف وهذا خطأ بل الصحيح الذي دل عليه الشرع والعقل أن الأرواح مخلوقة مع الأجساد وأن الملك الموكل بنفخ الروح في الجسد ينفخ فيه الروح إذا مضى." (١)

"ولذلك يتضاعف الألم والحسرة على من راى محبوبه أو باشره ثم حيل بينه وبينه فتضاعف ألمه وحسرته في مقابلة مضاعفة لذة من عاوده وهذا في جانب المرأة أقوى فإنها إذا ذاقت عسيلة الرجل ولا سيما أول عسيلة لم تكد تصبر عنه بعد ذلك قال أيمن بن خريم

يميت العتاب ط خلاالنساء ... ويحي اجتناب الخلاط العتابا

وتزوج زهير بن مسكين الفهري جارية ولم يكن عنده ما يرضيها به فلما أمكنته من نفسها لم تر عنده ما ترضى به فذهبت ولم تعد فقال في ذلك أشعارا كثيرة منها

تقول وقد قبلتها ألف قبلة ... كفاك أما شيء لديك سوى القبل

فقلت لها حب على القلب حفظه ... وطول بكاء تستفيض له المقل

فقالت لعمر الله ما لذة الفتى ... من الحب في قول يخالفه الفعل

وقال آخر

رأت حبي سعاد بلا جماع ... فقالت حبلنا حبل انقطاع

ولست أريد حبا ليس فيه ... متاع منك يدخل في متاعي

فلو قبلتني ألفا وألفا ... لما أرضيت إلا بالجماع

إذا ما الصب لم يك ذا جماع ... يرى المحبوب كالشيء المضاع

جماع الصب غاية كل أنثى ... وداعية لأهل العشق داعي

---

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ابن القيم ص/٧٦

فقلت لها وقد ولت تعالي ... فإنك بعد هذا لن تراعي

وإنك لو سألت بقاء يوم ... خلي عن جماعك لن تطاعي." (١)

"الأوسط من حديث ابن عمر يرفعه فضل ما بين لذة المرأة ولذة الرجل كأثر المخيط في الطين إلا أن الله سترهن بالحياء وقال لم يروه عن ليث إلا أبو المسيب سلم بن سلام عن سويد عن عبد الله بن أسامة عن يعقوب ابن خالد عن عطاء عن ابن عمر رضي الله عنهما قلت وهذا أيضا لا يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وإسناده مظلم لا يحتج بمثله فصل ورأت طائفة أن الجماع يفسد **العشق** ويبطله أو يضعفه واحتجت بأمور منها أن الجماع هو الغاية التي تطلب **بالعشق** فما دام العاشق طالبا **فعشقه** ثابت فإذا وصل إلى الغاية قضى وطره وبردت حرارة طلبه وطفئت نار **عشقه** قالوا وهذا شأن كل طالب لشيء إذا ظفر به كالظمآن إذا روي والجائع إذا شبع فلا معنى للطلب بعد الظفر ومنها أن سبب **العشق** فكري وكلما قوي الفكر زاد **العشق** وبعد الوصول لا يبقى الفكر ومنها أنه قبل الظفر ممنوع والنفس مولعة بحب ما منعت منه كما قال

وزادني كلفا في الحب أن منعت ... أحب شيء إلى الإنسان ما منعا

وقال الآخر

لولا طراد الصيد لم تك لذة ... فتطاردي لي بالوصال قليلا

قالوا وكانت الجاهلية الجهلاء في كفرهم لا يرجون ثوابا ولا يخافون عقابا وكانوا يصونون **العشق** عن الجماع كما ذكر أن أعرابيا علق امرأة فكان." (٢)

"يأتيها سنين وما جرى بينهما ريبة قال فرأيت ليلة بياض كفها في ليلة ظلماء فوضعت يدي على يدها فقالت مه لا تفسد ما صلح فإنه ما نكح حب إلا فسد فأخذ ذلك المأمون فقال

ما الحب إلا نظرة ... وغمز كف وعضد

أو كتب فيها رقى ... أجل من نفث العقد

ما الحب إلا هكذا ... إن نكح الحب فسد

من كان هذا حبه ... فإنما يبغي الولد

وهوي آخر امرأة فدام الحال بينهما في اجتماع وحديث ونظر ثم إنه جامعها فقطعت الوصل بينهما فقال

---

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ابن القيم ص/٨٠

(٢) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ابن القيم ص/٨٥

لو لم أواقع دام لي وصلها ... فليتني لا كنت واقعتها

وقيل لآخر شكا فراق محبوبة له

أكثرت من وطئها والوطء مسأمة ... فارفق بنفسك إن الرفق محمود

وذكر عمر بن شبة عن بعض علماء أهل المدينة قال كان الرجل يحب الفتاة فإذا ظفر بها بمجلس تشاكيا وتناشدا الأشعار واليوم يشير إليها وتشير إليه فيعدها وتعده فإذا التقيا لم يشك حبا ولم ينشد شعرا وقام إليها كأنه أشهد على نكاحها أبا هريرة رضي الله عنه

لم يخط من داخل الدهليز منصرفا ... إلا وخلخالها قد قارب الساقا

قال الأصمعي قلت لأعرابية ما تعدون **العشق** فيكم قالت العناق والضمة والغمزة والمحادثة." (١)

"ثم قالت يا حضري فكيف هو عندكم قلت يقعد بين شعبها الأربع ثم يجهدها قالت يا ابن أخي ما هذا عاشق هذا طالب ولد

وسئل أعرابي عن ذلك فقال مص الريق ولثم الشفة والأخذ من أطايب الحديث فكيف هو فيكم أيها الحضري فقال العفس الشديد والجمع بين الركبة والوريد ورهز يوقظ النائم ويشفي القلب الهائم فقال بالله ما يفعل هذا العدو الشديد فكيف الحبيب الودود

وقال بعضهم الحب يطيب بالنظر ويفسد بالغمز قال هؤلاء والحب الصحيح يوجب إعظام المحبوب وإجلاله والحياء منه فلا تطاوع نفسه أن يلقي جلباب الحياء عند محبوبه وأن يلقيه عنه ففي ذلك غاية إذلاله وقهره كما قيل

إذا كان حظ المرء ممن يحبه ... حراما فحظي ما يحل ويجمل

حديث كماء المزن بين فصوله ... عتاب به حسن الحديث يفصل

ولثم فم عذب اللثات كأنما ... جناهن شهد فت فيه القرنفل

وما **العشق** إلا عفة ونزاهة ... وأنس قلوب أنسهن التغزل

وإني لأستحيي الحبيب م ن التي ... تريب وأدعى للجميل فأحمل

وزعم بعضهم أنه كان يشرط بين العشيقة والعاشق أن له من نصفها الأعلى إلى سرتها ينال منه ما يشاء من

---

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ابن القيم ص/٨٦

ضم وتقبيل ورشف والنصف الأسفل يحرم عليه وفي ذلك قال شاعر القوم

فللحب شطر مطلق من عقاله ... وللبعل شطر ما يرام منيع." (١)

"وقال الآخر

لها شطر فمن حل وبل ... ونصف كالبحيرة ما يهاج

وهذا كان من دين الجاهلية فأبطلته الشريعة وجعلت الشطرين كليهما للبعل والشعراء قاطبة لا يرون بالمحادثة والنظر للأجنبيات بأسا وهو مخالف للشرع العقل فإن فيه تعريضا للطبع لما هو مجبول على الميل إليه والطبع يسرق ويغلب وكم من مفتون بذلك في دينه ودنياه فإن قيل فقد أنشد الحاكم في مناقب الشافعي له

يقولون لا تنظر وتلك بلية ... ألا كل ذي عينين لا بد ناظر

وليس اكتحال العين بالعين ريبة ... إذا عف فيما بين ذاك الضمائر

فإن صحت عن الشافعي فإنما أراد النظر الذي لا يدخل تحت التكليف كنظرة الفجأة أو النظر المباح وقد ذهب أبو بكر محمد بن داود الأصفهاني إلى جواز النظر إلى من لا يحل له كما سيأتي كلامه إن شاء الله تعالى قال أبو الفرج بن الجوزي وأخطأ في ذلك وجر عليه خطؤه اشتهاره بين الناس وافتضاحه وذهب أبو محمد بن حزم إلى جواز العشق للأجنبية من غير ريبة وأخطأ في ذلك خطأ ظاهرا فإن ذريعة العشق أعظم من ذريعة النظر وإذا." (٢)

"كان الشرع قد حرم النظر لما يؤدي إليه من المفاسد كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى فكيف يجوز تعاطي عشق الرجل لمن لا يحل له

والمقصود أن هذه الفرقة رأت أن الجماع يفسد العشق فغارت عليه مما يفسده وإن لم تتركه ديانة وقيل لبعض الأعراب ما ينال أحدكم من عشيقته إذا خلي بها قال اللمس والقبل وما يشاكلها قال فهل يتطاولان إلى الجماع فقال بأبي وأمي ليس هذا بعاشق هذا طالب ولد ويحكى أن رجلا عشق امرأة فقالت له يوما أنت صحيح الحب غير سقيمه وكانوا يسمون الحب على الخنا الحب السقيم فقال نعم فقالت اذهب بنا إلى المنزل فما هو إلا أن حصلت في منزله فلم يكن له همة غير جماعها فقالت له وهو كذلك

أسرفت في وطئنا والوطء مقطعة ... فارفق بنفسك إن الرفق محمود

---

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ابن القيم ص/٨٧

(٢) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ابن القيم ص/٨٨

فقال لها وهو على حاله

لو لم أطأك لما دامت محبتنا ... لكن فعلى هذا فعل مجهود

فنفرت من تحته وقالت يا خبيث أراك خلاف ما قلت من صحة الحب ولم تجعل جماعي إلا سببا لذهاب حبك والله لا ضمني وإياك سقف أبدا وسيأتي تمام الكلام في هذا في باب عفاف المحبين إن شاء الله تعالى

فصل الخطاب بين الفريقين أن الجماع الحرام يفسد الحب ولا بد أن تنتهي المحبة بينهما إلى المعاداة والتباغض والقلى كما هو مشاهد بالعيان فكل محبة لغير الله آخرها قلى وبغض فكيف إذا قارنها ما هو من أكبر الكبائر." (١)

"وصف له فكثير من الناس يحب غيره ويفنى فيه محبة وما رآه لكن وصف له ولهذا نهى النبي صلى الله عليه وسلم المرأة أن تنعت المرأة لزوجها حتى كأنه ينظر إليها والحديث في الصحيح الثاني الاستحسان فإن لم يورث نظره استحسانا لم تقع المحبة الثالث الفكر في المنظور وحديث النفس به فإن شغل عنه بغيره مما هو أهم عنده منه لم يعلق حبه بقلبه وإن كان لا يعدم خطرات وسوانح ولهذا قيل **العشق** حركة قلب فارغ ومتى صادف هذا النظر والاستحسان والفكر قلبا خاليا تمكن منه كما قيل

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى ... فصادف قلبا خاليا فتمكنا

فإن قيل فهل يتوقف على الطمع في الوصول إلى المحبوب أم لا قيل الناس في هذا على أقسام منهم من **يعشق** الجمال المطلق فقلبه معلق به إن استقلت ركائبه وإن حلت مضاربه وهذا لا يتوقف **عشقه** على الطمع ومنهم من **يعشق** الجمال المقيد سواء طمعت نفسه في وصاله أم لم تطمع ومنهم من لا **يعشق** إلا من طمعت نفسه في وصاله فإن يئس منه لم يعلق حبه بقلبه والأقسام الثلاثة واقعة في الناس فإذا وجد النظر والاستحسان والفكر والطمع هاجت بلابله وأمكن من معشوقه مقاتله واستحكم داؤه وعجز عن الأطباء دواؤه

تالله ما أسر الهوى من عاشق ... إلا وعز على النفوس فكاكه

وإذا كان النظر مبدأ **العشق** فحقيق بالمطلق أن لا يعرض نفسه للإسار الدائم بواسطة عينه وإذ قد أفضى بنا الكلام إلى النظر فلنذكر حكمه وغائلته." (٢)

---

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ابن القيم ص/٨٩

(٢) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ابن القيم ص/٩١

"لا يحصل إلا من خفة العقل وطيشه وعدم ملاحظته للعواقب فإن خاصة العقل ملاحظة العواقب ومرسل النظر لو علم ما تجني عواقب نظره عليه لما أطلق بصره قال الشاعر

بو أعقل الناس من لم يرتكب سببا ... حتى يفكر ما تجني عواقبه

الفائدة العاشرة أنه يخلص القلب من سكر الشهوة ورقدة الغفلة فإن إطلاق البصر يوجب استحكام الغفلة عن الله والدار الآخرة ويوقع في سكرة **العشق** كما قال الله تعالى عن عشاق الصور ﴿لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون﴾ فالنظرة كأس من خمر **والعشق** هو سكر ذلك الشراب وسكر **العشق** أعظم من سكر الخمر فإن سكران الخمر يفيق وسكران **العشق** قلما يفيق إلا وهو في عسكر الأموات كما قيل

سكران سكر هوى وسكر مدامة ... ومتى إفاقته من به سكران

وفوائد غض البصر وآفات إرساله أضعاف أضعاف ما ذكرنا وإنما نبهنا عليه تنبيها ولا سيما النظر إلى من لم يجعل الله سبيلا إلى قضاء الوطر منه شرعا كالمردان الحسان فإن إطلاق النظر إليهم السم الناقع والداء العضال وقد روى الحافظ محمد بن ناصر من حديث الشعبي مرسلا قال قدم وفد عبد القيس على النبي صلى الله عليه وسلم وفيهم غلام أمرد ظاهر الوضاءة فأجلسه النبي صلى الله عليه وسلم وراء ظهره وقال كانت خطيئة من مضى من النظر وقال سعيد بن المسيب إذا رأيتم الرجل يحد النظر إلى." (١)

"الباب الثامن: في ذكر الشبه التي احتج بها من أباح النظر إلى من لا يحل له الاستمتاع به وأباح **عشقه**

قالت هذه الطائفة بيننا وبينكم الكتاب والسنة وأقوال أئمة الإسلام والمعقول الصحيح

أما الكتاب فقوله تعالى ﴿أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء﴾ وهذا يعم جميع ما خلق الله فما الذي أخرج من عمومه الوجه المليح وهو من أحسن ما خلق وموضع الاستدلال به والاعتبار أقوى ولذلك يسبح الخالق سبحانه عند رؤيته كما قال بعض الناظرين إلى جميل الصورة

ذي طلعة سبحان فالق صبحه ... ومماطف جلت يمين الغارس

مرت بأرجاء الخيال طيوفه ... فبكت على رسم السلو الدارس

ورؤية الجمال البديع تنطق ألسنة الناظرين بقولهم سبحان الله رب العالمين وتبارك الله أحسن الخالقين والله تعالى لم يخلق هذه المحاسن عبثا وإنما أظهرها ليستدل الناظر إليها على قدرته ووحدانيته وبديع صنعه فلا

---

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ابن القيم ص/١٠٤

تعطل عما خلقت له

وأما السنة فالحديث المشهور "النظر إلى الوجه المليح عبادة "." (١)

"وفي الحديث الآخر "اطلبوا الخير من حسان الوجوه " وفي هذا إرشاد إلى تصفح الوجوه وتأملها وخطب رجل امرأة فاستشار النبي صلى الله عليه وسلم في نكاحها فقال هل نظرت إليها فقال لا قال اذهب فانظر إليها ولو كان النظر حراما لما أطلق له أن ينظر فإنه لا يأمن الفتنة

وأما أقوال الأئمة فحكى السمعاني أن الشافعي رضي الله عنه كتب إليه رجل في رقعة

سل المفتى المكي هل في تزاور ... ونظرة مشتاق الفؤاد جناح

فأجابه الشافعي

معاذ إله العرش أن يذهب التقى ... تلاصق أكباد بهن جراح

وذكر الخرائطي هذا السؤال والجواب عن عطاء بن أبي رباح وأوله سألت عطاء المكي وذكر الحاكم في مناقب الشافعي رضي الله عنه من شعره

يقولون لا تنظر وتلك بلية ... ألا كل ذي عينين لا بد ناظر

وليس اكتحال العين بالعين ريبة ... إذا عف فيما بين الضمائر

وذكر الاسترباذي في كتاب مناقب الشافعي أن رجلا كتب إلى سعيد ابن المسيب

يا سيد التابعين والبره ... نسيت في **العشق** سورة البقره

فكن بفتواك مشفقا رفقا ... باهى بك الله أكرم البرره

هل حرم الله لثم خد فتى ... أوصافه بالجمال مشتهره." (٢)

"أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة نفطويه بقرطبة قال دخلت على محمد بن داود الأصبهاني في مرضه الذي مات فيه فقلت له كيف تجدك قال حب من تعلم أورثني ما ترى فقلت له ما منعك عن الاستمتاع به مع القدرة عليه قال الاستمتاع على وجهين أحدهما النظر المباح والثاني اللذة المحظورة فأما النظر المباح فأورثني ما ترى وذكر القصة وستأتي في باب عفاف العشاق والمقصود أنه لم ير النظر إلى معشوقه ولا **عشقه** حراما وجرى على هذا المذهب أبو محمد بن حزم في كتاب طوق الحمامة له قالوا ونحن نحاكمكم إلى واحد يعد بآلاف مؤلفة وهو شيخ الإسلام ابن تيمية فإنه سئل

---

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ابن القيم ص/١١٢

(٢) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ابن القيم ص/١١٣

ما تقول السادة الفقهاء رضي الله عنهم في رجل عاشق في صورة وهي مصرة على هجره منذ زمن طويل لا تزيده إلا بعدا ولا يزداد لها إلا حبا وعشقه لهذه الصورة من غير فسق ولا خنى ولا هو ممن يدنس عشقه بزنى وقد أفضى به الحال إلى الهلاك لا محالة إن بقي مع م حبوبه على هذه الحالة فهل يحل لمن هذه حاله أن يهجر وهل يجب وصاله علىالمحبوب المذكور وهل يأثم ببقائه على هجره وما يجب من تفاصيل أمرهما وما لكل واحد منهما على الآخر من الحقوق مما يوافق الشرع الشريف

فأجاب بخطه بجواب طويل قال في أثنائه فالعاشق له ثلاث مقامات ابتداء وتوسط ونهاية أما ابتداؤه فواجب عليه فيه كتمان ذلك وعدم إفشائه للخلق مراعيا في ذلك شرائط الفتوة من العفة مع القدرة فإن زاد به الحال إلى المقام الأوسط فلا بأس بإعلام محبوبه بمحبته إياه فيخف بإعلامه وشكواه إليه ما يجد منه ويحذر من اطلاع الناس على ذلك فإن زاد به الأمر حتى خرج عن الحدود والضوابط التحق بالمجانين والموسوسين فانقسم العشاق." (١)

"قسمين قسم قنعوا بالنظرة بعد النظرة فمنهم من يموت وهو كذلك ولا يظهر سره لأحد حتى محبوبه لا يدري به وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من عشق فعف فكتم فمات فهو شهيد والقسم الثاني أباحوا لمن وصل إلى حد يخاف على نفسه منه القبلة في الحين قالوا لأن تركها قد يؤدي إلى هلاك النفس والقبلة صغيرة وهلاك النفس كبيرة وإذا وقع الإنسان في مرضين داوى الأخطر ولا خطر أعظم من قتل النفس حتى أوجبوا على المحبوب مطاوعته على ذلك إذا علم أن ترك ذلك يؤدي إلى هلاكه واحتجوا بقول الله تعالى ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم﴾ وبقوله تعالى ﴿الذين يجتنبون كبائر الأثم والفواحش إلا اللمم﴾ وبحديث الذي قال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم إني لقيت امرأة أجنبية فأصبت منها كل شيء إلا النكاح قال أصليت معنا قال نعم قال إن الله قد غفر لك فأنزل الله تعالى ﴿وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات﴾ ثم قال فإن كان هذا السائل كما زعم ممن لا يدنس عشقه بزنى ولا يصحبه بخنى فينظر في حاله فإن كان من الطبقة الأولى." (٢)

"لا تتلاصق هذه الأكباد لئلا يذهب تلاصقها التقى فالتلاصق المذكور فاعل والتقى مفعول فكأنه قال لا يفعل لئلا يذهب التلاصق التقى وجواب آخر وهو أن هذا التلاصق إنما يكون غير مذهب للتقى إذا كان في عشق مباح بل مستحب كعشق الزوجة والأمة

---

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ابن القيم ص/١١٨

(٢) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ابن القيم ص/١١٩

وأما ما ذكروا عن سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى فقد أجاب عنه سعيد نفسه فإنه لما مر به مرخية هذا السائل وكان من بني كلاب قال سعيد هذا من أكذب العرب قيل كيف يا أبا محمد قال أليس الذي يقول:

سألت سعيد بن المسيب مفتي المدينة ... هل في حب دهماء من وزر

فقال سعيد بن المسيب إنما ... تلام على ما تستطيع من الأمر

كذب والله ما سألني عن شيء من هذا قط ولا أفتيته وإذا كان هذا جواب سعيد في مثل هذا فما جوابه لمن سأله أن يقبل حبيبا أجنبيا كل يوم وليلة عشرة فقبح الله الفسقة الكذابين على العلماء لا سيما على مثل سعيد فهؤلاء كلهم فسقة كاذبون أرادوا تنفيق فسقهم بالكذب على علماء وقتهم كما نفق الفاسق أبو نواس كذبه على إسحاق بن يوسف الأزرق قال عبد الله." (١)

"والمقصود أن القوم كانوا مع العاشق على معشوقه إذا كان يباح له وصاله وسنذكر ذلك في باب مساعدة العشاق بالمباح من التلاق إن شاء الله تعالى

وأما ما ذكروا عن شيوخ المعتزلة وشيوخ الواسطيين فأما أبو عثمان المذكور وهو عمرو بن عبيد وواصل وهو واصل بن عطاء وهما شيخا القوم ولو أفتيا بذلك لكانت فتيا من مبتدعين مذمومين عند السلف والخلف فكيف والمخبر بذلك رجل مجهول من المعتزلة كذب على من يعظمهما المعتزلة لينفق فسقه

وأما قصة محمد بن داود الأصبهاني فغايتها أن تكون من سعيه المعفو المغفور لا من عمله المشكور وسلط الناس بذلك على عرضه والله يغفر لنا وله فإنه تعرض بالنظر إلى السقم الذي صار به صاحب فراش وهذا لو كان ممن يباح له لكان نقصا وعيبا فكيف من صبي أجنبي وأرضاه الشيطان بحبه والنظر إليه عن مواصلته إذا لم يطمع في ذلك منه فنال منه ما عرف أن كيده لا يتجاوزه وجعله قدوة لمن يأتم به بعده كأبي محمد بن حزم الظاهري وغيره وكيد الشيطان أدق من هذا

وأما أبو محمد فإنه على قدر يبسه وقسوته في التمسك بالظاهر وإلغائه للمعاني والمناسبات والحكم والعلل الشرعية انماع في باب **العشق** والنظر وسماع الملاهي المحرمة فوسع هذا الباب جدا وضيق باب المناسبات والمعاني والحكم الشرعية جدا وهو من انحرافه في الطرفين حين رد الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه في تحريم آلات اللهو بأنه معلق غير مسند وخفي عليه أن البخاري لقي من علقه عنه وسمع منه وهو هشام

---

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ابن القيم ص/١٢٥

بن عمار وخفي عليه أن الحديث قد أسنده غير واحد من أئمة الحديث غير هشام بن عمار فأبطل سنة صحيحة." (١)

"ثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا مطعن فيها بوجه

وأما من حاكمتمونا إليه وهو شيخ الإسلام ابن تيمية فنحن راضون بحكمه فأين أباح لكم النظر المحرم وعشق المردان والنساء الأجانب وهل هذه إلا كذب ظاهر عليه وهذه تصانيفه وفتاواه كلها ناطقة بخلاف ما حكيتموه عنه وأما الفتيا التي حكيتموها فكذب عليه لا تناسب كلامه بوجه ولولا الإطالة لذكرناها جميعها حتى يعلم الواقف عليها أنها لا تصدر عمن دونه فضلا عنه وقلت لمن أوقفني عليها هذه كذب عليه لا يشبه كلامه وكان بعض الأمراء قد أوقفني عليها قديما وهي بخط رجل متهم بالكذب وقال لي ما كنت أظن الشيخ برقة هذه الحاشية ثم تأملتها فإذا هي كذب عليه ولولا الإطالة لذكرنا من فتاويه ما يبين أن هذه كذب

وأما ما ذكرتم من مسألة التزام أدنى المفسدتين لدفع أعلاهما فنحن لا ننكر هذه القاعدة بل هي من أصح قواعد الشريعة ولكن الشأن في إدخال هذه الصورة فيها بل نحاكمكم إلى هذه القاعدة نفسها فإن احتمال مفسدة ألم الحب مع غض البصر وعدم تقبيل المحبوب وضمه ونحو ذلك أقل من مفسدة النظر والتقبيل فإن هذه المفسدة تجر إلى هلاك القلب وفساد الدين وغاية ما يقدر من مفسدة الإمساك عن ذلك سقم الجسد أو الموت تفاديا عن التعرض للحرام فأين إحدى المفسدتين من الأخرى على أن النظر والقبلة." (٢)

"والضم لا يمنع السقم والموت الحاصل بسبب الحب فإن العشق يزيد بذلك ولا يزول

فما صبابة مشتاق على أمل ... من الوصال كمشتاق بلا أمل

ولا ريب في أن محبة من له طمع أقوى من محبة من يئس من محبوبه ولهذا قال الشاعر

وأبرح ما يكن الحب يوما ... إذا دنت الديار من الديار

فإن قيل فقد أباح الله سبحانه للمضطر الميتة والدم ولحم الخنزير وتناولها في هذه الحال واجب عليه قال مسروق والإمام أحمد رحمهما الله تعالى من اضطر إلى أكل الميتة فلم يأكل فمات دخل النار فغاية النظرة والقبلة والضمة أن تكون محرمة فإذا اضطر العاشق إليها فإن لم تكن واجبة فلا أقل من أن تكون مباحة

---

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ابن القيم ص/١٣٠

(٢) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ابن القيم ص/١٣١

فهذا قياس واعتبار صحيح وأين مفسدة موت العاشق إلى مفسدة ضمه ولمه

فالجواب أن هذا يتبين بذكر قاعدة وهي أن الله سبحانه وتعالى لم يجعل في العبد اضطرارا إلى الجماع بحيث إن لم يفعله مات بخلاف اضطراره إلى الأكل والشرب واللباس فإنه من قوام البدن الذي إن لم يباشره هلك ولهذا لم يبح من الوطء الحرام ما أباح من تناول الغذاء والشراب المحرم فإن هذا من قبيل الشهوة واللذة التي هي تتمة وفضلة ولهذا يمكن الإنسان أن يعيش طول عمره بغير تزوج وغير تسر ولا يمكنه أن يعيش بغير طعام ولا شراب ولهذا أمر النبي صلى الله عليه وسلم الشباب أن يداووا هذه الشهوة بالصوم وقال تعالى عن عشاق المردان ﴿إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون." (١)

"هل ورد الشرع بتحليله ... لمستهام خاف من وزره

من قارف الفتنة ثم ادعى ال ... عصمة قد نافق في أمره

هل فتنة المرء سوى الضم والت ... قبيل للحب على ثغره

وهل دواعي ذلك المشتهى ... إلا عناق البدر في خدره

وبذله ذاك لمشتاقه ... يزري على هاروت في سحره

ولا يجيز الشرع أسباب ما ... يورط المسلم في حظره

فانج ودع عنك صداع الهوى ... عساك أن تسلم من شره

هذا جواب الكلوزاني قد ... جاءك يرجو الله في أجره

فهذا جواب أهل العلم وهو مطابق لما ذكرناه والله تعالى أعلم

وسئل الإمام أبو الفرج بن الجوزي رحمه الله بأبيات

يا أيها العالم ماذا ترى ... في عاشق ذاب من الوجد

من حب ظبي أغيد أهيف ... سهل المحيا حسن القد

فهل ترى تقبيله جائزا ... في الفم والعينين والخد

من غير ما فحش ولا ريبة ... بل بعناق جائز الحد

إن كنت ما تفتي فإني إذا ... أصيح من وجدي وأستعدي

فكتب رحمه الله تعالى الجواب

ياذا الذي ذاب من الوجد ... وظل في ضر وفي جهد

---

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ابن القيم ص/١٣٢

إسمع فدتك النفس من ناصح ... بنصحه يهدي إلى الرشد

لو صح منك **العشق** ما جئتني ... تسألني عنه وتستعدي

فالعاشق الصادق في حبه ... ما باله يسأل ما عندي." (١)

"غيبه **العشق** فما إن يرى ... يعيد في **العشق** ولا يبدي

وكل ما تذكر مستفتيا ... حرمه الله على العبد

إلا لما حلله ربنا ... في الشرع بالإبرام والعقد

فعد من طرق الهوى معرضا ... وقف بباب الواحد الفرد

وسله يشفيك ولا يبتلي ... قلبك بالتعذيب والصد

وعف في **العشق** ولا تبده ... واصبر وكاتم غاية الجهد

فإن تمت محتسبا صابرا ... تفز غدا في جنة الخلد." (٢)

"الباب العاشر: في ذكر حقيقة **العشق** وأوصافه وكلام الناس

فيه فالذي عليه الأطباء قاطبة أنه مرض وسواسي شبيه بالماليخوليا يجلبه المرء إلى نفسه بتسليط فكره على استحسان بعض الصور والشمائل وسببه النفساني الاستحسان والفكر وسببه البدني ارتفاع بخار رديء إلى الدماغ عن مني محتقن ولذلك أكثر ما يعتري العزاب وكثرة الجماع تزيله بسرعة

وقال بعض الفلاسفة **العشق** طمع يتولد في القلب ويتحرك وينمي ثم يتربى ويجتمع إليه مواد من الحرص وكلما قوي ازداد صاحبه في الاهتياج واللجاج والتمادي في الطمع والحرص على الطلب حتى يؤديه ذلك إلى الغم والقلق ويكون احتراق الدم عند ذلك باستحالته إلى السوداء والتهاب الصفراء وانقلابها إليها ومن غلبة السوداء يحصل له فسادالفكر ومع فساد الفكر يكون زوال العقل ورجاء ما لا يكون وتمني مالا يتم حتى يؤدي إلى الجنون فحينئذ ربما قتل العاشق نفسه وربما مات غما وربما نظر إلى معشوقه فمات فرحا وربما شهق شهقة فتختنق روحه فيبقى أربعة وعشرين ساعة فيظن أنه قد مات فيدفن وهو حي وربما تنفس الصعداء فتختنق نفسه في تامور قلبه وينضم عليها القلب ولا ينفرج حتى يموت وتراه إذا ذكر له من يهواه

---

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ابن القيم ص/١٣٥

(٢) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ابن القيم ص/١٣٦

هرب دمه واستحال لونه وقال أفلاطون **العشق** حركة النفس الفارغة وقال أرسطاطاليس **العشق** عمى الحس عن إدراك عيوب المحبوب ومن هذا أخذ جرير قوله." (١)

"فلست براء عيب ذي الود كله ... ولا بعض ما فيه إذا كنت راضيا

فعين الرضى عن كل عيب كليلة ... ولكن عين السخط تبدي المساويا

وقال أرسطو **العشق** جهل عارض صادف قلبا فارغا لا شغل له من تجارة ولا صناعة وقال غيره هو سوء اختيار صادف نفسا فارغة

قال قيس بن الملوح

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى ... فصادف قلبا خاليا فتمكنا

وقال بعضهم لم أر حقا أشبه بباطل ولا باطلا أشبه بحق من **العشق** هزله جد وجده هزل وأوله لعب وآخره عطب وقال الجاحظ **العشق** اسم لما فضل عن المحبة كما أن السرف اسم لما جاوز الجود والبخل اسم لما جاوز الاقتصاد فكل **عشق** يسمى حبا وليس كل حب يسمى **عشقا** والمحبة جنس **والعشق** نوع منها ألا ترى أن كل محبة شوق وليس كل شوق محبة وقالت فرقة أخرى **العشق** هو الاستهيام والتضرع واللوذان بالمعشوق والوجد هو الحب الساكن والهوى أن يهوى الشيء فيتبعه غيا كان أو رشدا والحب حرف ينتظم هذه الثلاثة وقال المأمون ليحيى بن أكثم ما **العشق** فقال سوانح تسنح للمرء فيهيم بها قلبه وتؤثرها نفسه فقال له ثمامة بن أشرس اسكت يا يحيى إنما عليك أن تجيب في مسألة طلاق أو محرم صاد ظبيا فأما هذه فمن مسائلنا نحن فقال له المأمون قل يا ثمامة قال **العشق** جليس ممتع وأليف مؤنس وصاحب ملك مسالكه لطيفة ومذاهبه غامضة وأحكامه جارية ملك الأبدان وأرواحها." (٢)

"والقلوب وخواطرها والعقول وآراءها قد أعطي عنان طاعتها وقوة تصرفها توارى عن الأبصار مدخله وعمي في القلوب مسلكه فقال له المأمون أحسنت يا ثمامة وأمر له بألف دينار

وقال بعضهم قلت لمجنون قد أذهب عقله **العشق** أجز هذاالبيت

وما الحب إلا شعلة قدحت بها ... عيون المها باللحظ بين الجوانح

فقال بديها

ونار الهوى تخفى وفي القلب فعلها ... كفعل الذي جاءت به كف قادح

---

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ابن القيم ص/١٣٧

(٢) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ابن القيم ص/١٣٨

وقال الأصمعي سألت أعرابيا عن العشق فقال جل والله عن أن يرى وخفي عن أبصار الورى فهو في الصدور كامن ككمون النار في الحجر إن قدح أوري وإن ترك تواری وقال بعضهم العشق نوع من الجنون والجنون فنون فالعشق فن من فنونه واحتج بقول قيس

قالوا جننت بمن تهوى فقلت لهم ... ألعشق أعظم مما بالمجانين

العشق لا يستفيق الدهر صاحبه ... وإنما يصرع المجنون في الحين

وقال آخر إذا امتزجت جواهر النفوس بوصف المشاكلة أنتجت لمح نور ساطع تستضيء به النفس في معرفة محاسن المعشوق فتسلك طريق الوصول إليه وقال أعرابي العشق أعظم مسلكا في القلب من الروح في الجسم وأملك بالنفس من ذاتها بطن وظهر فامتنع وصفه عن اللسان وخفي نعته عن البيان فهو بين السحر والجنون لطيف المسلك والكمون وقيل العشق ملك غشوم مسلط ظلوم دانت له القلوب وانقادت له الألباب وخضعت." (١)

.."

له النفوس العقل أسيره والنظر رسوله واللحظ لفظه دقيق المسلك عسير المخرج وقيل لآخر ما تقول في العشق فقال إن لم يكن طرفا من الجنون فهو نوع من السحر

وأما الفلاسفة المشاؤون فقالوا هو اتفاق أخلاق وتشاكل محبات وتجانسها وشوق كل نفس إلى مشاكلها ومجانسها في الخلقة القديمة قبل إهباطها إلى الأجساد قلت هذا مبني على قولهم الفاسد بتقدم النفوس على الأبدان وعليه بنى ابن سينا قصيدته المشهورة

هبطت إليك من المحل الأرفع

وسمعت شيخنا يحكي عن بعض فضلاء المغاربة وهو جمال الدين بن الشريشي شارح المقامات أنه كان ينكر أن تكون هذه له قال وهي مخالفة لما قرره في كتبه من أن حدوث النفس الناطقة مع البدن

وقال آخرون في وصفه دق عن الأفهام مسلكه وخفي عن الأبصار موضعه وحارت العقول في كيفية تمكنه غير أن ابتداء حركته وعظم سلطانه من القلب ثم يتغشى سائر الأعضاء فيبدي الرعدة في الأطراف والصفرة في الألوان والضعف في الرأي واللجلجة في الكلام والزلل والعثار حتى ينسب صاحبه إلى الجنون وقيل لأبي زهير المديني ما العشق قال الجنون والذل وهو داء أهل الظرف ونظر عاشق إلى معشوقه فارتعدت

---

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ابن القيم ص/١٣٩

فرائصه وغشي عليه فقيل لحكيم ما الذي أصابه فقال نظر إلى من يحبه فانفرج له قلبه فتحرك الجسم بانفراج القلب فقيل له نحن نحب أولادنا وأهلنا ولا." (١)

"يصيبنا ذلك فقال تلك محبة العقل وهذه محبة الروح قال

وما هو إلا أن يراها فجاءة ... فتصطك رجلاه ويسقط للجنب

وقال العشق ملك مسلط على قهر النفوس وأسر القلوب قال الشاعر

ملك القلوب فأصبحت في أسره ... وبودها أن لا يفك إسارها

وقال أعرابي في وصفه بالقلب وثبته وبالفؤاد وجبته وبالأحشاء ناره وسائر الأعضاء خدامه فالقلب من العاشق ذاهل والدمع منه هامل والجسم منه ناحل مرور الليالي تجدده وإساءة المحبوب لا تفسده وقيل ليس هو موقوفا على الحسن والجمال وإنما هو تشاكل النفوس وتمازجها في الطباع المخلوقة فيها كما قيل

وما الحب من حسن ولا من ملاحة ... ولكنه شيء به الروح تكلف

وقيل أول العشق عناء وأوسطه سقم وآخره قتل كما قال ابن الفارض رحمه الله

هو الحب فاسلم بالحشا ما الهوى سهل ... فما اختاره مضنى به وله عقل

وعش خاليا فالحب أوله عنى ... وأوسطه سقم وآخره قتل." (٢)

"الباب الحادي عشر: في العشق هل هو اضطراري خارج عن الاختيار أو أمر اختياري واختلاف الناس في ذلك وذكر الصواب فيه

فنقول اختلف الناس في العشق هل هو اختياري أو اضطراري خارج عن مقدور البشر فقالت فرقة هو اضطراري وليس باختياري قالوا وهو بمنزلة محبة الظمآن للماء البارد والجائع للطعام وهذا مما لا يملك قال بعضهم والله لو كان لي من الأمر شيء ما عذبت عاشقا لأن ذنوب العشاق اضطرارية فإذا كان هذا قوله فيما تولد عن العشق من فعل اختياري فما الظن بالعشق نفسه وقال أبو محمد بن حزم قال رجل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه يا أمير المؤمنين إني رأيت امرأة فعشقتها فقال عمر ذاك مما لا يملك

وقال كامل في سلمى

يلومونني في حب سلمى كأنما ... يرون الهوى شيئا تيممته عمدا

ألا إنما الحب الذي صدع الحشا ... قضاء من الرحمن يبلو به العبدا

---

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ابن القيم ص/١٤٠

(٢) روضة المحبين ونزهة المشت ا قين ابن القيم ص/١٤١

وقال التميمي في كتاب امتزاج الأرواح سئل بعض الأطباء عن **العشق** فـقال إن وقوعه بأهله ليس باختيار منهم ولا بحرصهم عليه ولا لذة لأكثرهم فيه ولكن وقوعه بهم كوقوع العلل المدنفة والأمراض المتلفة لا فرق بينه وبين ذلك وقال المدائني لام رجل رجلا من أهل الهوى فقال لو صح لذي هوى اختيار لاختار أن لا يهوى ويدل على ذلك من السنة ما رواه." (١)

"البخاري في صحيحه من قصة بريرة أن زوجها كان يمشي خلفها بعد فراقها له وقد صارت أجنبية منه ودموعه تسيل على خديه فقال النبي صلى الله عليه وسلم "يا عباس ألا تعجب من حب مغيث بريرة ومن بغض بريرة مغيثا ثم قال لها لو راجعتيه فقالت أتأمرني فقال إنما أنا شافع قالت لا حاجة لي فيه" ولم ينهه عن **عشقها** في هذه الحال إذ ذلك شيء لا يملك ولا يدخل تحت الاختيار وقال جامع

سألت سعيد بن المسيب مفتي ال ... مدينة هل في حب دهماء من وزر

فقال سعيد بن المسيب إنما ... يلام على ما يستطاع من الأمر

قالوا **والعشق** نوع من العذاب والعاقل لا يختار عذاب نفسه وفي هذا قال المؤمل

شف المؤمل يوم الحيرة النظر ... ليت المؤمل لم يخلق له بصر

يكفي المحبين في الدنيا عذابهم ... والله لا عذبتهم بعدها سقر

فيقال إنه عمي بعد هذا وقال آخر ليس الهوى إلى الرأي فيملكه ولا إلى العقل فيدركه ثم أنشد

ليس خطب الهوى بخطب يسير ... لا ينبيك عنه مثل خبير

ليس أمر الهوى يدبر بالرأ ... ي ولا بالقياس والتفكير

إنما الأمر في الهوى خطرات ... محدثات الأمور بعد الأمور

وقال القاضي أبو عمر محمد بن أحمد بن محمد بن سلمان النوقاتي في كتابه." (٢)

"محنة الظراف العشاق معذورون على الأحوال إذ **العشق** إنما دهاهم عن غير اختيار بل اعتراهم عن جبر واضطرار والمرء إنما يلام على ما يستطيع من الأمور لا على المقضي عليه والمقدور فقد قيل إن الحامل كانت ترى يوسف عليه الصلاة والسلام فتضع حملها فكيف ترى هذه وضعته أباختيار كان ذلك أم باضطرار قال غيره وهؤلاء النسوة قطعن أيديهن لما بدا لهن حسن يوسف عليه السلام وما تمكن حبه من قلوبهن فكيف لو شغفن حبا وكان مصعب بن الزبير إذا رأته المرأة حاضت لحسنه وجماله قال فيه

---

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ابن القيم ص/١٤٢

(٢) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ابن القيم ص/١٤٣

الشاعر

إنما مصعب شهاب من الل ... ه تجلت عن وجهه الظلماء

ومن هاهنا أخذ أحمد بن الحسين الكندي المتنبي قوله

تق الله واستر ذا الجمال ببرقع ... فإن لحت حاضت في الخدور العواتق

فإذا كان هذا من مجرد الرؤية فكيف بالمحبة التي لا تملك وقال هشام ابن عروة عن أبيه مات بالمدينة عاشق فصلى عليه زيد بن ثابت فقيل له في ذلك فقال إني رحمته ورؤي أبو السائب المخزومي وكان من العلم والدين بمكان متعلقا بأستار الكعبة وهو يقول اللهم ارحم العاشقين وقو قلوبهم واعطف عليهم قلوب المعشوقين فقيل له في ذلك فقال والله للدعاء لهم أفضل من عمرة من الجعرانة ثم أنشد

يا هجر كف عن الهوى ودع الهوى ... للعاشقين يطيب يا هجر

ماذا تريد من الذين جفونهم ... قرحى وحشو قلوبهم جمر." (١)

"متبلدين من الهوى ألوانهم ... مما تجن قلوبهم صفر

وسوابق العبرات فوق خدودهم ... درر تفيض كأنها قطر

ويذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بجارية تتغنى

هل علي ويحكما ... إن هويت من حرج

فتبسم وقال "لا حرج إن شاء الله " قالوا وقد فسر كثير من السلف قوله تعالى ﴿ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به﴾ **بالعشق** وهذا لم يريدوا به التخصيص وإنما أرادوا به التمثيل وأن **العشق** من تحميل مالا يطاق والمراد بالتحميل هاهنا التحميل القدري لا الشرعي الأمري قالوا وقد رأينا جماعة من العشاق يطوفون على من يدعو لهم أن يعافيهم الله من **العشق** ولو كان اختيارا لأزالوه عن نفوسهم ومن هاهنا يتبين خطأ كثير من العاذلين وعذلهم في هذه الحال بمنزلة عذل المريض في مرضه قال." (٢)

"ياعاذلي والأمر في يده ... هلا عذلت وفي يدي الأمر

وإنما ينبغي العذل قبل تعلق هذا الداء بالقلب كما قيل فيه

يذكرني حم ولرمح شاجر ... فهلا تلاحم قبل التقدم

وقالت فرقة أخرى بل اختياري تابع لهوى النفس وإرادتها بل هو استحكام الهوى الذي مدح الله من نهى

---

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ابن القيم ص/١٤٤

(٢) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ابن القيم ص/١٤٥

عنه نفسه فقال تعالى ﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى﴾ فمحال أن ينهى الإنسان نفسه عما لا يدخل تحت قدرته

قالوا والعشق حركة اختيارية للنفس إلى نحو محبوبها وليس بمنزلة الحركات الاضطرارية التي لا تدخل تحت قدرة العبد قالوا وقد ذم الله سبحانه وتعالى أصحاب المحبة الفاسدة الذين يحبون من دونه أندادا ولو كانت المحبة اضطرارية لما ذموا على ذلك قالوا ولأن المحبة إرادة قوية والعبد يحمد ويذم على إرادته ولهذا يحمد مريد الخير وإن لم يفعله ويذم مريد الشر وإن لم يفعله وقد ذم الله الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا وأخبر أن لهم عذابا أليما ولو كانت المحبة لا تملك لم يتوعدهم بالعذاب على." (١)

"ما لا يدخل تحت قدرتهم قالوا والعقلاء قاطبة مطبقون على لوم من يحب ما يتضرر بمحبته وهذا فطرة فطر الله عليها الخلق فلو اعتذر بأني لا أملك قلبي لم يقبلوا له عذرا

فصل:

وفصل النزاع بين الفريقين أن مبادىء العشق وأسبابه اختيارية داخلة تحت التكليف فإن النظر والتفكر والتعرض للمحبة أمر اختياري فإذا أتى بالأسباب كان ترتب المسبب عليها بغير اختياره كما قيل

تولع بالعشق حتى عشق ... فلما استقل به لم يطق

رأى لجة ظنها موجة ... فلما تمكن منها غرق

تمنى الإقالة من ذنبه ... فلم يستطعها ولم يستطق

وهذا بمنزلة السكر من شرب الخمر فإن تناول المسكر اختياري وما يتولد عنه السكر اضطراري فمتى كان السبب واقعا باختياره لم يكن معذورا فيما تولد عنه بغير اختياره فمتى كان السبب محظورا لم يكن السكران معذورا ولا ريب أن متابعة النظر واستدامة الفكر بمنزلة شرب المسكر فهو يلام على السبب ولهذا إذا حصل العشق بسبب غير محظور لم يلم عليه صاحبه كمن كان يعشق امرأته أو جاريته ثم فارقها وبقي عشقها غير مفارق له فهذا لا يلام على ذلك كما تقدم في قصة بريرة ومغيث وكذلك إذا نظر نظرة فجاءة ثم صرف بصره وقد تمكن العشق من قلبه بغير اختياره على أن عليه مدافعته وصرفه." (٢)

"عن قلبه بضده فإذا جاء أمر يغلبه فهناك لا يلام بعد بذل الجهد في دفعه ومما يبين ما قلناه أن سكر العشق أعظم من سكر الخمر كما قال الله تعالى عن عشاق الصور من قوم لوط ﴿لعمرك إنهم لفي

---

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ابن القيم ص/١٤٦

(٢) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ابن القيم ص/١٤٧

سكرتهم يعمهون﴾ وإذا كان أدنى السكرين لا يعذر صاحبه إذا تعاطى أسبابه فكيف يعذر صاحب السكر الأقوى مع تعاطي أسبابه وإذ قد وصلنا إلى هذا الموضع فلنذكر بابا في سكرة الحب وسببها." (١)

"عبدي وأنا ربك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "أخطأ من شدة الفرح " ولم يكن بذلك كافرا لعدم قصده وذكر النبي صلى الله عليه وسلم ذلك تحقيقا لشدة الفرح الذي أفضى به إلى ذلك وإنما كانت هذه الأشياء قد توجب السكر لأن السكر سببه ما يوجب اللذة القاهرة التي تغمر العقل وسبب اللذة إدراك المحبوب فإذا كانت المحبة قوية وإدراك المحبوب قويا والعقل ضعيفا حدث السكر لكن ضعف العقل يكون تارة من ضعف المحبة وتارة من قوة السبب الوارد ولهذا يحصل السكر للمبتدئين في إدراك الرئاسة والمال **والعشق** والخمر مالا يحصل لمن اعتاد ذلك وتمكن فيه

فصل

ومن أقوى أسباب السكر الموجبة له سماع الأصوات المطربة من جهتين من جهة أنها في نفسها توجب لذة قوية ينغمر معها العقل ومن جهة أنها تحرم النفس إلى نحو محبوبها كائنا ما كان فيحصل بتلك الحركة الشوق والطلب مع التخيل للمحبوب وإدناء صورته إلى القلب واستيلائها على الفكرة لذة عظيمة تقهر العقل فتجتمع لذة الألحان ولذة الأشجان ولهذا يقرن المعنيون بهذه اللذات سماع الألحان بالشراب كثيرا ليكمل لهم السكر بالشراب **والعشق** والصوت المطرب فيجدون من لذة الوصال وسكره في هذه الحال مالا يجدونه بدونها

فالخمر شراب النفوس والألحان شراب الأرواح ولا سيما إذا اقترن بها من الأقوال ما فيه ذكر المحبوب ووصف حال المحب على مقتضالحال التي." (٢)

"الباب الرابع عشر: فيمن مدح **العشق** وتمناه وغبط صاحبه على ما أوتيه من مناه

هذا موضع انقسم الناس فيه قسمين وربما كان الشخص الواحد فيه مجموع الحالتين فقسم مدحوا **العشق** وتمنوه ورغبوا فيه وزعموا أن من لم يذق طعمه لم يذق طعم العيش قالوا وقد تبين أن كمال اللذة تابع لكمال الحب فأعظم الناس لذة بالشيء أكثرهم محبة له وقد تقدم بقريره قالوا وقد حبب الله سبحانه وتعالى إلى رسله وأنبيائه نساءهم وسراريهم فكان آدم أبو البشر شديد المحبة لحواء وقد أخبر الله سبحانه وتعالى أنه خلق زوجته منه ليسكن إليها قالوا وحبه لها هو الذي حمله على موافقتها في الأكل من الشجرة قالوا وأول

---

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ابن القيم ص/١٤٨

(٢) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ابن القيم ص/١٥٣

حب كان في هذا العالم حب آدم لحواء وصار ذلك سنة في ولده في المحبة بين الزوجين قالوا وهذا داود من محبته للنساء جمع بين مائة امرأة وكذلك ابنه سليمان قالوا وقد عاب اليهود عليهم لعائن الله رسول الله صلى الله عليه وسلم محبة النساء وكثرة تزوجه فأنزل الله سبحانه وتعالى ذبا عن رسوله وإخبارا بأن ذلك من فضله وإنعامه عليه ﴿أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما﴾ قالوا وقد كان عند إبراهيم خليل الرحمن أجمل النساء سارة ثم تسرى بهاجر وكانت المحبة لها قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه كان إبراهيم الخليل يحب سريته هاجر محبة." (١)

"إنها حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان مسروق إذا حدث عن عائشة رضي الله عنها يقول حدثتني الصديقة بنت الصديق حبيبة رسول رب العالمين المبرأة من فوق سبع سموات قال أبو محمد بن حزم وقد أحب من الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين كثير

قال الخرائطي واشترى عبد الله بن عمر جارية رومية فكان يحبها حبا شديدا فوقعت ذات يوم عن بغلة له فجعل يمسح التراب عن وجهها ويفديها وكانت تقول له أنت قالون تعني جيد ثم إنها هربت منه فوجد عليها وجدا شديدا وقال

قد كنت أحسبني قالون فانصرفت ... فاليوم أعلم أني غير قالون

وقصة مغيث **وعشقه** بريرة حتى إنه كان يطوف وراءها ودموعه تسيل على خديه في الصحيح وكان عروة بن أذينة شيخ مالك من العلماء الثقات الصلحاء وقفت عليه امرأة فقالت أنت الذي يقال له الرجل الصالح وأنت تقول

إذا وجدت لهيب الحب في كبدي ... عمدت نحو سقاء القوم أبترد

هذا بردت ببرد الماء ظاهره ... فمن لنار على الأحشاء تتقد

وكان محمد بن سيرين ينشد

إذا خدرت رجلي تذكرت من لها ... فناديت لبنى باسمها ودعوت

دعوت التي لو أن نفسي تطيعني ... لألقيت نفسي نحوها وقضيت." (٢)

---

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ابن القيم ص/١٦٩

(٢) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ابن القيم ص/١٧٢

"وقال صالح عن ابن شهاب حدثني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن ابن مسعود رضي الله عنه قال بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في قريب من ثمانين رجلا ليس فيهم إلا قرشي والله ما رأيت صفحة وجوه قط أحسن من وجوههم يومئذ قال فذكروا النساء فتحدثوا فيهن وتحدثت معهم حتى أحببت أن نسكت قالوا ولولا لطافة الحب ولذته ما تمناه المتمنون وقال شاعر الحماسة

تشكى المحبون الصبابة ليتني ... تحملت ما يلقون من بينهم وحدي

فكانت لقلبي لذة الحب كلها ... فلم يلقها قبلي محب ولا بعدي

قالوا والعشق المباح مما يؤجر عليه العاشق كما قال شريك بن عبد الله وقد سئل عن العشاق فقال أشدهم حبا أعظمهم أجرا وصدق والله إذا كان المعشوق ممن يحب الله للعاشق قربه ووصله وقالت امرأة

لن يقبل الله من معشوقه عملا ... يوما وعاشقها لهفان مهجور

ليست بمأجورة في قتل عاشقها ... لكن عاشقها في ذاك مأجور

ونحن نقول متى باتت مهاجرة لفراش عاشقها الذي هو بعلها لعنتها الملائكة حتى تصبح قالوا والعشق يصفي العقل ويذهب الهم ويبعث على حسن اللباس وطيب المطعم ومكارم الأخلاق ويعلي الهمة ويحمل على طيب الرائحة وكرم العشرة وحفظ الأدب والمروءة وهو بلاء الصالحين ومحنة العابدين وهو ميزان العقول وجلاء الأذهان وهو خلق الكرام كما قيل

وما أحببتها فحشا ولكن ... رأيت الحب أخلاق الكرام

قالوا وأرواح العشاق عطرة لطيفة وأبدانهم رقيقة ضعيفة وأزواجهم." (١)

"بطيئة الانقياد لمن قادها حاشا سكنها الذي سكنت إليه وعقدت حبها عليه وكلامهم ومنادمتهم تزيد في العقول وتحرك النفوس وتطرب الأرواح وتلهو بأخبارهم أولو الألباب

فأحاديث العشاق زينة مجالسهم وروح محادثتهم ويكفي أن يكون الأعرابي الذي لا يذكر مع الملوك ولا مع الشجعان الأبطال يعشق ويشتهر بالعشق فيذكر في مجالس الملوك والخلفاء ومن دونهم وتدون أخباره وتروى أشعاره ويبقى له العشق ذكرا مخلدا ولولا العشق لم يذكر له اسم ولم يرفع له رأس

وقال بعض العقلاء العشق للأرواح بمنزلة الغذاء للأبدان إن تركته ضرك وإن أكثرت منه قتلك

وقال ابن عبد البر في كتابه بهجة المجالس وجد في صحيف لبعض أهل الهند العشق ارتياح جعل في الروح وهو معنى تنتجه النجوم في مطارح شعاعها ويتولد في الطباع بوصلة أشكالها وتقبله الروح بلطيف

---

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ابن القيم ص/١٧٣

جوهرها وهو يعد جلاء القلوب وصيقل الأذهان ما لم يفرط فإذا أفرط صار سقما قاتلا ومرضا منهكا لا تنفذ فيه الآراء ولا تنجع فيه الحيل والعلاج منه زيادة فيه

وقال أعرابي هو أنيس النفس ومحادث العقل تجنه الضمائر وتخدمه الجوارح وقال عبد الله بن طاهر أمير خراسان لولده اعشقوا تظرفوا وعفوا تشرفوا وقال قدامة وصفه بعض البلغاء فقال يشجع الجبان ويسخي البخيل ويصفي ذهن البليد ويفصح لسان العيي ويبعث حزم العاجز." (١)

"ويويذل له عز الملوك وتصدع له صولة

...

الشجاع وهو داعية الأدب وأول باب تفتق به الأذهان والفطن وتستخرج به دقائق المكايد والحيل وإليه تستروح الهمم وتسكن نوافر الأخلاق والشيم يمتع جليسه ويؤنس أليفه وله سرور يجول في النفوس وفرح يسكن في القلوب وقيل لبعض الرؤساء ابنك قد عشق فقال الحمد لله الآن رقت حواشيه ولطفت معانيه وملحت إشاراته وظرفت حركاته وحسنت عباراته وجادت رسائله وحلت شمائله فواظب على المليح واجتنب القبيح

وقيل لآخر ذلك فقال إذا عشق لطف وظرف ودق ورق وقيل لبعضهم متى يكون الفتى بليعا قال إذا صنف كتابا أو وصف هوى أو حبيبا وقيل لسعيد بن أسلم إن ابنك شرع في الرقيق من الشعر فقال دعوه يظرف وينظف ويلطف وقال العباس بن الأحنف

وما الناس إلا العاشقون ذوو الهوى ... ولا خير فيمن لا يحب ويعشق

وقال الحسين بن مطير

إن الغواني جنة ريحانها ... نضر الحياة فأين عنها نعزف

لولا ملاحتهن ما كانت لنا ... دنيا نلذ بها ولا نتصرف

وقال غيره

ولا خير في الدنيا ولا في نعيمها ... وأنت وحيد مفرد غير عاشق

وقال آخر

هل العيش إلا أن تروح وتغتدي ... وأنت بكأس العشق في الناس نشوان." (٢)

---

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ابن القيم ص/١٧٤

(٢) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ابن القيم ص/١٧٥

"وقال العطوي

ما دنت بالحب إلا ... والحب دين الكرام

وقال آخر

نظرت إليها نظرة فهويتها ... ومن ذا له عقل سليم ولا يهوى

وقال آخر

وما سرني أني خلي من الهوى ... ولو أن لي ما بين شرق ومغرب

وقال آخر

وما تلفت إلا من **العشق** مهجتي ... وهل طاب عيش لامرئ غير عاشق

وقال آخر

ولا خير في الدنيا بغير صبابة ... ولا في نعيم ليس فيه حبيب

وقال الكميت

ما ذاق بؤس معيشة ونعيمها ... فيما مضى أحد إذا لم **يعشق**

ألعشق فيه حلاوة ومرارة ... فاسأل بذلك من تطعم أو ذوق

وقال آخر

وما طابت الدنيا بغير محبة ... وأي نعيم لامرئ غير عاشق

وقال آخر

أسكن إلى سكن تلذ بحبه ... ذهب الزمان وأنت خال مفرد

وقال آخر

إذا أنت لم **تعشق** ولم تدر ما الهوى ... فأنت وعير في الفلاة سواء

وقال آخر

إذا أنت لم **تعشق** ولم تدر ما الهوى ... فكن حجرا من يابس الصخر جلمدا." (١)

"وقال آخر

إذا أنت لم **تعشق** ولم تدر ما الهوى ... فقم فاعتلف تبنا فأنت حمار

وقال آخر

---

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ابن القيم ص/١٧٦

إذا لم تذق في هذه الدار صبوة ... فموتك فيها والحياة سواء

وقال الأقرع بن معاذ

ولا خير في الدنيا إذا أنت لم تزر ... حبيبا ولا وافى إليك حبيب

وقال آخر

وما ذاق طعم العيش من لم يكن له ... حبيب إليه يطمئن ويسكن

وقال علي بن أبي كثير لابن أبي الزرقاء هل **عشقت** قط حتى تكاتب وتراسل وتواعد قال لا فقال لا يجيء منك شيء وكان لبعض الملوك ولد واحد ساقط الهمة دنيء النفس فاتر فأراد أن يرشحه للملك فسلط عليه الجواري والقيان **فعشق** منهن واحدة فأعلم بذلك الملك فسر وأرسل إلى المعشوقة أن تجني عليه وقولي إني لا أصلح إلا لملك أو عالم فلما قالت له ذلك أخذ في التعلم وما عليه الملوك من أدوات الملك حتى برع في ذلك وقال المرزباني سئل أبو نوفل هل يسلم أحد من **العشق** فقال نعم الجلف الجافي الذي ليس له فضل ولا عنده فهم فأما من في طبعه أدنى ظرف أو معه دمائة أهل الحجاز وظرف أهل العراق فهيهات وقال علي بن عبدة لا يخلو أحد من صبوة إلا أن يكون جافي الخلقة ناقصا أو منقوص الهمة أو على خلاف تركيب الاعتدال." (١)

"قالوا ولا يكمل أحد قط إلا من **عشقه** لأهل الكمال وتشبه بهم فالعالم يبلغ في العلم بحسب **عشقه** له وكذلك صاحب كل صناعة وحرفة ويكفي أن العاشق يرتاح لكريم الأخلاق والأفعال والشيم لتحمد شمائله عند معشوقه كما قال

ويرتاح للمعروف في طلب العلى ... لتحمد يوما عند ليلى شمائله

وقال أبو المنجاب رأيت في الطواف فتى نحيف الجسم بين الضعف يلوذ ويتعوذ ويقول

وددت بأن الحب يجمع كله ... فيقذف في قلبي وينغلق الصدر

فلا ينقضي ما في فؤادي من الهوى ... ومن فرحي بالحب أو ينقضي العمر

فقلت يا فتى أما لهذه البنية حرمة تمنعك عن هذا الكلام فقال بلى والله ولكن الحب ملأ قلبي بفرح التذكر ففاضت الفكرة في سرعة الأوبة إلى من لا يشذ عنه معرفة ما بي فتمنيت المنى والله ما يسرني ما بقلبي منه ما فيه أمير المؤمنين من الملك وإني أدعو الله أن يثبته في قلبي عمري ويجعله ضجيعي في قبري دريت به أو لم أدر هذا دعائي أو انصرف من حجتي ثم بكى فقلت ما يبكيك قال خوف أن لا يستجاب دعائي

---

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ابن القيم ص/١٧٧

وله قصدت وفيه رغبت مما يعطي الله سائر خلقه ثم مضى قالت هذه الفرقة وغاية ما يقدر في أمر **العشق** أنه يقتل صاحبه كما هو معروف عند جماعة من العشاق وقد قال سويد بن سعيد الحدثاني حدثنا علي بن مسهر عن أبي يحيى القتات عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم." (١)

"نه قال من **عشق** فكتم وعف وصبر فمات فهو شهيد رواه عن سويد جماعة وقال الخطيب حدثنا أبو الحسن علي بن أيوب إملاء منه حدثنا أبو عبد الله المرزباني وابن حيوية وابن شاذان قالوا حدثنا أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة نفطويه قال دخلت على محمد بن داود الأصبهاني في مرضه الذي مات فيه فقلت له كيف تجدك فقال حب من تعلم أورثني ما ترى فقلت ما منعك من الاستمتاع به مع القدرة عليه فقال الاستمتاع على وجهين أحدهما النظر المباح والثاني اللذة المحظورة فأما النظر المباح فأورثني ما ترى وأما اللذة المحظورة فإنه منعني منها ما حدثني أبي حدثنا سويد بن سعيد حدثنا علي بن مسهر عن أبي يحيى القتات عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال "من **عشق** وكتم وعف وصبر غفر الله له وأدخله الجنة" قال الحاكم أبو عبد الله إنما أتعجب من هذا الحديث فإنه لم يحدث به غير سويد وهو وداود بن علي وابنه أبو بكر ثقات ثم رواه الخطيب حدثنا الأزهري حدثنا المعافى بن زكريا حدثنا قطبة بن الفضل بن إبراهيم الأنصاري حدثنا أحمد بن محمد بن مسروق حدثنا سويد حدثنا ابن مسهر عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها مرفوعا ورواه الزبير بن بكار عن عبد الملك بن عبد العزيز بن الماجشون عن عبد العزيز بن أبي حازم عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم به ولفظه من **عشق** فعف فمات فهو شهيد رواه أبو بكر محمد بن جعفر بن سهل الخرائطي في كتاب اعتلال القلوب حدثنا أبو يوسف يعقوب بن عيسى من ولد عبد الرحمن بن عوف عن الزبير فذكره فخرج سويد." (٢)

"عن عهدة التفرد به على أنه لو تفرد به فهو ثقة احتج به مسلم في صحيحه وقال عبد الله بن أحمد قال لي أبي أكتب عنه حديث ضمام وقال البغوي كان حافظا وكان أحمد ينتقي لولديه عليه صالح وعبد الله فكانا يختلفان إليه وقال مسلم ثقة ثقة وقال أبو حاتم الرازي ويعقوب بن شيبة هو صدوق وأكثر ما عيب به التدليس وقد صرح هاهنا بالتحديث وعيب بأنه ذهب بصره في آخر عمره فربما أدخل عليه هذا

---

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ابن القيم ص/١٧٨

(٢) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ابن القيم ص/١٧٩

الحديث في كتبه ولكن رواية الأكابر عنه هذا الحديث كان قبل ذهاب بصره لأنه إنما عمي في آخر عمره وليس هذا بقادح في حديثه قلت وهذا حديث باطل على رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعا لا يشبه كلامه وقد صح عنه أنه عد الشهداء ستا فلم يذكر فيهم قتيل **العشق** شهيدا ولا يمكن أن يكون كل قتيل **بالعشق** شهيدا فإنه قد **يعشق** **عشقا** يستحق عليه العقوبة وقد أنسكر حفاظ الإسلام هذا الحديث على سويد وقد تكلم الناس فيه فقال ابن المديني ليس بشيء والضرير إذا كان عنده كتب فهو عيب شديد وقال يعقوب بن شيبة صدوق مضطرب الحفظ ولا سيما بعد ما عمي وقال البخاري كان قد عمي فيلقن ما ليس من حديثه وقال أبو أحمد الجرجاني هذا الحديث أحد ما أنكر على سويد وأنكره البيهقي وأبو الفضل بن طاهر وأبو الفرج بن الجوزي وأدخله في كتابه الموضوعات

ولما رواه أبو بكر الأزرق عن سويد عاتبه عليه ابن المرزبان فأسقط ذكر." (١)

"الباب الخامس عشر فيمن ذم **العشق** وتبرم به وما احتج به كل فريق على صحة مذهبه

قال الله تعالى إخبارا عن المؤمنين ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به واعف عنا وقد أثنى الله عليهم سبحانه بهذا الدعاء الذي سألوه فيه أن لا يحملهم مالا طاقة لهم به وقد فسر ذلك **بالعشق** وليس المراد اختصاصه به بل المراد أن **العشق** مما لا طاقة للعبد به وقال مكحول هو شدة الغلمة وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا ينبغي للمرء أن يذل نفسه قال الإمام أحمد تفسيره أن يتعرض من البلاء لما لا يطيق وهذا مطابق لحال العاشق فإنه أذل الناس لمعشوقه ولما يحصل به رضاه والحب مبناه على الذل والخضوع للمحبوب كما قيل

اخضع وذل لمن تحب فليس في ... شرع الهوى أنف يشال ويعقد

وقال آخر

مساكين أهل **العشق** حتى قبورهم ... عليها تراب الذل بين المقابر." (٢)

"وقال آخر

قالوا عهدناك ذا عز فقلت لهم ... لا يعجب الناس من ذل المحبينا

لا تنكروا ذلة العشاق إنهم ... مستعبدون برق الحب راضونا

قالوا وإذا اقتحم العبد بحر **العشق** ولعبت به أمواجه فهو إلى الهلاك أدنى منه إلى السلامة كما ذكر الخرائطي

---

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ابن القيم ص/١٨٠

(٢) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ابن القيم ص/١٨٢

أنه كان بالمدينة جارية ظريفة فهويت رجلا من قريش وكان لا يفارقها ولا تفارقه فملها وزاد حبها له فسقمت وجعل مولاها لا يعبأ بشكواها ولا يرق لها حتى هامت على وجهها ومزقت ثيابها وأفضت إلى أمر عظيم فلما رأى ما صرت إليه عالجها فلم ينفع فيها العلاج وكانت تدور في السكك بالليل وتقول

ألحب أول ما يكون لجاجة ... تأتي به وتسوقه الأقدار

حتى إذا اقتحم الفتى لجج الهوى ... جاءت أمور لا تطاق كبار

من ذا يطيق كما نطيق من الهوى ... غلب العزاء وباحت الأسرار

قال الخرائطي وأنشدني بعض أصحابنا

الحب أوله شيء يهيم به ... قلب المحب فيلقى الموت كاللعب

يكون مبدؤه من نظرة عرضت ... ومزحة أشعلت في القلب كاللهب

كالنار مبدؤها من قدحة فإذا ... تضرمت أحرقت مستجمع الحطب." (١)

"قالوا وكيف يمدح أمر يمنع القرار ويسلب المنام ويوله العقل ويحدث الجنون بل هو نفسه جنون كما قال بعض الحكماء الجنون فنون **والعشق** فن من فنونه كما قال بعض العشاق

قالوا جننت بمن تهوى فقلت لهم ... **ألعشق** أعظم مما بالمجانين

ألعشق لا يستفيق الدهر صاحبه ... وإنما يصرع المجنون في الحين

قالوا وكم من عاشق أتلف في معشوقه ماله وعرضه ونفسه وضيع أهله ومصالح دينه ودنياه قال الزبير بن بكار جاءت بدوية إلى أخت لها فقالت كيف بك من حب فلان قالت حرك والله حبه الساكن وسكن المتحرك ثم أنشأت تقول

فلو أن ما بي بالحصى فلق الحصى ... وبالريح لم يسمع لهن هبوب

ولو أنني أستغفر الله كلما ... ذكرتك لم تكتب علي ذنوب

فقلت والله لأسألنه كيف هو من حبك فجاءته فسألته فقال إنما الهوى هوان ولكنه خولف باسمه وإنما يعرف ذلك من استبكته المعالم والطلول

وأنشد أبو الفضل الربعي

قد أمطرت عيني دما فدماؤها ... بعد الدموع من الجفون هوامل

كيف العزاء ولا يزال من الضنى ... في الجسم مني والجوانح نازل

---

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ابن القيم ص/١٨٣

لهفي على زمن مضى تجتازني ... فيه صروف الدهر وهي عواقل

قالوا والعشق هو الداء الدوي الذي تذوب معه الأرواح ولا يقع معه." (١)

"الارتياح بل هو بحر من ركبه غرق فإنه لا ساحل له ولا نجاة منه وهو الذي قال فيه القائل

وما أحد في الناس يحمد أمره ... فيوجد إلا وهو في الحب أحمق

وما أحد ما ذاق بؤس معيشة ... فيعشق إلا ذاقها حين يعشق

وقال العباس بن الأحنف

ويح المحبين ما أشقى نفوسهم ... إن كان مثل الذي بي بالمحبينا

يشقون في هذه الدنيا بعشقهم ... لا يرزقون به دنيا ولا دينا

وقال آخر

ألعشق مشغلة عن كل صالحة ... وسكرة العشق تنفي لذة الوسن

وقال محمد بن أبي محمد اليزيدي

كيف يطيق الناس وصف الهوى ... وهو جليل ما له قدر

بل كيف يصفو لحليف الهوى ... عيش وفيه البين والهجر

وقال محمد بن أمية

قرين الحب يأنس بالهموم ... ويكثر فكرة القلب السقيم

وأعظم ما يكون به اغتباطا ... على خطر ومطلع عظيم

وقال أبو تمام

أما الهوى فهو العذاب فإن جرت ... فيه النوى فأليم كل عذاب

وقال ابن أبي حصينة

والعشق يجتذب النفوس إلى الردى ... بالطبع واحسدي لمن لم يعشق." (٢)

"قالوا والعشق يترك الملك مملوكا والسلطان عبدا كما قال الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل

وكان ملك الأندلس

ظل من فرط حبه مملوكا ... ولقد كان قبل ذاك مليكا

---

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ابن القيم ص/١٨٤

(٢) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ابن القيم ص/١٨٥

تركته جآذر القصر صبا ... مستهاما على الصعيد تريكا

يجعل الخد واضعا فوق ترب ... للذي يجعل الحرير أريكا

هكذا يحسن التذلل بالحر ... إذا كان في الهوى مملوكا

وقال الرشيد وقد عشق ثلاث جوار من جواريه ويقال إنه المأمون

ملك الثلاث الآنسات عناني ... وحللن من قلبي بكل مكان

مالي تطاوعني البرية كلها ... وأطيعهن وهن في عصياني

ما ذاك إلا أن سلطان الهوى ... وبه قوين أعز من سلطاني

وقال بعض الملوك في جارية له عشقها وكانت كثيرة التجني عليه

أما يكفيك أنك تملكيني ... وأن الناس كلهم عبيدي

وأنك لو جهدت على تلافي ... لقلت من الرضا أحسنت زيدي

وقال ابن طاهر ملك خراسان

فإني وإن حنت إليك ضمائري ... فما قدر حبي أن يذل له قدري

وقال ابن الأحمر ملك الأندلس

أيا ربة الخدر التي أذهبت نسكي ... على كل حال أنت لا بد لي منك

فإما بذل وهو أليق بالهوى ... وإما بعز وهو أليق بالملك." (١)

"أو يشف قلبي سريعا من صبابته ... فلا أحن إذا حن المطاريب

قالوا وكم أكبت فتنة العشق رؤوسا على مناخرها في الجحيم وأسلمتهم إلى مقاساة العذاب الأليم وجرعتهم بين أطباق النار كؤوس الحميم وكم أخرجت من شاء الله من العلم والدين كخروج الشعرة من العجين وكم أزالت من نعمة وأحلت من نقمة وكم أنزلت من معقل عزه عزيزا فإذا هو من الأذلين ووضعت من شريف رفيع القدر والمنصب فإذا هو في أسفل السافلين وكم كشفت من عورة وأحدثت من روعة وأعقبت من ألم وأحلت من ندم وكم أضرمت من نار حسرات أحرقت فيها الأكباد وأذهبت قدرا كان للعبد عند الله وفي قلوب العباد وكم جلبت من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء فقل أن يفارقها زوال نعمة أو فجاءة نقمة أو تحويل عافية أو طروق بلية أو حدوث رزية فلو سألت النعم ما الذي أزالك والنقم ما الذي أدالك والهموم والأحزان ما الذي جلبك والعافية ما الذي أبعدك وجنبك والستر ما الذي كشفك

---

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ابن القيم ص/١٨٧

والوجه ما الذي أذهب نورك وكسفك والحياة ما الذي كردك وشمس الإيمان ما الذي كورك وعزة النفس ما الذي أذلك وبالهوان بعد الإكرام بدلك لأجابتك بلسان الحال اعتبارا إن لم تجب بالمقال حوارا

هذه والله بعض جنايات **العشق** على أصحابه لو كانوا يعقلون ﴿فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا إن في ذلك لآية لقوم يعلمون﴾ يكفي اللبيب." (١)

"وهم في سكر **عشقهم** يعمهون وكيف جمع عليهم من العقوبات ما لم يجمعه على أمة من الأمم أجمعين وجعلهم سلفا لإخوانهم اللوطية من المتقدمين والمتأخرين ولما تجرأوا على هذه المعصية ومردوا ونهجوا لإخوانهم طريقا وقاموا بأمرها وقعدوا ضجت الملائكة إلى الله من ذلك ضجيجا وعجت الأرض إلى ربها من هذا الأمر عجيجا وهربت الملائكة إلى أقطار السموات وشكتهم إلى الله جميع المخلوقات وهو سبحانه وتعالى قد حكم أنه لا يأخذ الظالمين إلا بعد إقامة الحجة عليهم والتقدم بالوعد والوعيد إليهم فأرسل إليهم رسوله الكريم يحذرهم من سوء صنيعهم وينذرهم عذابه الأليم فأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدعوة على رؤوس الملإ منهم والأشهاد وصاح بها بين أظهرهم في كل حاضر وباد وقال فكان في قوله لهم من أعظم الناصحين ﴿أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين﴾ ثم أعاد لهم القول نصحا وتحذيرا وهم في سكرة **عشقهم** لا يعقلون ﴿إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون﴾ فأجاب العشاق جواب من أركس في هواه وغيه فقلبه **بعشقه** مفتون و ﴿قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون﴾ فلما أن حان الوقت المعلوم وجاء ميقات نفوذ القدر المحتوم أرسل الرحمن تبارك وتعالى لتمام الإنعام والامتحان إلى بيت لوط ملائكة في صورة البشر وأجمل ما يكون من الصور وجاءوه في صورة الأضياف النزول بذي الصدر الرحيب ﴿سيء بهم." (٢)

"المجنون فلما انشق عمود الصبح جاء النداء من عند رب الأرباب أن اخسف بالأمة اللوطية وأذقهم أليم العذاب فاقتلع القوي الأمين جبريل مدائنهم على ريشة من جناحه ورفعها في الجو حتى سمعت الملائكة نبيح كلابهم وصياح ديكتهم ثم قلبها فجعل عاليها سافلها وأتبعوا الحجارة من سجيل وهو الطين المستحجر الشديد وخوف سبحانه إخوانهم على لسان رسوله من هذا الوعيد فقال تعالى ﴿فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد﴾ فهذه عاقبة اللوطية عشاق الصور وهم السلف وإخوانهم بعدهم على الأثر

---

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ابن القيم ص/١٨٩

(٢) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ابن القيم ص/١٩١

وإن لم يكونوا قوم لوط بعينهم ... فما قوم لوط منهم ببعيد

وإنهم في الخسف ينتظرونهم ... على مورد من مهلة وصيد

يقولون لا أهلا ولا مرحبا بكم ... ألم يتقدم ربكم بوعيد

فقالوا بلى لكنكم قد سننتم ... صراطا لنا في **العشق** غير حميد

أتينا به الذكران من **عشقن**ا لهم ... فأوردنا ذا **العشق** شر ورود

فأنتم بتضعيف العذاب أحق من ... متابعكم في ذاك غير رشيد

فقالوا وأنتم رسلكم أنذرتكم ... بما قد لقيناه بصدق وعيد

فما لكم فضل علينا فكلنا ... نذوق عذاب الهون جد شديد

كما كلنا قد ذاق لذة وصلهم ... ومجمعنا في النار غير بعيد

وكذلك قوم شعيب إنما حملهم على بخس المكيال والميزان فرط محبتهم للمال وغلبهم الهوى على طاعة نبيهم حتى أصابهم العذاب." (١)

"وكذلك قوم فرعون حملهم الهوى والشهوة و**عشق** الرئاسة على تكذيب موسى حتى آل بهم الأمر إلى ما آل وكذلك أهل السبت الذين مسخوا قردة إنما أتوا من جهة محبة الحيتان وشهوة أكلها والحرص عليها وكذلك الذي آتاه الرب تبارك وتعالى آياته ﴿فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين﴾ وقال تعالى ﴿ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث﴾ وتأمل قوله تعالى آتيناه آياتنا فأخبر أن ذلك إنما حصل له بإيتاء الرب له لا بتحصيله هو ثم قال ﴿فانسلخ منها﴾ ولم يقل فسلخناه بل أضاف الانسلاخ إليه وعبر عن براءته منها بلفظة الانسلاخ الدالة على تخليه عنها بالكلية وهذا شأن الكافر وأما المؤمن ولو عصى الله تبارك وتعالى ما عصاه فإنه لا ينسلخ من الإيمان بالكلية ثم قال ﴿فأتبعه الشيطان﴾ ولم يقل فتبعه فإن في أتبعه إعلاما بأنه أدركه ولحقه كما قال الله تعالى فأتبعوهم مشرقين أي لحقوهم ووصلوا إليهم ثم قال ﴿ولو شئنا لرفعناه بها﴾ ففي ذلك دليل على أن مجرد العلم لا يرفع صاحبه فهذا قد أخبر الله سبحانه أنه آتاه آياته ولم يرفعه بها فالرفعة بالعلم قدر زائد على مجرد تعلمه ثم أخبر الله عز وجل عن السبب الذي منعه أن يرفع بها فقال ﴿ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه﴾ وقوله ﴿أخلد إلى الأرض﴾ أي سكن إليها ونزل بطبعه إليها فكانت نفسه أرضية

---

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ابن القيم ص/١٩٣

سفلية لا سماوية علوية وبحسب ما يخلد العبد إلى الأرض يهبط من السماء قال سهل قسم الله الأعضاء من الهوى لكل عضو منه حظا فإذا مال عضو." (١)

"منها إلى الهوى رجع ضرره إلى القلب وللنفس سبع حجب سماوية وسبع حجب أرضية فكلما دفن العبد نفسه أرضا أرضا سما قلبه سماء سماء فإذا دفن النفس تحت الثرى وصل القلب إلى العرش ثم ذكر سبحانه مثل المتبع لهواه كمثل الكلب الذي لا يفارقه اللهث في حالتي تركه والحمل عليه فهكذا هذا لا يفارقه اللهث على الدنيا راغبا وراهبا

والمقصود أن هذه السورة من أولها إلى آخرها في ذكر حال أهل الهوى والشهوات وما آل إليه أمرهم **فالعشق** والهوى أصل كل بلية قال عدي ابن ثابت كان في زمن بني إسرائيل راهب يعبد الله حتى كان يؤتى بالمجانين يعوذهم فيبرأون على يديه وإنه أتي بامرأة ذات شرف من قومها قد جنت وكان لها إخوة فأتوه بها فلم يزل الشيطان يزين له حتى وقع عليها فحملت فلما استبان حملها لم يزل يخوفه ويزين له قتلها حتى قتلها ودفنها فذهب الشيطان في صورة رجل حتى أتى بعض إخوتها فأخبره بالذي فعل الراهب ثم أتى بقية إخوتها رجلا رجلا فجعل الرجل يلقى أخاه فيقول والله لقد أتاني آت فذكر لي شيئا كبر علي ذكره فذكر ذلك بعضهم لبعض حتى رفعوا ذلك إلى ملكهم فسار الناس إليه حتى استنزلوه من صومعته فأقر لهم بالذي فعل فأمر به فصلب فلما رفع على الخشبة تمثل له الشيطان فقال أنا الذي زينت لك هذا وألقيتك فيه فهل أنت مطيعي فيما أقول لك وأخلصك قال." (٢)

"نعم قال تسجد لي سجدة واحدة فسجد له وقتل الرجل فهو قول الله تعالى ﴿كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين﴾

وقال واصل مولى أبي عيينة دخلت على محمد بن سيرين فقال لي هل تزوجت فقلت لا قال وما يمنعك قلت قلة الشيء قال تزوج عبد الله بن محمد بن سيرين ولا شيء له فرزقه الله

ثم حدث أن امرأة من بني إسرائيل يقال لها ميسونة خاصمت إلى حبرين من بني إسرائيل فعلقاها قال وكان كل واحد منهما يكتم صاحبه ما يجد منها فأخبرا أنها في حائط تغتسل قال فجاءا فتسوروا عليها الحائط فلما رأتهما دخلت غمرا من الماء فوارت نفسها فقالا لها إنك إن لم تفعلي غدونا فشهدنا عليك بالزور فأبت فشهدا عليها فلما قربت ليقام عليها الحد نزل الوحي على دانيال بتكذيبهما فهذا بعض فتنة **العشق**

---

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ابن القيم ص/١٩٤

(٢) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ابن القيم ص/١٩٥

وقد روى شعبة عن عبد الملك بن عمير قال سمعت مصعب بن سعد يقول كان سعد يعلمنا هذا الدعاء ويذكره عن النبي صلى الله عليه وسلم." (١)

"وقال ابن عباس رضي الله عنهما أو غيره أول فتنة بني إسرائيل كانت من قبل النساء

قالوا ويكفي من مضرة **العشق** ما اشتهر من مصارع العشاق وذلك موجود في كل زمان

فهذا بعض ما احتجت به هذه الفرقة لقولها ونحن نعقد للحكم بين الطائفتين بابا مستقلا بعون الله تعالى." (٢)

"الباب السادس عشر في الحكم بين الفريقين وفصل النزاع بين الطائفتين

فنقول **العشق** لا يحمد مطلقا ولا يذم مطلقا وإنما يحمد ويذم باعتبار متعلقه فإن الإرادة تابعة لمرادها والحب تابع للمحبوب فمتى كان المحبوب مما يحب لذاته أو وسيلة توصله إلى ما يحب لذاته لم تذم المبالغة في محبته بل تحمد وصلاح حال المحب كذلك بحسب قوة محبته

ولهذا كان أعظم صلاح العبد أن يصرف قوى حبه كلها لله تعالى وحده بحيث يحب الله بكل قلبه وروحه وجوارحه فيوحد محبوبه ويوحد حبه وسيأتي إن شاء الله تعالى في باب توحيد المحبوب أن المحبة لا تصح إلا بذلك فتوحيد المحبوب أن لا يتعدد محبوبه وتوحيد الحب أن لا يبقى في قلبه بقية حب حتى يبذلها له فهذا الحب وإن سمي **عشقا** فهو غاية صلاح العبد ونعيمه وقرة عينه وليس لقلبه صلاح ولا نعيم إلا بأن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن تكون محبته لغير الله تابعة لمحبة الله فلا يحب إلا الله كما في الحديث الصحيح "ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا لله ومن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار" فأخبر أن." (٣)

"نفسه وقلة أدبه مع محبوبه والله تعالى نهى أن يضرب عباده له الأمثال فهو لا يقاس بخلقه وما ابتدع من ابتدع إلا من ضرب الأمثال له سبحانه فأصحاب الكلام المحدث المبتدع ضربوا له الأمثال الباطلة في الخبر عنه وما يوصف به وأصحاب الإرادة المنحرفة ضربوا له الأمثال في الإرادة والطلب وكلاهما على بدعة وخطأ

---

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ابن القيم ص/١٩٦

(٢) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ابن القيم ص/١٩٨

(٣) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ابن القيم ص/١٩٩

والعشق إذا تعلق بما يحبه الله ورسوله كان عشقا ممدوحا مثابا عليه وذلك أنواع أحدها محبة القرآن بحيث يغني بسماعه عن سماع غيره ويهيم قلبه في معانيه ومراد المتكلم سبحانه منه وعلى قدر محبة الله تكون محبة كلامه فمن أحب محبوبا أحب حديثه والحديث عنه كما قيل

إن كنت تزعم حبي ... فلم هجرت كتابي

أما تأملت ما فيه ... من لذيذ خطابي

وكذلك محبة ذكره سبحانه وتعالى من علامة محبته فإن المحب لا يشبع من ذكر محبوبه بل لا ينساه فيحتاج إلى من يذكره به وكذلك يحب سماع أوصافه وأفعاله وأحكامه فعشق ه ذا كله من أنفع العشق وهو غاية سعادة العاشق وكذلك عشق العلم النافع وعشق أوصاف الكمال من الكرم والجود والعفة والشجاعة والصبر ومكارم الأخلاق فإن هذه الصفات لو صورت صورا لكانت من أجمل الصور وأبهاها ولو صور العلم صورة لكانت أجمل من صورة الشمس والقمر ولكن عشق هذه الصفات إنما يناسب الأنفس الشريفة الزكية كما أن محبة الله ورسوله وكلامه ودينه إنما تناسب الأرواح العلوية السمائية الزكية لا الأرواح الأرضية الدنية فإذا أردت أن تعرف قيمة العبد وقدره فانظر إلى محبوبه ومراده واعلم أن العشق المحمود لا يعرض فيه شيىء من الآفات المذكورة." (١)

"بقي هاهنا قسم آخر وهو عشق محمود يترتب عليه مفارقة المعشوق كمن يعشق امرأته أو أمته فيفارقها بموت أو غيره فيذهب المعشوق ويبقى العشق كما هو فهذا نوع من الابتلاء إن صبر صاحبه واحتسب نال ثواب الصابرين وإن سخط وجزع فاته معشوقه وثوابه وإن قابل هذه البلوى بالرضا والتسليم فدرجته فوق درجة الصبر وأعلى من ذلك أن يقابلها بالشكر نظرا إلى حسن اختيار الله له فإنه ما يقضي الله للمؤمن قضاء إلا كان خيرا له فإذا علم أن هذا القضاء خير له اقتضى ذلك شكره لله على ذلك الخير الذي قضاه له وإن لم يعلم كونه خير له فليسلم للصادق المصدوق في خبره المؤكد باليمين حيث يقول: "والذي نفسي بيده لا يقضي الله للمؤمن من قضاء إلا كان خيرا له إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له وليس ذلك إلا للمؤمن" وإيمان العبد يأمره بأن يعتقد بأن ذلك القضاء خير له وذلك يقتضي شكر من قضاه وقدره وبالله التوفيق." (٢)

---

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ابن القيم ص/٢٠١

(٢) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ابن القيم ص/٢٠٢

"فتضع صفية رجلها على ركبته حتى تركب وعند أبي داود في هذه القصة قال وقع في سهم دحية جارية جميلة فاشتراها رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبعة أرؤس ثم دفعها إلى أم سليم تصنعها وتهيئها وتعتد في بيتها وهي صفية بنت حيي

وقال أبو عبيدة حج عبد الملك بن مروان ومعه خالد بن يزيد بن معاوية وكان خالد هذا من رجالات قريش المعدودين وكان عظيم القدر عند عبد الملك فبينما هو يطوف بالبيت إذ بصر برملة بنت الزبير بن العوام **فعشقها عشقا** شديدا ووقعت بقلبه وقوعا متمكنا فلما أراد عبد الملك القفول هم خالد بالتخلف عنه فوقع بقلب عبد الملك تهمة فبعث إليه فسأله عن أمره فقال يا أمير المؤمنين رملة بنت الزبير رأيتها تطوف بالبيت فأذهلت عقلي والله ما أبديت إليك ما بي حتى عيل صبري ولقد عرضت النوم على عيني فلم تقبله والسلو على قلبي فامتنع عنه فأطال عبد الملك التعجب من ذلك وقال ما كنت أقول إن الهوى يستأسر مثلك قال فإني لأشد تعجبا من تعجبك مني ولقد كنت أقول إن الهوى لا يتمكن إلا من صنفين من الناس الشعراء والأعراب أما الشعراء فإنهم ألزموا قلوبهم الفكر في النساء ووصفهن والتغزل فمال طبعهم إلى النساء فضعفت قلوبهم عن دفع الهوى فاستسلموا إليه منقادين وأما الإعراب فإن أحدهم يخلو بامرأته فلا يكون الغالب عليه غير حبه لها ولا يشغله عنه شيء فضعفوا عن دفع الهوى فتمكن منهم فما رأيت نظرة حالت بيني وبين الحزم وحسنت عندي ركوب الإثم مثل نظرتي هذه فتبسم عبد الملك فقال أفكل هذا قد بلغ بك فقال والله ما عرتني هذه البلية قبل وقتي." (١)

"ويكسوها ويعاشرها بالمعروف بل هذا عمدة المعاشرة ومقصودها وقد أمر الله سبحانه وتعالى أن يعاشرها بالمعروف فالوطء داخل في هذه المعاشرة ولا بد قالوا وعليه أن يشبعها وطئا إذا أمكنه ذلك كما عليه أن يشبعها قوتا وكان شيخنا رحمه الله تعالى يرجح هذا القول ويختاره

وقد حض النبي صلى الله عليه وسلم على استعمال هذا الدواء ورغب فيه وعلق عليه الأجر وجعله صدقة لفاعله فقال: "وفي بضع أحدكم صدقة" ومن تراجم النسائي على هذا الترغيب في المباضعة ثم ذكر هذا الحديث ففي هذا كمال اللذة وكمال الإحسان إلى الحبيبة وحصول الأجر وثواب الصدقة وفرح النفس وذهاب أفكارها الرديئة عنها وخفة الروح وذهاب كثافتها وغلظها وخفة الجسم واعتدال المزاج وجلب الصحة ودفع المواد الرديئة فإن صادف ذلك وجها حسنا وخلقا دمثا **وعشقا** وافرا ورغبة تامة واحتسابا للثواب فذلك اللذة التي لا يعادلها شيء ولا سيما إذا وافقت كمالها فإنها لا تكمل حتى يأخذ كل جزء من البدن بقسطه

---

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ابن القيم ص/٢٠٦

من اللذة فتلتذ العين بالنظر إلى المحبوب والأذن بسماع كلامه والأنف بشم رائحته والفم بتقبيله واليد بلمسه وتعتكف كل جارحة على ما تطلبه من لذتها وتقابله من المحبوب فإن فقد من ذلك شيء لم تزل النفس متطلعة إليه متقاضية له فلا تسكن كل السكون ولذلك تسمى المرأة سكنا لسكون النفس إلينا قال الله تعالى ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها﴾ ولذلك فضل." (١)

"يصير هو من جندهم وعسكرهم يقود لهم ويزين لهم الفواحش ويؤلف بينهم عليها كما قيل

عجبت من إبليس في نخوته ... وقبح ما أظهر من سيرته

تاه على آدم في سجدة ... وصار قوادا لذريته

وقد أرشد النبي صلى الله عليه وسلم الشباب الذين هم مظنة العشق إلى أنفع أدويتهم ففي الصحيحين من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج"

وفي لفظ آخر ذكره أبو عبيد حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم عليكم بالباءة وذكر الحديث وبين اللفظين فرق فإن الأول يقتضي أمر العزب بالتزويج والثاني يقتضي أمر المتزوج بالباءة والباءة اسم من أسماء الوطء وقوله: "من استطاع منكم الباءة فليتزوج" فسرت الباءة بالوطء وفسرت بمؤن النكاح ولا ينافي التفسير الأول إذ المعنى على هذا مؤن الباءة ثم قال: "ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء" فأرشدهم إلى الدواء الشافي الذي وضع لهذا الأمر ثم نقلهم عنه عند العجز إلى البدل وهو الصوم فإنه يكسر شهوة النفس ويضيق عليها مجاري الشهوة فإن هذه الشهوة تقوى بكثرة الغذاء وكيفيته فكمية الغذاء وكيفيته يزيدان في توليدها والصوم يضيق عليها ذلك فيصير بمنزلة وجاء الفحل وقل من أدمن الصوم إلا وماتت شهوته أو ضعفت." (٢)

"والبحاتر هن النساء القصار الغلاظ وبعضهم يبالغ في هذا حتى يفضل المهازيل على السمان

أنشد الزمخشري

لا أعشق الأبيض المنفوخ من سمن ... لكنني أعشق السمر المهازيلا

إني امرؤ أركب المهر المضمر في ... يوم الرهان فدعني واركب الفيلا

وطائفة تفضل السمان وتقول السمن نصف الحسن وهو يستر كل عيب في المرأة ويبدي محاسنها وخيار

---

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ابن القيم ص/٢١٧

(٢) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ابن القيم ص/٢١٩

الأمور أوساطها

ومما يستحسن في المرأة طول أربعة وهن أطرافها وقامتها وشعرها وعنقها وقصر أربعة يدها ورجلها ولسانها وعينها فلا تبذل ما في بيت زوجها ولا تخرج من بيتها ولا تستطيل بلسانها ولا تطمح بعينها وبياض أربعة لونها وفرقها وثغرها وبياض عينها وسواد أربعة أهدابها وحاجبها وعينها وشعرها وحمرة أربعة لسانها وخدها وشفتها مع لعس وإشراب بياضها بحمرة ودقة أربعة أنفها وبنانها وخصرها وحاجبها وغلظ أربعة ساقها ومعصمها وعجيزتها وذاك منها وسعة أربعة جبينها ووجهها وعينها وصدرها وضيق أربعة فمها ومنخرها وخرق أذنها وذاك منها فهذه أحق النساء بقول كثير

لو أن عزة خاصمت شمس الضحى ... في الحسن عند موفق لقضى لها." (١)

"ولي من أبيات

يدمي الحرير أديمها من مسه ... فأديمها منه أرق وأنعم

فصل فيا أيها العاشق سمعه قبل طرفه فإن الأذن تعشق قبل العين أحيانا وجيش المحبة قد يدخل المدينة من باب السمع كما يدخلها من باب البصر والمؤمنون يشتاقون إلى الجنة وما رأوها ولو رأوها لكانوا أشد لها شوقا والصرورة يكاد قلبه يذوب شوقا إلى رؤية البيت الحرام فإن شاقتك هذه الصفات وأخذت بقلبك هذه المحاسن

فاسم بعينيك إلى نسوة ... مهورهن العمل الصالح

وحدث النفس بعشق الألى ... في عشقهن المتجر الرابح

واعمل على الوصل فقد أمكنت ... أسبابه ووقتها رائح

فصل وقد وصف الله سبحانه حور الجنة بأحسن الصفات وحلاهن بأحسن الحلي وشوق الخطاب إليهن حتى كأنهم يرونهن رؤية العين قال الطبراني حدثنا بكر بن سهل الدمياطي حدثنا عمرو بن هشام البيروني حدثنا سليمان بن أبي كريمة عن هشام بن حسان عن الحسن عن أمه عن أم سلمة رضي الله عنها قالت قلت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرني عن قول الله عز وجل ﴿حور عين﴾ قال: "حور بيض عين ضخام العيون شعر الحوراء بمنزلة." (٢)

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ابن القيم ص/٢٣٨

(٢) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ابن القيم ص/٢٤١

"جناح النسر" قلت أخبرني عن قوله عز وجل ﴿كأمثال اللؤلؤ المكنون﴾ قال: "صفاؤهن صفاء الدر الذي في الأصداف الذي لم تمسه الأيدي" قلت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرني عن قوله ﴿فيهن خيرات حسان﴾ قال: "خيرات الأخلاق حسان الوجوه" قلت أخبرني عن قوله ﴿كأنهن بيض مكنون﴾ قال: "رقتهن كرقة الجلد الذي رأيت في داخل البيضة مما يلي القشر وهو الغرقىء" قلت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرني عن قوله عز وجل ﴿عربا أترابا﴾ قال: "هن اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز رمصا شمطا خلقهن الله بعد الكبر فجعلهن عذارى عربا **متعشقات** متحببات أترابا على ميلاد واحد" قلت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم نساء الدنيا أفضل أم الحور العين قال: "بل نساء الدنيا أفضل من الحور العين كفضل الظهارة على البطانة" قلت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم وبم ذلك قال: "بصلاتهن وصيامهن وعبادتهن الله ألبس الله وجوههن النور وأجسادهن الحرير بيض الألوان خضر الثياب صفر الحلي مجامرهن الدر وأمشاطهن الذهب يقلن نحن الخالدات فلا نموت نحن الناعمات فلا نبأس أبدا نحن المقيمات فلا نظعن أبدا ألا ونحن الراضيات فلا نسخط أبدا طوبى لمن كنا له وكان لنا" قلت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم المرأة منا تتزوج الزوجين والثلاثة والأربعة ثم تموت فتدخل الجنة ويدخلون معها من يكون زوجها قال يا أم سلمة: "إنها تخير فتختار أحسنهم خلقا فتقول أي رب إن هذا كان أحسنهم معي خلقا في دار الدنيا فزوجنيه يا أم سلمة ذهب." (١)

"من قصيدة للمؤلف في وصف الحور

يا خاطب الحور الحسان وطالبا ... لوصالهن بجنة الحيوان

لو كنت تدري من خطبت ومن طلبت ... بذلت ما تحوي من الأثمان

أو كنت تعرف أين مسكنها جعلت ... السعي منك لها على الأجفان

أسرع وحث السير جهدك إنما ... مسراك هذا ساعة لزمان

فاعشق وحدث بالوصال النفس وابذل ... مهرها ما دمت ذا إمكان

واجعل صيامك دون لقياها ويو ... م الوصل يوم الفطر من رمضان

واجعل نعوت جمالها الحادي وسر ... نحو الحبيب ولست بالمتواني

واسمع إذن أوصافها ووصالها ... واجعل حديثك ربة الإحسان

يا من يطوف بكعبة الحسن التي ... حفت بذاك الحجر والأركان

---

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ابن القيم ص/٢٤٢

ويظل يسعى دائما حول الصفا ... ومحسر مسعاه كل أوان

ويروم قربان الوصال على منى ... والخيف يحجبه عن القربان

فلذا تراه محرما أبدا ومو ... ضع حلة منه فليس بدان

يبغي التمتع مفردا عن حبه ... متجردا يبغي شفيع قران

ويظل بالجمرات يرمي قلبه ... هذي مناسكه بكل زمان

والناس قد قضوا مناسكهم وقد ... حثوا ركائبهم إلى الأوطان

وحدت بهم همم لهم وعزائم ... نحو المنازل ربة الإحسان

رفعت لهم في السير أعلام الوصا ... ل فشمروا يا خيبة الكسلان

ورأوا على بعد خياما مشرفا ... ت مشرقات النور والبرهان

فتيمموا تلك الخيام فآنسوا ... فيهن أقمارا بلا نقصان." (١)

"أحب بني العوام طرا لحبها ... ومن أجلها أحببت أخوالها كلبا

وقال آخر

يشتاق واديها ولولا حبكم ... ما شاقه واد زهت أزهاره

وقال الآخر

فيا ساكني أكناف طيبة كلكم ... إلى القلب من أجل الحبيب حبيب

وفي أخبار العشاق أن عاشقا **عشق** السراويلات من أجل سراويل معشوقه فوجد في تركته اثنا عشر حملا وفردة من السراويلات ذكره البصري **وعشق** آخر الهاوونات من أجل صوت هاون محبوبته فوجد في تركته عدة آلافمنها وعند الناس من هذا عجائب كثيرة وكان أنس بن مالك رضي الله عنه يحب الدباء كثيرا لما رأى النبي صلى الله عليه وسلم يتتبعها من جوانب القصعة

فصل ومنها قصر الطريق حين يزوره ويوافي إليه كأنها تطوى له وطولها إذا انصرف عنه وإن كانت قصيرة قال

وكنت إذا ما جئت ليلى أزورها ... أرى الأرض تطوى لي ويدنو بعيدها

من الخفرات البيض ود جليسها ... إذا ما انقضت أحدوثة لو تعيدها." (٢)

---

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ابن القيم ص/٢٥٤

(٢) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ابن القيم ص/٢٧١

"أحدهما أن يكون المحبوب مؤثرا لذلك محبا له فالمحب يبذل جهده فيه لينال منه أعلاه إن أمكنه فإن كان المحبوب مشغوفا بجمع المال أثر ذلك في محبه شغفا أشد من شغفه وإن كان مشغوفا بالعلم اجتهد المحب في طلبه أشد من من اجتهاده وإن كان مشغوفا بحرفة أو صناعة حرص المحب علتعلمها إن وجد إلى ذلك سبيلا وإن كان مشغوفا بالنوادر والحكايات الحسان والأخبار المستحسنة بالغ المحب في تحفظها فالمحبة النافعة أن تقع على **عشق** كامل يحملك **عشقه** على طلب الكمال والبلية كل البلية أن تبتلى بمحبة فارغ بطال صفر من كل خير فيحملك حبه على التشبه به

والثاني أن يكون المحبوب فارغا من محبة ذلك وإيثاره ولكن المحبة تستخرج من قلب المحب عزما وإرادة وحرصا على ما يعظم به في عين المحبوب وقلبه فتجده من أحرص الناس على ذلك بحسب استعداده كما قيل

ويرتاح للمعروف في طلب العلى ... لتحمد يوما عند ليلى شمائله

وهذا قد يكون له سبب آخر وهو معاداة الناس له وتنقصهم إياه وازدراؤهم به فيحمله الانتخاء لنفسه والغيرة لها ومحبتها على المنافسة في المعالي واكتساب الحمد وهذا من شرف النفس وعزتها كما قيل

من كان يشكر للصديق فإنني ... أحبو بصالح شكري الأعداء

هم صيروا طلب المعالي ديدني ... حتى وطئت بنعلي الجوزاء

ولربما انتفع الفتى بعدوه ... والسم أحيانا يكون شفاء

وقال الآخر

عداي لهم فضل علي ومنة ... فلا أعدم الرحمن عني الأعاديا." (١)

"أنه لم يجعل دعيه ابنه فانظر ما أحسن هذا التأصيل وهذا الاستطراد الذي تسجد له العقول والألباب وله نظائر في القرآن عديدة فمنها قوله هو الذي خلقكم من نفس واحدةوجعل منها زوجها ليسكن إليها فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين ﴿فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون﴾ فالنفس الواحدة وزوجها آدم وحواء واللذان جعلا له شركاء فيما آتاهما المشركون من أولادهما ولا يلتفت إلى غير ذلك مما قيل إن آدم وحواء كانا لا يعيش لهما ولد فأتاهما إبليس فقال إن أحببتما أن يعيش لكما ولد فسمياه عبد الحارث ففعلا فإن الله سبحانه اجتباه وهداه فلم يكن ليشرك به بعد ذلك ونظير هذا الاستطراد قوله

---

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ابن القيم ص/٢٨٤

﴿يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج﴾ ثم قال ﴿وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها﴾ فإنهم كانوا يفعلون ذلك في الإحرام فلما ذكر لهم وقت الإحرام الذي هو من فوائد الأهلة استطرد منه إلى ذكر ما يفعلونه فيه وهو كثير جدا

والمقصود أن المحبة تستلزم توحيد المحبوب فيها وقد بالغ أبو محمد بن حزم في إنكاره على من يزعم أنه **يعشق** أكثر من واحد وقال في ذلك شعرا ونحن نذكر كلامه وشعره قال بعد كلام طويل ومن هذا دخل الغلط على من يزعم أنه يحب اثنين **ويعشق** شخصين متغايرين وإنما هذا من جهة الشهوة التي ذكرنا آنفا وهي على المجاز تسمى محبة لا على التحقيق وأما نفس المحب." (١)

"ظفر منها بمجلس تشاكيا وتناشدا الأشعار واليوم يشير إليها وتشير إليه فيعدها وتعده فإذا التقيا لم يشك حبا ولم ينشد شعرا وقام إليها كأنه قد أشهد على نكاحها أبا هريرة رضي الله عنه وقال محمد بن سيرين كانوا **يعشقون** في غير ريبة وكان الرجل يأتي إلى القوم يتحدث عندهم لا يستنكر له ذلك وقال هشام بن حسان لكن اليوم لا يرضون إلا بالمواقعة وقيل لأعرابي ما تعدون **العشق** فيكم قال القبلة والضمة والغمزة وإذا نكح الحب فسد وقال المبرد كان العتبي يحب جارية تسمى ملك فكتب إليها

يا ملك قد صرت إلى خطة ... رضيت منها فيك بالضيم

ما اشتملت عيني على رقدة ... مذ غبت عن عيني إلى اليوم

فبت مفتوق مجاري البكا ... معطل العين عن النوم

ووجدي الدهر بكم غلمة ... فالموت من نفسي على سوم

يلومني الناس على حبكم ... والناس أولى فيك باللوم

قال فكتبت إليه

إن تكن الغلمة هاجت بكم ... فعالج الغلمة بالصرم

ليس بك الحب ولكنما ... تدور من هذا على كوم

يقال كام الفحل يكوم كوما إذا نزا على الحجرة وأرادت هذه المعشوقة قول النبي صلى الله عليه وسلم: " يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم." (٢)

---

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ابن القيم ص/٢٨٩

(٢) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ابن القيم ص/٣٢٨

"عشق عشر سنين بما يبقى عاره وتنشر بالقبيح أخباره في ساعة تنفد لذتها وتبقى تبعتها إني إذا للئيم لم يغذني أصل كريم

وقال عباس الدوري كان بعض أصحابنا يقول كان سفيان الثوري كثيرا ما يتمثل بهذين البيتين

تفنى اللذاذة ممن نال صفوتها ... من الحرام ويبقى الوزر والعار

تبقى عواقب سوء في مغبتها ... لا خير في لذة من بعدها النار

وقال الحسين بن مطير

ونفسك أكرم عن أمور كثيرة ... فما لك نفس بعدها تستعيرها

ولا تقرب المرعى الحرام فإنما ... حلاوته تفنى ويبقى مريرها

وقال الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه الفتوة ترك ما تهوى لما تخشى

وقال الخرائطي حدثنا إبراهيم بن الجنيد حدثنا عبد الله بن أبي بكر المقدمي حدثنا جعفر بن سليمان الضبعي قال سمعت مالك بن دينار يقول بينا أنا أطوف إذ أنا بجارية متعبدة متعلقة بأستار الكعبة وهي تقول يا رب كم من شهوة ذهبت لذتها وبقيت تبعتها أيا رب أما لك أدب إلا النار فما زال مقامها حتى طلع الفجر فلما رأيت ذلك وضعت يدي على رأسي خارجا أقول ثكلت مالكا أمه جويرية منذ الليلة قد بطلته

وطائفة بالبيت والليل مظلم ... تقول ومنها دمعها يتسجم

أيا رب كم من شهوة قد رزئتها ... ولذة عيش حبلها يتصرم." (١)

"وما نلت منها محرما غير أنني ... أقبل بساما من الثغر أفلجا

وألثم فاها تارة ثم تارة ... وأترك حاجات النفوس تحرجا

وقال الزبير بن بكار عن عباس بن سهل الساعدي قال بينا أنا بالشام إذ لقيني رجل من أصحابي فقال هل لكم في جميل نعوده فدخلنا عليه وهو يجود بنفسه وما يخيل إلي إلا أن الموت يكرثه فنظر إلي ثم قال يا ابن سهل ما تقول في رجل لم يشرب الخمر قط ولم يزن ولم يقتل نفسا يشهد أن لا إله إلا الله قلت أظنه قد نجا وأرجو له الجنة فمن هذا الرجل قال أنا قلت والله ما أحسبك سلمت وأنت تشبب منذ عشرين سنة في بثينة فقال لا نالتني شفاعة محمد يوم القيامة فإني في أول يوم من أيام الآخرة وآخر يوم من أيام الدنيا إن كنت وضعت يدي عليها لريبة فما برحنا حتى مات

---

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ابن القيم ص/٣٣٠

وقال عوانة بن الحكم كان عبد المطلب لا يسافر إلا ومعه ابنه الحارث وكان أكبر ولده وكان شبيها به جمالا وحسنا فأتى اليمن وكان يجالس عظيما من عظمائهم فقال له لو أمرت ابنك هذا يجالسني وينادمني ففعل **فعشقت** امرأته الحارث فراسلته فأبى عليها فألحت عليه فأخبر بذلك أباه فلما يئست منه سقته سم شهر فارتحل به عبد المطلب حتى إذا قدم مكة مات الحارث وذكرها هشام بن محمد بن السائب الكلبي عن أبيه وذكر رثاء أبيه له بقصيدته التي فيها." (١)

"ما كان هذا الدين فقالت كنت وعدته بقبلة فتحرجت منها فقالت أم البنين أنجزيها وعلي إثمها قالت فأعتقت أم البنين بكلمتها هذه أربعين رقبة وكانت إذا ذكرتها بكت وقالت ليتني خرست ولم أتكلم بها

ولما احتضر ذو الرمة قال لقد هممت بمي عشرين سنة في غير ريبة ولا فساد

وكان الحارث بن خالد بن هشام المخزمي عاشقا لعائشة بنت طلحة وله فيها أشعار أفرد لها ابن المرزبان كتابا فلما قتل عنها مصعب بن الزبير قيل للحارث ما يمنعك الآن منها قال والله لا يتحدث رجالات قريش أن تشبيبي بها كان لريبة ولشيء من الباطل

وقال ابن علاقة دخلت على رجل من الأعراب خيمته وهو يئن فقلت ما شأنك قال عاشق فقلت له ممن الرجل قال من قوم إذا **عشقوا** ماتوا عفة فجعلت أعذله وأزهده فيما هو فيه فتنفس الصعداء ثم قال

ليس لي مسعد فأشكو إليه ... إنما يسعد الحزين الحزين

وقال سعيد بن عقبة لأعرابي ممن الرجل قال من قوم إذا **عشقوا** ماتوا قال عذري ورب الكعبة فقلت له ومم ذاك قال في نسائنا صباحة وفي رجالنا عفة

وقال سفيان بن زياد قلت لامرأة من عذرة ورأيت بها هوى غالبا خفت عليها الموت منه ما بال **العشق** يقتلكم معاشر عذرة من بين أحياء العرب فقالت فينا جمال وتعفف والجمال يحملنا على العفاف والعفاف يورثنا رقة القلوب **والعشق** يفني آجالنا وإنا نرى عيونا لا ترونها

وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى قال رجل من بن بني فزارة لرجل من." (٢)

"لله وقفة عاشقين تلاقيا ... من بعد طول نوى وبعد مزار

يتعاطيان من الغرام مدامة ... زادتهما بعدا من الأوزار

---

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ابن القيم ص/٣٣٥

(٢) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ابن القيم ص/٣٣٧

صدقا الغرام فلم يمل طرف إلى ... فحش ولا كف لحل إزار

فتلاقيا وتفرقا وكلاهما ... لم يخش مطعن عائب أو زار

وقيل لبثينة هذا جميل لما به فهل عندك من حيلة تنفسين بها وجده فقالت ما عندي أكثرمن البكاء إلى أن ألقاه في الدار الأخرى أو زيارته وهو ميت تحت الثرى وقيل لعتبة بعد موت عاشقها ما كان يضرك لو أمتعتيه بوجهك قالت منعني من ذلك خوف العار وشماتة الجار ومخافة الجبار وإن بقلبي أضعاف ما بقلبه غير أني أجد ستره أبقى للمودة وأحمد للعاقبة وأطوع للرب وأخف للذنب

وهوي فتى امرأة وهويته وشاع خبرهما فاجتمعا يوما خاليين فقال لها هلمي نحقق ما يقال فينا فقالت لا والله لا كان هذا أبدا وأنا أقرأ الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين وقيل لبعضهم وقد هوي جارية فطال عشقه بها ما أنت صانع لوظفرت بها ولا يراكما إلا الله قال والله لا جعلته أهون الناظرين إلي لا أفعل بها خاليا إلا ما أفعله بحضرة أهلها حنين طويل ولحظ من بعيد وأترك ما يسخط الرب ويفسد الحب

إذا كان حظ المرء ممن يحبه ... حراما فحظي ما يحل ويجمل

حديث كماء المزن بين فصوله ... عتاب به حسن الحديث يفصل." (١)

"ولثم فم عذب اللثات كأنما ... جناهن شهد فت فيه القرنفل

وما العشق إلا عفة ونزاهة ... وأنس قلوب أنسهن التغزل

وإني لأستحيي الحبيب من التي ... تريب وأدعى للجميل فأجمل

وقال آخر

وإني لمشتاق إلى كل غاية ... من المجد يكبو دونها المتطاول

بذول لمالي حين يبخل ذو النهى ... عفيف عن الفحشاء قرم حلاحل

وما ألطف قوله حين يبخل ذو النهى فإن ذا النهى لا يبخل إلا في موضع البخل فأخبر هذا أنه يبذل ماله حين يبخل به ربه في موضع البخل

وقال عامر بن حذافة رأيت بصحار جارية قد ألصقت خدها بقبر وهي تبكي وتقول

خدي يقيك خشونة اللحد ... وأقل ما لك سيدي خدي

يا ساكن الترب الذي بوفاته ... عميت علي مسالك الرشد

إسمع فديتك قصتي فلعلني ... أشفي بذلك غلة الوجد

---

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ابن القيم ص/٣٤٦

قال فسألتها عن صاحب القبر فقالت فتى رافقته في الصبا ثم أنشأت تقول

كنا كزوج حمائم في أيكة ... متنعمين بصحة وشباب

فغدا الزمان مشتتا بفراقه ... إن الزمان مفرق الأحباب." (١)

"نذور بذكر الله عنا غوى الصبا ... إذا كان قلبانا له يردان

ونصدر عن ري العفاف وربما ... نقعنا غليل الحب بالرشفان

قال أبو الفرج وشت جارية بثينة بها إلى أبيها وأخيها وقالت لهما إن جميلا عندها فأتيا مشتملين على سيفيهما فرأياه خاليا حجرة منها يحدثها ويشكو إليها بثه ثم قال لها يا بثينة أرأيت ما بي من الشغف **والعشق** ألا تجزينيه قالت له بماذا قال بما يكون من المتحابين فقالت له يا جميل أهذا تبغي والله لقد كنت عندي بعيدا منه فإذا عاودت تعريضا بريبة لا رأيت وجهي أبدا فضحك وقال والله ما قلت لك هذا إلا لأعلم ما عندك ولو علمت أنك تجيبينني إليه لعلمت أنك تجيبين غيري ولو رأيت منك مساعدة لضربتك بسيفي هذا ما استمسك في يدي إن طاوعتني نفسي أو هجرتك أبدا أما سمعت قولي

وإني لأرضى من بثينة بالذي ... لو أبصره الواشي لقرت بلابله

بلا وبأن لا أستطيع وبالمنى ... وبالأمل المرجو قد خاب آمله

وبالنظرة العجلى وبالحول تنقضي ... أواخره لا نلتقي وأوائله

فقال أبوها لأخيها قم بنا فما ينبغي لنا بعد هذا اليوم أن نمنع هذا الرجل من إتيانها." (٢)

"والمفعول به والساكت الراضي والدال المحصن منهم وغير المحصن العاشق والمعشوق وأخذهم وهم في سكرة **عشقهم** يعمهون

وذكر ابن أبي داود في تفسيره عن وهب بن منبه قال إن الملائكة حين دخلوا على لوط ظن أنهم أضياف ضافوه فاحتفل لهم وحرص على كرامتهم وخالفته امرأته إلى فساق قومه فأخبرتهم أنه ضاف لوطا أحسن الناس وجها وأنضرهم جمالا وأطيبهم ريحا فكانت هذه خيانتها التي ذكر الله عز وجل في كتابه وفيه عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله ﴿فخانتاهما﴾ قال والله ما زنتا ولا بغت امرأة نبي قط فقيل له فما كانت خيانة امرأة نوح وامرأة لوط فقال أما امرأة نوح فكانت تخبر أنه مجنون وأما امرأة لوط فإنها كانت تدل على الضيف

---

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ابن القيم ص/٣٤٧

(٢) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ابن القيم ص/٣٥١

وقال أبو مسلم الليثي في مسنده حثنا سليمان بن داود حدثنا عبد الوارث حدثنا القاسم بن عبد الرحمن حدثنا عبد الله بن محمد بن عقيل قال سمعت جابر بن عبد الله رضي الله عنه يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن أخوف ما أخاف على أمتي من بعدي عمل قوم لوط" وقال هشام بن عمار حدثنا عبد العزيز الدراوردي عن عمرو بن أبي عمرو عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " لعن الله من وقع على بهيمة ولعن الله من عمل عمل قوم لوط" رواه الإمام أحمد وقال القعنبي حدثنا عبد العزيز هو الدراوردي عن عمرو بن أبي عمرو مولى المطلب بن عبد الله بن حنطب المخزومي عن عكرمة عن." (١)

"ويعرف فضلها فباعها بمائة ألف درهم فلما قبض المال وجه بها إلى مولاها وجزع عليها جزعا شديدا فلما صارت الجارية إلى سيدها نزل بها من الوحشة للأول مالم تستطع دفعه ولا كتمه فباحت به وقالت

أتاني البلا حقا فما أنا صانع ... أمصطبر للبين أم أنا جازع

كفى حزنا أني على مثل جمرة ... أقاسي نجوم الليل والقلب نازع

فإن يمنعوني أن أبوح بحبه ... فإني قتيل والعيون دوامع

سيدها شعرها فدعا بها وأرادها فامتنعت عليه وقالت له يا سيدي إنك لا تنتفع بي قال ولم ذاك قالت إني لما بي قال وما بك صفيه لي قالت أجد في أحشائي نيرانا تتوقد لا يقدر على إطفائها أحد ولا تسأل عما وراء ذلك فرحمها ورق لها وبعث إلى مولاها فسأل عن خبره فوجد عنده مثل الذي عندها فأحضره فرد الجارية عليه ووهب له من ثمنها خمسين ألفا فلم تزل عنده مدة طويلة وبلغ عبد الله بن طاهر خبرهما وهو بخراسان فكتب إلى خليفته بالكوفة يأمره أن ينظر فإن كان هذا الشعر الذي ذكر له من قبل الجارية أن يشتريها له بما ملكت يمينه فركب إلى مولى الجارية فخبره بما كتب إليه عبد الله بن طاهر فلم يجد سيدها بدا من عرضها عليه وهو كاره فأراد الأمير أن يعلم ما عند الجارية فأنشأ يقول

بديع حسن رشيق قد ... جعلت مني له ملاذا

فأجابته الجارية

فعاتبوه فزاد عشقا ... فمات شوقا فكان ماذا

فعلم أنها تصلح له فاشتراها بمائتي ألف درهم فجهزها وحملها إلى عبد الله بن." (٢)

---

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ابن القيم ص/٣٦٩

(٢) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ابن القيم ص/٣٨٧

"فنذرت أن تحتال لقائلهما حتى تجمع بينه وبين من يحبه قالت فإني لبمزدلفة إذ سمعت من ينشدهما فاستدعيت به فزعم أنه قالهما في بنت عم له وقد حلف أهلها أن لا يزوجوهها منه فوجهت إلى الحي وما زالت تبذل لهم المال حتى زوجوه وإذا المرأة **أعشق** من الرجل فكانت زبيدة تعده في أعظم حسناتها وتقول ما أنا بشيء أسر مني بجمعي بين ذلك الفتى والفتاة

قال الزمخشري وهوي أحمد بن أبي عثمان الكاتب جارية لزبيدة اسمها نعم حتى مرض وقال فيها أبياتا منها

وإني ليرضيني الممر ببابها ... وأقنع منها بالشتيمة والزجر

فوهبتها له

وذكر الخرائطي أنه كان لبعض الخلفاء غلام وجارية من غلمانه وجواريه متحابين فكتب الغلام إليها يوما يقول

ولقد رأيتك في المنام كأنما ... عاطيتني من ريق فيك البارد

وكأن كفك في يدي وكأننا ... بتنا جميعا في فراش واحد

فطفقت يومي كله متراقدا ... لأراك في نومي ولست براقد

ثم انتبهت ومعصماك كلاهما ... بيدي اليمين وفي يمينك ساعدي

فأجابته الجارية

خيرا رأيت وكل ما أبصرته ... ستناله مني برغم الحاسد

إني لأرجو أن تكون معانقي ... فتبيت مني فوق ثدي ناهد

وأراك بين خلاخلي ودمالجي ... وأراك بين ترائبي ومجاسدي." (١)

"إذا أنت لم يعطفك إلا شفاعة ... فلا خير في ود يكون بشافع

وكان أبو السائب المخزومي أحد القراء والفقهاء فرؤي متعلقا بأستار الكعبة وهو يقول اللهم ارحم العاشقين واعطف عليهم قلوب المعشوقين فقيل له في ذلك فقال الدعاء لهم أفضل من عمرة من الجعرانة

وذكر أحمد بن الفضل الكاتب أن غلاما وجارية كانا في كتاب فهويها الغلام فلما كان في بعض أيامه في غفلة من الغلمان كتب في لوح الجارية

ماذا تقولين فيمن شفه سقم ... من طول حبك حتى صار حيرانا

---

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ابن القيم ص/٣٨٩

فلما قرأته الجارية أغرورقت عيناها بالدموع رحمة له وكتبت تحته

إذا رأينا محبا قد أضر به ... طول الصبابة أوليناه إحسانا

وذكر الهيثم بن عدي عن محمد بن زياد أن الحارث بن السليل الأزدي خرج زائرا لعلقمة بن حزم الطائي وكان حليفا له فنظر إلى ابنة له تدعى الرباب وكانت من أجمل النساء فأعجب بها **وعشقها** **عشقا** حال بينه وبين الانصراف إلى أهله فقال لعلقمة إني أتيتك خاطبا وقد ينكح الخاطب ويدرك الطالب ويمنح الراغب قال كفو كريم فأقم ننظر في أمرك ثم انكفأ إلى أم لجارية فقال لها إن الحارث سيد قومه حسبا ومنصبا وبيتا فلا ينصرفن من عندنا إلا بحاجته فشاوري ابنتك وأديريها عما في نفسها فقالت لها أي." (١)

"الباب الثامن والعشرون: فيمن آثر عاجل العقوبة والآلام على لذة الوصال الحرام

...

قالت نعم فما تريد قال لو كان غير هذا لكان لنا رأي قالت على ذلك وما هو قال عرض بقلبي من أمرك عارض قالت وما يمنعك من إنقاذه قال وتتابعيني على ذلك قالت نعم فحلت به في موضع فلما رأته مجدا في الذي سأل قالت رويدك يا مسكين لا يسقط جاهك عنده فانتبه لها وذهب عنه ما كان يجد فقال لا حرمك الله ثواب فعلك ثم تنحى ناحية فقال لنفسه اختاري إما عمى العين وإما الجب وإما السياحة مع الوحوش فاختارت السياحة مع الوحوش فكان كذلك إلى أن مات

وأحب رجل جارية من العرب وكانت ذات عقل وأدب فما زال يحتال في أمرها حتى اجتمع معها في ليلة مظلمة شديدة السواد فحادثها ساعة ثم دعته نفسه إليها فقال يا هذه قد طال شوقي إليك قالت وأنا كذلك فقال هذا الليل قد ذهب والصبح قد اقترب قالت هكذا تفنى الشهوات وتنقطع اللذات فقال لها رو دنوت مني فقالت هيهات أخاف البعد من الله قال فما الذي دعاك إلى الحضور معي قالت شقوتي وبلائي قال لها فمتى أراك قالت ما أنساك وأما الاجتماع معك فما أراه يكون ثم تولت قال فاستحييت مما سمعت منها وأنشد

توقت عذابا لا يطاق انتقامه ... ولم تأت ما تخشى به أن تعذبا

وقالت مقالا كدت من شدة الحيا ... أهيم على وجهي حيا وتعجبا

ألا أف للحب الذي يورث العمى ... ويورد نارا لا تمل التلهبا

---

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ابن القيم ص/٣٩١

فأقبل عودي فوق بدئي مفكرا ... وقد زال عن قلبي العمى فتسربا

وقال ابن خلف أخبرني أبو بكر العامري قال عشقت عاتكة المرية." (١)

"وقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن منصور عن إبراهيم قال بينما رجل عابد عند امرأة إذ عمد فضرب بيده على فخذها فأخذ يده فوضعها في النار حتى نشت

وقال حصين بن عبد الرحمن بلغني أن فتى من أهل المدينة كان يشهد الصلوات كلها مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان عمر يتفقده إذا غاب فعشقته امرأة من أهل المدينة فذكرت ذلك لبعض نسائها فقالت أنا أحتال لك في إدخاله عليك فقعدت له في الطريق فلما مر بها قالت له إني امرأة كبيرة السن ولي شاة لا أستطيع أن أحلبها فلو دخلت فحلبتها لي وكانوا أرغب شيء في الخير فدخل فلم ير شاة فقالت اجلس حتى آتيك بها فإذا المرأة قد طلعت عليه فلما رأى ذلك عمد إلى محراب في البيت فقعد فيه فأرادته عن نفسه فأبى وقال اتقي الله أيتها المرأة فجعلت لا تكف عنه ولا تلتفت إلى قوله فلما أبى عليها صاحت عليه فجاءوا فقالت إن هذا دخل علي يريدني عن نفسي فوثبوا عليه وجعلوا يضربونه وأوثقوه فلما صلى عمر الغداة فقده فبينا هو كذلك إذ جاءوا به في وثاق فلما رآه عمر قال اللهم لا تخلف ظني به قال مالكم قالوا استغاثت امرأة بالليل فجئنا فوجدنا هذا الغلام عندها فضربناه وأوثقناه فقال عمر رضي الله عنه اصدقني فأخبره بالقصة على وجهها فقال له عمر رضي الله عنه أتعرف العجوز فقال نعم إن رايتها عرفتها فأرسل عمر إلى نساء جيرانها وعجائزهن فجاء بهن فعرضهن فلم يعرفها فيهن حتى مرت به العجوز فقال هذه يا أمير المؤمنين فرفع عمر عليها الدرة وقال أصدقيني فقصت عليه القصة كما قصها الفتى فقال عمر الحمد لله الذي جعل فينا شبيه يوسف." (٢)

"وكذا وقال للآخر فقال شجرة كذا وكذا غير التي ذكر صاحبه ونزلت نار من السماء فأحرقتهما وأفلتت المرأة وقال عبد الله بن المبارك عشق هارون الرشيد جارية من جواريه فأرادها فقالت إن أباك مسني فشغف بها وقال فيها

أرى ماء وبي عطش شديد ... ولكن لا سبيل إلى الورود

أما يكفيك أنك تملكيني ... وأن الناس عندي كالعبيد

وأنك لو قطعت يدي ورجلي ... لقلت من الرضا أحسنت زيدي

---

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ابن القيم ص/٤٥٧

(٢) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ابن القيم ص/٤٦٢

فسأل أبا يوسف عن ذلك فقال أو كلما قالت جارية شيئا تصدق قال ابن المبارك فلا أدري ممن أعجب من هارون الرشيد حيث رغب فيها أو منها حيث رغبت عنه أو من أبي يوسف حيث سوغ له إتيانها

وقال أبو عثمان التيمي مر رجل براهبة من أجمل النساء فافتتن بها فتلطف في الصعود إليها فراودها عن نفسها فأبت عليه وقالت لا تغتر بما ترى وليس وراءه شيء فأبى حتى غلبها على نفسها وكان إلى جانبها مجمرة فوضعت يدها فيها حتى احترقت فقال لها بعد أن قضى حاجته منها ما دعاك إلى ما صنعت قالت إنك لما قهرتني على نفسي خفت أن أشاركك في اللذة فأشاركك في المعصية ففعلت ما رأيت فقال الرجل والله لا أعصي الله أبدا وتاب مما كان عليه

وذكر الحسين بن محمد الدامغاني أن بعض الملوك خرج يتصيد وانفرد عن." (١)

"الثالث والثلاثون أن الهوى تخليط ومخالفته حمية ويخاف على من أفرط في التخليط وجانب الحمية أن يصرعه داؤه قال عبد الملك بن قريب مررت بأعرابي به رمد شديد ودموعه تسيل على خديه فقلت ألا تمسح عينيك قال نهاني الطبيب عن ذلك ولا خير فيمن إذا زجر لا ينزجر وإذا أمر لا يأتمر فقلت ألا تشتهي شيئا فقال بلى ولكني أحتمي إن أهل النار غلبت شهوتهم حميتهم فهلكوا

الرابع والثلاثون أن اتباع الهوى يغلق عن العبد أبواب التوفيق ويفتح عليه أبواب الخذلان فتراه يلهج بأن الله لو وفق لكان كذا وكذا وقد سد على نفسه طرق التوفيق باتباعه هواه قال الفضيل ابن عياض من استحوذ عليه الهوى واتباع الشهوات انقطعت عنه موارد التوفيق

وقال بعض العلماء الكفر في أربعة أشياء في الغضب والشهوة والرغبة والرهبة ثم قال رأيت منهن اثنتين رجلا غضب فقتل أمه ورجلا عشق فتنصر وكان بعض السلف يطوف بالبيت فنظر إلى امرأة جميلة فمشى إلى جانبها ثم قال

أهوى هوى الدين واللذات تعجبني ... فكيف لي بهوى اللذات والدين

فقالت دع أحدهما تنل الآخر." (٢)

"له في الحب والبغض والفعل والترك ومفتاح حياة القلب تدبر القرآن والتضرع بالأسحار وترك الذنوب ومفتاح حصول الرحمة الإحسان في عبادة الخالق والسعي في نفع عبيده ومفتاح الرزق السعي مع الاستغفار والتقوى ومفتاح العز طاعة الله ورسوله ومفتاح الاستعداد للآخرة قصر الأمل ومفتاح كل خير الرغبة في الله

---

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ابن القيم ص/٤٦٥

(٢) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ابن القيم ص/٤٧٩

والدار الآخرة ومفتاح كل شر حب الدنيا وطول الأمل"

وهذا باب عظيم من أنفع أبواب العلم وهو معرفة مفاتيح الخير والشر لا يوفق لمعرفته ومراعاته إلا من عظم حظه وتوفيقه فإن الله سبحانه وتعالى جعل لكل خير وشر مفتاحا وبابا يدخل منه إليه كما جعل الشرك والكبر والأعراض عما بعث الله به رسوله والغفلة عن ذكره والقيام بحقه مفتاحا للنار وكما جعل الخمر مفتاح كل إثم وجعل الغنى مفتاح الزنا وجعل إطلاق النظر في الصور مفتاح الطلب **والعشق** وجعل الكسل والراحة مفتاح الخيبة والحرمان وجعل المعاصي مفتاح الكفر وجعل الكذب مفتاح النفاق وجعل الشح والحرص مفتاح البخل وقطيعة الرحم وأخذ المال من غير حله وجعل الأعراض عما جاء به الرسول مفتاح كل بدعة وضلالة

وهذه الأمور لا يصدق بها إلا كل من له بصيرة صحيحة وعقل يعرف به ما في نفسه وما في الوجود من الخير والشر فينبغي للعبد أن يعتني كل الإعتناء بمعرفة المفاتيح وما جعلت المفاتيح له والله ومن وراء توفيقه وعدله له الملك وله الحمد وله النعمة والفضل لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون.." (١)

"والنشأة الثانية عامة أيضا للنوعين وقوله: ﴿إنا أنشأناهن إنشاء﴾ ظاهره اختصاصهن بهذا الإنشاء وتأمل تأكيده بالمصدر والحديث لا يدل على اختصاص العجائز المذكورات بهذا الوصف بل يدل على مشاركتهن للحور العين في هذه الصفات المذكورة فلا يتوهم انفراد الحور العين عنهن بما ذكر من الصفات بل هن أحق به منهن فالإنشاء واقع على الصنفين والله أعلم

وقوله: ﴿عربا﴾ جمع عروب: وهن المتحببات إلى أزواجهن قال ابن الأعرابي: العروب من النساء: المطيعة لزوجها المتحببة إليه وقال أبو عبيدة العروب الحسنة التبعل

قلت: يريد حسن مواقعها وملاطفتها لزوجها عند الجماع

وقال المبرد: هي العاشقة لزوجها وأنشد للبيد:

وفي الحدوج عروب غير فاحشة ... ريا الروادف يعشي دونها البصر

وذكر لمفسرون في تفسير العرب أنهن العواشق المتحببات الغنجات الشكلات **المتعشقات** الغلمات المغنوجات كل ذلك من ألفاظهم وقال البخاري في صحيحه عربا مثقلة واحدها عروب مثل صبور وصبر وتسميها أهل مكة العربة وأهل المدينة الغنجة وأهل العراق الشكلة والعرب والمتحببات إلى أزواجهن هكذا ذكره في كتاب بدء الخلق وقال في كتاب التفسير في سورة الواقعة عربا مثقلة واحدها عروب مثل صبور

---

(١) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ابن القيم ص/٦٩

وصبر تسميها أهل مكة العربة وأهل المدينة الغنجة وأهل العراق الشكلة قلت فجمع سبحانه بين حسن صورتها وحسن عشرتها وهذا غاية ما يطلب من النساء وبه تكمل لذة الرجل بهن وفي قوله: ﴿لم يطمثهن أنس قبلهم ولا جان﴾ إعلام بكمال اللذة بهن فان لذة الرجل بالمرأة التي لم يطأها سواه لها فضل على لذته بغيرها وكذلك هي أيضا

فصل

قال تعالى: ﴿إن للمتقين مفازا حدائق وأعنابا وكواعب أترابا﴾." (١)

""خيرات الأخلاق حسان الوجوه" قلت: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرني عن قوله عز وجل: ﴿كأنهن بيض مكنون﴾ قال: "رقتهن كرقة الجلد الذي رايته في داخل البيضة مما يلي القشر وهو الغرقيء قلت: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرني عن قوله عز وجل: ﴿عربا أترابا﴾ قال: "هن اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز رمصا شمطا خلقهن الله بعد الكبر فجعلهن عذارى عربا: **متعشقات** محببات أترابا: على ميلاد واحد قلت: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم نساء الدنيا أفضل أم الحور العين؟ قال: "بل نساء الدنيا أفضل من الحور كفضل الظهارة على البطانة" قلت: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم وبم ذلك قال: "بصلاتهن وصيامهن وعبادتهن الله تعالى ألبس الله وجوههن النور وأجسادهن الحرير بيض الألوان خضر الثياب صفر الحلي مجامرهن الدر وأمشاطهن الذهب يقلن نحن الخالدات فلا نموت ونحن الناعمات فلا نيأس أبدا ونحن المقيمات فلا نظعن أبدا ونحن الراضيات فلا نسخط أبدا طوبى لمن كنا له وكان لنا قلت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم: "والمرأة منا تتزوج زوجين أو ثلاث أو أربع ثم تموت فتدخل الجنة ويدخلون معها من يكون زوجها قال يا أم سلمة أنها تخير فتختار أحسنهم خلقا فتقول: أي رب إن هذا كان أحسنهم معي خلقا في دار الدنيا فزوجنيه يا أم سلمة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة" تفرد به سليمان بن أبي كريمة ضعفه أبو حاتم وقال ابن عدي عمت أحاديثه مناكير ولم أر للمتقدمين فيه كلاما ثم ساق هذا الحديث من طريقه وقال لا يعرف إلا بهذا السند

وقال أبو يعلى الموصلي حدثنا عمر بن الضحاك بن مخلد حدثنا أبو عاصم الضحاك بن مخلد حدثنا أبو رافع إسماعيل بن رافع عن محمد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي عن رجل من الأنصار عن أبي هريرة رضي الله عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في طائفة من أصحابه فذكر حديث الصور

(١) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ابن القيم ص/٢٢٧

وفيه فأقول: "يا رب وعدتني الشفاعة فشفعني في أهل الجنة يدخلون الجنة فيقول الله قد شفعتك وأذنت لهم في دخول الجنة وكان رسول الله يقول والذي بعثني بالحق ما أنتم." (١)

"لا معول له إلا الصبر، فإنه إن لم يصبر اختيارا صبر اضطرارا.

ولهذا كان بين ابتلاء يوسف الصديق [صلى الله عليه وسلم] بما فعل به إخوته من الأذى والإلقاء فى الجب وبيعه بيع العبيد والتفريق بينه وبين أبيه، وابتلائه بمراودة المرأة [له] وهو شاب عزب غريب بمنزلة العبد لها وهى الداعية [له] إلى ذلك، فرق عظيم لا يعرفه إلا من عرف مراتب البلاء، فإن الشباب داع إلى الشهوة والشاب قد يستحى من أهله ومعارفه من قضاء وطره، فإذا صار فى دار الغربة زال ذلك الاستحياء والاحتشام، وإذا كان عزبا كان أشد لشهوته، وإذا كانت المرأة هى الطالبة كان أشد وإذا كانت جميلة كان أعظم، فإن كانت ذات منصب كان أقوى فى الشهوة، فإن كان ذلك فى دارها وتحت حكمها بحيث لا يخاف الفضيحة ولا الشهرة كان أبلغ، فإن استوثقت بتغليق الأبواب والاحتفاظ من الداخل كان أقوى أيضا للطلب، فإن كان الرجل مملوكها وهى كالحاكمة عليه ،لآمرة الناهية [له] كان أبلغ فى الداعى، فإذا كانت المرأة شديدة العشق والمحبة للرجل قد امتلأ قلبها من حبه، [فهذا] الابتلاء الذى صبر معه مثل الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم صلوات الله عليهم أجمعين.

ولا ريب أن هذا الابتلاء أعظم من الابتلاء الأول، بل هو من جنس ابتلاء الخليل بذبح ولده، إذ كلاهما ابتلاء بمخالفة الطبع ودواعى النفس والشهوة ومفارقة حكم [الطبع] ، وهذا بخلاف البلوى التى أصابت ذا النون. والتى أصابت أيوب [صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين] .

قالوا: وأيضا فإن هذه هى النكتة التى من أجلها كان صالح البشر أفضل من الملائكة لأن الملائكة عبادتهم بريئة عن شوائب [و] دواعى [النفوس] والشهوات البشرية، فهى صادرة عن غير معارضة ولا مانع ولا عائق، [و] هى كالنفس للحى، وأما عبادات البشر فمع منازعات النفوس وقمع الشهوات ومخالفة دواعى الطبع، فكانت أكمل، ولهذا كان أكثر الناس على تفضيلهم على الملائكة لهذا المعنى ولغيره، فمن لم يخلق له تلك الدواعى والشهوات فهو بمنزلة الملائكة، ومن خلقت له وأعانه الله على دفعها وقهرها وعصيانها كان أكمل وأفضل.

قالوا: وأيضا فإن حقيقة المحبة إيثار المحبوب ومرضاته على ما سواه.

قالوا: وكيف يصح الإيثار ممن لا تنازعه نفسه وطبعه إلى غير المحبوب.

---

(١) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ابن القيم ص/٢٢٩

قالوا: وليس العجب من قلب خال عن الشهوات والإرادات قد ماتت دواعى طبعه وشهوته إذا عكف على محبوبه ومعبوده واطمأن إليه واجتمعت همته، [عليه] وإنما العجب من قلب قد ابتلى [بما ابتلى] به من." (١)

"تشير فأدرى ما تقول بطرفها ... وأطرق طرفى عند ذاك فتعلم

تكلم منا فى الوجوه عيوننا ... فنحن سكوت والهوى يتكلم

قلت: كل معنى فله صيغة تعبر به عنه، ولا سيما إذا كانت من المعانى المعروفة للخاص والعام. ولكن العبارة قد تكون كاشفة للمعنى مطابقة له، كلفظ الدراهم والخبز والماء واللبن ونحوها، وهى أكبر الألفاظ.

وقد يكون المعنى فوق ما يشير إليه اللفظ ويعبر عنه، وهو أجل من أن يدل لفظه على كمال ماهيته وهذا كأسماء الرب سبحانه وأسماء كتابه.

وكذلك اسم الحب فإنه لا يكشف اسمه مسماه، بل مسماه فوق لفظه، وكذلك اسم الشوق **والعشق** والموت والبلاء ونحوها. وقد يكون المعنى دون اللفظ بكثير، واللفظ أجل منه وأعظم.

وهذا كلفظ الجوهر الفرد الذى هو عبارة عن أقل شيء وأصغره وأدقه وأحقره، فليس معناه على قدر لفظه، وإذا عرف هذا فقولهم: "ليس للمحبة صيغة يعبر بها عن حقيقتها" المراد به أن لفظها لا يفهم حقيقة معناها ومعناها فوق ما يفهم من لفظها.

وقوله: "الغيرة من أوصاف المحبة، وهى تأبى إلا التستر والاختفاء" هذا كلام فى حكم المحبة ومقتضاها، لا فى حقيقتها ومعناها، والمحبون متباينون فى هذا الحكم، فمنهم من يجعل الغيرة من لوازم المحبة وعلامة ثبوتها وتمكنها ويجعل نداء المرء عليها وبسط لسانه بالإخبار بها دليلا على أنه دعى فيها، وأن ما معه منها رائحتها لا حقيقتها، وحقيقتها تأبى إلا التستر والكتمان. وهذه طريقة الملاميين، كما قيل:

لا تنكرى جحدى هواك، فإنما ... ذاك الجحود عليه ستر مسبل

ولهذا قيل: المحبة كتمان الإرادة، وإظهار الموافقة. وهذه الطائفة رأت أن كمال المحبة بكتمانها لأسباب عديدة:

أحدها: أن الحب كلما كان مكتوما كان أشد وأعظم سريانا وسكونا فى أجزاء القلب كلها، كما قيل: الحب

---

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين ابن القيم ص/٢٢٧

أقتله أكتمه فإذا أفشاه المحب وأظهره وباح به ونادى عليه ضعف أثره وصار عرضة للزوال.

الثانى: أن الحب كنز من الكنوز، بل هو أعظم الكنوز المودعة فى سر العبد." (١)

"الفصل الثانى – الفرق بينهما:

فرق ما بين الشيء وأثره. فإن الحامل على الشوق هو المحبة، ولهذا يقال: لمحبتى له اشتقت إليه وأحببته فاشتقت إلى لقائه، ولا يقال: لشوقى إليه أحببته، ولا اشتقت إلى لقائه فأحببته.

فالمحبة بذر فى القلب، والشوق بعض ثمرات ذلك البذر، وكذلك من ثمراتها حمد المحبوب والرضى عنه وشكره وخوفه ورجاؤه والتنعيم بذكره والسكون إليه والأنس به والوحشية بغيره، وكل هذه من أحكام المحبة ... وثمراتها، وهو حياتها، فمنزلة الشوق من المحبة منزلة الهرب من البغضاء والكراهة: فإن القلب إذا أبغض الشيء وكرهه جد فى الهرب منه، وإذا أحبه جد فى الهرب إليه وطلبه، فهو حركة القلب فى الظفر بمحبوبه ولشدة ارتباط الشوق بالمحبة يقع كل واحد منهما موقع صاحبه ويفهم منه ويعبر عنه.

فصل

وأما المسائل [الخمس] فإحداها: هل يجوز إطلاقه على الله؟ فهذا مما لم يرد به القرآن ولا السنة بصريح لفظه. قال صاحب "منازل السائرين" وغيره: وسبب ذلك أن الشوق إنما يكون لغائب.

ومذهب هذه الطائفة إنما قام على المشاهدة، ولهذا السبب عندهم لم يجيء فى حق الله ولا فى حق العبد.. وجوزت طائفة إطلاقه كما يطلق عليه سبحانه، ورووا فى أثر أنه يقول: "طال شوق الأبرار إلى لقائى، وأنا إلى لقائهم أشوق". قالوا: وهذا الذى تقتضيه الحقيقة، وإن لم يرد به لفظ صريح، فالمعنى حق، فإن كل محب فهو مشتاق إلى لقاء محبوبه.

قالوا: وأما قولكم إن الشوق إنما يكون إلى الغائب وهو سبحانه لا يغيب عن عبده ولا يغيب العبد عنه، فهذا حضور العلم، وأما اللقاء والقرب فأمر آخر، فالشوق يقع بالاعتبار الثانى وهو قرب الحبيب ولقاؤه والدنو منه، وهذا له أجل مضروب لا ينال قبله.

قال تعالى: ﴿من كان يرجو لقاء الله فإن أجل الله لآت﴾ [العنكبوت: ٥] ، قال أبو عثمان الحيرى: هذا تعزية للمشتاقين، معناه: إنى أعلم أن اشتياقكم إلى غ،لب، وأنا أجلت للقائكم أجلا، وعن قريب يكون وصولكم إلى من تشتاقون إليه. والصواب أن يقال: إطلاقه [اللفظ] متوقف على السمع، ولم يرد به، فلا ينبغى إطلاقه. وهذا كلفظ **العشق** أيضا، فإنه لما لم يرد به سمع فإنه يمتنع إطلاقه عليه سبحانه.

---

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين ابن القيم ص/٣١١

واللفظ الذى أطلقه سبحانه على نفسه وأخبر به عنها أتم من هذا وأجل شأنا هو لفظ المحبة، فإنه سبحانه يوصف من كل صفة كمال بأكملها وأجلها." (١)

"وأعلاها، فيوصف من الإرادة بأكملها وهو الحكمة وحصول كل ما يريد بإرادته كما قال تعالى: ﴿فعال لما يريد﴾ [هود: ١٠٧] [البروج: ١٦] ، وبإرادة اليسر لا العسر كما قال: ﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾ [البقرة: ١٨٥] ، وبإرادة الإحسان وإتمام النعمة على عباده كقوله: ﴿والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما﴾ [النساء: ٢٧] ، [فإرادة] التوبة [له] وإرادة الميل لمبتغى الشهوات.

وقوله تعالى: ﴿ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون﴾ [المائدة: ٦] ، وكذلك الكلام يصف نفسه منه بأعلى أنواعه كالصدق والعدل والحق، وكذلك الفعل [يصنف] نفسه منه بأكمله وهو العدل والحكمة والمصلحة والنعمة.

وهكذا المحبة وصف نفسه منها بأعلاها وأشرفها فقال: ﴿يحبهم ويحبونه﴾ [المائدة: ٥٤] ، ﴿يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾ [البقرة: ٢٢٢] ، ﴿يحب المحسنين﴾ [البقرة: ١٩٥] [آل عمران: ١٣٤] [آل عمران: ١٤٨] [المائدة: ١٣] [المائدة: ٩٣] ، و ﴿يحب الصابرين﴾ [آل عمران: ١٤٦] .

ولم يصف نفسه بغيرها من العلاقة والميل والصبابة والعشق والغرام ونحوها، فإن مسمى المحبة أشرف وأكمل من هذه [المسميات] ، فجاء فى حقه إطلاقه دونها. وهذه [المسميات] لا تنفك عن لوازم ومعان تنزه تعالى عن الاتصاف بها، وهكذا جميع ما أطلقه على نفسه من صفاته العلى أكمل معنى ولفظا مما لم يطلقه.

فالعليم الخبير أكمل من الفقيه والعارف، والكريم الجواد أكمل من السخى، والخالق الباريء المصور أكمل من الصانع الفاعل، ولهذا لم تجيء هذه فى أسمائه الحسنى، والرحيم والرؤوف أكمل من الشفيق [والمشفق] فعليك بمراعاة ما أطلقه سبحانه على نفسه من الأسماء والصفات والوقوف معها، وعدم إطلاق ما لم يطلقه على نفسه ما لم يكن مطابقا لمعنى أسمائه وصفاته، وحينئذ فيطلق المعنى لمطابقته له دون اللفظ ولا سيما إذا كان مجملا أو منقسما إلى ما [يمدح] به، وغيره فإنه لا يجوز إطلاقه إلا مقيدا، وهذا كلفظ الفاعل والصانع، فإنه لا يطلق عليه فى أسمائه الحسنى إلا إطلاقا مقيدا أطلقه على نفسه كقوله تعالى:

---

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين ابن القيم ص/٣٢٨

﴿فعال لما يريد﴾ [البروج: ١٦] ، ﴿ويفعل الله ما يشآء﴾ [إبراهيم: ٢٧] ، وقوله: ﴿صنع الله الذى أتقن كل شيء﴾ [النمل: ٨٨] ، فإن اسم الفاعل والصانع." [١]

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين ابن القيم ص/٣٢٩